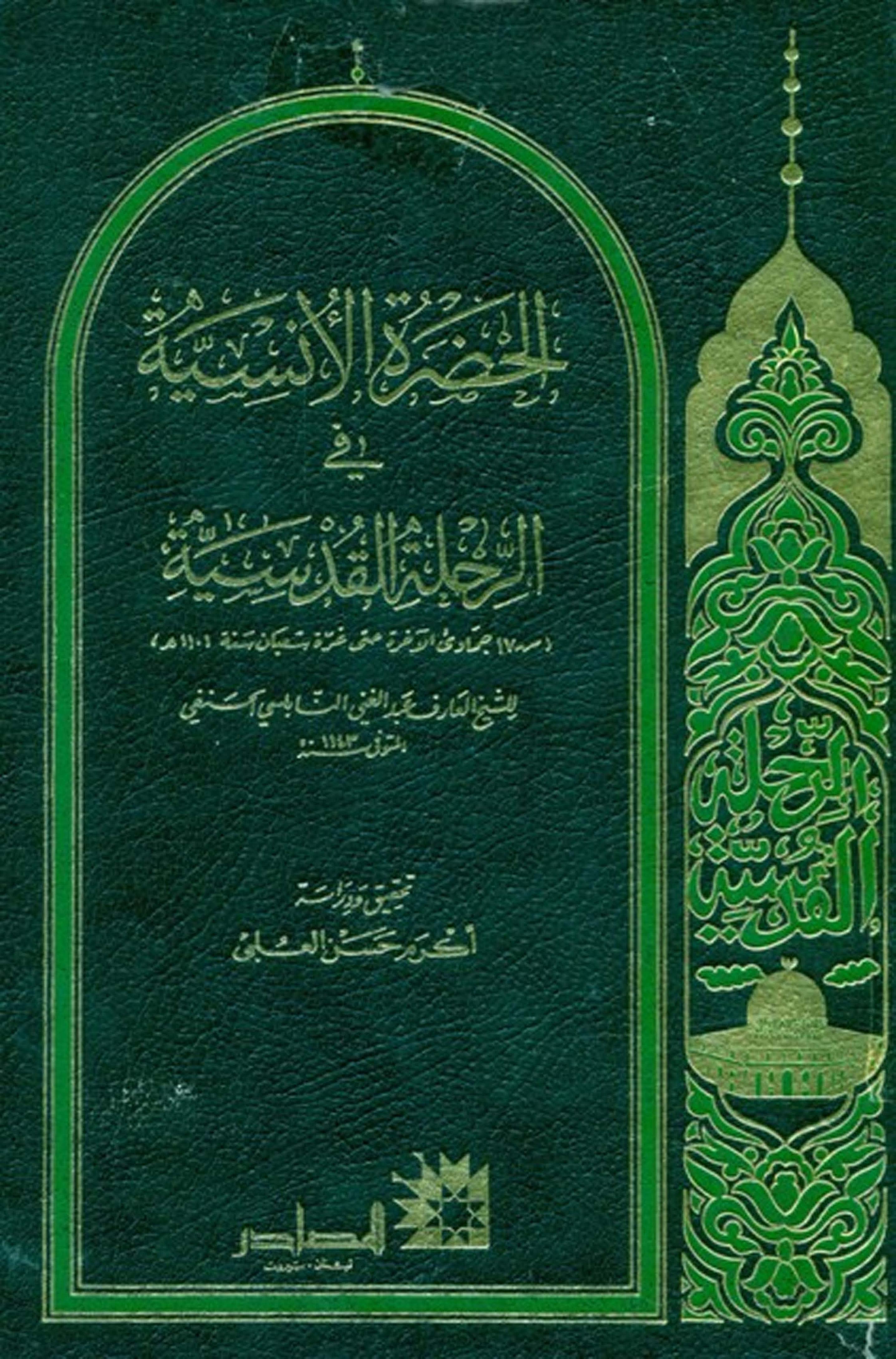
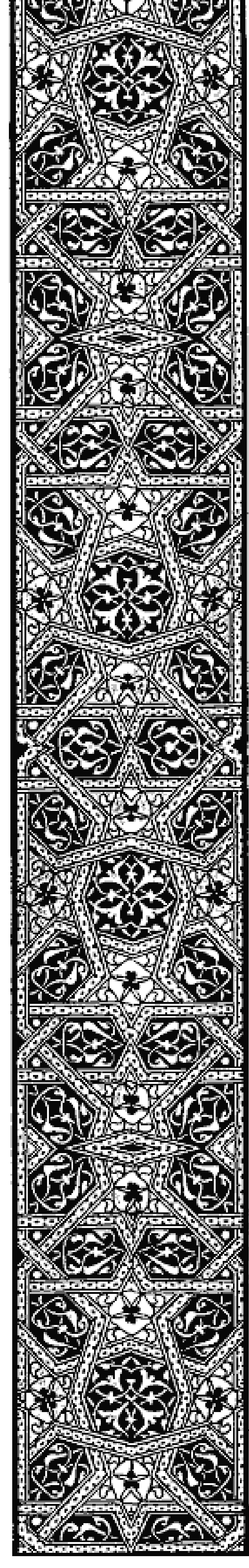


الحضرة الأنسية
في
الرحلة القدسية
(من ١٧ جمادى الآخرة حتى غرة شعبان سنة ١١٠١ هـ)
للشيخ العارف عبد الغني النابلسي الحنفي
المتوفى سنة ١١٤٣
تحقيق ودراسة
أكرم حسن العلبي
المصادر
الرحلة القدسية





الحضرة الأنسية

في

الرحلة القدسية



الحضرة الأنسية

في

الرحلة القدسية

(من ١٧ جمادى الآخرة حتى غرة شعبان سنة ١١٠١ هـ)

للشيخ العارف عبد الغني النابلسي الحنفي

المتوفى سنة ١١٤٣

تحقيق ودراسة

أكرم حسن العلبي

المصادر

لبنان - بيروت

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩٠م



مُؤسّسة ثقافيّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر
RÉFÉRENCES (AL-MAÇADER)
LIBAN - BEYROUTH - B.P. 11/9397 لبنان - بيروت - ص.ب ١١/٩٣٩٧

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

وبعدُ، فإنه يُسعدنا أن نقدِّم اليوم كتاب «الحضرة الأنسيَّة في الرحلة القدسية» لعلّامة الشام الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي، وهو الكتاب الذي ضمَّنَهُ وصفاً لرحلته إلى بلاد فلسطين في شهر جمادى الآخرة سنة ١١٠١ هـ/آذار، مارس سنة ١٦٤١ م.

والشيخ عبد الغني، غنيٌّ عن التعريف، ولذا، فإننا سنقدّم فيما يلي لمحاتٍ خاطفة عنه، لمن لم يُتح لهم الاطلاع على حياته، ثم نعقبها بالتعريف بالمخطوط وقيمته وطريقتنا في تحقيقه، ونختم المقدمة بإيراد الخطوط العريضة لطوائف الصوفية وطرقها، وهي التي يكثر المؤلف من ذكرها، وذلك حتى لا نعرِّف بها مبعثرة في حواشي الكتاب.

ـ أولاً: حياة الشيخ عبد الغني النابلسي وآله*

هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم النابلسي، كانت أسرته تعرف ببني جماعة، ثم سكن إبراهيم نابلسَ فنُسبوا إليها، ويقول الغزّي إنّ نَسَبهم ينتهي إلى الفاروق عمر بن الخطاب، مروراً بشيخ الإسلام الموفّق بن قُدامة الحنبلي.

وقد كان الشيخ إسماعيل الأب، فقيهاً شاعراً، درّسَ في كبريات

(*) أنظر مقدمة الدكتور صلاح الدين المنجد لرحلة الشيخ إلى البقاع، وكذلك مقدمة المستشرق الفرنسي بوسويه للرحلة الطرابلسية.

مدارس دمشق مثل القيمرية والسّليمية والجامع الأموي، وقد توفي بدمشق سنة ١٠٦٢ هـ وهو لم يتجاوز الخامسة والأربعين، وكان ابنه عبد الغني في الثانية عشرة، وقد دُفن في مقابر الأسرة التي لا تزال إلى اليوم في مدخل مقابر الباب الصغير في دمشق[1]، قبالة جامع جرّاح، وقد زاره ابنُه الشيخ عبد الغني في بداية رحلته هذه، كما هو آت.

أمّا أمُّهُ، فهي ابنة الشيخ محمد الدُّوَيْكي الذي كان من أعلام دمشق، وعُرفت أسرته بالفضل والصلاح والسؤدد، وقد مات في الهند في إحدى زياراته لها.

ولد الشيخ عبد الغني في دمشق يوم الأحد الرابع من شهر ذي الحجَّة سنة ١٠٥٠ هـ المصادف للسابع عشر من آذار، مارس سنة ١٦٤١ م، وذلك في دار جدِّه لأمه في زقاق المَصْبَنَة في سوق القطن بدمشق، وكان الشيخ المجذوب الصالح محمود، قد بشَّرها بولادته، وأعطاها درهم فضَّة وقال لها: «سَمِّيهِ عبدَ الغني، فإنه منصور».

ونشأ الشيخ وترعرع في دار آبائه وأجداده في «سوق العنبراتيين»، مقابل الباب القبلي للجامع الأموي، مكان سوق الصاغة القديم، وبقي فيها حتى سنة ١١١٩ هـ، عندما غادرها بسبب طغيان طوائف العسكر في دمشق على العلماء والأشراف، وابتنى له داراً من دكّ التراب بسفح قاسيون، قرب زاوية الشيخ يوسف القميني، ثم أعطاه المولى أسعد أفندي البكري الصدّيقي قطعة أرض من بستانه المسمّى بالعجميَّة، قبالة المدرسة العمرية في الصَّالحية، تحت نهر يزيد، فعمرها الأستاذ داراً وأقام فيها حتى وفاته.

وكان للشيخ قصر خشبي متنقّل، يُفكك ويُركّب بسهولة، وكان يقيم فيه كُلّما أراد القيام بِسَيْرانٍ[2] في الصالحية أو الربوة أو غوطة دمشق.

---

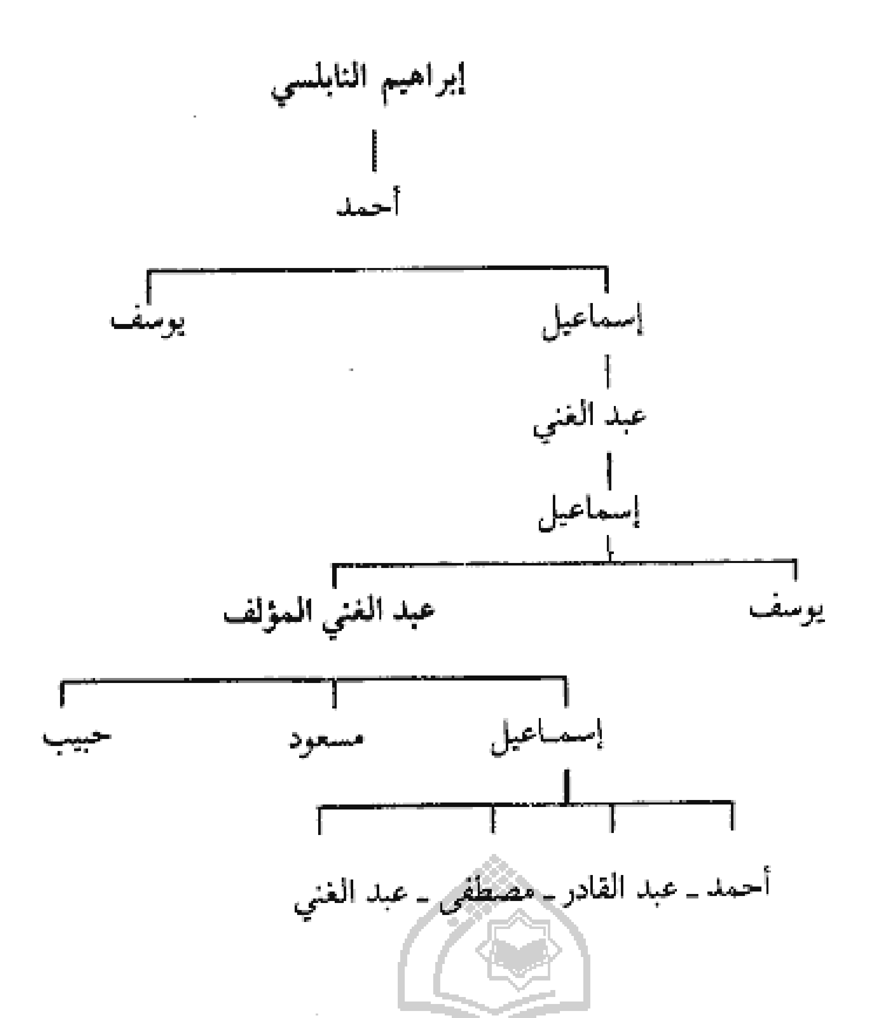
(١) ذكره المحبي في خلاصة الأثر ١/٤٠٨.

(٢) السَّيْران هو النزعة بلغة أهل دمشق.

وقد نشأ الشيخ النابلسي على مكارم الأخلاق، يصون لسانه عن اللغو والشتم والتهكّم والخوض فيما لا يعنيه. ولم يكن يحقد على أحد، أو يحسد أحداً، أو يُسيء إلى أحد، أو يفرح بمصيبة أحد، وكان يحبّ الصالحين وطلبه العلم ويُكرمهم ويُقرِّبهم ويُجلُّهم، ويبذل جاهه بالشفاعات عند ولاة الأمر، ولا لذّة له إلا في العبادة والتصنيف والتدريس وقضاء حوائج الناس وحلّ مشكلاتهم.

وقد بقي حتى آخر عمره ممتّعاً بسمعه وبصره وعقله، يَقرأ الخط الدقيق، ويسمعُ الهمس، حتى مَرِضَ مَرَضَ الموت في السادس عشر من شعبان سنة ١١٤٣ هـ، وتوفي بعد ثمانية أيام، في يوم الأحد ٢٤ شعبان، آذار، مارس ١٧٣١ م بعد العصر، وجُهِّز يوم الاثنين، وصُلّي عليه في داره ودُفن بالقبة التي أنشأها سنة ١١٢٦ هـ، وقد ارتجّتْ دمشق لوفاته وأُغلقت الأسواق، وانتشر الناس في الصّالحية.

وقد بَنى حفيده الشيخُ مصطفى إلى جانب القبَّة جامعاً بخطبةٍ، وصار قبرُه مزاراً لأهل دمشق، وقد وُسِّع هذا الجامع في عهد السلطان عبد الحميد وجُعل له محراب حجري ونُقِل المنبر الخشبي إلى هذه الزيادة، وفي سنة ١٤١٠ هـ تم آخر تجديد على الجامع، وبُني سقفه بالقرميد، وهو نظام فريد في دمشق، وَوُسِّع مُصلاّه توسعةً كبيرةً، وجُعلت فيه مدرسة لتحفيظ للقرآن الكريم، والجامع اليوم معمور بذكر الله، ويقوم بالتدريس فيه الشيخ راتب النابلسي، حفيد الشيخ الكبير.



ثانياً ـ حياتُه العلميَّة والصُّوفيَّة:

تلقَّى الشيخُ علومه على علماء كثيرين في الشام، من أشهرهم والده، والنجم الغزّي وعلي الشبراملسي والملاّ محمود الكردي وغيرهم[1].

ومن أشياخه الذين أثَّروا فيه الشيخ عبد الرزاق الكيلاني، الذي أخذ عنه الطريقة القادرية في حماة، وألبَسهُ «التَّاج القادري» وأعطاه سيفاً ورثه عن آبائه، وكان ذلك سنة ١٠٧٥ هـ، وكذلك الشيخ أبو سعيد البلخي النقشبندي الذي ألبسه خرقة الشاذلية البيضاء عند قُدومه إلى دمشق سنة ١٠٨٧ هـ، وأعطاه «العكاز» أمام الضريح المنسوب للنبي يحيى في الجامع الأموي في دمشق[2].

---

(١) أنظر أسماءهم، إن شئت، في سلك الدرر ٣/٣١.

(٢) مقدمة المنجد المذكورة في كتاب رحلة الشيخ إلى البقاع صفحة/١١.

أمّا تلامذته فهم أكثر من أن يُحصَوا، وقد زاد عددهم على مائة وثلاثة وأربعين، كان أقربَهم إليه، الشيخ محمد الدكدكجي الذي توفي سنة ١١٣١ هـ[١].

ومن جهةٍ أخرى فقد تأثّر الشيخُ بأساتذة لم يجتمع بهم، وفي مقدِّمتهم الشيخ محيي الدين بن عربي، وابن سبعين والعفيف التلمساني وعبد الكريم الجيلي وغيرهم من القائلين بوحدة الوجود.

وقد مارس الشيخ التدريس في الجامع الأموي، في الجهة القبلية، تجاه الضريح المنسوب للنبي يحيى، فكان يُقرىء بكرة النهار في عدَّة علوم، ويُقرىء بعد العصر في «الجامع الصغير» للسيوطي، وفي الأربعين النووية والأذكار النووية، واعتباراً من سنة ١١١٥ هـ، صار يدرّس في السّليمية (جامع الشيخ محيي الدين) كتاب فصوص الحكم ومواقع النجوم للشيخ المذكور.

أمَّا مصنفاته فقد أربَتْ على مائتي مصَّنف تتراوح بين الكرّاسة والمجلدات الكبيرة، وتتناول الحياة العلميَّة والاجتماعية والأدبية والصوفيَّة والسياسية[٢]، وقد طبع بعضها ولا يزال أكثرها مخطوطاً، ومن هذه المصنفات رحلاته الخمس التي قام بها إلى استانبول سنة ١٠٧٥ هـ وإلى البقاع سنة ١١٠٠ هـ، وإلى القدس والخليل سنة ١١٠١ هـ، وإلى مصر والحجاز سنة ١١٠٥ هـ وأخيراً رحلته إلى طرابلس الشام[٣].

ثالثاً ـ الشيخُ عبد الغني ودمشق:

يُعدُّ الشيخ النابلسي من معالم دمشق البارزة، شأنه في ذلك شأن الشيخ محيي الدين في دمشق، والشيخ الشعراني في مصر، والشيخ البدوي في طنطا، والشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد وغيرهم.

---

(١) ذكر الدكتور المنجد أسماءهم كاملة في الصفحات ١٩ ـ ٢٤ من المصدر السابق.

(٢) ذكرها المرادي في سلك الدرر ٢/٣٢ ـ ٣٦.

(٣) نشر الدكتور المنجد رحلة البقاع، ونُشرت في دمشق أخيراً رحلته إلى مصر والحجّاز، كما نشر المستشرق الفرنسي هربرت بوسويه رحلته الطرابلسيَّة في القاهرة.

وهـذه المكانـة التي اكتسبهـا لـم تكن بسبب علمـه وأدبـه فحسب، بـل كانت نتيجة مباشرة للدور الكبيـر الذي لعبـه الشيخ في حيـاة دمشق على مدى سبعين عاماً، وسنتناول فيما يلي ثلاثة نماذج تُوضِّح ما نحن بصدده.

١ ـ محنَتُه مع أهل دمشق:

عندما بلغ الشيخ الأربعين، اختلى بنفسه في داره بجوار الأموي، وكـان قليل الطعـام والكلام والنـوم، وقد أطلق شعـر لحيته ورأسـه وأظافـره وصارت تعتريه السَّوداء، وصدرت عنه أحوال عجيبة وأطوار غـريبة، وتكلّم الحُسَّـاد فيه بما لا يليق من أنه يترك الجمعة والجماعة وأنَّه يهجو الناس بشعره، وقـام أهل الشـام عليه، وصـدر منهم في حقّه مـا لا يُرضى من الأفعـال والأقـوال، وبقي على هذا المنوال سبع سنين، وفي آخرهـا أقبل عليـه أهل الشَّـام وأقبل عليهم وعادت محبَّتُهم له مُضاعفة، وكشف الله الغمَّـة، وصار شيـخ دمشق الأوَّل غير منازع يُرشد أهلها ويتصدَّى معهم للظلم والطغيان.

٢ ـ موقفه من الدخان والقهوة:

دخلت القهـوةُ والـدخـان دمشق والعـالم الإسـلامي في القـرن العـاشـر الهجري، وانقسم النـاس حيـالهما، ولا سيَّـمـا الدخـان، بين مؤيِّد ومعـارض، ومحلّل ومحـرِّم، وكَثُر الخـوض في ذلك وخشيت الفتنـة، فانبـرى الشيخ إلى وضع رسالـة حاسمـة في الموضـوع، سمَّاهـا «فتوى الإخـوان في حلّ شـرب الدّخان»، وقد بيَّن فيها بالأدلَّة الشرعيَّة أن تحريم الحلال مثل تحليل الحـرام، وأنَّه لم يرد في الدخان شيء، وأنه لا يجوز مقـارنته بـالخمر والحشيش، وقـد ذكر طرفاً من ذلك في رحلته هذه، وبغض النظر عن كل شيء، فـإن المصنَّفَ المـذكور وأمثـاله يـدلّ على شجاعـة الشيـخ عبـد الغني وتحـرّره من الجمـود والانعزال واندماجه في مشكلات المسلمين الطارئة.

٣ ـ موقفه من العسكر والزّعران:

تسلَّط على دمشق في العصر العثماني، طوائف من شرار الجند كان من أشدها عُتوّاً وفساداً طوائف «القبي قول»، والتف حول هؤلاء مجموعة من الطغام والسُّوقة عُرفوا بالزعران أو المناحيس، وكان هؤلاء يفرضون أتاوات على المستضعفين من أهل البلد، ومن هؤلاء الجزارون الذين كانوا يُرغمون على تسليم «المقادم والروس» إلى الزعران الذين كانوا يطرحونها للبيع في «برج الروس» بظاهر باب توما، وقد وجد كثير من الناس حرجاً شديداً في شرائها لأنها مُغتصبة، فوضع الشيخ رسالته التي سمّاها «تطييب النفوس في حكم المقادم والروس».

ومن جهة أخرى، طغى «القبي قول» على دمشق سنة ١١١٩ هـ، وذبحوا أحد الأشراف، وقتلوا زهاء عشرة أنفسٍ من أهل دمشق وعتوا وتجبّروا[١] فتصدَّى لهم الشيخ بمنتهى الشجاعة وهجاهم ودعا عليهم، وخمَّس قصيدةً للشيخ محيي الدين، قال فيها:

تجمَّعَ «القُولُ» للإضرار واختبطوا ما بينهم، وبساط السُّوء قد بسطوا
فجاءهم قولُ «مُحيي الدين» ينضبطُ يا سطوة الله حُلّي عقْد ما ربطوا
وشتّتي شمل أقوام بنا اختلطوا
إبليسٍ للشّرّ داعيهم وجامِعُهمْ وما لهم عن هواهم من يُمانعهمْ
ناديتُ لمّا بدا للعكس طالعهم الله أكبر، سيف الله قاطِعُهمْ
وكلّما علوا في ظلمهم هبطوا[١]

ونحن نكتفي بهذه اللمحات التي سُقناها على عجل، لأنّ الرجل أكبر من أن نعرِّف به في هذه الصفحات، وهو الذي شغل دمشق والعالم الإسلامي، ولا يزال، ما يربو على ثلاثة قرون ونصف.

---

(١) أورد ابن كنان الصالحي الحادثة مفصلة في تاريخه المخطوط.

(١) أبادهم والي دمشق الكبير أسعد باشا العظم، صاحب قصر العظم وخان العظم بدمشق وذلك بعد بضع عشرات من السّنين، أنظر حوادث دمشق اليومية صفحة/٦٥.

رابعاً ـ التعريفُ بالنُّسَخ وطريقة التحقيق

١ ـ التعريف بالنسخ المعتمدة:

نسخُ هذه الرحلة كثيرة ومُبعثَرةٌ ويصعب تقصّيها جميعاً على ما في ذلك من عدم الجدوى، ولذلك اعتمدنا على ثلاث نسخ خطية، بالإضافة إلى المختارات المطبوعة عن الرحلة.

أ ـ النسخة الأولى:

وأفضل هذه النسخ برأينا هي التي تحمل الرقم ٦٨٤٤ عام، في ظاهرية دمشق ولذلك اتخذناها أصلاً، وهذا هو وصفها:

ـ الناسخ محمد أمين العطار.

ـ تاريخ النسخ ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٥هـ.

ـ الخط: نسخي واضح، والحبر أسود، وبعض كلماتها مجدولة بالحمرة.

ـ عدد أوراقها: ١٤٩ ورقة، قياس الواحدة منها ١٣/١٩سم.

ـ في السطر عشر كلمات[1].

وتمتاز هذه النسخة بالدقَّة والضّبط والشكل، وهي تنمُّ عن أنَّ ناسخها على قدر كاف من العلم والمعرفة، وليس كالآخرين من النسَّاخ الذين تفضحهم أخطاؤهم الفاحشة، كما هو الحال في نسخة حلب، الآتي بيانُها.

وأما عيبها فهو نقصان الورقة الأخيرة منها، وذلك أمرٌ يسير، وقد رمزنا لهذه النسخة بعبارة «نسختنا».

ب ـ نسخة المكتبة الأحمدية بحلب:

ـ رقمها ١٢٢٨٦ عام، وقد نقلت مع مخطوطات الأحمدية كلها إلى مكتبة الأسد الوطنية.

---

(١) انظر فهارس التصوف بالظاهرية ١/٦٠٣.

ـ وخطها نسخي، والناسخ محمد بن أحمد بن صنع الله المالكي القادري، خادم الشيخ عبد الغني، كما ذكر في آخر مخطوطته.

ـ تاريخ النسخ سنة ١١٥٤هـ، وهي والحالة هذه من أقدم النسخ التي اطلعنا عليها، وكان المفروض أن تُتخذ أصلاً، لكننا بمقارنتها مع النسخة الأولى، تبيَّن لنا أن ناسخها ليس على قدر كاف من العلم والعرفان، وذلك لوقوع أخطاء عديدة في نسخته، تُذهب بمعنى الشعر والنثر، على حدٍّ سواء، وعلى الرغم من ذلك فقد استفدنا منها هنا وهناك، ورمزنا لها بنسخة حلب.

جـ ـ النسخة الثالثة:

وتقع في ثلاثمائة وتسع وأربعين «صفحة» أي في حوالي مائة وخمس وسبعين ورقة، نسخها الشيخ أحمد النابلسي سنة ١٣١٧هـ من نسخة بخط اسماعيل بن محمد خليفة، كان كتبها في ربيع الآخر سنة ١١٨٩هـ، كما جاء في آخرها، ورقمها في الظاهرية ٣٦١٣ عام، وهي تكاد تكون مُتطابقة مع نسختنا، إلا في حالات قليلة أشرنا إليها، ورمزنا لهذه النسخة بكلمة «النسخة الثالثة».

د ـ النسخة المطبوعة:

وهناك النسخة المطبوعة من الرحلة، وبعبارة أدق، المختارات المطبوعة منها، قام بطبعها بمطبعة الإخلاص بالقاهرة السيد ديمتري نقولا سنة ١٩٠٢ م، وقد حذف منها الأحاديث والآيات والأشعار، فلذلك جاءت في ثمان وثمانين صفحة فقط، وقد صورت فيما بعد في مصر سنة ١٩٧١ م على نفقة مكتبة القاهرة.

٢ ـ طريقتنا في التحقيق:

لا يجوز أن تكون هذه الطريقة في التحقيق، أو تلك، هي الطريقة المثلى التي لا يجوز الخروج عنها، لأن الأمر راجع قبل كل شيء إلى طبيعة المخطوط المنشور نفسه وطبيعة مادته وعدد نسخه وما إلى ذلك، وعلى هذا الأساس نقول إن طبيعة هذه الرحلة التي نقدمها، والمصادر التي استقى

المؤلف منها بعض معلوماتـه، وتعدُّد النسـخ الموجـودة منها، جعلت تقـديمها بـطريقة صحيحـة ودقيقة أمـراً يقترب من اليقين، ولم نحـاول إشغال القـارىء بالفروق الكثيرة بين النُسخ، كما يحلو لبعضهم، وإنما أثبتنـا الجوهـري منها، وتجاوزنا عن الثانوي، على الـرغم مما عـانيناه في المقـارنة والمقـابلة، وذلك لئـلا نصرف نـظر القارىء عن الـرحلة نفسها ونشغله بمـا لا يعود عليـه بـأدنى فائدة، وآثرنا صرف الجهد في شرح الكلمات الغامضة، والأماكن المذكـورة، وما يرد في ثنايا هذا السفر من أسمـاء أعلام أو منشآت أو كتـب، وغير ذلـك مما يبدو بوضوح في حواشي الكتاب، وعلَّقنا على بعض الأفكار التي يـطرحها المؤلف، وذلك في أضيق الحدود.

خامساً ـ التعريفُ بمضمونِ الرحلةِ وقيمتِها

تُعرف هذه الـرحلة بالـرحلة الصغرىٰ، تمييـزاً لها عن الـرحلة الكبرى، رحلة مصر والحجاز، وقـد انطلق فيهـا الشيخ عبـد الغني من دمشق فجر يـوم الاثنين السابع عشـر من جمادى الآخـرة سنة ١١٠١هـ، ٢٧ آذار، مـارس سنة ١٦٩٠م، بعد أن زار الجامع الأموي وقبـور الأولياء والصـالحين في دمشق وما حولها، وأقام أول ليلة من رحلته في داريًا، ثم تجاوزهـا إلى سعسع فـالقنيطرة فجسـر يعقوب فـالمنية فعيـون التّجـار فـالنـاعـورة فجنين فنـابلس، بلد آبـائـه وأجداده، التي مكث فيها بضعة أيام، ثم غادرها إلى جمَّـاعيل فـالقدس حيث نزل بالمدرسة السلطانية التي بناها الملكُ الأشرف قـايتباي، وبعـد أن زار كل ما في بيت المقدس من آثـار وأطلال وأجـداث تحوَّل إلى أريحـا حيث زار قبر النبي موسىٰ عليه السلام، وعاد إلى القدس ثم زار الخليل وما فيها من قبور آل إبـراهيم عليهم السلام ثم عـاد إلى القدس، وبعـدهـا إلى دمشق من الـطريق نفسـه، فدخلهـا ضحى يوم الأربعـاء أول شعبان، العـاشر من أيـار ـ مايو، بعد خمسة وأربعين يوماً كاملة.

وقـد وصـف جميع البـلاد التي زارها شعـراً ونثـراً، وتحـدَّث عن الآثـار

العمرانية، ولا سيما آثار بيت المقدس بتفصيل تام، وتناول تاريخها مستعيناً بذلك بمجموعة من الكتب أهمها كتاب «أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل» لمجير الدين الحنبلي، الذي قام النابلسي، قبل ذلك أو بعده، بتلخيصه، كما كان ينقل من البداية والنهاية ومروج الذهب وكتب أخرى مخطوطة، أتينا على ذكرها في الهوامش.

ومن الأمور اللافتةِ للنَّظر أنَّه كان يولي قبور الصالحين والصحابة والأولياء عناية متميِّزة، ولا يكاد يعطي أهمية لصحة وجود هذا الولي أو عدمها، ومعلومٌ أنه في العصور الوسطى وما تلاها صار أهل كل مدينة يدَّعون وجود قبر هذا الولي أو النبي عندهم، لما كان يعود عليهم من نفع جرّاء ذلك، فأصبح للحسين رضي الله عنه قبور في العراق والشام ومصر وربما في غيرها، وكذلك الحال بالنسبة للسيدة زينب ورقية والصحابة والتابعين، حتى إن الشيخ عبدالغني نفسه في مستهلّ رحلته هذه، زار ثلاثة قُبور متباعدة لصاحبي واحد، هو سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه، وقرأ الفاتحة لكل واحد منها، مع أنَّ الثابت تاريخياً أنه مدفون في مقابر الباب الصغير بجوار مدفن السيدة سكينة وآل البيت.

وباختصار نقول إن هذه الرحلة وما فيها من وصف وشعر وزيارات ومناقشات إنما تعكس روح العصر التي كانت سائدة في بلاد الشام ومصر في مستهل القرن الثاني عشر، وما فيها مما يعقل ومما لا يُعقل، وتقدم لنا صورة دقيقة عن مُجتمع الشام في ذلك العصر، وهو ما نفتقر إليه من خلال المصادر المتوفرة.

وكما جاء في الورقة الأخيرة من نسخة حلب والنسخة الثالثة، فقد دوِّنت الرحلة في دمشق في شهر ذي الحجة سنة ١١٠١هـ، ونعتقد أن المؤلف عدَّل فيها تعديلات طفيفة فيما بعد، وأنها لم تتخذ صورتها الحالية قبل رمضان سنة ١١٠٢هـ بدليل قوله في الصفحة ٥٨/ب في أثناء ترجمته للشيخ محمود

السالمي «وقد بلغنا وفاته في شهر رمضان سنة ١١٠٢هـ».

سادساً ـ لمحة عن التصوّف والطرق الصُّوفية

يمكن تجاوزاً تقسيم التصوف بمعناه الاصطلاحي إلى خمسة أقسام:

١ ـ تصوف وجداني مثل تصوف رابعة العدوية وابن الفارض.

٢ ـ تصوف عرفاني، رئيسه ومؤسسه الحكيم الترمذي، وإمامه الشيخ مُحيي الدين بن عربي، ومفتاحه الشيخ عبد الغني النابلسي.

٣ ـ تصوف أخلاقي، إمامه ومؤسِّسه الحارثُ المحاسبي، ورئيس أئمته الغزالي، ومن أقطابه الشعراني.

٤ ـ تصوُّفٌ طُرُقي، وإمامه الجنيد ومن أقطابه الذين تقوم عليهم كامل الفرق: الجيلاني والشاذلي وشاه نقشبند وأحمد البدوي وإبراهيم الدسوقي وغيرهم.

٥ ـ تصوُّفٌ نبويٌّ، من أئمته الإمام البوصيري، ويتمثَّل بالمدائح النبوية.

وهذه التقسيمات، على تجاوزها، محاولةٌ لتقريب معنى التصوف وأقسامه، وهي ليست قاطعة وأكيدة.

ومن الطرق الصوفية التي يعرض لها الشيخ النابلسي نذكر الفرق التالية، بحسب التَّسلْسُل الهجائي، مع الإشارة إلى أن لجميعها عدة فروع.

١ ـ **الأحمدية**: طريقة مصرية تنسب للشيخ أحمد البدوي المتوفي سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م وهي متفرعة عن الرفاعية.

٢ ـ **الخَلْوَتية**: فرع من السُّهْرَوردِيَّة، ظهر في خراسان في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، والثامن الهجري، وقد انتشرت هذه الطريقة في عينتاب عن طريق «شاه وليّ الخلوتي»، الذي نقلها إلى الشيخ أحمد العسالي الخَلْوتي المدفون في جامعه المشهور في القدم، بضواحي دمشق، سنة

١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م وحلّ محلَّه الشيخُ أيوب الخلوتي الحنفي الذي امتاز بجمعه بين الحقيقة والشريعة، بحسب اصطلاح القوم، وقد توفي بدمشق سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦١م، ودفن بمقبرة الفراديس رحمهُ الله، وبعده تولاها الشيخ أحمد بن سالم الخلوتي، الذي عاصر النابلسي، وتوفي سنة ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م، وكان للخلوتية فروع كثيرة في معظم المدن المصرية والشامية. وفي القرن الرابع عشر الهجري، جُدِّدت الخلوتية في دمشق على يد الشيخ محمد المهدي السّكلاوي، الذي أجاز بها مشايخ كثيرين منهم الشيخُ علاء الدين عابدين، صاحب الهديَّة العلائية، في فقه الحنفية.

٣ ـ **الرفاعية**: تنسب للشيخ أحمد الرفاعي المتوفى سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، انتشرت من العراق إلى سورية، ومنْ فروعها المشهورة في سورية، ولا سيما في دمشق، الطريقة السعدية الجباوية التي أسسَّها سعد الدين الجباوي سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م، والتي لا تزال إلى اليوم.

٤ ـ **الشاذلية**: أسَّسهاَ أبو مدين التلمساني المتوفى سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩٧م، وعلي الشاذلي التُونسي المتوفى سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وفروعها كثيرة، وقد أجري للشاذلية تهذيب واسع في مصر والشام عن طريق «الوفائية» التي هي النسخة المعدَّلة من الشاذلية.

٥ ـ **القادريَّة**: نشأت في بغداد من المدرسة الجنيدية، وإمامها ومؤسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني أو الجيلي المتوفى سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م.

٦ ـ **النقشبندية**: وهي طريقة تركستانية تنسب لشاه نقشبند الهندي من القرن الرابع عشر الميلادي، الثامن الهجري، وقد جدَّدها الشيخ خالدُ النقشبندي الشهرزوري الكردي.

وأكثر الطرق انتشاراً اليوم القادرية والشاذلية والنقشبندية والسعديَّة والبكتاشية والتجانية والسنوسية والشطّارية(1).

وفي الختام فإننا نقدم هذه الرحلة إلى العالم العربي والإسلامي، سائلين المولىٰ التوفيق والسداد، وآملين من الإخوة القراء والباحثين موافاتنا على دار النشر بملحوظاتهم عن هذه الرحلة لتدارك الأخطاء مستقبلاً، وفوق كل ذي علم عليم: **﴿فأمَّا الزَّبَدُ فيذهب جفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾** والحمد لله رب العالمين.

دمشق في غرة محرم الحرام سنة ١٤١١ هـ

أكرم حسن العلبي



(١) للتوسع انظر: أصول التصوف للدكتور عبد اللطيف فرفور، والموسوعة الإسلامية مادة «طريقة» ١٧٢/١٥ وما بعد تجد عرضاً لجميع الفرق الصوفية، وخلاصة الأثر للمحبي ٢٤٨/١ و٢٥٣ و٤٢٨. والأعلام ٢٥٣/١ ومصادره.

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

/ الحمد لله الغنيّ عن عبده الفقير، الذي يسّرَ له الرحلة والمسير، من دمشق نشأته، إلى قُدْس حَضْرته، على خيولِ العبادة والذّكر والتهليل والتكبير، وقصَّر منه في سفره سَعْسَع الأمل، بالسَّير في فلواتِ الطَّاعةِ على قُنيطرةِ العَمل، وعبر به جسرَ يعقوب الأشواق، إلى جبِّ يوسف الإشراق، ومنيةِ القلب المشتاق، فقرَّتْ به عُيون تجّار الآخرة، ووُلِد له جَنينُ جينين الحالة الفاخرة، وعمر به مدينة نابلس الكمال، إلى قدس حضرة الجلَال والجمال، والصّلاة والسلام على سيدنا محمدٍ الذي هو دعوةُ أبيه إبراهيم خليل الرحمن، وقد افتخر به الكليم موسىٰ بن عمران، ومكَّن الله تعالى في الأرض ببركته لخليفةِ اللّهِ داود وابنه المكرم، نبيِّ الله سُليمان، وعلى آله وأصحابه الذين شادوا بعزائمهم أركان البيت المقدس، ورفعوا له البنيان ما أشرقتْ قبَّة / الأرواح، وشَعْشَعت أنوار الصخرة المباركةِ في هاتيك البطاح، وحَصَل للزائر أقصى مَرامهُ في المسجد الأقصىٰ وفَتْح الفتاح، وطاب مقام السِّلسلة الدّاودية لمن غدا في شهودها وراح، وراق ماءُ الكأس وأنابيب الطّهارة الجارية في المساء والصباح، وانفتح في وجوه الزّائرين باب الرحمة وباب التّوبة من غير مفتاح.

أمّا بعد فيقول شيخُنا وأستاذُنا الإمام العلاّمة، العمدةُ المحقّقُ المدقق الفهّامة، قريع[1] عصره، ووحيد دهره، درّةُ أبناء الزمان، وجوهرة معاصريه

٢/أ ، ٢/ب

---

(١) في نسخة حلب: فريد عصره.. إمام أهل التحقيق في المعارف الإلهية.

والأقران، فريدُ أهل التحقيق في المعارف الإلهيَّةِ والتجليّات الربانية، فيض إناء وحدةِ الوجود، وقطبُ دائرة أهل الشهود الشيخُ عبد الغني بن إسمٰعيل بن عبد الغني بن اسمٰعيل بن أحمد بن إبراهيم بن اسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانيّ المقدسيّ الشهيرُ بابن النابلسي، الشاميُّ الدمشقي مولداً، الحنفي مذهباً، القادريُّ مشرباً، النقشبنديُّ طريقةً، متّعَهُ الله بأسرار الحقيقة، ورحم أجداده الكرام، وسقى مراقدهم صوب الغمام، هذه الحضرة الأنسية في الرحلة القدسيَّة، جَمَعْنا فيها لطائف الأخبار، وظرائف الأشعار وما صدر لنا في ليلِ هذه السَّفرةِ المباركة والنَّهار.

ومن المعلوم عند العموم، أنّ البلاد متفاوتة الفضائل، مُتباينة المزايا والخصائل، عند الأواخر والأوائل، وإن مِن أشرفِ البلاد الأمينية، بعد مكّة المعظَّمة والمدينة، بيتَ المقدس الذي بارك الله تعالى حوله، وأنزل عليه السكينة، وقد ظهر لنا مقابلة الجهات القدسيّة، بالأماكن الحجازيَّة، فقابلْنا بلدة جينين ببلاد العُلا، لا سيما وضابط كلّ واحدةٍ منهما، شريفٌ ذو قدر يُعتلي، وقابلْنا نابلسَ بالمدينة المنوَّرة، لأن أهل كلّ واحدة منهما فيهم / اللّين والمحبَّة لمن ورد عليهم، قال الله تعالى: ﴿يُحبّون من هاجر إليهم﴾[1]، وقابلنا القدسَ الشريف بمكّة المحروسة، لاشتمال القدْس على الصّخرة الشريفة التي كانت قِبلةً، واشتمال مكّة على الكعبة التي هي الآن قبلة، واشتمال القدس على جبل الطور المطلّ على هاتيك الأماكن الأنْسيَّة، وقابلنا مزَارَ السيد موسىٰ عليه السَّلام، وما حوله من تلك الأماكن، بوادي منى، لأن كلّ واحدٍ منهما يصير مسكوناً في زمن الزُّوّار، لا في غيره، وقابلنا بلاد الخليل عليه السلام بجبل عرفات، فإنَّ زيارة بيت المقدس، لا تتم إلا بزيارة الخليل، كذلك لا يصحّ الحجّ إلا بالذهاب إلى جبل عرفات الذي قدرهُ جليل، فكأنَّ زيارتنا هذه إلى بيت المقدس هي الحجّ الأصغر.

مقارنة مدن فلسطين بمدن الحجاز نثراً.

٣/أ

---

(١) سورة الحشر/ ٩.

وقد شهدنا بأماكنها هاتيك الأماكن الحجازيّة، واستبشرنا بالحجِّ الأكبر، ونَظَمْنا هذا المعنى، وترنّمنا به في المغنى، فقلنا بمعونةِ الله الذي لم يزل معنا:

المقارنة شعراً

إنّ جينينَ كالعلا بالشريفِ … حيثُ كلٌّ له يد التّشريفِ،
وحمى طَيبة كنابلس في … أهلها رقةٌ بلا تضعيفِ
وحكَتْ مكّة الشريفةَ قدسٌ … في سنى مسجد وقَدْرٍ مُنيفِ
صخرةٌ مثل كعبةٍ هي فيها … قبلةٌ قبل مُحكم التّصريفِ
ثم قِسْنا أبا قُبيسَ بطودٍ … طلّ بالقُرب في الشتا والمصيفِ
ومِنى في نظير تربة مُوسىٰ … مسجدُ فيْدٍ، مثل مسجد خيفِ[1]
وبلاد الخليل، قُلْ عرفات … إذْ بها الحجُّ تمَّ بالتعريفِ
مثل ما تمّمت زيارة قدسٍ … بخليل الرحمن في التوقيف
والذي لم يزُرْه ناقصُ فضْلٍ … في الورى يستحق للتّعنيف
إنَّ هذا الحج الصغير، ونرجو … بعده حجّنا بلا تسويف
فعسىٰ الله أن يمنَّ فنقضي … بعد نفلٍ، فريضة التكليفِ

٣/ب

/ وقد بَلَغَنا من بعض العلماء أنّ من زار بيت المقدس، لا بد أن يرزقه الله تعالى الحجّ في ذلك العام أو بعدَه.

أسماء بيت المقدس

ومشهورٌ بين الناس أنّ السّفر إلى بيت المقدس بريدُ السفر إلى الحجّ الشريف، وأنّ لبيت المقدس أسماء كثيرةً تُؤثَر وتُنحى، وكثْرةُ الأسماء تدل على شرف المسمّى، منها،وهو أشهر أسمائه الآن بين العام والخاص من نوعٍ الإنسان: القُدْس بضم القاف وسكون الدال المُهمَلة، وبالسّين المهملة، وهو الطهارة والبركةُ، والقُدْس اسم ومصدرٌ في معنى الطهارة والتطهير، ومنها بيت القُدس بضم الدال المهملة وسكونها لغتان، قال في المصباح المنير: القُدُس بضمتين وإسكان الثاني تخفيف هو الطُّهر، والأرض المقدّسة المطهّرة، وبيت

---

(١) في نسختنا: مسجد فيه، والتصحيح من نسخة حلب.

المقـدس منها معـروف، وتقدَّسَ الله تنـزَّهَ، وهو القـدُّوس، ومنها بيت المقْدس بفتـح الميم وسكون القـاف، أي المكان المـطهَّـر من الـذُّنـوب، فمعنى بيت المقـدس، المكان الـذي يُتطهَّـرُ فيه من الـذَّنوب، ويُقـال المرتفـع المنزَّهُ عن الشِّـرْك، ومنها البيتُ المقـدَّسُ بضم الميم وفتح الـدال المهملة مشـدَّدةً، أي المطهَّر، وتطهيره إخلاؤه من الأصنام، ومنها بيت المقدَّس بالإضافة مع تشديد الـدَّال المهملة، مفتوحـة ومكسورة، على معنى بيت الله المنـزَّه عمـا لا يليق بجـلالـه، أو بيت الله المـطهَّـر لغيـره من الـذنـوب، قـال الحــافظ بن سُـرور المقدسي في كتابه «مثير الغـرام في فضائـل زيارة القـدس والشام»[1] : يُقـال بيت المقـدس والمقدّس، بـالتخفيف والتثقيل، والقُـدْس والقُـدُس بـالسُّكـون والتّحـريك والأرض المقـدَّسة والمسجـد الأقصى، انتهى. قلتُ ولعـلَّ مـراده بالتحريك أي بضمتين كما ذكرناهُ عن المصباح المنير في المعنى المصدريّ.

٤/أ

وتسميتـه بـالأرض المقـدَّسـة من بـاب / إطـلاق الكـلّ وإرادةِ البعض، وتسميته بالمسجد الأقصى بالعكس من ذلك، فهو من باب إطلاق البعض وإرادة الكلّ، وذلك عن طريق المجاز فيهما.

أسماء القدس بالعبريّة

ومن أسمائه بالعبرانية إيلياء بهمزة مكسورة ثم ياءٍ ساكنةٍ ثم لامٍ مكسورة ثم ياءٍ آخر الحروف، ثم ألفٍ ممدودة ككبـرياء، وحكى بعضهم فيهـا القصر، ومعناه بيت المقدس، وفيـه لغة ثـالثة إلياء بحذف اليـاء الأولى وسكون الـلّام وبالمدّ، وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما إل، بـألف ولام، واستغربـه النووي رحمهُ الله تعالى.

كراهية تسمية القدس بإيلياء

وفي مثير الغرام كراهية تسمية بيت المقدس بإيلياء، روىٰ أبو الحسن بن

(١) أوسع ترجمة عن المؤلف والكتاب تجدها في «فضائل بيت المقدس» للدكتور محمود إبراهيم، الكويت ١٤٠٦هـ /١٩٨٥م، صفحة ٣٣٢ حتى صفحة ٤١٨، وقد طبـع جزء من الكتـاب في يافا سنة ١٩٤٦م بتحقيق المرحوم أحمد سامح الخالدي، كمـا تُرجم قسم منه إلى الإنكليزيـة على يـد المستشرق ماثيـوز في مجلة العالم الإسـلامي سنـة ١٩٤٣، صفحـة ٢٤٣. وقـد ألف المقدسي كتابه سنة ٧٥٢هـ، وتوفي سنة ٧٦٥هـ. انظر الدرر ١/٢٤٢.

حزام، قال حدَّثنا أبو زرعة، حدثنا عبد الله، حدثني معاوية بن صالح عن بعضهم قال: لا تدْعُوا المدينةَ بيثرب ولا بيت المقدس بإيلياء، باسم ملك من ملوك الروم. وروى أيضاً بسنده عن خالد بن معدان[1] عن يزيد بن شُريح قال: خرجتُ أنا وابن عمٍّ لي نريد الصلاة في بيت المقدس، فنزلنا على كعب الأحبار بدمشق، فقال أين تريد؟ قلت أريد إيلياء، فقال لا تقل إيلياء ولكن قل بيت المقدس صفوة الله من بلاده الأثَرَ.

ومن أسمائه شَلَّمْ، بفتح الشين المعجمة، وتشديد اللام مكسورة، ويُروى بفتح السّين المهملة، وكسر اللام مُهملةً، كأنَّه عرَّبَهُ، ومعناهُ بالعربيَّة بيت السلام.

قال ابن برّي[2]: وأصلُه شلّم بشين مُعجمة، لأن سين العجمية، شين في العربيَّة، والسلام شلام، واللسان لشان والاسم اشم.

ومنها أُشَلِم، بضمّ الهمزة وفتح الشين المعجمة وكسر اللام المخفَّفة. قال أبو عبيدة: والأكثرون بفتح الشين المعجمة واللّام.

ومنها أُشَليم، ويُقال أيضاً كورة إليا، وبيت أيل، وصِهيون بكسر الصَّاد المهملة، ومصروث بصادٍ مُهملةٍ وثاءٍ مثلَّثةٍ، وبابوش بموحّدتين وشين /مُعجمة، وكورتيلا، ويشليم وآريل وصلون[3].

٤/ب

---

(١) شيخ أهل الشام وعالمهم ومن كبار التابعين وأئمة الفقه، تُوفي بين سنة ١٠٣هـ و سنة ١٠٨هـ انظر سير أعلام النبلاء ٤/٥٣٦ ومصادره. وعن يزيد بن شريح انظر الجرح والتعديل ٩/٢٧١.

(٢) عبد الله بن بري عبد الجبار المقدسي المصري المتوفي سنة ٥٨٢هـ. ولد بمصر ونشأ بها وتوفي فيها، وانتفع به خلق كثير. له مؤلفات كثيرة، انظر ترجمته في معجم المؤلفين ومصادره ٦/٣٧.

(٣) أقدم اسمٍ للقدس هو «يبوس» ثم عرفت باسمها الكنعاني «ياروشاليم» أي دع سالم يؤسّس، ثم تحوَّر الاسم إلى أورشليم أي مدينة السلام وهي التسمية التي اعتمدها العبرانيون والقدس هي التسمية العربية الإسلامية، ويسمّيها اليهود اليوم «أورشليم - القدس» وللتوسّع في ذلك انظر: الموسوعة الفلسطينية ٣/٥١٠، وقاموس الكتاب المقدس /١٢٩، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتّي ١/١٧٣ وفي نسخة حلب: كورسيلا بدل كورثيلا، والله أعلم بالصواب.

المسجد الأقصى

ويُقال لمسجد بيت المقدس: الزيتون، ولا يقال له الحرم، ويُقال له المسجد الأقصىٰ لبُعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، وقيل كان هذا أبعد مسجدٍ على أهل مكّة في الأرض، يُعظَّم بالزيارة، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث، وقيل سمي الأقصى لأنه وسط الدنيا لا يزيد شيئاً ولا ينقص، وقيل لأنّه ليس وراءه موضع عبادة.

حدود بيت المقدس

وأمّا حدودُ بيت المقدس بحسب العرف ممّا يُطلق عليه عمل القدس الشريف، ويسوغ لقضاة القدس الحكم فيه، كما ذكره الشيخ الإمام مُجير الدين الحنبلي في تاريخه المسمّى «بأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل»[1]، فمن القبلة، عملُ بلد سيدنا الخليل عليه السلام، يفصل بينهما قرية سيعير[2]، بكسر السين والعين المهملتين، وما حاذاهما من عمل القدس الشريف، ومن الشرق نهرُ الأردن وهو المسمّى بالشريعة، ومن الشمال عملُ مدينة نابُلُس، يفصل بينهما قرية سنجل وعزون وهما من أعمال القدس الشريف، وتتمةُ الحدّ رأس وادي بني زيد وهو من أعمال الرّملة، ومن الغرب مما يلي رملة فلسطين، بيتُ نوبه وهي من أعمال القدس، وفيما يلي مدينة غزَّة قريةُ عجور وهي من أعمال غزَّة.

فضائل بيت المقدس

وفضائل بيت المقدس أكثر من أن تُحصىٰ، وأعظم من أن تستقصى. قال الله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى**

---

(١) الاسم الذي يعرف الكتاب به هو «الأنس الجليل»، وقد طبع أكثر من مرَّةٍ، وآخر طبعاته التي وصلتنا طبعة عمَّان سنة ١٩٧٣ التي لم تحقق ولم تُفهرس وقد صدرت في مجلَّدين، وقد اعتمد الشيخ النابلسي على هذا الكتاب كثيراً.

أمَّا الحنبلي فهو مُجير الدين الحنبلي مُؤرِّخ القدس وقاضي القضاة فيها، تُوفي سنة ٩٢٧هـ انظر الأعلام ٣٣١/٣، وانظر أيضاً «أجدادنا في ثرى بيت المقدس» للدكتور كامل العسلي، صفحة ١٤٠، تجد صورة لقبره وللقبة التي عليه كما تجد نصَّ المشاهد الذي دون عليه تاريخ الوفاة وهو سنة ٩٢٧هـ، وانظر «كنوز القدس» صفحة /٣١٦.

(٢) تسعير: بلدةٌ على بعد ثمانية كيلومترات إلى الشَّمال الشَّرقيّ من مدينة الخليل. انظر الدراسة الموسَّعة عن كل ما يتعلق بهذه البلدة في الموسوعة الفلسطينيَّة.

المسجد الأقصىٰ الذي باركنا حوله﴾[1]، ولو لم يكن لبيت المقدس من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافية، وبجميع البركات وافية، لأنّه إذا بورك حوله، فالبركةُ فيه ظاهرة غير خافية، ومعنى البركة حوله، بإجراء الأنهار وإنبات الثّمار، وإظهار الخير الكثير، والتيسير على أهلها في كلّ أمرٍ عسير، وقال الله تعالى في شأن إبراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام ﴿ **ونجّيناه** / **ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**﴾، والمراد بها بيتُ المقدس، وقال الله تعالى ﴿**وآويناهما إلى ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين**﴾[2] قال ابن عباس: هي بيت المقدس، وهو قول قتادة وكعب، لأن الربوةَ، المكان المرتفع من الأرض، وقال كعب: هي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً، ورُوي عن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه أنه قال: وسط الأرضين أرض بيت المقدس، وأرفع الأرضين كلها إلى السماء بيت المقدس[3]. والقولُ بأنّ بيت المقدس وسط الأرض ظاهر كما ذكر الحنبلي في تاريخه، فإن بيت المقدس إذا اعُتبر أمرُه وُجد في وسط الأرض وسائر الممالك من كلّ جهةٍ محيطةٌ به، فإنه يقابله من جهة القبلة، إقليم الحجاز الشريف وبلاد اليمن ومملكة الهند وما والاها، ومن جهة الشّرق، بلاد بغداد والعراق ومملكة العجم وما والاها، ومن جهة الشمال المملكة الشامية ومملكة الروم وما والاها، ومن جهة الغرب الديارُ المصرية ومملكة الغرب وما والاها، فظهر أن بيت المقدس الشريف والمعبد المنيف في وسط الدنيا.

٦/أ

فضائل بيت المقدس

وروى الحنبلي في تاريخه عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: أربع من مدائن الجنّة: مكّة والمدينة ودمشق، وبيت المقدس، وفي

---

(١) أول سورة الإسراء .

(٢) سورة الأنبياء/٧١ وسورة المؤمنون/٥٠.

(٣) ما يذكره المؤلف عن فضائل بيت المقدس وتأويل الآيات لخدمة ذلك الهدف، أمرٌ تورّط فيه مؤرخو البلدان مثل ابن عساكر وغيره، فوضعُوا في فضل الشام أو القدس أو مصر أو العراق أو غيرها أحاديث تفوح منها رائحة الوضع، ففسّروا «الربوة» بأنها ربوة دمشق وهنا فسّروها بالقدس وهكذا.

«إتحاف الأخصّا في فضائل المسجد الأقصى» للشيخ ابراهيم السّيوطي[1]، وهو غير الشيخ جلال الدين السيوطي المشهور، روى بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن ينظر إلى بقعةٍ من بقع الجنّة فلينظر إلى بيت المقدس، وقال أنَسُ بن مالك رضي الله عنه: إن الجَّنة لتحنُّ شوقاً إلى بيت المقدس، وبيت المقدس من جَنّة الفردوس، وقال: من أتىٰ البيت الحرام غُفِر له ورُفع له ثمان درجات، ومن أتىٰ مسجد الرسول غفر له / ورُفعَ له ست درجات، ومن أتىٰ بيت المقدس غُفر له ورُفع له أربع درجات، وقال من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ببيت المقدس في كل يوم خمساً وعشرين مرّةً وقاهُ الله المتالف وأدخله في البدلاء. وعن خالد بن معدان أنّ حَذْوَ بيت المقدس باباً من السّماء يهبط منه كل يوم سبعون ألف ملك، يستغفرون الله لمن أتىٰ بيت المقدس أو لمن يجدونه يصلّي فيه، وعنه ﷺ أنّه قال: إنَّ لله باباً مفتوحاً في سماء الدنيا نحو بيت المقدس ينزل كل يوم منه سبعون ألف ملكٍ يستغفرون الله لمن أتىٰ بيت المقدس فصلّى فيه[2].

٦/ب

وعن كعب أن ببيت المقدس ألف قبر من قبور الأنبياء عليهم السلام، وقال وهبُ بن مِنبه: أهلُ بيت المقدس جيران الله تعالىٰ، وحقٌّ على الله أن لا يُعذِبَ جيرانه.

وعن جُريج عن عطاء أنَّه قال: لا تقوُم السّاعة حتى يسوق الله تعالى خيار عباده إلى بيت المقدس وإلى الأرض المقدَّسة فَيُسكِنَهمْ إيَّاها، وعن أبي

---

(١) هو محمد بن شهاب الدين أحمد... المنهاجي السيوطي - ٨٨٠هـ. الضوء: ٧/ ١٣، والأعلام ٥/ ٣٣٤ ولم يُطبع الكتاب كاملاً حتى اليوم فيما نعلم.

(٢) هذه الأحاديث والأحاديث التالية إما ضعيفة أو موضوعة، ولذلك لن نخرِّج إلا الأحاديث الصحيحة، هذا ويمكن حصر فضائل المسجد الأقصى بأنه أول القبلتين وثالث الحرمين ومكان الإسراء، وأنّ الله بارك حوله، وهذه الفضائل الصحيحة الثابتة تغني عن اللجوء إلى الأحاديث الموضوعة الكثيرة التي أوردها المؤلّف، انظر فضائل بيت المقدس أول صفحة / ٧٠. وما بعد.

ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله أي مسجدٍ وُضع في الأرض أوَّلاً، قال: المسجد الحرام، قلتُ ثم أي قال المسجد الأقصىٰ قال: قلت كم بينهما؟ قال: أربعون سنة قال فبأيهما أدركت الصلاة فصَلِّ، فهو مسجد.

وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قُلت يا رسولَ الله: ما أحسنَ المدينة! قال كيف لو رأيت بيت المقدس، قلتُ: وهو أحسن، فقال النبيّ ﷺ: وكيف لا يكون وكل من بها يُزار ولا يزور، تُهدىٰ إليها الأرواح، ولا يُهدىٰ روحُ بيت المقدس لغيرها، إلا أن الله أكرم المدينة وطيبها بي، فأنا فيها حيٌّ وأنا فيها ميت، ولولا ذلك ما هاجرتُ من مكّة، فأنا ما رأيتُ القمر في بلدٍ قط إلا وهو بمكة أحسن. وقال كعبٌ لا تقوم السّاعةُ حتى / يزور البيتُ الحرامُ بيتَ المقدس، فينقادان جميعاً إلى الجنة وفيهما أهلُهُما والعرض والحساب ببيت المقدس.

البيت الحرام يزور بيت المقدس

٧/أ

وعن أم عبد الله ابْنَةَ خالد بن معدان عن أبيها: لا تقوم الساعة حتى تُزَفَّ الكعبة إلى صخرة بيْتَ المقدس، فيتعلَّقُ فيها جميع من حجَّها أو اعتَمَرَها، فإذا رأتْها الصخرةُ قالت: مرحباً بالزائرة والمزورة إليها.

فضائل بيت المقدس

وقالَ عبدُ الله بن عمر، رضي الله عنهما، إن الحرمَ لمُحرَّمٌ في السموات السَّبع بمقداره من الأرض، وإن بيت المقدس لمقدَّسٌ في السمٰوات السبع بمقداره من الأرض. وقال كعبٌ إنَّ الله ينظرُ إلى بيت المقدس كل يوم مرَّتين، وقال: بابٌ مفتوح من السَّماء من أبواب الجنّة ينزل منه الحنانُ والرحمةُ على بيت المقدس كلّ صباح حتى تقوم السّاعة. وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: بيتُ المقدس بنَتهُ الأنبياء وعَمرته، وما فيه موضع شبرٍ إلا وقد سجد عليه ملكٌ أو قام عليه. وقيل لنعمان بن عطاء ما تقول في بيت المقدس فقال: الله فضَّلَهُ، ما فيه موضعٌ إلا وقد سجد عليه ملك أو نبيٌّ، فلعلّ جبهتك أن توافي جبهة ملك أو نبي.

وقال مقاتل بن سُليمان: ما في بيت المقدس موضع شبرٍ إلا وقد صلّى فيه نبيٌّ مرسَلٌ أو قام عليه ملك مُقرَّب. وذُكر أن في كل ليلةٍ ينزل سبعون ألف ملك إلى مسجد بيت المقدس يُهللون الله تعالى ويكبِّرونه ويسبِّحونه ويحمدونه ويقدِّسونه ويمجِّدونه ويُعظمونه، ولا يعودون إليه إلى أن تقوم السَّاعة. ويُروىٰ عن معاذٍ رضي الله عنه أنَّه أتىٰ إلى بيت المقدس، فأقام به ثلاثة أيَّامٍ ولياليها يصومُ ويصلّي، فلما خرج منه وكان على الشُّرف فالتفت ثم أقبل على أصحابه فقال: أمّا ما مضى من ذنوبكم فقد غفر الله لكم، فانظروا ما أنتم صانعون فيما بقي من أعماركم.

قال الحنبليُّ في تاريخه: رُوي أنَّ موسى عليه السَّلام نظر وهو ببيت المقدس إلى نور ربِّ العزَّة ينزل ويصعد إلى بيت المقدس، وقال مُقاتل: إن الله تكفَّل لمن/سكَنَ بيت المقدس بالرِّزق إنْ فاتَه المال، ومَن مات مُقيماً محتسباً في بيت المقدس، فكأنَّما مات في السماء، ومن مات حول بيت المقدس فكأنَّما مات ببيت المقدس.

٧/ب

فضائل بيت المقدس

وفي كتاب «باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس»[1]، قال: وعن كعب: من مات ودُفن في بيت المقدس فقد جاز الصِّراط، وقال: اليوم في بيت المقدس كألف يومٍ، والشَّهرُ فيه كألف شهر، والسَّنةُ فيه كألف سنةٍ، من مات فيه فكأنَّما مات في سماء الدنيا، ومن مات حوله فكأنَّما مات فيه.

وعن خالد بن معدان قال: سَمعتُ كعباً يقول: مقبورُ بيت المقدس لا يُعذَّب، وعن الحُسين قال: مَن دُفن في بيت المقدس في زيتون الملّة فكأنَّما دُفن في سماء الدنيا. قال خالد فما عرفتُ الملَّة حتى قدمت بيت المقدس.

---

(١) تأليفُ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن الفزاري، المعروف بابن الفركاح ـ ٧٢٩ هـ، وقد نُشر الكتاب مستلاً من مجلة الدراسات الشرقية الفلسطينية، في القدس سنة ١٩٣٥م بمطبعة دار الأيتام السورية، انظر: فضائل بيت المقدس/٨٦، ومعجم المؤلفين ١/٤٣ ومصادره.

وعن ابن عديّ المازني قال، سألني منبه الرازي عن منزلي فأخبرتُه أني من بيت المقدس، فقال هل تعرف زيتون الملّة، قلت نعم، قال بلغني أنها رَوْضَةٌ من رياض الجنّة. وفي خبر مقاتل: وكلَّم الله مُوسى عليه السَّلام في أرض بيت المقدس، وسخّر الله لداود عليه السلام الجبالَ والطير ببيت المقدس، وردَّ الله على سُليمان عليه السلام مُلكه في بيت المقدس، وبشّر الله زكريا بيحيى عليهما السلام في بيت المقدس.

وكان الأنبياء صلوات الله وسلامُه عليهم يقرِّبون القرابين في بيت المقدس. ويغلب ياجوج وماجوج على الأرض كلّها، غير بيت المقدس ويُهلكُهم الله تعالىٰ في أرض بيت المقدس، وأوصىٰ إبراهيمُ وإسحقُ عليهما السلام لّما ماتا أن يدفنا بأرض بيت المقدس، وأُوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء في بيت المقدس، ووُلد عيسى عليه السلام، وتكلّم في المهد/ في بيت المقدس، ونزلت عليه المائدةُ في أرض بيت المقدس ورفعه الله إلى السماء من بيت المقدس، وينزل من السماء إلى الأرض ببيت المقدس، وماتت مريم ببيت المقدس، وهاجر إبراهيم عليه السّلام من «كوثا» إلى بيت المقدس، وصلّى النبي ﷺ زماناً إلى بيت المقدس، وأُسري به إلى بيت المقدس، والمحشرُ والمنشَر إلى بيت المقدس، والحساب يوم القيامة ببيت المقدس، ويُنصب الصِّراط على جهنّم إلى الجنّة ببيت المقدس، وينفخ إسرافيل في الصّور ببيت المقدس، والحوتُ الذي الأرضون على ظهره، رأسه في مطلع الشمس وذنبه بالمغرب ووسطه تحت بيت المقدس، وتخرب الأرض كلّها وتُعمر ببيت المقدس، مَن صبر ببيت المقدس سنةً على لأوائها وشدَّتها جاءه الله برزقٍ من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن تحته ومن فوقه، يأكل رغداً، ويدخل الجنّة إن شاء اللهُ تعالى. وأول بُقعةٍ بُنيتْ من الأرض كلّها موضع صخرة بيت المقدس، وتظهر عين موسى عليه السلام في آخر الزمان في بيت المقدس.

٨/أ

وقال النبي ﷺ لأبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه: النَّجاء النَّجاء إلى بيت المقـدس إذا ظهـرت الفتن، قـال يـا رسـول الله، فـإنْ لم أُدرك بيت المقدس، قال: فابذل واحرز دينك، وفي لفظ آخر فابذل مالك واحرز دينك.

وقال عليٌّ رضي الله عنه لصعصعة: نعم المسكنُ عند ظهـور الفتن بيتُ المقدس، القائم فيه كالمجاهد في سبيل الله، وليأتينَّ على النـاس زمان يقـول أحدهم ليتني تبنةٌ في لبنةٍ في بيت المقدس، وأحبّ الشـام إلى الله تعالى بيت المقدس، وأحبّ جبالها إليه صخـرةُ بيت المقدس، وهي آخـر الأرض خرابـاً بـأربعين عامـاً، وهي روضة من ريـاض الجنَّة. ورُوي عن يحيىٰ بن أبي عمـر الشيباني قال: لا تقوم/السَّاعة حتى يُضرب على بيت المقـدس سبعة أحيـاط: حـائطِ من فضَـةٍ، وحـائط من ذهب، وحـائط من لؤلؤ، وحـائط من يـاقـوت، وحائط من زمرّد، وحائط من نور، وحائط من غمام.

٨/ب

فضائل بيت المقدس

وزاد السّيوطي في إتحاف الأخصّا، في رواية مقاتل، وتسوَّرتْ الملائكة على داود المحراب ببيت المقدس، وينـظُر الله تعالى في كـلّ يومٍ بخيـرٍ إلى بيت المقدس، وأوصى آدمُ عليه السَّلام لما مـات بأرض الهنـد أن يُدفن ببيت المقدس، ورُفع تابوتُ السَّكينة[1] من أرض بيت المقدس، وهبـطت السلسلة ورُفعت ببيت المقدس، ورأى النبي ﷺ، مالكاً خازن النار ليلة أُسري به ببيت المقـدس، وأُهبط من السمـاء إلى بيت المقـدس، ويـأتي الله في ظلل من الغمـام، والمـلائكـة إلى بيت المقـدس، وتُـزَفُّ الجنَّـة يـوم القيـمـة إلى بيت المقدس، وتُوضع الموازين يوم القيمة ببيت المقدس، وصفوف الملائكة تقوم يوم القيمة ببيت المقدس، وكفل زكـريا مـريمَ عليهما السـلام ببيت المقدس، وسـأل سُليمان ربّـهُ مُلْكـاً لا ينبغي لأحـدٍ من عبـاده، فـأعـطاه الله ذلـك ببيت

---

(١) هو التابوت الذي ذكر في القرآن الكـريم في قولـه تعالى «وقـال لهم نبيُّهم إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً (إلى قوله) إن آية ملكه أن يأتيكم التابوتُ فيـه سكينة من ربكم وبقيـة مما تـرك آل موسىٰ وآل هارون تحمله الملائكة....» سورة البقرة/٢٤٨.

المقدس، وأيَّد الله تعالى عيسى عليه السلام بروح القدس ببيت المقدس، وآتى الله الحكم ليحيى صبيّاً في بيت المقدس، وكان عيسىٰ عليه السَّلام يُحي الموتى ويصنع العجائب ببيت المقدس، ويحشرُ الله محمداً ﷺ إلى بيت المقدس، وأوَّل ما انحسر ماء الطوفان عن صخرة بيت المقدس، ونشر الله الأنبياء كلّهم لرسوله ﷺ ، فصلّى بهم في بيت المقدس، وتُصف الملائكةُ حول بيت المقدس، وتُسْجرُ النار في بيت المقدس، وهَزَّتْ مريم عليها السلام النخلة فتساقطت منها عليها/رطباً جنيّاً ببيت المقدس، وبشّر الله مريم بعيسىٰ عليهم السلام ببيت المقدس، وفضّل الله مريم على نساء العالمين ببيتِ المقدس، وتاب الله على آدم ببيت المقدس، وصفوةُ الله من بلاده بيت المقدس، ومنها بُسطت الأرض، ومنها تُطوىٰ، وما يسكن أحدٌ ببيت المقدس حتى يشفع فيه سبعون ألف ملك إلى الله تعالى.

٩/أ

وهناك آثار أخرى وأخبارٌ واردة تترىٰ مُشْعرة بفضيلة بيت المقدس وزيادة بركته، بها غير هذا الموضع أحرىٰ.

المساجد التي تشد الرحال إليها

فلما وجدنا هذه الفضائل العظيمة والبركات الجسيمة تحصل لزائر بيت المقدس، وللمقبل مع ذلك المقام المونس، حرَّكتنا بواعث الهمم، ودعتنا دواعي الفضل والكرم إلى شد الرحال وتحريك همم الرجال، بقصد التبُّرك بهاتيك الأماكن، وزيارة تلك المواطن الشريفة والمساكن، لأنه قد ورد في شد الرحال إليه أحاديثُ كثيرة، منها ما روى البخاري في الصَّلاة، ومسلم في مناسك الحج بإسنادهما إلى سعيد بن المسيب عن أبي هُريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجد الرسول ومسجد الأقصى[1]، ورواية مسلم عن أبي هُريرة رضي الله عنه، يبلغُ

---

(١) يكرر المصنّف هنا هذا الحديث كثيراً بفروق بسيطة في اللفظ والمعنى، انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٣/٧٥ لمعرفة الصيغ المختلفة التي رواه بها البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي والدّارمي وأحمد.

به النبي ﷺ «: لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى»، قال مسلم: وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الأعلى عن معمّر عن الزهري بهذا الإسناد، غير أنه قال: تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد. وعن سُليمان الأغرّ أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يُخبر أن رسول الله ﷺ قال: إنما يُسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيلياء، وروى أبو داود السجستاني في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي/ ﷺ قال: لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى. وروىٰ الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد الأقصىٰ.

٩/ب

وروىٰ النسائيُ في سننه الصغرى هذا الحديث بلفظ الترمذي عن أبي هُريرة مكان أبي سعيد رضي الله عنهما، وكذلك روى ابن ماجة هذا الحديث أيضاً بلفظ الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، غير أنه قال والمسجد الأقصىٰ بالألف واللام مكان ومسجد الأقصىٰ. وروى ابن ماجة أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام وإلى المسجد الأقصىٰ وإلى مسجدي هذا. وروىٰ البخاري في الصلاة عن قُزعة مولى زياد قال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يُحدِّث بأربع عن النبي ﷺ فأعجَبْنني وآنَقْنني قال: لا تُسافر المرأة يومين إلا ومعها زوجُها أو ذو محرم، ولا صوم في يومين: الفطر والأضحىٰ، ولا صلاة بعد صلاتين، بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب، ولا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام ومسجد الأقصىٰ ومسجدي[1]. وروىٰ البخاري أيضاً

---

(١) انظر جامع الأصول، الجزء ٥/ ٢٣٩، الحديث / ٣٣٣٩،ومعنى آنَقْنني أعجبني،والمصنِّف يكرر الحديث بصيغ متشابهة لا توجد فيها فروق جوهرية.

في الحج عن قزعةَ قال: سمعتُ أبا سعيد الخدري رضي الله عنه وقد غزا مع النبيﷺ ثنتي عشرة غزوة قال: أربع سمعتهنّ من رسول اللهﷺ أو قال أخذتهنّ عن النبيﷺ فأعجبنني وآنَقْنني أن لا تسافر امرأة مسيرة يومين ليس معها زوجها أو ذو محرم ولا صوم في يومين الفطر والأضحى، ولا صلاة بعد صلاتين: بعد العصر حتى تغرب الشمس وبعد الصبح حتى تطلع الشمس، ولا تُشَدُّ/ الرحال إلا إلى ثلاثة مسَاجد: مسجد الحرام ومسجدي ومسجد الأقصىٰ، وروىٰ أيضاً في الصَّوم عن قُزعَةَ قال: سمعتُ أبا سعيد الخدري رضي الله عنه، وكان غزا مع النبي ﷺ ثنتي عشرة غزوةً قال: سمعتُ أربعاً من النبي ﷺ فأعْجَبَنني قال: لا تُسافر المرأة مسيرة يومين إلا ومعها زوجها أو ذو محرم، ولا صوم في يومين: الفطر والأضحىٰ ولا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتى تغرب ولا تُشد الرحال إلاْ إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد الأقصىٰ ومسجدي هذا، وروى مسلمٌ في المناسك عن قزعة مولى زياد قال سمعت من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حديثاً فأعجبني، فقُلت له: أنتَ سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال: فأقول على رسول الله ﷺ ما لم أسمع؟ قال سمعتُه يقول قال رسول الله ﷺ لا تَشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصىٰ.

١٠/أ

المساجد التي تشد الرحال إليها

وسمعتُه يقول لا تسافر المرأة يومين من الدهر إلا ومعها ذو محرم منها أو زوجها. ورُوي في كتاب «روض المستأنس في فضل زيارة بيت المقدس»[1] عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ :لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد المدينة ومسجد إبراهيم ومسجد بيت المقدس، والمراد بمسجد إبراهيم المسجد الحرام، وفي حديث آخر قال: لا تُعمل المطايا إلا إلى ثلاثة مساجد وذكرها عن ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) هناك مخطوط بعنوان «الروض المغرَّس في فضائل البيت المقدَّس» لتاج الدين عبد الوهاب الحسيني الشافعي، المتوفى ٨٧٥هـ ، أما المخطوط الذي ذكره المؤلف فلم نهتد إليه ولعلَّه يكون «الروض المغرَّس». انظر فضائل بيت المقدس /٩٣.

وفي حديث آخر عن النبي ﷺ قال: لا تُشدُّ الرحال إلاّ إلى أربعة مساجد، مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصىٰ ومسجد الجنَد.

١٠/ب

انتهى ما وجدناه/في ذلك من الروايات. والجنَدَ بالتحريك، قال الشيخ جمال الدين محمد الأنصاري المعروف بابن مكرم في كتابه لسان العرب[1] في اللغة: والجنَدَ موضع باليَمَن، وفي الحديث ذكر الجَنَدَ بفتح الجيم والنون، أحد مخاليف اليمن، وقيل هي مدينة معروفة بها، انتهى.

تفسير النابلسي لمعنى الأحاديث

وفي النهاية[2] لابن الأثير: المخلاف في اليمن كالرستاق في العراق، وجمعه المخاليف انتهى، وهي القرى التي تكون حول المدينة، فمسجد الجند، مسجد قريةٍ معروفة في اليمن، أو مسجد مدينة هناك. ومعنى قوله ﷺ لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، وفي الرواية الأخيرة إلا إلى أربعة مساجد، لا تُشدُّ الرحال إلى مسجدٍ لأجل تعظيمه والتقرُّب إلى الله تعالى بمجرَّد الصلاة فيه، لأن المساجد في الأرض كلّها سواء من حيثيَّة أنها بيوت الله تعالى إلا إلى هذه المساجد الثلاثة أو الأربعة، على حسب الرواية المذكورة، فإنَّ شدَّ الرحال إليها لتعظيمها بالصلاة فيها قربةٌ من القربات، ولا تعرّض في هذه الأحاديث لشدّ الرحال الى زيارة الأنبياء أو الأولياء أو غير ذلك، وإنّما هي مسوقةٌ لبيان فضيلة هذه المساجد المذكورة على بقيةِ المساجد التي في الأرض، بحيث بلغت من الفضيلة والشّرف أنَّها أنها تستحق أن تُشدَّ إليها الرحال دون غيرها من المساجد، وهذا التقدير في هذه الروايات لا بدَّ منه، لأن شدّ الرحال إلى عرفة لقضاء المناسك واجب إجماعاً وكذا للجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطها، وكذلك لبرّ الوالدين، وهو لطلب العلم سنةٌ أو واجب، وقد أجمع المسلمون علىٰ جواز شدّ الرحال للتجارة وحوائج الدنيا،

---

(١) انظر اللسان / جند.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السادات المبارك بن الأثير ـ ٦٠٦هـ، طبعة المكتبة الإسلامية/١٩٦٣م، خمسة أجزاء، بتحقيق محمود الطناحي وطاهر الزاوي. انظر صفحة ٢/ ٧٠. وعن الجند انظر المصدر المذكور ١/ ٣٠٦.

فحوائجُ الآخرة من آكدها، وهو زيارة الأنبياء والأولياء والصّالحين ومشاهدهم وقبورهم ومقاماتهم بالأولىٰ، ومما يدلّ أيضاً لتأويل الأحاديث بما ذكر، التصريح بذلك في حديث/ سنده حسن، وهو قوله ﷺ : لا ينبغي للمطيّ أن تشدّ رحالها إلى مسجد تبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى[1]. كما أشار إلى ذلك الشيخ الإمام الشهاب أحمد بن حجر الهتيميّ[2] رحمهُ الله تعالى في كتابه «الجوهر المنتظم في زيارة القبر المكرَّم»، وذكر فيه ما حكاه السُّبكي عن بعض الفضلاء أن كون الزيارة قربة معلومٌ من الدين بالضرورة، وجاحده محكومٌ عليه بالكفر، فمَنْ جعل شدَّ الرحال لزيارة الصَّالحين مَعْصيةً، ورتَّب على ذلك عدم جواز الرخصة له في السفر على مذهبه فهو مخطىء الخطأ الفاحش[3]. قال الإمام العلاّمة أكمل الدين في شرح مشارق الأنوار[4] عند الكلام على هذا الحديث: وفي الحديث دلالَةٌ على فضيلة هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شدّ الرحال إليها لأنها مساجد بناها الأنبياء عليهم السلام وورد في فضل الصلاة فيها أحاديث كثيرة،

١١/أ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٣/٦٤.

(٢) توفي سنة ٩٧٣هـ، والكتاب مختصر على مقدمة وثمانية فصول، ألّفه في شوال سنة ٩٥٦هـ، انظر كشف الظنون /٦٢٠.

(٣) يقصد المؤلف هنا، الشيخ ابن تيمية ـ ٧٢٨هـ . وقد ذكر ابن كثير نقلاً عن البرزالي في حوادث سنة ٧٢٦هـ أنه صدر مرسوم باعتقال الشيخ ابن تيمية لأنّه أفتى بعدم جواز السفر بقصد زيارة قبور الأولياء الصالحين وحتى الأنبياء أنفسهم. ويقول ابن تيميَّة إنه لا يجوز السفر بسبب زيارة قبر النبي ﷺ حصراً وإنما تُشد الرحال لزيارة مسجده والصَّلاة فيه كما ورد في الحديث الصحيح، وقد اجتمع القاضي القزويني الشافعي بابن تيمية في سجنه يوم الأربعاء عاشر ذي العقدة سنة ٧٢٦هـ، وسأله عن موضوع الزيارة فأفتىٰ بأن السفر بقصد زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء معصية بالإجماع، مقطوعاً بها، أمّا زيارة قبورهم بدون شد رحل، فهي كما يقول تلميذه ابن كثير ـ مستحبةٌ ومندوبة، وكتبه ومناسكه تشهد بذلك. انظر البداية والنهاية ١٤/١٢٣ و ١٢٤.

(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تأليف أبي الفضل عياض بن موسىٰ اليحصبي، المتوفى سنة ٥٤٤هـ، ويعرف بالقاضي عياض، وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٩٧٠م، وهو يُفسّر غريب الأحاديث الواردة في موطأ مالك وصحيحي البخاري ومسلم. معجم المؤلفين ٨/١٦

فلا ريب لأحدٍ من المسلمين في فضل هذه المساجد الثلاثة وفضل شدّ الرحال إليها، ولهذا قال الفقهاء: إذا نذر أن يصلّي في مسجدٍ من هذه المساجد الثلاثة يلزمُهُ أن يأتيه فيصلّي فيه، فإن صلّى في غيرها من المساجد لا يخرج من نذره، ولو نذر أن يصلّي في مسجدٍ سواها لم يتعيَّن عليه الصَّلاة فيه، وإنَّما عليه أن يصلّي حيث يشاء، وفيه بحث، فإن المستثنىٰ منهُ محذوفٌ لا محالة، فإمّا أن يُقدَّر عاماً هكذا: لا تُشدُّ الرحال إلى مكان في أمر من الأمور إلا إلى ثلاثة مساجد أو أخصّ من ذلك، ولا سبيل إلى الأول لإفضائه إلى سدّ باب السَّفر للتجارة وصلة الرحم وغيرهما، فتعيَّن الثاني، فيُقدَّر ما هو أكثر مناسبةً، ولعلّ ذلك، لا تُشدّ الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى ثلاثة مساجد، وبه يبطل قول من قال إن شدّ الرحال إلى زيارة النبيّ عليه السلام وإلى زيارة/خليل الرحمن عليه السَّلام وغيرهما من الأنبياء والأولياء والصَّالحين حرام، نعوذ بالله تعالى من الزَّيغ بعد الهدىٰ، انتهى.

ليس في زيارة قبور الأولياء معصية

١١/ب

قلتُ: ما ذكره من مسألة النذر مبنيٌّ على قول زُفَر، والمعتمد خلافه، قال في شرح الدرر[1]: لو نذر أن يُصلّي أو يعتكف أو يصوم أو يتصدَّق بمكّة ففعل في غيرها، جاز خلافاً لزُفر. وفي شرح والدنا المرحوم على شرح الدرر قال: وعبارة المحيط: وأمّا إذا كان النذر مضافاً إلى مكانٍ وأدّاهُ في مكان آخر، إن كان المكان الذي أدّاه فيه أفضل، أو مثله، يجوز بالإجماع، وإن كان دونه، يجوز خلافاً لزُفر، انتهى.

وقد يسّر الله تعالى لنا، بمحضِ فضله وكرمه، شدُّ الرحال مع جماعة من الرجال إلى هاتيك الأماكن الشَّريفة والمقامات العالية المُنيفة، وتشرَّفنا

---

(١) اسمه الكامل «درر الحكام في شرح غرر الأحكام» تأليف ملاخسرو ـ ٨٨٥هـ، واسمه محمّد بن فراموز بن علي الرومي الأصل، المعروف بملاخسرو، أمّا شرح الشيخ إسماعيل النابلسي والد المؤلف فاسمه «الأحكام»، انظر: فهرس مخطوطات الظاهرية، الفقه الحنفي ١/ ٢٣. ومعجم المطبوعات العربية لسركيس ص ١٧٩٠ وخلاصة الأثر ١/ ٤٠٨.

بزيارة الصَّالحين من الأحياء والأموات، ودرَّتْ علينا من كـرم اللَّهِ تعالى أنـواعُ البركات، وكان مَعنا لأجل تذكيرنا بذلك في كـلّ وقت، رجلٌ اسمـه بركـات، فأجمعنا على تسميةِ ما كتبناه في ذلك، وما وقع لنا في حال إقامتنا في الأماكن وسيْرنا في المسـالك بـالحضرة الأنسيَّـةِ في الرحلة القـدسية، ومن الله تعـالى نستمدّ العناية والتوفيق في التوجُّه إلى هذا الأمر، والسير على هذا الطريق.




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

اليوم الأول

[الاثنين ١٧ جمادى الآخرة ١١٠١ هـ/٢٧ آذار ـ مارس سنة ١٦٩٠ م][١]

الخروج من دمشق ١٧ جمادى الآخرة سنة ١١٠١ هـ

وكان خروجنا من دمشق الشّام بكرة نهار الاثنين السابع عشر من شهر جُمادى الثاني من شهور سنة إحدى ومائة وألف، فأوّل ما زرنا مقام رأس النبي يحيىٰ الحصور عليه الصلاة والسلام، بالجامع الأموي، بعد أدائنا صلاة الصّبح بالقرب من مزاره[٢]، وكنتُ فيه للجماعة إمام، وقلنا في ذلك من النظام:

قدْ رَحَلْنا نحو بيتِ المقدسِ ... بُكرةَ الإثنينِ وقْتَ الغَلَسِ
وبدأنا بصلاةِ الصُّبح في ... جامِعِ الأُمويّ والهمُّ نُسي
وتجلَّتْ لفؤادي نفحةٌ ... من شذا يحيىٰ النبيّ المؤنسِ
/ودَعَونا حينَ زرنا رأسَهُ ... بأكفٍّ وانحناءِ الأرْؤسِ
وسألنا الله أنْ يُرْشِفَنا ... من زُلال القُرْب أهنا الأكؤسِ
ويرينا الخير في السَّير وأنْ ... لا نرى شراً ولا شيئاً يُسي
وأنا عبدُ غنيٍّ، نسبي ... في الورى يُعزى إلى نابُلُسِ

١٢/أ

قصيدة محمّد إبراهيم الدكدكجي في الرحلة

وفي مثل ذلك يقول ولدنا محمد بن الحاج إبراهيم الدكدكجي[٣] وفقه الله تعالى:

---

(١) بداية جُمادىٰ الآخرة هي السّبت ١١ آذار/مارس سنة ١٦٩٠ م، وليس الأحد كما في التوفيقات.

(٢) ذكر الرحالة أركولف (Arculfus) الذي زار بلاد الشام في حدود سنة ٥٠هـ /٦٧٠م أن رأس يوحنا المعدان لم يصل إلى دمشق وأن المشهد الذي كان آنذاك إنما أقيم لتكريمه وهو لا يضم الرأس ولا الجسد، وأركولف هذا، أقدم مؤرخ وصلتنا كتابته عن العصر الأموي، وهو الذي ذكر بوضوح أنه كان للمسيحيين كنيسة بنيت على شرف يوحنا المعمدان، وأنه كان للمسلمين مسجد متعزلٌ عنها. انظر مجلة هنا لندن ٤٤٧ السنة ١٩٨٦ مقال للدكتور محمود سعيد عمران، في الصفحة السابعة.

وأما سبب ابتداء الشيخ النابلسي بزيارة الجامع الأموي فهو أنه كان يقيم في العنبراتية على بعد خطوات من الجامع في مكان الصّاغة القديمة اليوم، وذلك قبل انتقاله إلى الصّالحيّة.

(٣) ولد في شعبان سنة ١٠٨٠هـ ووُصف بأنّه كان فاضلاً كاملاً ديِّناً صوفياً عالماً، حسن الصوت، =

قـد شـدَدْنـا رَحْلنـا من دمشق — ولنـا اللّهُ في المسير أعـانـا
نحـو بيتٍ مُقدَّسٍ مِنْ قـديمٍ — قد غدا السَّعدُ خادماً لحمانا
مُـذْ صحِبْنا أستاذنا في مسيـرٍ — صاحب الوقت بالفتوح أتانا
واحدُ العصر لا، بل الدهر حقاً — قُـرَّة العيـن شَـرَّفَ البلدانـا
شمسُ أفق الحقيقة الصِّرف لاحتْ — مـذ تبـدَّت أنـارت الأكـوانـا
وهـو بحرٌ من المعـارف طامٍ — وهو اللَّيثُ في الوغى لا يُدانىٰ
هـو عبـد الغنيّ حقّـاً أتـانـا — بعلومٍ عن السِّـوى أغنـانـا
عـمَّـر اللّهُ وقـتـنـا بـسـنـاهُ — وإلى الخير والرشاد هـدانـا
فسَـلام مـن الإلـه عـليـه — ما تقضّى الزَّمـانُ آنـاً فـآنـا

رؤيا النابلسي قبيل الرحلة

وكنا رأينا في عالم المنام قبل عزمنا على هذا السّفر بأيام، أننا خرجنا من بيتنا ومعنا جماعة من الأنام، وتوجَّهنا حتّى صرنا عند الباب الذي في آخر سوق السّيورية[٢]، فوجدنا قُدِّمتْ لنا لنركبها، فرسٌ من أحسن الأفراس العربية، فركبنا عليها وسِرْنا وإذا باثنين شابين يلبسان ثياب الشطّار، ولهما كمال النشاط والقوّة، وعليهما الحلل الفاخرة من اخضرار واحمرار، فوضعا كفَّهما تحت قدمي وأنا راكب، وأكفُّهما بمنزلة الركابين، كل واحد من جهة، وسرت على الفرس وأنا كذلك مع الغلامين، ثم كان يقع في نفسي وأنا في الواقعة أنّ هذا الأمر من اختراعي، وأخاف أن يكون للأغنياء فيه اتباعي، وإني أُحدِثُ هذا الشأن للمتكبرين في حال ركوبهم بأن يضعوا/أقدامهم على أكُفّ الخادمين، حتى استيقظتُ وأنا متعجّبٌ من هذه الواقعة، ثم لم يمضِ لها إلا نحو أيّام أربعة، فعزمتُ على هذه السفرة المباركة، وإذا باثنين من أهل الجذب

١٢/ب

= تلقى العلم على مشايخ دمشق في عصره ثم لازم دروس الشيخ النابلسي وصار من أقرب الناس وأحبهم إلى قلبه. توفي سنة ١٠٣١هـ في ١٨ ذي الحجة ودُفن بمرج الدحداح. سلك الدرر ٢٨/٤.

(٢) جنوب سوق العنبرانية عند الصّاغة القديمة، تعمل فيه السّيور وتباع. انظر مجلة المشرق سنة ١٩٣٩ صفحة ٢٢ مخطوط «نزهة الرفاق عن حالة الأسواق» لا بن عبد الهادي.

زيارة مقابر الباب الصغير والشاغور

والصّلاح يمشيان أمامي مشيَ الملائكة، ثم ذهبا معي ورجعا، وهما على حالةٍ واحدةٍ، ونفْسٍ في طريق الصَّالحين واجدة، ثم سرنا على بركة الله تعالى جهة تربة باب الصغير، وتعلَّق بنا يُريدُ الذهاب معنا من الشام إلى بيت المقدس صبيٌّ من المجاذيب صغير، وكنَّا نمنعه من ذلك ولا يُمكن امتناعه، ونلومه في قلّة مقدرته على ذلك وتأبى أسماعه وطباعه، حتى وقفنا في زيارة قبر والدنا المرحوم الشيخ الإمام والمحقق الهمام الشيخ اسماعيل أفندي الشهير بابن النابلسي الحنفي، وقبر جدّنا المرحوم الشيخ الكامل والعالم العامل الشيخ عبد الغني بن النابلسي الشافعي[1]، وقبر جد والدنا المرحوم الشيخ الإمام مفتي الشّافعية، صاحب العلَم المنشور والعلم المشهور الشيخ اسماعيل بن النابلسي[2]، وهؤلاء الثلاثة في قبرٍ داخل المكان الذي على الطريق المشتمل على الباب والشبابيك من الأحجار المنحوتة، بالقرب من مزار الشيخ منصور بن عمّار[3] الواعظ العارف الكامل، أحد رجال الرسالة القشيرية، ودعونا الله تعالى في ذلك المكان لجميع الإخوان، وقرأنا الفاتحة لأهل تربة باب الصغير، وأهدينا ذلك إلى روح كل صغير دُفن فيها وكبير، ثم عُدنا وذهبنا من طريق محلّة الشاغور، وزرنا قبر الوليّ الشيخ أحمد السُّروجي، وقبر الشيخ خليخان[4] وما يليه من قبور السادات العشرة التي في

---

(١) زين الدين بن شيخ الإسلام اسماعيل النابلسي طلب العلم ولم يُحصِّل، مات في أواسط رجب سنة ١٠٣٢هـ ودفن مع والده في قبره. لطف السمر ٢/٥١٣ وتراجم الأعيان ٢/٣٧١.

(٢) شيخ الإسلام، وعالم عصره بلا مُنازع كان يقيم قرب الصاغة القديمة بالأموي، وقد عيّنه الوالي درويش باشا مدرِّساً في جامعة «الدرويشية». وقد أثنى الجميع على علمه وفضله وشهرته وتفرّده عن أقرانه. انظر ترجمته عن الحسن البوريني في تراجمه ١/٦١، وقد تُوفي سنة ٩٩٣هـ ودُفن بتربته التي انشأها غربي جامع جرّاح.

(٣) منصور بن عمّار بن كثير، أبو السَّري السلمي الخراساني الواعظ الزاهد، كان إليه المنتهى في الوعظ والإرشاد، تنقل في مصر والشام والعراق، وعاصر مالك بن أنس، والمرجّح أن قبره في بغداد كما ذكر ابن عساكر. انظر ترجمته ومصادرها في سير أعلام النبلاء ٩/٩٣ وانظر تاريخ ابن عساكر، ١٧/٢٢١ ـ ٢٣٢ من النسخة المصورة في دار البشير.

(٤) هو نجم الدين خليخان، بنىٰ جامعاً في تلك المنطقة سنة ٧٣٦هـ وخطب فيه ابن قيم =

القراونة، والشيخ زعرور، وقبر شمعون الذي بين تلك البساتين، وما في تلك التُّربة من القبور، وزرنا قبر بلال بن حمامة، وهو بلال بن رباح الحبشي الذي زرناه في باب الصغير، وحصل لنا في /زيارته الكرامة، ثم وقفنا هناك في الطريق، وقرأنا الفاتحة للسيِّدة زينب والشيخ مدرك والشيخ عمر الخباز والشيخ أبي يزيد البسطامي والشيخ أحمد الحوري، والشيخ سعد بن عبادة الصَّحابي وجُملة ذلك الفريق[1]، ثم ذهبنا إلى جهة الباب الشرقي، وزرنا مكان أُبيّ بن كعب الصحابي رضي الله عنه، ومزار الشيخ ظبيان وقبر ضرار بن الأزور الصحابي رضي الله عنه وما في تلك التربة من قبور بيت الغزّي وغيرهم من الأولياء والعلماء والأعيان، ثم ذهبنا فزرنا قبر الوليّ الكامل الشيخ أرسلان، وما يقرب من مزاره من القبور، وقبر خولة بنت الأزور، وقبر الشيخ عثمان الذي في جامع السقيفة المعمور، ثم ذهبنا إلى جهة برج الرؤوس فزرنا قبور السَّادات الشّهداء، ووقف هناك فرسنا بنفسه، ولم نقدر أن نحوِّله حتى قرأنا

١٣/أ

زيارة الأولياء شرقي دمشق وشمالها

= الجوزيَّة، وقد دُفن الواقف فيه، وقد زالت البساتين اليوم من منطقة القراونة، جنوب الباب الصغير، وبقي الجامع والضريح. والآثار واضحة.

انظر: البداية والنهاية ١٤/١٧٤.

وثمار المقاصد /١٣٣ و ٢١٢.

ـ أمّا الشيخ السُّروجي فلم نجد له ترجمةً مع شهرته ويعود تاريخ بناء الزاوية على قبره كما هو مدون عليها، إلى العصر المملوكي الأخير.

ـ وأما بلال بن رباح، رضي الله عنه فهو أشهر من أن نعرِّف به وقد توفي في دمشق سنة ٢٠ هـ/٦٤١م، ودُفن في مقابر الباب الصغير، ولا صحة لما يُزعم من أن قبره مقابل باب كيسان في المكان الذي بنى عليه حديثا «جامع بلال» في أول طريق المطار.

وأما شمعون فهو ابن فنافة أو قنافة، وكنيته أبو ريحانة الأسدي الأنصاري، وقد ترجم له ابن حجر في الإصابة (٣٩١٦) ترجمة مطوَّلة.

(١) السيدة زينب بنت عليّ بن أبي طالب، توفيت في غوطة دمشق ودُفنت في قرية «راوية» التي تسمى اليوم باسمها «السيدة زينب»، ومنهم من يقول إنَّها مدفونة في مصر في الحيّ المشهورُ باسمها في القاهرة الإصابة ٨/١٠٠.

ـ الشيخ مدرك الفزاري الصحابي المعروف ويقال إنه أول مسلم دفن في قرية «راوية» غربي قبر السيدة زينب. الإصابة/ الترجمة ٨٧٤٧. =

الفاتحة لهاتيك الأرواح الزكيَّة والنفوس، ثم زرنا قبور الشهداء المجاهدين من الصَّحابة الأنجاب في الجامع المشهور بمسجد الأقصاب[1]، وتوجهنا جهة تُربة مرج الدَّحداح وزرنا قبر الشيخ أبي شامة[2] وما يليه من قُبور أهل الدين والصلاح، ثم ذهبنا إلى الصَّالحية وزرنا قبر الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي[3] قدَّس الله سِرَّه، صاحب الأسرار الخفيَّة والجليَّة، ثم صعدنا إلى

في مرج الدحداح وقاسيون

= الشيخ أبو يزيد البسطامي: طيفور بن عيسىٰ زاهد مشهور توفي في قريته بسطام ودفن فيها سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م، وليس مدفوناً في دمشق أصلاً. انظر الأعلام ٣/ ٢٣٥ ومصادره.

- أبي بن كعب: صحابي مشهور، وهوسيِّد القراء كان من أصحاب العقبة الثانية، توفي في خلافة عمر، وقيل بل في خلافة عثمان والراجح أنه توفي بين سنة ٢٠ و٣٠ هـ . الإصابة ٣٢/ وكان حوله مقبرة واسعة مشهورة، اغتصب اليوم أكثرها ولم يبق إلا قبره وبعض قبور أخرى في الباب الشرقي، وعليها مسجد معروف ومشهور.

- ضرار بن الأزور بن أوس الأسدي مات في اليمامة سنة ١١هـ /سنة ٦٣٣. الأعلام ٢١٥/٣.

- الشيخ أرسلان: بن يعقوب بن عبد الرحمن الجعبري من أكابر مشايخ الشام، اختُلف في تاريخ وفاته والأرجح أنه توفي سنة ٥٦٠هـ ، وقدوهم فيه صاحب الأعلام فجعل وفاته سنة ٦٩٩هـ. وهو خطأ. انظر ترجمته في الأعلام ١/ ٢٨٨ وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٧٩.

- برج الرؤوس أو (الروس) كما يلفظها العامَّة، شمال باب توما، سمي بهذا الأسم لأنه كانت تباع فيه «المقادم والروس» وللشيخ عبد الغني النابلسي رسالة في حكم المقادم والروس التي كان يصادرها الزعران من باعة اللحم ويبيعونها للناس في برج الروس، ولا يوجد اليوم أثر لقبور السادات التي يتحدث عنها المؤلف، بعد أن تحوَّلت المنطقة برمَّتها إلى عمارات حديثة.

(١) على يمين الداخل ضريحٌ يضم كما قيل سبعة من الصحَّابة منهم حجر بن عدي، وليس ذلك صحيحاً،لأن ابن عساكر، ذكر قبر حجر وأصحابه في قرية عدرا حيث قتلوا، ثم عاد وذكرهم هنا. انظر الزيارات لابن الحوراني دمشق ١٩٨١ صفحة ١٤٣، أما المسجد نفسه، فقد وسَّعهُ بشكله الحالي الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك سنة ٨١١هـ ، وإلى ذلك التاريخ تعود المئذنة الحالية، مع بعض التَّرميم المتأخر.

(٢) أبو شامة: عبد الرحمن، صاحب الروضتين، قبره مشهور ومعروف اليوم لصيق الخانقاه النحاسية من الشمال، وهناك من أكَّد أنه عند حفر القبر منذ أعوام وجدت جثته كما هي، وقد توفي سنة ٦٦٥هـ انظر ذيل مرآة الزمان لليونيني ٢/ ٣٦٧.

(٣) الشيخ محي الدين، أشهر من أن يعرف، وقد ذكر ابن كثير عند وفاته سنة ٦٣٨هـ أنَّ في كتابه «فُصوص الحكم» أشياء كثيرةً ظاهرها كفر صريح وأنه ذكر في «الفتوحات المكية» ما يُعقل وما لا يُعقل، وما يُنكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يُعرف» البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦، والكلام في الشيخ محيي الدين كثير، والحقيقة ضائعة بين المغالين فيه وبين النَّاقمين عليه.

سفح جبل قاسيون المشهور، وزرنا قبر الشيخ يوسف القميني[1] والشيخ محمود وما في تلك الناحية من القبور، ومغارة الشيخ سعود، ثم مشينا في ذيل ذلك السَّفح المخصوص بالإعزاز والإكرام، حتّى وصلنا إلى مزار الشيخ محمد الزغبي والشيخ أبي بكر بن قوام[2]، وقرأنا الفاتحة على تلك الأرواح الكرام، وذهبنا إلى قرية المزَّة وزرنا قبر دحية الكلبي الصحابي المشهور[3]، ثم ذهبنا إلى قرية داريًا، ونحن في غاية الصفا والسُرور، فزرنا قبر أبي سُليمان الدّاراني[4] وقبر أبي مسلم الخولاني[5] وما عندهما من القبور، وزرنا قبر بلال الحبَشي المؤذن عند ضريح أبي / مسلم على حسب ما يُقال[6]، فنكون زرناه في يوم واحد ثلاث مرّات، فقد زرناه من غير إشكال، وزرنا قبر نبي الله حزقيل من أنبياء بني إسرائيل[7]، وزرنا قبر الشيخ حَرْب وما يليه من القبور،

زيارة المزّة وداريًا

١٣/ب

قبر الشيخ حرب في داريا

---

(١) الشيخ يوسف القمني أو القميمي له مزار في قاسيون وقد اختلف الناس حوله، فمنهم من يعدّه من الصالحين ومنهم من يقول إنه كان يعمل في القمامين (جمع إقميم وهو مستوقد الحمام)، وقد توفي ليلة نصف شعبان سنة ٦٠٧هـ كما كان مدوناً على ضريحه انظر القلائد الجوهرية، ط ٢ صفحة ٥٣٥.

(٢) الشيخُ أبو بكر بن قوام البالسي، صاحب الزاوية القوامية، كان زاهداً عابداً صاحب أحوال وكشف وكرامات ولد سنة ٥٨٤هـ وتوفي سنة ٦٥٨هـ ودُفن في زاويته، انظر القلائد الجوهرية ٢٩٢/ وذيل المرآة ٣٩٢/١.

(٣) هو الذي ذهب برسالة النبي ﷺ إلى قيصر، سكن في المزّة ودفن فيها سنة ٤٥هـ تقريباً. الأعلام ومصادره.

(٤) أبو بكر سليمان الدّاراني ـ ١٢٠هـ من ثقات التابعين استمر في قضاء دمشق ثلاثين عاماً، ودُفن في داريا. الأعلام.

(٥) عبد الله بن ثُوَبْ تابعي زاهد حكيم الأمة، توفي بداريا سنة ٦٢هـ، جامع كرامات الأولياء ٢٢٣/٢.

(٦) جرت العادة في دمشق وغيرها أن يكون للصالحين والأولياء أكثر من قبر، وقد رأينا ذلك في السيدة زينب، وهذا هو ثالث قبر يُنسب لبلال في دمشق، ولمعرفة المزيد عن هذه المزارات انظر: «الإشارات إلى أماكن الزيارات» لابن الحوراني، دمشق /١٩٨١م.

(٧) في الزيارات (١٣٢) أنّه مؤمن آل فرعون المذكور في سورة غافر، وهو هنا حزقيل من أنبياء بني إسرائيل، واسمه حَزْقيال وهو عبريّ معناه «الله يُقوّي» نشأ في أورشليم، وصار نبيّاً قبل خراب الهيكل بسبع سنين، وسفره في التوارة يقع بين مراثي أرميا ودانيال، وقد توفي في حدود سنة ٥٦٠ ق م. انظر: قاموس الكتاب المقدّس /٣٠١.

وكانت مغارته مملوءةً من الماء الطَّهور، وأخبرنا بعض أهل تلك القرية، أن أصل ظهور قبره أنّ رجلاً من غير أهل قرية داريًا رآه في المنام، فقال له إن اسمي الشيخ حرب[1] وإن قبري في المكان الفلاني، وأراه ذلك المكان، فعرفه الرَّائي وتحقق أنَّه المرام، وكان قبره في بئر بالوعة في بيت من بيوت تلك القرية، فلما أصبح ذلك الرجل جاء إلى ذلك المكان وعرفه من غير مِريةٍ، وأزال ذلك القذَرَ منه وحفَرهُ فوجد فيه ثلاثة قبور، فجعل لها درَجاً يُنزل منه إليها، وجَعل لها في الخارج علامة تدلّ عليها. ثم بتنا تلك الليلة في القرية المذكورة مع جماعة أماجد من أهالي دمشق المعمورة، وحضر عندنا من أهل القرية جماعةٌ يحفظون القرآن العظيم، وجماعةٌ يُطالعون في تفسيره للجلالين، فعلمنا أنّ هذا الأمر من إنعام الله تعالى عليهم والتكريم، حيث جعل فيهم دون غيرهم من أهل القرى في مثل هذا الزمان قصْد الخير الجسيم، وإلا، فلعمري كم خرج فيما مضى من قرية داريًا عالم عامل ومُحقّق كامل، وكذلك قرية المزّة وغيرها من قرى دمشق الشَّام، ولكنّ الاشتغال بأمور الفلايح أقعد هِممَ أهل القرى عن تحصيل الكمالات في هذا الزمان المقتضي لظلم الحكام وإلى الله المشتكى عنهم في دفع هذه المصائب والآثام، حتى رأينا غالب من يعرف القراءة منهم معه تفسير الجلالين، وإذا سألتَهُ عن آيةٍ أجابك منه بما تقرُّ به العين، وكنّا كلّما رأينا واحداً منهم معه كتاب نعرف أنه ذلك التفسير، من غير مَين. /وقد اشتملتْ تلك القرية على محلَّتين كبرى وصغرى، ولكلّ واحدة منهما شيخ مستقلّ، والمجادلة كائنةٌ بين الرجلين، فقلنا في ذلك:

وصف أهل داريا

١٤/أ

قومٌ بهم داريًا	مِنْ أهْلِها قرَّت العينْ
يُفسِّرون ويقرو	ن في العبارات ما بينْ
وغيرهم في جلالٍ	وإنهم في جلالَيْن

(١) لم يذكر ابن الحوراني شيئاً عن الشيخ حرب هذا، ولعلَّه شُهر بعد ذلك، علماً بأنه لاتفصل إلا بضع سنوات بين وضع كتاب الزيارات وهذه الرحلة.

تفسير آية من القرآن الكريم

وقد جرى بيننا وبينهم كلامٌ في معنى قوله تعالى ﴿متكئين على رفرفٍ خضرٍ وعبقريّ حسان﴾[1]، فقالوا: الرفرف: البسط، والعبقريّ: البُسط لها خَمَل، ثم أقاموا عليه البرهان، فقرؤوا عبارة تفسير الجلالين في هذا المكان، فذكر أن الرَّفرف، جمع رفرفة وهي البسط أو الوسائد، وذكر ما ذكروه في البيان، ثم راجَعْنا عبارة القاضي ناصر الدين البيضاوي رحمهُ الله تعالى فقال في هذا المحلّ: متّكئين على رفرفٍ، وسائد أو نمارق جمع رفرفة، وقيل الرفرف ضربٌ من البسط، وقد يُقال لكلّ ثوب عريض أخضر، وعبقريّ حسان، العبقريّ منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن، فينسبون إليه كل شيء عجيب، والمراد به الجنس، ولذلك جَمْعُ حِسَان للمعنى، انتهى.

ثم كانت أوّل الضيافات لنا في هذه القرية المذكورة، في بيت بعض أعيان دمشق الشّام، أصحاب المكارم المشهورة، وكنّا تلك الليلة في أتمّ السرور وأكمل الحبور، إلى أن ارتفع جفن الليل عن عين صباحه، وصاح ديكُ بشائر الفجر خافقاً بجناحه، فقُمنا نمسح آثار المنام ونؤهّب الدواب للركوب بقصد السفر إلى جهة المرام، وودَّعْنا الجماعة، ورفعنا من مركب التّرحال شراعهُ، وهو اليوم الثاني.

---

(1) سورة الرحمن/٧٦.

اليوم الثاني

[الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة - ٢٨ آذار/مارس]

يوم الثلاثاء المبارك، وقد تلاحقت بعض رفاقنا بنا في دمشق الشام لنكون معهم / في مسيرنا ذلك اليوم نتشارك، ولم نتقيد باتباع قافلة ولا غيرها من الناس، وإنما سرنا نحن وجماعتنا حتى رجعنا إلى أوطاننا كذلك، وما على من يحفظ الله من باس، حتى وصلنا إلى خان الشيح، ونزل كل واحدٍ منّا هناك بقصد أن يستريح، وأكلنا من الزاد ما تيسَّر، وفرَّجنا عن الدواب من سيرها ما تعسَّر، ثم ركبنا حتى وصلنا إلى الجسر الذي هو على نهر الأعوج المشهور، وشربنا من ذلك الماء العذب واستعملناه في الوضوء والطهور، وصلينا صلاة الظهر بالجماعة على تلك الأرض الخضرا، وقَرَرْنا عيناً برؤية تلك الأزهار، وشرحنا بشميمها صدرا.

١٤/ب

خان الشيح

ثم ذهبنا نحو قرية سَعْسَعْ حتى أشرفنا عليها وعلى تكيَّتها، ونور فضائها الواسع لنا شعشع، فتجلَّت علينا غمائم الربيع، ونقطتنا السَّحائب بدرِّ درِّها المريع، فقلنا في ذلك، ونحن سائرون في تلك المسالك:

سَعْسَعْ

لِلّهِ يومٌ مشَينا نحو سَعْسَعَ في ... صفاءِ أُنْسٍ بأفقٍ خير ممطورِ

فالغيم قارورة والشمسُ مَبخرةٌ ... فنحنُ ما بين «ماوردٍ»[1] وبخورِ

فكانت تصحو وتُمطر، وتصوم الشمس تارةً وتُفطر، وقد قلنا أيضاً:

مشيَنا نحو سَعْسَعَ في فلاةٍ ... على بُسْطِ الربيع لها شميمُ

ونَقَّطَنا الغمام بماء وردٍ ... وبالأزهار بخَّرنا النَّسيمُ

ثم لم نزل سائرين إلى أن دخلنا إلى تكيَّة سَعْسَع المذكورة[2]، وكانت ليلتنا فيها ليلة مقرورة، والبراغيث فيها وثوب الذئاب على غنم الأعراب،

---

(١) يعني ماء الورد.

(٢) خان كبير وبداخله جامع، بناه سنان باشا والي دمشق الكبير صاحب الجامع المعروف فيها، وصاحب الخيرات والمبرَّات في مصر واليمن والدولة العثمانية، وتم بناؤه في حدود ٩٩٨هـ. أما الواقف فقد توفي سنة ١٠٠٤هـ. لطف السمر / ٧١٤ - ٧١٦ سنة ٩٩٨هـ.

فأوقدوا لنا النار بالأحطاب، وأضافونا بأنواع المآكل، وقدَّموا لنا عليق الدواب، فما أكلنا من ضيافتهم مقدار ما أكلت منَّا البراغيث ذوات الأذناب، حتى تذكَّرنا قول الشاعر الأول الذي إلى قوله هذا المعنى يتأوَّل:

أنــزَلَنـا الـدَّهـرُ على مـعشَـرٍ　　تـغـرُّ بـالـنـاس أحـاديـثُـهـمْ
/فما أكلنـا مـن ضيـافـاتـهم،　　مـا أكـلتْ منَّـا بـراغيـثُـهـم

١٥/أ

فيا لها من ليلةٍ برغوثية باردة الأطراف والجوانب، كأنَّها شِعْرُ الخَلِيِّ من العشق الذي ليس له رويَّة، وقد قلنا فيها واستملينا نطق فيها:

أيا ليلةً قد ضمَّنـا خـان سَعْسَـعٍ　　ونحنُ على نيـلِ السُّرور لنا حِرْصُ
وبـردٌ وبـرغـوث علينـا تـوافقـا　　فهـذا لـه قَـرضٌ وهـذا لـه قَرصُ

ولا بدع أن يكون للبرد هناك لـواء منشور، وقـد شاب بـالثلج رأس جبل الشيخ المشهور، حتى أنطقنا الوارد في هذه الموارد:

يـا ليلةً في سَعْسَـعٍ لـو لم نكن　　في الخـانِ كنّا مثل شكـل الـذّايـخ
وجبـلُ الـشـيـخ عـلـيـنـا بـاردٌ　　والبـردُ من طبيعـة المشـايـخ

وقُلنا كذلك:

يـا لـيلةً فـي سَـعْـسَـعٍ　　بـتـنـا بـهـا فـي خـبـلٍ
والـثـلج قـد قـابَـلَنـا　　فـي جـبـلٍ مُـنـجَـبـلٍ
وقـد عـجـبـنـا مُـذ بـدا　　وجُـه الـربـيـع الـمقبـلِ
واخـضـرَّ شـارب الـربـىٰ　　وشـاب رأس الـجـبـلِ

اليوم الثالث

[الأربعاء ١٩ جمادى الآخرة - ٢٩ آذار/مارس]

فلما أصبحنا في اليوم الثالث وهو يوم الأربعاء الميمون سِرْنا على بركة الله تعالى، شارحين الصّدور منّا بركوب المتون، ودخلنا تحت يد ذلك النّقار، ونقرتْ حوافرَ دوابنا طيور أحجاره الكثيرة بالمنقار، فقلت شارحاً الحال، وقارئاً باب التمييز في الحال:

سَعْسَعُ القريةُ التي بتُّ فيها ذات بردٍ في ليلها والنّهار
كلّما جاءت الدوابُّ إليها نَقَرتْها بذلك النقّارِ

ثُمَّ لم نزل ندور معهُ حيث دار، ونُصافح بأكفّ الحوافر والأقدام أيدي هاتيك الأحجار، حتى نطق في ذلك لسان الحال، فقال من الأشعار:

نقّار سَعْسَع طالت مسافة السَّير فيهِ
كالغُول قد غصَّ فينا ونحن في وسط فيهِ

/ثم لم نزل سائرين حتى نزلنا في وقت الظهرة على قومٍ من التركمان ١٥/ب عندهم خيرات كثيرة، فأضافونا بما يسَّرهُ الله تعالىٰ لنا من الزاد، وما خاب من كان نزيل الأجواد، وصلّينا عندهم صلاة الظهر بالجماعة، وسألنا منهم معرفة الطريق فدلُّونا على طريق يحصل الوصول منه في ساعة، ولكنّ لم نُتابع مقالهم وفارقنا رحالهم، وسلكنا جبالاً ووهاداً، وأكثَرْنا جَوَلاناً وتردداً حتى أتينا إلى قرية القنيطرة في وقت المسَا، ونزلنا التكيّة بعد ليت ولعلَّ وعسىٰ، القُنَيْطِرة وصنعوا لنا الطعام في تلك الليلة وللدواب، وأوقدوا النار لنا بأنواع الأحطاب، حتى سكنت سَورة البرد والجمد، وتليتُ سورة الحمد، وكانت السَّماء صاحيةً والنجوم بادية، ولنا في ذلك اليوم ما ينبّه القريحة من النَّوم:

ويوم أتينا قريَةً قيل إنَّها لها رصَدوا بالبرد طلعة مرّيخ
قنيطرة قد لقّبوها لكونها يمر عليها البرد من جبل الشيخ

ولنا أيضاً في ذلك، استعانةً بالقدير المالك:

أيا قريةً[1] بتنا بها مثل بردها شتاءً وصيفاً قطّ في الأرض لم نره

ومن جبل الشيخ انبرى بردُ شامنا عليها، لهذا لقّبوها القنيطرة



(١) في نسختنا: يا ليلةً، والتصحيح من نسخة حلب، والنسخة الثالثة.

اليوم الرابع

[الخميس ٢٠ جمادىٰ الآخرة ـ ٣٠ آذار/مارس]

ثم لمّا أصبحنا صبحية ذلك اليوم، عزمنا على السَّفر مع القوم، وهو يوم الخميس اليوم الرابع، فسِرْنا نقطع تلك المراتع المخصبة والمرابع، فلمّا أشرفنا على قبَّة الشيخ أبي النْدى، في ذلك الجبل العالي الرفيع المدىٰ، قرأنا له الفاتحة ورَفعنا إلى الدّعاء كفّاً ويداً، ثم قرأنا الفاتحة لعكاشة بن مُحصِن الصحابي المشهور[١]، لأنّا مررنا بمكان يُسامِتُ قبره من بين القبور، حتى وصلنا إلى غدير من الماء طافح، وكفّ صحراء مخضرَّة يمتد لكل من يصافح، فَنَزلنا هناك وأكلْنا ما تيسَّر من الزّاد، وصَلَّينا الظُّهر بالجماعة على حسب المعتاد، ورأينا ونحنُ جالسون في ذلك المحلّ بالقرب من جسر يعقوب/ لعلعاً[٢] أحمر نابتاً في تلك الصحراء بقدرة الله عزّ وجلّ، كلُّ لعلعةٍ من ذلك ذات احمرار، لها ستة أضلاع، ثلاثة طوال، وثلاثة قصار، وبين كلّ طويلتين قصيرة، وإلى بديع قدرة الله مُشيرةٌ، وفي داخله ست لطخات سود، مُزَمَّكة[٣] بخط أصفر بلونه الزعفران يسود، وفي وسطه على شكل المنارة مثلث الأضلاع، وحولَهُ ستة فروع خضر، وقد رُشَّ فيه شيء يشبهُ فتيت المسك إذا ضاع، وقضيبه أخضر قريبٌ إلى الصفرة لمَّاع، وقد نظمنا في ذلك ما تستلذّ به الأسماع، فقلنا:

تلّ أبي الندى

اللَّعْلَعُ

١٦/أ

ولَعْلَعَةٍ ككأسٍ من عقيقٍ	جوانبه طوال مع قصارِ
وداخله فتيتُ المسك يَعلُو	سواد أصابعٍ ضمن اصفرارِ
وفيه منارةٌ بيضاء حُفَّت	بستّ مشارفٍ ذات اخضرارِ
وتحمله يد خضراء تحكي	أصابعُها مسامير النُّضارِ
يقول إذا رآها المرء جلَّت	وعزَّت قُدْرةُ نُسبت لباري

(١) شهد جميع المشاهد مع الرسول الكريم، قتل في حروب الردة سنة ١٢هـ . الأعلام.

(٢) اللَّعْلَعُ: شجر حجازي. مُعجم متن اللغة.

(٣) مزمَّكة: من زمك أي ملأ. المصدر السابق.

ثم سرنا حتى أشرفنا على جسر يعقوب، ويُقال له جسر بنات يعقوب، وكلٌّ واحدٍ منّا له من المسرَّة نوعٌ وأسْلوب، فوصلنا إلى أول ذلك الجسر المبني بالاحجار، وجانباهُ من النبات في بهجةٍ واخضرار، ومشينا على ذلك البلاط المبسُوط، وسلكنا في تلك الدرجات المبنيَّة والخطوط، ومسافة هذا الجسر في الحساب مقدار ساعة فلكيَّة [1] بالسير الوسط دون السريع والبطيء بالكليَّة، ثم مررنا على ذلك الخان وقطعنا الجسر الذي فوق ذلك النّهر الجاري، وأصل هذا النهر يخرج من جهة قرية الحُولىٰ بفيض قدرة الباري، ثم يمرُّ حتى يدخل إلى بركة المنية، ثم يخرج منها ويمرُّ في بلاد الغور بلا مرية، ويُسمّى بنهر الشَّريعة، وعليه جسر المجامع حتى يدخل إلى بركةِ لوط وتيئس منه المطامع، ثم إنَّا صعدنا إلى ذلك المرج الأخضر. ونزلنا من ذلك الطَّرف في / الخيمة اللطيفة المنظر، وبتنا في قاطع الجسر مع إخواننا أصحاب القَدْر الأفخر، وأكلْنا ما كان معنا من الزَّاد، وأوكلْنا الدوابّ في مراعيها على ربّ العباد، وكان الربيع مبسوط البساط ممتدّ الحواشي، مُقتبل الوجه ممدود الغواشي، وفي ذلك نقول في أنواع من البقول:

بنات يعقوب

نهر الشريعة

١٦/ب

وصف الطبيعة

ربيعُ الجسرِ طَلْقُ الوجه زاهٍ	يُحَيِّي عين رائيه بنورِ
يُغَطي وجه تلكَ الأرض منه	فيكشف كلَ همٍّ في الصدور
بساطٌ أخضر وله حواشٍ	مزخرفةٌ بأنواعِ الزهورِ

وقد رأينا الشّقيق هناك على ثلاثة ألوان، فعملنا هذه الأبيات الأربعة في ذلك الآن، وهي قولُنا:

وشقيقٍ قد رأيناه بَدَا	وهُوَ في أنواعِهِ تلك الثَّلاث
أبيضٍ قدْ صار يحكي فضَّةً	أو خمار الخُودِ في الوجهِ يُلاث

(١) قَسَّم العربُ اليوم إلى أربع وعشرين ساعة، والساعة إلى خمس عشرة درجة، والدَّرجة إلى أربع دقائق، وجعلوا الليل اثنتي عشرة ساعة، طال الليل أم قُصر، والنهار مثلها، أي أن القيمة الزمنية للساعة تختلف باختلاف الفصول والنهار والليل، انظر كتابنا «التقويم»، بحث «اليوم».

ثم نـارنْجيٍّ لـونٍ قـد حكـىٰ   وجهَ صَبٍّ في الهوىٰ ليس يُغـاث
وحكىٰ الأحمـرُ خَـدَّيْ أهيـفٍ   وسَـوادٍ وسْط كـلٍّ ذو انبـثـاث

وكانت تلك الليلةُ ليلةً معتدلـةً، على أنواع المسرّات مشتملةً، غرَّد فيها بلبل القريحة على أفنان الأشعار، ودخلنا من اللطف تحت أذيال ذلك النسيم المعطار، وقُلنا في ذلك، وحرَّكنا السَّاكن هنالك:

قَدْ جئتُ في سفرةِ القدس الشَّريف إلىٰ   روضٍ أريضٍ لأرضِ الجسر منسوب
بَـردُ القنيـطرة، التـصغيـرُ كَبَّـرهُ   فيـا سقىٰ الله عنا جسـر يعقـوبِ



اليوم الخامس

[الجمعة ٢١ جمادى الأخرة ـ ٣١ آذار/مارس]

ثم لما لاح الصباح وحانت أويقات الاصطباح، وثبنا إلى ارتشاف كؤوس المسير، وهاجتنا إلى السّفر حمائم الأشواق ذاتِ الهدير، وهو اليوم الخامس، يوم الجمعة الشريف، ولكن لا جُمعة على المسافر لسقوط الحرج عنه في المشتىٰ والمصيف، فلم نزل سائرين في تلك الفيافي النّضرة، والأراضي الخضرة حتى جئنا بالأشواق إلى جُبِّ/ يوسف الزائد في الإشراق، وشرِبْنا من ماء ذلك البئر العذب الزلال، ولله درُّ لسانِ البلاغة في ذلك حيث قال:

١٧/أ

جبّ يوسف

أيَا حُسْنَ ماء الجبّ أيْ جبِّ يوسف ... ويـا طيبهُ في حلق قاصد إرواءِ
حلا وهو عذْبٌ باردُ فكأنّما ... وقد حلّ قِدْماً، حُسْن يوسفَ في الماءِ

ولله درُّنا حيث تسابقنا إلى شرب ذلك الماء، وأدلينا في ذلك الجبِّ الدلاء لأجل التبرُّك والارتواء، ونحن القائلون في ذلك الشّان، والقائلون في ذلك المكان:

وسيّارةً جئنا إلى جُبِّ يوسفٍ ... وللزّهر حُسْنٌ في جوانبه يسبي
ووارِدنا أدلى به الدَّلو يستقي ... كأنّا حُبِسنا بعد يوسف في الجبِّ

وإن المرعى هناك لمرعىً خصيب، فنزلنا فيه مقدار ما تناولنا غداءنا وأخذنا من صلاة الظهر مع الجماعة بنصيب، ورعتِ الدواب ما تيسَّر لها من المرعى، ونادى بنا لسانُ الحالِ استنَّتِ الفصال حتى القرْعى[1]، وقُلنا من النظام في ذلك المقام:

يا سَقىٰ اللّٰهُ جُبَّ يوسف لمّا ... قد أتيناهُ باشتياق وحبِّ
نحنُ من حُسن يوسف في زهورٍ ... ومن النَّبتِ في غَيابةِ جُبِّ

(١) استنَّت أي سمنت، والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة، والقرعىٰ مرض يصيب الفُصلان أو الفصَال، والمعنى سمنت جميع الفصال وفيها المريضة، وهو مثل يضرب لمن تعدّى طوره وتجاوز حدوده. لسان العرب ٨/٢٦٣ «قرع».

قال السيوطي في إتحاف الأخصا، قال الواحدي في قوله تعالى ﴿وألقوهُ في غيابة الجبِّ﴾، اختلفوا في هذا الجبّ، فقال قتادة، في بيت المقدس، وقال وهب بأرض الأردن، وقال مُقاتل هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب، انتهى.

وزرنا هناك مكاناً عليه قبَّةٌ لطيفة، يُقال له الشيخ عبد الله، وهو على حافَّة الطريق، والهيبةُ به مطيفة، وفي الجانب الآخر من الطريق بركةٌ من الماء واسعة الأطراف، وهناك خانٌ عامرُ البناء يأمن إليه من يخاف، وعلى جبِّ يوسف الذي هو البئر المذكور قبَّةٌ لطيفة البناء، وبالقرب منه مسجدٌ لطيف للصلاة فيه نظيف الإناء، ثم سِرْنا حتى وصلنا إلى خان المنية في وقت العصر، فكانت لنا منية المصلِّي في القَصْر / وقد قلنا في ذلك المقام من النظام:

المنيةُ

١٧/ب

جئنا إلى المنية نبتغي المُنىٰ	لدى صَلاةِ العصرِ بالتجلّي[(١)]
بركتُها طويلةٌ عَريضَةٌ	قد أذْكرَتْنا مُنيةَ المصلّي

حتى نزلنا هناك ونصبنا الخيمة فوق تلك المروج، وحططنا عن الدوابّ ما عليها من الأحمال، ونزلنا عن السُّروج، وبتنا تحت سماء خيمتنا الزرقا، فكأننا من شرف منزلنا، في أرض المزيريب أو الزرقا، ومأكلُنا ما كان معنا من الزاد، ودوابّنا ترعى فيما بين هاتيك الوهاد، وقد نفخ الحرُّ لدينا كيرَهُ، وأكثر علينا ذلك البعوض تزميره، فبِتْنا فيها لابسين ثياب القَلَقْ، وكلَّما هبت الرياح فيها، قرأنا قل أعوذ برب الفلق، وفي ذلك نقول، من النظام المقبول:

مُنيتي المنيَةُ إلا أنَّها	ذات حرٍّ وبعوضٍ وذُبابْ
كلُّ من بات بها يُفْتَحُ مِنْ	قلقِ العين له سبعون بابْ
لا ترى يقوى على النوم بها	غير ميتٍ قد ثوىٰ تحت الترابْ

(١) بالمنجلي وردت في نسخة حلب.

زهرُ الكَلْخ وظهر لنا في المنيةِ زهر يُسمَّى الكلْخ، طـويل السَّاق لطيف الاتّساق. فقال في وصفه ولدنا الفاضل الشيخ أحمد الشراباتي وفّقه الله تعالى:

كـأنَّ غـصـون كلخٍ قـد تبـدَّتْ ... عـلى زاهـي ربـيـعٍ قـد تـجـدَّدْ
بـزهـرٍ أصـفـرٍ يـزهـو بـروضٍ ... بـهِ لـطف النَّسـائم قـد تـردَّدْ
شـمـوعٌ أوقـدت مـنـهـا رؤوسٌ ... مشكَّكـة على بُسْطِ الـزَّبـرجـدْ

واسمها المنية وبعضهم يصحّفها المنيَّة، والرسم واحدٌ في هذه القضية، فإنَّ المنيَّة بالتشديد هي الموت، وبالتخفيف بمعنى الأمنيَّة.



اليوم السادس

[السبت ٢٢ جمادىٰ الآخرة ـ أول نيسان/أبريل]

ثم لمَّا طلعت طلائع الصَّباح، وأغنت الشمسُ بنورها عن إيقاد المصباح، وهو اليوم السادس، وكان يوم السبْت، فأخذنا بالسَّير على حافَّة تلك البركة الكثيرة النَّبْت، وقد رأينا في وسط البركة حجر النَّملةِ المشهور، وأنْشَدْنا في ذلك قول القائل من غير قُصُور:

القناعةُ

اقنَعْ فلا تبقىٰ بلا بُلْغَةٍ … وليس يَنسىٰ ربّك النملة

/إنْ أقبل الدَّهرُ فقم قائماً … وإن تولّى مدبراً نَمْ لَهْ

١٨/أ

ثم قطعنا تلك العقبة، وفارقْنا المنية وكان لنا ذلك فكُّ رقبةْ، حتى نزلنا في أرضٍ مخضرَّةِ النبات، لطيفة الجنبات، فيها بئر من ماء الأمطار، فنزلنا هناك وأمسكنا جناحَ المطار وأكلنا ما معنا من زاد المُسَافر، وصلَّينا الظهرَ مع الجماعة وحصلنا على الأجر الوافِر، ثم سِرْنا حتى أقبلنا على تكيَّة عيون التجار[1]، وكان قد بلغنا قتل الشيخ الذي في القرية هناك لكثرة أعدائِه وقلَّة الأنصار.

عيون التجّار

والتُّجار بضم التاء المثَّناة الفوقيّة، وتخفيف الجيم لغة في التُّجّار بضمّ المثناة الفوقية وتشديد الجيم، جمع تاجر، فدخلنا التكيَّة ووجدنا عليها وحشةً كثيرة، فلفظتْنا بعد أن ابتلعتنا، كأنّما أخذتْها علينا غيرة، وقد قُلنا في ذلك، حيث سلكنا فيما بين هاتيك المسالك:

لعيون التجار قد كان شيخٌ … ذا كمالٍ من الشّيوخ الكبارِ

قَتَلَتْهُ أعداؤه فرأيْنَا … وحشةً قدْ عَلَتْ بتلك الدِّيارِ

وشكت فقْده الألى عرفوهُ … وعليه بكتْ عيون التّجارِ

(١) هي خان صار يُطلق عليه اسم التكيَّة ويضم في داخله حصناً، ويقع في خربة عيون التجار في قضاء طبرية، بني سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٤٠م زمن المماليك وجدَّده الوالي العثماني النشيط سنان باشا، انظر: الموسوعة الفلسطينية ١/ ٥٦٦.

وصف الربيع في عيون التجار

ثم نظرنا إلى ما هو خارج التكيَّة المذكورة، من اخضرار تلك الرّياض، وترقرق مياه هاتيك الجداول في زمان الرّبيع المفاض، وقلنا في ذلك من النظام، على حسب ما اقتضاه المقام:

قد أتيْنَا إلى عيونِ التّجَارِ وسَبتْنا بها عيونُ التّجارِ
ورأينا هناك روض زهورٍ هو ما بين صفرةٍ واحمرارِ
وبياضٍ وزُرقةٍ وسوادٍ وصفاءٍ في لونه وانكدارِ
وتهنّتْ عيونُنَا بمروجٍ ذات بُسْطٍ مبسوطةٍ واخضرارِ
وعلينا النسيمُ ينفحُ طيباً قد أتانا بنفحةِ الأزهارِ
ومَرَرْنا مع الصّحاب إلى أنْ قَرُب اللَّيلُ من زوال النّهارِ
في أمانٍ وصحةٍ وسُرورٍ وخُلوصٍ من سائر الأكدارِ

١٨/ب

/وأخبرنا بعضُ الإخوان، أنّه وجدَ لوالدنا الشيخ الإمام العلّامة العمدة الفهّامة الشيخ اسماعيل النابلسي في الجامع بتكيَّة عيون التّجار أبياتاً بخطّه في الحائط القبليّ بالقرب من المحراب المبني بالأحجار، ولم يحضره منها غير البيت الأخير:

يا عيون المها التي فتنتنا قد ذكرناك في عيون التجار

فتنٌ في عيون التجار

وحين مَررنا كان باب الجامع مُقفلاً بسبب فتنةٍ وقعتْ هناك، فأنتَجتْ أمراً مُعضلاً، وقد نُهبَ الجامع وما فيه، وقفلوا بابه ومنعوا منه من يبتغيه، وفي رجوعنا كان الأمر كذلك، ولم نظفر بما هنالك، وأوصينا بعض الناس بكتابة ذلك لنا في قرطاس، ثم أخبرنا بأنّه وجَدَ الجدار القبليّ في داخل الجامع المذكور، مطموس الآثار، من تراكم سيلان مياه الأمطار، بحيث انمحت جميع تلك السُّطور.

وبالجملة فعيون التجار منزل حسنٌ يليق أن ينزل به عيون التجار، وهو منزل من منازل القفول، ومنه يفترق المسافر الذاهب إلى مصر جهة الغرب والذاهب إلى بيت المقدس جهة الشمال، وفيه يقول:

قلتُ لمَّا أتى بنا الركبُ يوماً لعيون التجار وسط النّهارِ
منزلٌ طالما أتَتْه أناسٌ من عُيون المُفْضلين الكبارِ
كم عيون التّجار من أهل شامٍ جَمَعَ القفلُ في عيون التّجارِ

ثم جَذَبَتْنا أيدي هاتيك العشيّة، وساقتنا نفحات تلك النسائم المسكيَّة، ولم يزل يقذف بنا ارتيادُ الأماكن للنزول فيها حتّى دارت بنا دوائر المروج، وضحكت علينا ثغور فيها، فنزلنا قريَة النّاعورة وألوية الزُّهور مرفوعة فيما بيننا منشورة، وفي ذلك قُلنا:

قرية الناعورة

قد تركنا المبيت لمّا رأينا في عيون التّجار وحشة صورهْ
وبِنا الطُّرْقُ لم تزل دائراتٍ ثم بتنا بقريةِ النّاعورهْ

/وقُلنا كذلك حين دارتْ بنا تلك المسالك:

١٩/أ

عن عيون التجّار لمّا عَدَلْنا وتركْنا المبيت فيها ضروره
وهما المُلهيانِ لكنْ رغبنا عن عيون التّجار بالنّاعوره

وقلنا كذلك:

في مسيري للقدس شيء عجيبٌ كان منّي في المنيةِ المشهوره
ضِفْتُ منها ناعورةً فكأنّي قمتُ من بُركةٍ إلى ناعوره

وفي ذلك قلنا أيضاً، وفاض الإناء فيضاً:

بحرةُ المنية التي كان منها سيرُنا في طلوع شمس النّهار
ولناعورةٍ أتينا كأنّا قد قلعنا بها عيون التجار

ثم بتنا في تلك القرية المشهورة، ونحن نتقلّب في جداولِ ذلك النّسيم. فكأنّنا بِتْنا في النّاعورة، حين بتنا في النّاعورة، وفي ذلك نقول:

قد نزلنا ناعورةً، قريَةً في جهة القدس لم تزل معموره
وعجيبٌ نهر النّسائم جارٍ وقدرنا نبيتُ في النّاعوره

وقد سمعنا في هذه الليلة رجلاً يُنشد هذهالمواليا[1]، وكان جيد المسرَّة بلآلي الاجتماع حاليا، وقد انتظم درر تلك الأوقات عقداً حاليا، وكان الزمان من كل سوءٍ خاليا، وهو قولُه:

مواليا

لا تـنـتـقـدْ واعـتـقِـدْ تُـكـتـب مـن الأحـبـاب
ولا تـكـن مـحـتـقـر، يُـقـفَـل عليـك الـبـاب
أهـل الأمـانـة لـقـد خـصَّـصَـهُـمُ الـوهَّـاب[1]
بـلـيـلة الـقـدر، وأخـفـاهـا عـن الـطلاّب

فحصَل لنا وللجماعة من ذلك حسن الاستماع، واجتمعت قلوبنا إن شاء الله على محبَّة الصَّالحين أكمل اجتماع، وقلنا نحن أيضاً، في نظير ذلك:

إنّ اعـتـقـاد الـفـتـىٰ في الـصَّـالـحـين الـبـاب
وفـتـح ذلـك فـي قـومٍ لـهـم ألـبـاب
فـافْـهـمْ وإنْ كـنـتَ مـن بـلدة حـلبْ والـبـاب[2]
قـشـور عـلم الـسَّـوي عـلـمـي لـهـا الـبـاب

وكان طعامنا تلك الليلةِ من زادِنا وزادِ أهالي تلك القرية، ولم يكن للدوابّ غير المرعى الخصيب من علفٍ كليلةِ المنية.

---

(١) قيل إن أول من تكلُّم في المواليا بعضُ أتباع البرامكة بعد نكبتهم، فكانوا ينوحون عليهم ويُكثرون من قولهم يا مولىٰ، وبالجمع يا مواليا، ومن هذا الفن من الشعر قول إحدى جواري البرامكة:

يا دارُ أين ملوك الأرض أين الفُرسْ — أين الذين حموها بالقنا والتّرس
قالت: تراهم رمم تحت الأراضي الدرسْ — خفوت بعد الفصاحة ألسنتهم خرس

انظرِ: المستطرف للأبشيهي ٤٠٣ وما بعد، وميزان الذهب لأحمد الهاشمي صفحة ١٥٩ وما بعد.

(٢) في نسخة حلب: خصُّهم، وفيها أيضاً (في بلدة حلب) بدلاً عن: من بلدة...... وفي النسخةُ الثالثة توافق كبير مع نسختنا.

اليوم السابع

[الأحد ٢٣ جمادىٰ الآخرة ـ ٢ نيسان/أبريل]

ثم لمّا أصبحنا في اليوم السابع، وهو يوم الأحد، جذبتنا للمسير أزمّة الأشواق/نحو البيت المقدّس، الذي حُبُّه بقلوبنا اتّحد، فذهبنا على متون الجياد، نقطع بطون الفيافي والوهاد، حتى نزلنا قبالة قرية جَلَمه[1]، ترويحاً للركّاب وتعليلا، عند بئر الماء والشجرة المنفردة هناك لمن يلتمسُ مشرباً ومقيلا. وجَلَمة بجيم مفتوحة ثم لام كذلك بعدها ميم مفتوحة، ثم سرنا حتى أقبلنا على بلدة جنين[2]، وقد تولّدْنا عن ظهور تلك الجبال وبطون الأودية مثل تولّد الجنين، فخرَجَتْ إلى لقائنا والاستبشارِ بقدومنا أهل المحبّة والإذعان وذوو الجذب[3] في طريق الكشف والبيان، حتى رأينا الصّالحين كأنّما دعا بهم داعي القيامة، وقد خرجوا مشاةً وراكبين، وأهل سفرٍ وأهل إقامة، ولم يكن يأتيهمْ خبرٌ منّا غير وارد القلوب، فرأينا الأعلام تخفق من بعيد، والطبول في أنواعٍ من الأحوال وضروب، حتى دخلنا من باب القلعة وقد غُصَّ بنا وبمن كانَ معنا فمُ ذلك الباب، ورأينا الصَّدْرَ الرحيب من الحاكم في تلك البلدة والجناب المستطاب، وكانت البلدة تحت توليةِ صدر صدور الزمان، ودرّة اصدافِ الأوقات المباركة والأحيان، مفخر السّلالة الهاشمية، وتاج مُلوك العصَابة المصطفويّة، الشَّريف يحيىٰ بن الشَّريف بركات الهاشمي المكّي المدني الحجَازيّ، رفَعَ الله رايات مجدهِ في الدنيا والآخِرة، وأدام له الدَّولة

١٩/ب

قرية جَلَمه

جنين

الشريف يحيى بن بركات

أعيان جنين

---

(١) قرية في قضاء جنين. وهناك قرية أخرى بالاسم نفسه إلى الشمال الغربي من طولكرم. الموسوعة الفلسطينية ٢/٤٤.

(٢) أو جنين، من مراكز البريد الهامة، بُني فيها في العهد المملوكي سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٤٠م خانٌ وحمامٌ وسوق، كما أنشأت فاطمة خاتون، حفيدة قانصوه الغوري وزوجة مصطفى لالا باشا جامعاً كبيراً فيها سنة ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م، وهي اليوم من أراضي الضفة الغربية المحتلة، وسميت بهذا الاسم لكثرة جنّاتها. المصدر السابق /٨٣.

(٣) يكثر المؤلف من ذكر الجذب والمجاذيب، والأصل في هذه التسمية الفعلُ « انجذب» أي التحق بطريق الخير والصَّلاح بدون أن يكون له شيخ، فهو منجذبٌ أو مجذوب، وجمعها مجاذيب، ولكنَّ الناس صاروا يُطلقون هذه التسمية كمرادف لكلمة المجنون، وهم على ذلك إلى اليوم. وليس في الكلمة أصلاً ما يوحي بذلك، وأمرُ المجاذيب عموماً في أخذ وردٍّ بين الفقهاء من جهة، والصوفية من جهة أخرى. ر. قصة المجذوب أواخر اليوم الحادي عشر.

والعزِّ والمراتب الفاخرَة، ولم يكن هو هُناك، ولكن كان مملوكه وخزنداره، فقُلنا للعيون إذا فاتكِ من تَهْوَيْنَهُ فهذه آثارُهُ، وإذا لم يسمح الدَّهر برُؤيته، فإنَّ هذه دياره. ثم حضر نائب غيبته، ووكيل حضرته، مفخر الأعيان، وملقى أشعة شموس المهابة والإذعان، حضرةُ سُليمان آغا سَلَّمه الله تعالى، فتلقَّانا بصدره الرحيب، وجنابه الخصيب، وصنَعَ لنا الضِّيافات العديدة المنوَّعة على أنواع، وأكْرَمَنا غاية الإكرام، فوقَ ما يبلغ الأسماع، وأوسَع دوابَّنا زاداً وزاد، وهكذا من بات ضيف الجواد، وقد ضربْنا خيمتنا في المرجة الخضراء، خارج

٢٠/أ

/القلعة، وضُربت لنا خيمةٌ أخرى ليحصل لنا بذلك كمال الوسعة، وكان ممَّن حضر عندنا الشيخُ الإمام، صاحب الفضل التام الشيخ إسمْعيل الخطيب بطريق النيابة في جنين؛ جعله الله من التوفيق في حصنٍ حصين، ومنهم الشيخ الصالح عبد الله، الشهير بابن كرباج، أدام الله له التَّوفيق، ومنهم الشيخ الصَّالح، والفالح النَّاجح، صاحبُ الحال الظاهر والأصل الطَّاهر عبدُ الله بنُ الشيخ حسن الفالوجي، نسبة إلى فالوجة، بالفاء والجيم قرية من قرى غزَّة، وبها دفن جدُّه الأعلى، وهذا الرجل من المجذوبين المولَّهين أرباب الأحوال المأخوذين، وله زاويةٌ في قريته المذكورة، وله مُريدون وطبول وأعلام منشورة، وأخبَرَنا أنَّه كان في زاويته، فرأى في المنام، حضرة الوليّ

العلماءُ والأولياءُ الذين اجتمع بهم

الكامل الشيخ أرسلان المدفون في دمشق الشام، وحضرة الولي المشهور الشيخ علي بن عُليل[1] بالتصغير، والعامَّة تقوله بالميم مكان اللاَّم، وغيرهم من السادات الكرام، فقالوا له قم واذهب إلى لقاء حضرةِ الشيخ، ولم يكن له معرفةً بنا ولا لقاء ولا إلمام، وأخبرنا أيضاً أنَّه رأى السَّادات الصَّالحين والأولياء الكاملين مسايرين لنا في الطريق، يمنةً ويَسْرةً، بحسب اليُسْر والضّيق، وقد حَضَر عندنا في الخيمة، وأقام وقت الذكر بالطبول والمزاهر، وحصل حال شديدٌ للعُقول قاهر، ولم يجفل شيءٌ من الدوابّ، مع أنَّها حول الحلقة في وقت كثرة الصُّراخ والتواجد والاضطراب.

(١) من «أولياء» فلسطين المشهورين توفي سنة ٤٧٤هـ، ويعتقد فيه الفرنجة أيضاً وقد زاره الملك الظاهر ونذر النذور عنده. انظر: جامع كرامات الأولياء ٢/٣١٦.

اليوم الثامن

[الاثنين ٢٤ جُمادىٰ الآخرة ـ ٣ نيسان/أبريل]

الولي أبو جمرا

ثم أقمنا ثاني يومٍ وهو اليوم الثامن يوم الاثنين، وذهبنا لزيارة الولي الشيخ عزّ الدين أبي محمد الذي يُقال له أبو جمرا، فأقرَّ الله لنا بزيارته العين، وزُرنا ما حوله من مدافن الأمراء بيت طَرَباي[1] الذين كانت بلدة جينين في أيديهم سابقاً، واجتمعنا بما بقي من أمرائهم هناك، وقد صاروا مغارباً للإمارة بعدما كانوا لها مشارقاً، وزرنا قبر الشيخ غنائم المجذوب أخي الشيخ غُنيم المجذوب العجلوني، وعلى قبره جَلالةٌ وهيبَة، ويقام الذكر عند قبره ولنا اجتماع به في / حياتِه سابقاً لما ورد دمشق الشام، وله معنا خوارق وكُشوفات، يضيق عن ذكرها هذا المقام، وكان ممَّن اجتمع بنا هناك أيضاً من المجاذيب الشيخ محمد بن حُمُود، بحاءٍ مهملةٍ وميم مضمومتين، الملقَّب بأبي كريمة، أصله من جبل عجلون، وإخوته وأولاد عمّه وزوجته من المجاذيب أيضاً، وجرى بيننا وبينه مكالمات ومُسامرات في أمورٍ كليَّات وجزئيَّات.

٢٠

ومنهم أيضاً الشَّيخُ علي المجذوب بن الشيخ عمر الفقيه من قرية الزِّيب بالقُرب من أعمال صفد، وهو من فقراء الشيخ سعد الدين الجباوي[2] القادري وغيرهم من أهل الصَّلاح والجذب، وقد رأينا ما اشتملت عليه هاتيك المروج والرياض، من اخضرار النَّبات المضاف إلى احمرار الزهور واصفرارها حول ابيضاض مياه الحياض، وتذكَّرنا بغلبة الاخضرار، وظهور عَلامَةِ ذلك

---

(١) في سنة ١٠١٠هـ/ ١٦٠٢م، تولى الأمير أحمد بن طرباي حكم جنين، واستمر في الحكم حتى وفاته سنة ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م حيث انتهى حكم آل طرباي نهائياً في جنين. الموسوعة الفلسطينية ٢/ ٨٥.

(٢) من أركان الصّوفية، وإليه تُنسب الطريقة السّعدية، ويُقال إن جدَّهم الأول سعد الدين أعطي خاصية البرء من الجنون على يد علي رضي الله عنه، ولا تزال طريقتهم إلى اليوم في دمشق، ولهم زاوية مشهورة في الميدان الفوقاني، وأخرى في القيمرية. انظر: جامع كرامات الأولياء ٢/ ٩٠، وشذرات الذهب ١/ ١٧٤.

الشَّرف، حضرة الشريف الكافل لهاتيك البلاد، الغالب بشرفه عليها، لا تحوَّل حكمه عنها ولا انصرف، وقُلنا في ذلك من النظام، على سبيل الاتّساق والانتظام:

النابلسي يذكر من اجتمع بهم شِعراً

قـد أتينـا إلى حمىً جينيـنِ ... ونـزلنـا بقـرب حصنٍ حصينِ
ثمَّ زُرْنـا غنـائم الشَّهم مَن قـد ... فـاز بـالسِّـر ثم عـزِّ الـدينِ
واجتمعنا بأهل حالٍ وشطحٍ ... وانـخـلاعٍ وعفـةٍ ويـقـيـنِ
وأقاموا بـالـذكـر وقت سَماعٍ ... يُـظهـرون التمكين في التلوينِ
وحضَـرنا في وقتهم وانطربْنـا ... ورأينـا شَـواهِـدَ التَّـعـيـينِ
فسقى الله أرضَ جينين من أر ... ضٍ تسـامتْ بالآل من يـاسينِ
وتبـاهَتْ رحـابهـا بشـريفٍ ... شـرَّف الله فـيه أهـل اليمينِ
وبـدا نـورُه عـلى كـلِّ روضٍ ... منـه حتى أسـرَّ قلب الحـزينِ
ورأينـا الإكـرامَ ممـن إلـيـه ... ينـتـمي وهـو خـيـر أمينِ
جَـمَـع الله شمـلَنـا بـلقـاهُ ... وحبـانـا بنـوره المستبينِ
ما مشتْ في الرِّياضِ نسمةُ زهرٍ ... وتـغنّـتْ حمـائمُ التَّلحينِ

ثم كتبنا هذه الأبيات، ووضَعناها عند خزندار الشَّريف الحسيب النسيب ليعرضَها/عليه إذا اجتمع به إن شاء الله تعالى عن قريب، واجتمعنا في هذا اليوم برجلٍ من طلبة العلم الكرام، كان سابقاً ورد علينا، واجتمع بنا في دمشق الشَّام، وقرأ علينا شيئاً من العلوم، بحيث صار فيه بعضُ أهليَّةٍ للنثر والنظام، اسمه الشيخ اسماعيل بن الشيخ مُصلح اليَعْبَديّ، فترحّب بنا وسلَّم علينا أكمل السَّلام، وطلب منَّا الذهاب معهُ إلى قريته يَعْبَد[1] بفتح المثناة التحتية وسكون العين المهملة، وفتح الباء الموحَّدة وآخره دال مُهملةٌ، وهي قرية من أعمال نابلس، ويُقال إن أصل اسمها معبد بالميم مكان الياء أوَّله، لأنها كانت معبداً لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسَّلام.

٢١/أ

قريَةُ يَعْبَدْ

(١) بلدة إلى الجنوب الغربي من جنين بـ ١٨ كيلومتراً، سكانها اليوم نحو ٧٥٠٠ نسمة، الموسوعة الفلسطينية ٤/٦٣١.

اليوم التاسع

[الثلاثاء ٢٥ جمادىٰ الآخرة ـ ٤ نيسان/أبريل]

فلما كان اليوم التَّاسِعُ، وهو يوم الثلاثاء، وكان لنا ثلاثة أيام في جينين، وهي مدَّةُ الضِّيافة عند المحبّين، ذهبنا مع جماعةٍ من أهل البلدة إلى قرية يعبد المذكورة، بقصد زيارة الشيخ اسماعيل المذكور، ووالده الشيخ مُصلح الدّين، فمررنا في الطريق على قرية فيها مقام الأربعين فدعونا الله تعالى، بعد أن قرأنا لهم الفاتحة بالتعيين، ثم سِرْنا حتى وصلنا إلى قرية يَعْبَد المذكورة، ونُصبت لنا الخيمة في ذلك المرج الأخضر، خلال ألوية الزَّهر المنشور، واجتمعنا هناك بالشيخ اسماعيل المذكور، وبأبيه الشيخ مُصلح صاحب الحال والصلاح المشهور، وأخبرنا الشيخ مُصلح، وقد كانت زوجته أم الشيخ اسماعيل مريضة في تلك الأيام، أنه قبل مجيئنا بليلة، كان نائماً في البيت، وعنده زوجته وبنتان له، فقال في نفسه لو جاء أحدٌ ورآني هكذا ربّما يقول في نفسه شيئاً من الكلام، فلما نام رأى هذا العبد الفقير في المنام، ورأى أني أقول له على جهة المزْح: ما خطر له من ذلك الكلام، فقال في جوابه لي هذه زوجتي، وهاتان بنتاي والسلام. وحين دخلنا القرية المذكورة ذهبنا معه إلى زاويته المعمورة، وزرنا فيها قبر جدِّه الشيخ نصر الله اليَعْبدي من ذرية الشيخ عبد القادر الكيلاني[1]، صاحب الكرامات المشهورة، وفي ذلك قلنا:

الشيخ إسماعيل الخطيب

/لله يومٌ فيه قد سِرتُ من جينينَ أبغي طالع النجحِ
وضِفْتُ في يَعْبُدَ أهل التقى وزُرتُ نصر الله بالفتحِ

٢١/ب

وكتب لنا الشيخ اسماعيل المذكور، هذه الأبيات من نظمه العجيب، وفضله الذي هو في تلك القرية غريب، قوله:

---

(١) أو الجيلاني، أو الجيلي، عالم مشهور وصوفيّ كبير، مؤسس الطريقة القادرية ولد سنة ٤٧١هـ، وتوفي سنة ٥٦١م في بغداد، وقبره فيها معروف مشهور، وما يُروى عنه كثير، انظر الأعلام ٤/٤٧ ومصادره، وجامع كرامات الأولياء ٢/٢٠٣.

قصيدةٌ للشيخ إسماعيل الخطيب

لـعبـدكَ يـا غـنيُّ أوهبتَ عِـلْمـا ... ففـاقَ على الـورى كـرَماً وحُلمـا
وســاد ذوي الـولا ورقىَ المعــالي ... فــأفْصَـح لفـظُه نـثـراً ونـظمـا
وفــاض العلم من فيـهِ ابتهــاجـاً ... كسَيْحونٍ وجيـحـونٍ، وأنـمـا
ودجـلَةَ والـفـراتِ ونـيـلِ مصـر ... إذا قـابـلن ذلـك زاد سـهـمـا
لـه عِـلمٌ لـدُنّـيٌ وفـضـلٌ ... تسلطَن في القلوب وزاد حُكمـا
لــه عـنـدي ودادٌ مُـسْـتـقـيـمٌ ... وإنْ أبـدىَ النّـوى جَوراً وظلمـا
أتـيـتُ لـنـحـوهِ أرْجُـو وصـالاً ... فـنـادتني سقـاةُ الـرُّوح سـلْ مـا
تشـاء من الأحـبَّـة، قلت نَـهْـلاً ... ورشفـاً من لـمىً[1] لـيلى وسـلمى
لأنَّ الـوجْـدَ جَـدَّ وزاد شـوقـي ... وعيـل الصَّبـرُ منّي بعـد أسـمـا
تـنـاءتْ زيـنـبُ وسـعـادُ عـنّـا ... وزِدْنـا عـنـد من نَـهْـواهُ جُـرْمـا
وقـد أسـرَ الـفؤادَ هـوى حبيب ... لـه نـطقٌ يـفـوق الـدرَّ نـظمـا
وذا عـبـدُ الـغـنـيّ وربّ فـضـلٍ ... بـنـابلسيٍّ أصْـلٍ قـد تـسمّىَ
فـمـا أنـا فـضلُه يـومـاً بـنـاسٍ ... وإنْ هـو نـاسيـاً لي صـار حتمـا
فيـا مَن لم يجُـدْ جُـدْ بـالتَلاقي ... وأنعِمْ بـالـوصَـال هـدىً وحِلْمـا
وزرنـي واجبـر الـمكـسـور مـنّي ... وأجـزلْ لي من الإحسـان سهـمـا
أنـا نسبي لكـم في الـحب يـدنُـو ... وعهـدي من ألسْتُ لـديـك قـدمـا

وقوله أنا نسبي لكم إلى آخره يعني أنّه نابلسيّ من يَعْبَد، قرية من قرى نابلس، ونحن نسبتنا المشهورة إلى نابلس أيضاً، وفيه معنًى آخر بنسبة الحبّ.

زيارة العبد الأسود في المغارة

وبَلَغنا في تلك القرية أنَّ بالقرب منها عبداً أسودَ من المجذوبين المولّهين اسمه الشيخ زائد، وهو في مغارة هناك، في ذيل جبلٍ صغير، وأخبرونا أنّه لم يكن هناك مغارة ولكنّه حَضَر في / ذلك الجبل، فَخَرَجَتْ له هذه المغارة، فذهبنا إلى زيارته، ودخلنا عليه في تلك المغارة، وهي مغارة صغيرة، يدور بها من الدَّاخل طاقات كثيرة غير نافذة، وهو جالسٌ فيها على الأرض، وعندهُ

٢٢/أ

(١) في الأصل: لُما، واللمىَ سُمرةٌ جميلة في الشفاه ومنها ألمى ولمياء. الصحاح ٢/٤٥٦.

جرنٌ صغير من خشب يُدَقُّ فيه البُنّ، ومحمصة من حديد صغيرة، وكلُّ من دخل إليه لا يخرجُ من عنده حتى يسقيه القهوة[1]، ويعمل القهوة من كل ما تيسَّر له من قمح وشعير وذرةٍ وحمَّص، ولا يشربها الحاضرون إلّا قهوة طيبة. وأخبرونا أنه إذا أراد الحطب يقلع الشجرة الكبيرة بعودةٍ صغيرةٍ ويكسرها بيده ويأتي بها ويضعها في المغارة.

ولما دخلنا سلَّمنا عليه، فردْ علينا السلام، وهو عبدٌ أسود يغلب عليه السكوت والإصطلام، وأخبرنا الشيخ مُصلح بشيخ قرية يَعْبَد المذكورة أنَّه كان عبداً لبعض أهل تلك القرية، وكان يرعىٰ لهم غنماً، فحصل له هذا الجذب وتَرَكَ رعْي الغنم وأعتَقه سيُده، فكان يترِدْد إلى القرية بعد موت سيده، ثم انقطع في تلك المغارةِ وصار الناس يزورونه فيها ويقصدونه من كل مكان ويعتقدونه ويتبرَّكون بكلامه، ويُشاورونه في أمورهم، وسألتُه عن حال إخواني وجماعتي الذين أنا سائرٌ معهم الآن إلى بيت المقدس فقال: هم بك في نعمةٍ وخير، وذكر لنا كلاماً كثيراً فيه البشارة لنا بالخير وإنجاح المقاصد، والأمن والسلامة.

وكان معنا حين دخلْنا عليه، مجذوبٌ صغير من مجاذيب دمشق الشّام وقد ذكرناه فيما تقدم من الكلام، فلما دخل عليه ذلك المجذوب وكلَّمه ضحك منه ضحكاً كثيراً، ثم قال إنَّه ثقيل، ثم قرأنا الفاتحة ووَدَّعْناهُ وانصرفنا. ثم بتنا تلك الليلة، وقد ذبح لنا الشيخ مصلح ذبيحةً وصنع لنا الطعام الكثير، وعلَّق على الدواب بالشعير، وقد قصدنا جماعة من الفلاحين بقريةٍ من قُرىٰ صفد، وكانوا نحو العشرين من الخيَّالة، فدخلوا إلى تلك القرية، وأضافهم أهلُها وأخبَرَنا/ رجلٌ من المجاذيب، كان في تلك القرية، ٢٢/ب

---

(١) دخلت القهوة أو البن إلى بلاد الشام في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، وقد اختلف الفقهاء آنذاك في أمرها، كما اختلفوا في أمر الدخان، فأحلَّها بعضهم وحرَّمها بعضهم، وقد ذكر الغزّي في ترجمة لالا مصطفى باشا، والي الشام العثماني أنه كان يحترم العلماء، فصلّى يوماً في جامع بردبك (بين الحواصل) والمعروف بالجامع الجديد، ومعه الدفتردار والأغوات، فتطرَّق الخطيب العيثاوي إلى القهوة وحرَّمها، وكان الوالي يتعاطاها، فغضب لذلك وعقد له مجلساً فقهياً وذلك في حدود سنة ٩٧١هـ أي سنة ١٥٦٣م انظر الكواكب السائرة ٣/ ٢٠٧.

أنَّ واحداً منهم قال لرفقته عنّا إن هؤلاء من أهل الشّام ونحن نأخذهم ونأخذ خيلهم، فاتفق أن ذلك الرجل الذي قال ما قال، وقعَت فَرَسُه تلك الليلة في بئر من آبار تلك القرية، ولم يمكنه ولا جماعته إخراجها، ثم ذهبوا وتركوها ميتة في البير، ولم نَرَ منهم مكروهاً ولله الحمد.



اليوم العاشر

[الأربعاء ٢٦ جمادىٰ الآخرة ـ ٥ نيسان/أبريل]

فأصبحنا في اليوم العاشر، وهو يوم الأربعاء، وقد جاء لنا أَهْلُ القرية بالفطور، ومنهم الشيخ مُصلح المذكور، ثم جلس مَعَنا وطلب الأُخوَّة معَهُ، فتصافحنا وتعاهدنا على حضرةِ النّور، ثم سِرْنا على بركة الله تعالى وذهب معنا ولدُهُ الشيخُ اسماعيل، وذهب معنا أيضاً ذلك المجذوب الذي أخبرنا بخبر الصَّفد بين الذين قصدونا في تلك القرية، واسمه الشيخ عيسىٰ بن بشير، وقد أخبرونا أنَّ بقرية عرَّابة، عبداً أسود من المجاذيب اسمه الشيخ مرجان، وعرّابه[1] بفتح العين المهملة وتشديد الراء مفتوحة بعدها ألف وباء موحَّدةٌ وهاء، فلمَّا مررنا بهذه القرية، زرنا نبيَّ الله أعرابيل من أولاد يعقوب عليه السلام، وهو في مزارٍ لطيف، عليه قُبَّةٌ عظيمة وله بابٌ وغلق بقرب الطريق على الاستقلال، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالىٰ هناك بأن يُصلح الأحوال، وزُرنا الشَّيخَ مُرجان المذكور، فلمّا بعدنا عن القريةِ تذكَّرْنا ذلك، وزرنا الشيخ محمد الشَّمالي وقرأنا له الفاتحة، ونسينا أن نجتمع هناك بالشيخ مُرجان المذكور، فلمّا بعدنا عن القرية تذكرنا ذلك، فلم نعد لصعوبة ذلك علينا، ولم نقرأ له الفاتحة وتشاغلنا بالكلام، فسقط رجل منّا عن فرسه على صخر هناك، وكان مُردِفاً خلفه صبيّاً صغيراً من صبياننا، فظنَنّا أنّ ذلك الصبيّ مات، فصاح بنا على الفور الشيخ عيسىٰ المجذوب اقرؤا الفاتحة للشيخ مُرجان، فقرأنا الفاتحة له، فما استَتْممنا ذلك إلّا وقام ذلك الصَّبيُ فكأنّه لم يُصبْه شيء، ولم يتضرَّر ذلكَ الراكب ولا فرسُه/ وركب كما كان أَوّلاً مُردِفاً ذلك الغلام. ثم مَرَرنا علىٰ قرية فحمه بالفاء والحاء المهملة والميم والهاء، فزرنا بها الشيخ كسَّاب، وقرأنا له الفاتحة، ودَعَوْنا الله تعالىٰ هناك، وقد

قرية عرّابة

٢٣/أ

فَحْمَه

---

(١) إلى الجنوب الغربي من جنين بـ ١٣ كم، وعدد سكانها اليوم نحو ٧٠٠٠ نسمة، الموسوعة الفلسطينية ٣/٢١٠.

من شعر الشيخ إسماعيل الخطيب

أَنْشَدَنا مادحاً لنا الشيخ إسماعيل اليعبداوي المذكور وهو سائرٌ معنا، من نظمه المأثور قوله:

لله دُرك يا فؤادي في الهوىٰ قد ذُقتَ من سرِّ الأحبَّة ألطَفَه
بقدوم قَيدُوم الهوىٰ وإمامه عبد الغني سلطان أهل المعرفه[1]

وأنْشَدَنا أيضاً من نظمه قوله:

لعبد الغني علمٌ تجلُّ صفاتُهُ تنزَّهَ عن ضبطٍ وعدٍّ وعن حصرِ
فمن رام تكذيبي يَسَلْهُ وينتظر جواباً جرىٰ من فيه كالشّهد والقطرِ

عجَّةُ

والنبيُّ عَجْعَجْ

الرَّامة

سيلان

النبي سيلان والنبي لاوين

ثم مرَرْنا في الطريق على قرية عجَّه بفتح العين المهملة وتشديد الجيم مفتوحةً بعدها هاء، فزرنا بها نبيّ الله عَجْعَج، عليه السلام على ما هو المشهور بين أهلِ تلك القرى من الأنام، ثم مررنا على قرية الرَّامة فزرنا بها نبي الله حزقيل[2] عليه السلام، ثم مررنا على قرية السّيلان[3] بالسين المهملة مفتوحةً، والمثنَّاةُ التحتية السَّاكنة، فزرنا بها النّبي سيلان من أولاد يعقوب عليهم السَّلام، ثم مررنا على قرية اللاَّوِيَّة، فزرنا بها النبي لاوين عليه السلام، وزرنا في الطريق رجال الظُّهرة، وهم شهداء مشهورون، عليهم قببٌ مبنيَّة، وقرأنا لهم الفاتحة، ودعونا الله تعالى عندهم، وهم في رأس جبل مطلٍّ على الطريق، إلى أن وصلنا إلى قرية بُرْقَة، بضم الباء الموحَّدة وسُكون الراء وفتح القاف وآخره هاء، فنزلنا بها وأضفنا أهلها بما تيسَّر من الزاد، وقلتُ في ذلك من النظم المستجاد:

بُرْقَة

ضفنا ببُرقَة من أعمال نابُلُسٍ أهل المكارم في الأخلاق والشيم
قوماً لقد جمع الله الكريم لهم بين القرينين بَشّ الوجه والكرم

---

(١) لا ندري معنى قوله «قيدوم» والله أعلم.

(٢) سبق أن ذكر قبراً لحزقيل، في داريًا.

(٣) في الموسوعة ٢ / ٥٣٩ سبلان بالباء، وتبعد ٣ كيلومترات عن طريق صفد ـ ترشيحا.

سبسطية

٢٣/ب

وصلّينا الظهر هناك، ثم سِرنا فمرزنا في الطريق على قرية سَبَسْطيـة[١]، بالسينين المهملتين بينهما باء موحَّدة ثم طاء مهملة بعدها/ياء، ثم هاء، وبعضهم يقول سبسطين بياء بعدها نون، وهي فلسطين المشهورة وذكر الهرويُّ في زياراته قال: سبسطين هي فلسطين، بها بدن يحيىٰ بن زكريا عليه السَّلام وقبر أمِّه وقبر اليسع وبها قبر شداد بن أوس[٢] انتهى. وسيأتي ذكر قبر شداد بن أوس أنَّه ببيت المقدس، ولعل كون سبسطية هي فلسطين مجاز من قبيل إطلاق اسم الكلّ على البعض، كما يُطلقون على دمشق: الشَّام، مع أن الشَّام من الفرات إلى العريش ومن معان إلى مُلَطية طولاً وعرضاً، فالشام اسم لقطر مخصوص، كما أن فلسطين اسم لقطر مخصوص. قال الحنبلي في تاريخه: وفِلَسْطين بكسر الفاء وفتح اللام، وسُمّيت بذلك لأن أول من نزلها فِلَسْطين بن كوحين بن لعطين بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام[٣].

---

(١) على بعد ١٥ كيلومتراً إلى الشمال الغربي من نابلس، وهي مدينة تاريخية مشهورة تعادل مدينة دمشق في الشهرة والقدم، قبل الميلاد، المصدر السابق /٥٣٥، أمّا برقة فهي تبعد ١٨ كيلومتراً إلى الشمال الغربي من نابلس، وهناك برقة أخرى في غزة. المصدر السابق ١/٣٧٦.

(٢) لاوين، أو لاوي اسم عبري معناه «مقترن» وهو اسم ثالث أبناء يعقوب من «لئية» سُمّيت بذلك لأنها قالت: الآن يقترن بي رجلي، وقد مات في مصر وعمره على ما يقال ١٣٧ سنة، وأمّا إليسع أو إليشع فمعناه «الله خلاص»، وهو خليفة إيليا في العمل النبوي في المملكة الشمالية، وهو ابن شافاط، من سبط يساكر، وكان يقيم في السَّامرة وتروى له معجزات كثيرة، منها أنه دفن إلى جانبه بعد موته ميت آخر فعادت إليه الحياة حالما مس عظام إليشع، قاموس الكتاب المقدس ١١٢ و٨٠٦

وأمّا شداد بن أوس فهو ابن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو يعلى، صحابي من الأمراء، ولاّه عمر ولاية حمص، وكان يُطلق عليه فقيه هذه الأمة، توفي في القدس سنة ٥٨هـ عن ٧٥ سنة. الأعلام.

(٣) فلسطين اسم طُلق في الأصل على شعوب البحر المتوسط التي هاجمت السواحل السورية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وقد أطلق المصريون عليهم اسم:(PLST) بْلِست وهي كلمة هيروغليفية حرَّفها العبرانيون إلى بلشت وبقي هذا الاسم هو المعتمد على المنطقة وسكانها، لكنَّه عُدِّل في اللغات الأوروبية إلى (PLAISTINA) وقد استقرت تلك التسمية منذ القرن الرابع قبل الميلاد، ومنه اشتقت الكلمة العربية فلسطين. انظر الموسوعة الفلسطينية ٣/٤٧٤ - ٤٧٥.

حدود فلسطين وأبعادها

وأول حدود فلسطين من طريق مصر، قال أبو محمود، وهو العريش ثم يليها غزَّة ثم رملة فلسطين، ومن مدينة فلسطين أيلة وهي مدينة القدس الشريف، بينها وبين الرملة ستة فراسخ، ثمانية عشر ميلاً صحارٍ ووهاد، ومن مدنها أيضاً عسقلان ولدّ وسبسطية ونابلس ومدينة سيدنا الخليل عليه السلام. ومسافةُ فلسطين طولاً من رفح إلى حدّ اللجون للراكب المجدّ يومان، وأمّا سير الأثقال فأكثر من أربعة أيام، وعرضها من يافا إلى أريحا مسافة يومين، وذكر في موضع آخر من التاريخ أن حسام الدين، محمد بن عمر لاجين لمّا فتح نابلس وصل إلى سبسطية فتسلَّمها، ووَجَد مشهد زكريا عليه السلام قد اتخذه القسُوس كنيسةً، فأعادهُ مشهداً كما كان، وذكر أيضاً في موضع آخر منه قال: وقد قيل إن قبر زكريا ويحيىٰ بقرية سبسطية من أرض نابلس، وقيل بجامع دمشق، انتهى. والمشهور عندنا بدمشق بالجامع الأموي رأس يحيىٰ فقط، وذكر ابن الحوراني [1] في كتابه الإشارات إلى أماكن الزّيارات / قال: وعن زيد بن واقد، وكان موكَّلاً على العمَّال في بناء جامع دمشق قال: وجدنا فيه مغارة، فعرَّفنا الوليدَ، فلمّا كان الليل وافىٰ وبين يديه الشمع فنزل فإذا موضع ثلاثة أذرع وفيه صندوق، ففتحه وإذا فيه سِفْط وفي السَّفط رأسُ يحيىٰ بن زكريا عليه الصلاة والسلام، مكتوب عليه هذا رأسُ يحيىٰ بن زكريا، فردَّه إلى مكانه وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيَّراً من الأعمدة، فجُعل عليه عمود مسفَّط الرأس، يعني شبه السَّفْط، وهو الطشت، ليكون شارة إلى السفط الذي فيه رأس يحيىٰ تحته، وفي روايةٍ، وكانت البشرة والشَّعر على رأس يحيىٰ لم يتْغَيّرا، وقال أبو مُسهر، رأسُ يحيىٰ تحت العمود المسفَّط شرقي مسجد دمشق [2]، انتهى. وقد تقدَّم ذكر زيارتنا في ابتداء رحلتنا هذه من دمشق فنكون في زيارتنا لبدنه هنا في سبسطية قد زرناه على التمام.

٢٤/أ

رأس النبي يحيى وجسده

---

(١) عثمان بن أحمد السُّويدي الدمشقي المعروف بابن الحوراني المتوفى سنة ١٠٠٠هـ، وقد طبع كتابه مراراً، كان آخرها في دمشق سنة ١٩٨١م، والنصّ المذكور ورد في الصفحة ١٦/.

(٢) هذه الرواية نقلها الهَرويُّ عن ابن عساكر ٢/١٠، كما نقل الرواية التالية لها، وهي ظاهرة =

وقال الشيخُ أحمد القرمانيّ رحمهُ الله تعالى في تاريخه[1] بعد أن نقل هذه القصَّة: وجَسَدُهُ مدفون ببيت المقدس، وقيل بمدينة فلسطين، وقد أشار إلى ذلك العارفُ بالله تعالى الشيخ إبراهيم بن محمد القُرشيّ الغزّي الشهير بابن زُقّاعة[2]، حيث قال في ديوانه المشهور:

وضريحُ يحيىٰ في سبسطيةٍ وقد قالوا ووالده في تلك القريةِ

عودٌ إلى سبسطية

وقد نزلنا في هذه القرية ودخلنا إلى هذا الجامع الذي أصله دير كبير واسع، فرأيناه مشتملاً علىٰ أبنيةٍ عجيبة انهدم غالبها، ودخلنا فيه إلى مغارة ينزل إليها بدرجٍ، وفي أسفلها طاقةٌ صغيرةٌ، يُقال إن قبر يحيىٰ وأبيه زكريا داخل تلك الطاقة، فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالىٰ هناك، ثم خرجنا من تلك القرية وسِرْنا، فزرنا في الطريق قبر الشيخ شُعلة، ومقام الشيخ أبي القاسم الجنيد، رضي الله عنهما، ثم لم نزل سائرين، إلى أن وصلنا إلى مدينة نابلس[3] المحروسة من كل ما يشين، وهي مدينة، كما قال الحنبلي في

٢٤/ب

تاريخه، بالأرض / المقدَّسَة مقابل بيت المقدس من جهة الشّمال مسافتها عنه

= الوضع، ومع ذلك دُوِّنت على أنها شيء حقيقي، وعلامة الوضع فيها قولهم إنَّه كان مكتوباً على السَّفَط، أو الرأس، هذا رأس يحيىٰ بن زكريا، مع أنه لم تكن الكتابة العربية قد اتخذت صيغتها النهائية تلك في عصر المسيح عليه السلام، ويقال إن نص النمارة سنة ٣٢٨م هو أقدم نص باللغة العربية وُجد حتى اليوم، فكيف كتب على الرأس بالعربية أنه رأس يحيى بن زكريا؟

(١) أخبار الدول وآثار الأُول للشيخ أحمد بن يوسف الدمشقي المتوفى بدمشق سنة ١٠١٩هـ، وكتابه مطبوع ومعروف.

(٢) إبراهيم بن محمد بن بهادر... النُوفلي الغزّي الشافعي ابن زُقّاعة عالم في القراءات والنجوم والكيمياء، وله القصيدة التائية في صفة الأرض وقد تجاوزت خمسة آلاف بيت، وهي أطول قصيدة في العربية، فيما نعلم، والبيت المذكور هو واحد منها، وقد توفي في القاهرة، في ١٢ ذي الحجة سنة ٨١٦ هـ عن اثنين وتسعين سنة. انظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٤/ ١٢٥، وانظر ترجمته ومصادرها الأخرى في معجم المؤلفين ١/ ٨٩.

(٣) نابلس، مدينة كنعانية معروفة، كان اسمها شكيم بناها الكنعانيون كما بنوا طرابلس وبيروت وجبيل وغيرها. وعندما انقسمت مملكة إسرائيل نحو سنة ٩٢٣ ق.م، كانت شكيم عاصمة مملكة إسرائيل، في حين كانت أورشليم عاصمة مملكة يهوذا وقد سقطت مملكة إسرائيل بيد الكلدانيين سنة ٧٢١ ق.م. =

نحو يومين بسير الأثقال، خرج منها كثير من العلماء والأعيان، وهي كثيرة الأعين والأشجار والفواكه، ومعظم الأشجار بضواحيها: الزيتون، وروَى المشرف بسنده عن كعب قال: أحبُّ البلاد إلى الله تعالى الشام، وأحبّ الشام إلى الله تعالى القدس، وأحبُّ القدس إلى الله تعالىٰ نابلس، ليأتينَّ على الناس زمان يتماسحون بالجبال بينهم.

مدينة نابلس

وبنابلس كثير من السّامرة فإنهم يعتقدون أن القدس جبل نابلس، وقد كذبوا وخالفوا جميع الأمم في ذلك، فدخلنا إليها بعد دخول وقت العصر، ولم نكن صلينا صلاة العصر في ذلك الحين، فلما أقبلنا على ذلك الوادي المبارك، ونفح علينا ذلك النسيم الذي في طيبه لا يُشارَكْ وأقبلنا على تلك الطواحين المحفوفة بالمياه والبساتين، استقبلنا جماعةٌ من أهلها، كانوا هناك لنا منتظرين، بقصد اللقاء والاجتماع على عادةِ المحبّين، فسلّمنا عليهم سلام الأشواق وترحَّبنا بلقائهم ترحّب العشّاق ثم نزلنا فصلّينا العصر ركعتين بجماعتنا بين تلك المروج، ودعونا الله تعالى على تمام العافية والاجتماع بالإخوان ثم ركبنا السُّروج، وسرنا معهم على بركةِ الله تعالىٰ وقد خرجُوا للقائنا بأجمعهم وأرفعهم وأوضعهم من كبير وصغير، وشريفٍ وحقير وخطير، وهم يتلون أمامنا البُرأة الشريفة[1]، بالنغمات اللطيفة، مع الصَّلاة على الرسول والأدعية بالإجابة والقبول، حتى دخلنا إلى المدينة في وقت الغروب، فنزلنا عن الركوب، وقد قرأنا الفاتحة للجمَاعة، وتفرَّقوا في تلك السَّاعة، وقد نزلنا في

موكب الدخول

= أمّا السّامرة، فهم فرقة من اليهود لهم توراتهم الخاصة ويُنكرون وجود أنبياء لليهود بعد هارون ويوشع، ويستقبلون طور نابلس بدل البيت المقدس لزعمهم أن الله تعالى كلّم عليه موسى، وكان رئيسهم بدمشق يسمى «الرّيِّس»، وكان اليهود القرّاؤون ينفون أن يكون السّامرة يهوداً.

انظر: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين لفيليب حتّي ١/ ٨٩ و٢١٤. والموسوعة الإسلامية الفرنسية، الجزء الرابع ١٢٨ ـ ١٣٤ مادة Samaritoins وانظر الدراسة المسهبة عن نابلس في الوسوعة الفلسطينية.

(١) انظر فيما يلي.

بيت مُتسلِّم تلك البلاد النَّابلسيَّة، والأماكن الشَّريفة الأنسيَّة، وهو صاحب الأخلاق المرضية، والسُّلالة العلميَّة، مفخر الأعيان، وإنسَان العين بالنسبة إلى نوعِ الإنسَان، جناب علي شربجي من أعيان الشربجيَّة التي في دمشق المحمية/ ابن المرحوم مفخر الأمراء المعتبرين، الأمير يوسف كافل قلعة الكرك سَابقاً، فقابلنا بصدره الرحيب ووجهه الذي هو وجه الحبيب، فمكثنا عنده خمسة أيام، في عيشٍ هني وقدرٍ سني وروضٍ جنيّ، تُصافِحنا العشيّات والبكور، بكفوف الأفراح والسُّرور وتدخلُ علينا الإخوان والأحباب، وتنفتح لنا من بشائر القبول أبواب، ولله در الشيخ أحمد العناياتي[1] النابلسي الشَّاعر المشهور بالآداب حيث قال بحسب اقتضاء الاقتضاب:

علي الشربجي متسلّم نابلس

٢٥/أ

قصيدةُ أحمد العناياتي

أيُّها الغادي على نابلسٍ	جئتَ خير الأرض والناسِ الكراما
الفناءَ الرحبَ والعيشَ الرضيَّ	والهواءَ العذبَ والماءَ الجُماما
بلدةٌ طيبةٌ قد حَسُنَتْ	لوفودٍ مستقرّاً ومُقاماً
جمَّلاها جبلاها فَغَدتْ	شَمَماً تعلو ثبيراً وسماماً[2]
نِعْمَ أرضُ الخصب والخير إذا	بكَر العارض تحدُوه النعاما
بُوركت أرضاً ولا زال بها	يتوالىٰ السحب وجداً وغراماً

قال في المصباح المنير، جمَّ الشيءَ جمَّاً من باب ضرب كثر فهو جمّ تسمية بالمصدر، انتهىٰ فمعنى الجمام في البيت المذكور، الكثير، وفي المصباح أيضاً، وجمامِ القدحِ ملؤه بغير رأس مثلث الجيم، انتهىٰ، فمعنى الماء الجمام على هذا، الماء الذي هو ملء البلد، وهو وُصف بالكثرة أيضاً،

---

(١) نزيل دمشق، وأحد بلغاء عصره وفي شعره حلاوة وطلاوة بحسب مقاييس المحبّي والعصر العثماني، توفي يوم ٢١ ذي القعدة سنة ١٠١٤هـ بدمشق، انظر ترجمته الموسعة في تراجم الأعيان للحسن البوريني ١٠٧/١، ومن الغريب أن جملة «مات العناياتي» توافق عام وفاته بحساب الجمل.

(٢) ثبير، اسم جبل في أكثر من موضع أشهرها ثبير مكّة قرب غار حراء. وأما سمام فلم نهتد إليه. انظر ياقوت ٧٣/٢.

وقَوْله: «بكر العارض ...» إلى آخِرِه. هذا شطر بيتٍ هو مطلع قصيدةٍ مشهورة لمهيار الديلمي[1]:

بكَّر العارض تحدوه النعامىٰ   فسقاك الغيثُ يا دار أُماما
وتمشَّتْ فيك أرواح الصَّبا   سَحَراً تبتَثُّ أزهَارَ الخزامىٰ

وكان ممن حضر عندنا من أعيان الدّيار النّابلسيَّة، وأكابر هاتيك المملكة الأنسيَّة، جنابُ الشيخ الإمام العلاَّمة والعمدة القدوة الفهَّامة، الشيخ عبد الحافظ المفتي الحنفي، وولده الشابُّ الفاضل جامع الفضائل الشيخ مصطفى، سلَّمُهما الله تعالىٰ في جميع / الأحيان، ومدَّهما بكرمه والإحسان.

٢٥إب

الاجتماع بعلماء نابلس

ومنهم الحسيب النسيب، صاحب النَّسب الطَّاهر والفضل الظَّاهر السَّيد أحمد الحنبلي نقيب السَّادة الأشراف في هاتيك النَّواحي والأطراف، وأولاده الصُّلحاء، وفَّقهم الله تعالىٰ لمرضاته في سائر أوقاته، وقد بلَغَنا وفاته في سابع يوم من شهر رمضان المبارك سنة إحدى ومائة وألف. وذلك بعد مجيئنا إلى دمشق الشَّام، عليه رحمةُ الملك العلاَّم، ومنهم الشيخ الصَّالح المقصودُ لإنجاح الحوائج والمصالح، إمام الطريقة وفاضل الحقيقة، الشيخ طه بن محمَّد خليفة الشاذليَّة، وأولاده النجباء، وأخوه، عاملهم الله تَعالىٰ بالعناية والتَّوفيق، وأدام لهم السُّلوك على أقوم طريق.

---

(١) أبو الحسن مهيار بن مرزويه، كان مجوسياً فأسلم على يد الشريف الرضي، وهو شاعر فارسيّ يميل إلى أصله، لذلك وصف بالشعوبية، ومن أشهر قصائده قصيدته:

أعجبت بي بين نادي قومها   امّ سعدٍ فغدت تسأل بي

وهي التي غناها محمد عبد الوهاب، أما البيتان المذكوران أعلاه فنصُّهما في ديوانه:

بكر العارضُ تحذوه النّعامىٰ   فسقاكِ الريّ يا دار أماما
وتمشّتْ فيك أرواح الصبا   يتأرّجن بأنفاس الخزامى

انظر ديوانه ٢/٣٢٧ وهو مطبوع في القاهرة في جزأين سنة ١٩٧٠م وقد توفي الشاعر سنة ٤٢٨هـ.

ومنهم الشيخ الإمام الهمام، صاحب الفضائل والكمالات والمقام التامّ: الشيخُ أحمد الشهير بابن الحارثية، خليفة الشّاذلية وجماعة أهل الصلاح والدين، وفقنا الله تعالىٰ وإياهم إلى مكان المقرَّبين ومنهم الشيخ الصالح والكامل النّاجح الشيخ عبد الغفور خليفة الشاذلية، وأخوه المكرَّم عاملهما الله تعالىٰ بألطافه الخفية، ومنهم محبُّنا وصديقنا مفخر الأكارم صاحب الهمم العالية والمكارم، الحاجّ أحمد، المشهور بحدرة، وبعضهم يقوله حضره بالضاد المعجمة، نقيب السّادة الشاذلية، وخادم تلك الطريقة المرضية، ثبَّت الله تعالى على التوفيق أقدامه، ورفع راياته وأعلامه، ومنهم مفخر الأعيان والأماجد وخلاصَةُ أرباب المحامد، أحمد آغا متولّي مدينة اللد، تابع بيت المقدس سدّد الله تعالىٰ أفعاله وأقواله وبلغ آماله، وغيرهم من خاصّة الناس وعامَّتهم ممّا لا يدخل تحت التّعداد والقياس.



اليوم الحادي عشر

[الخميس ٢٧ جمادىٰ الآخرة ـ ٦ نيسان/أبريل]

فلمّا كان ثاني يوم من الأيّام الخمسة، وهو يوم الخميس الحادي عشر من سفرنا المبارك الأنيس، حضر عندنا للسَّلام علينا في الدار المذكورة، صاحب المفاخر المنشورة والمحامد المشكورة، كافل المملكة القدسية، وأمين الركب الشَّامي إلى المنازل الحجازية، حضرة مُرتضى باشا، بلَّغـهُ الله /تعالى من الخيرات ما شا، وساعده الله تعالى في جميع أموره، في غيبته عن منصبه وحضوره، فجلسنا مَعَهُ نتذاكر الأحوال مع صاحب المنزل وجماعة من الرجال، ثم قُمنا مَعهُ ودخلنا إلى جنينة في ذلك المنزل رحيبة الأكناف، لطيفة الجوانب والأطراف، فيها حوض ماء يجري بالعذب الزُّلال، وإيوان عالٍ جديد البنيان وريف الظِّلال، فجلسنا إلى وقت الظهيرة، وصُنعت لنا الضيافة الشهيَّة الشَّهيرة، ووجدنا معه رجلاً اسمه الشيخ غنايم بن موسى من جبال القدس، وهو من المجذوبين المولّهين. ثم صلينا الظهر بالجماعة، في هاتيك السَّاعة، وذهبنا مع جماعة من الإخوان إلى زيارة أولاد يعقوب عليهم السلام في داخل المدينة فيما بين الجدران، فدخلنا إلى مسجدٍ لطيف، في داخله صورة قبرٍ عالٍ منيف، وتحته مغارة يُقال إن فيها دُفن أولاد يعقوب عليهم الصَّلاة والسَّلام، ووجدنا على ظهر الغار مكتوباً في الحائط ما صُورته: أولاد سيدنا يعقوب عليهم الصلاة والسلام، روبين، لاوي، بنيامين، ذوني، سيسوخو، تفتوني، يهودا وفيه اسمان آخران لم نعرفهما، الأوَّل والأخير، فوقفنا هناك، ودعونا الله تعالى في ذلك المكان المهاب الخطير.

٢٦/أ

الاجتماع بكافل القدس

زيارة أولاد يعقوب

أولاد يعقوب

قال الحنبليّ في تاريخه: وفي نابلس مشهد يُقال إن به أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام، وقال في موضع آخر منه، وكان بنو يعقوب اثنا عشر رجلاً هم الأسباط الاثنا عشر وهم: روبين وشمعون ولاوي ويهودَا وشياخر وردلون ويوسف وبنيامين ودان وبعيالي وكاد وأشر، وسُمُّوا الأسباط لأنه لكل

منهم جماعة، وعاش لاوي بن يعقوب مائة وسبعاً وثلاثين سنة، وولد له فاهت، وعاش مائة وسبعاً وعشرين سنة، ثم وُلد لفاهت عمران، عاش مائة وستاً وثلاثين سنة، ثم وُلد لعمران، موسى عليه الصلاة والسلام، انتهى.

قال الإمام البيضاوي في التفسير: وبنو يعقوب اثنا عشر: روبين وشمعون ولاوي ويهودا / وسيسوخون وزبولون وذوني وتفتوني وكودا وأوشير وبنيامين ويوسف. قال السّيوطي في حاشيته على البيضاوي: قوله روبين ذكرهُ جماعة بالنون وذكره آخرون باللام. قال الحسين بن أحمد بن عبد الرحيم البيساني وهو باللام أصحّ وأثبت، وقولُه بنيامين عبارة كثيرين، ابن يامين ومعناه بالعربية شدّاد، وقال العلاّمة شيخي زاده في حاشيته على البيضاوي عند ذكر أولاد يعقوب: ويُروى أسماء بعضهم بعبارات أخر، والله أعلم بالصحيح من الرواية[1]، انتهى. ومعلومٌ أنّ هذه الأسماء في اللغة العبرانية، فإذا نطق بها أهلُ اللغة العربية صحّفوها وحرّفوها، وكان ذلك منهم تعريباً لها، ولهذا قال بعضهم: الكلمة عجميَّة انطق بها كيف شئت.

٢٦/ب

ثم ذهبنا فزرنا مقام بشر الحافي[2]، من رجال الرسالة القشيرية، صاحب السرّ الظاهر غير الخافي، ودعونا الله تعالى هناك بما تيسّر من الدعاء لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، وقد مرّرنا على قبّة السبيل

مقام بشر الحافي

قبّة السّبيل

---

(١) يعقوب أو إسرائيل أحد الآباء الثلاثة الكبار للعبرانيين وهو ابن اسحق من زوجه رفقة وتوءم «عيسو»، ومعنى يعقوب بالعبرية «يعقب، يحل محل»، وقصته مع أخيه عيسو طويلة، راجعها إن شئت، في قاموس الكتاب المقدس بيروت سنة ١٩٨١ صفحة ١٣٥، وكان له اثنا عشر ولداً هم: روبين وشمعون ولاوي ويهوذا وإيساخر وزبلون من زوجه «ليا»، ويوسف وبنيامين من «راحيل» ونفتالي ودان من أمَةِ راحيل، وجاد وأشير من أمَةِ ليا، وكما هو واضح ثمة اختلاف في كتابة الأسماء، وللمزيد من المعلومات ولمعرفة معاني كل اسم منها بالعبرية ارجع الى قاموس الكتاب المقدس، وانظر قصص الأنبياء لابن كثير ١/ ٣١٥.

(٢) من كبار الصّالحين، له في الزهد والورع حكايات وهو من ثقات رجال الحديث، وتنسب إليه خوارق، الله أعلم بصحتها. ولد في مرو سنة ١٥٠هـ، وتوفي في بغداد سنة ٢٢٧هـ. انظر: الأعلام، وجامع كرامات الأولياء ١/ ٦٠٧ - ٦٠٨.

في خارج البلدة، وهي قبة عظيمة البناء، على شكل القصر المبني في الهواء، يصعد إليها بدرج من داخلها، ولها شبابيك مطلة على ذلك المرج، وتحتها بركة ماء، وأخبرونا أنّه كان بعضُ قضاة بيت المقدس إذا مرّ على

زيارات نابلس

نابلس ينزل فيها هو وأهله، وينزل بقية جماعته في ذلك المرج الواسع، ثم توجهنا إلى زيارة الأنبياء الأربعين أهل الشُّهود، الذين يُسمّون رجال العمود[1]، فدخلنا مقبرة تلك البلاد، إلى مدفن عظيم مشتمل على أماكن متعددة من مثنى وآحاد، وفيه مغارةٌ مبنيّ أعلاها على شكل القبر، ولها طاقة، وهي مغارة الأربعين، وفي تلك المغارة عمود، فلهذا سُمُّوا رجال العمود، ثم جلسنا حصَّةً من الزمان في ذلك المكان، ودعونا الله تعالى بما تيسّر من الدعاء، ثم دخلنا إلى مكان في داخل ذلك المدفن، ينزل إليه بدرج يقال / له

٢٧/أ

مقام الإمام عليّ رضي الله عنه، فيه محراب وعليه جلالة ومهابة، فلعلَّه رؤي هناك إمّا في المنام، وإمّا في اليقظة باعتبار التجلّي في عالم الأوهام، فوقفنا ودعونا الله تعالى، ثم خرجنا إلى تلك الجبانة فزرنا ما فيها من القبور وحصلنا إن شاء الله تعالى على كمال الأجور، وقرأنا الفاتحة للشيخ غانم المقدسي، وولده الشيخ عبد السَّلام، ومن عندهما من قبور الصَّالحين، وقرأنا الفاتحة لسلمى وسُليم بالتصغير، وهما أخوان من الأولياء ماتا ودُفنا في محلٍّ واحد، وقرأنا الفاتحة للشيخ عماد الدين وولده الشيخ مجير الدين، وهما مدفونان في أعلى الجبل كالشيخ غانم، إشارةً إلى عليّين، ثم ذهبنا إلى مكان يُقال له مُصلّى آدم عليه الصلاة والسلام، وهو مكان واسع كبير فيه منبر ومحراب، وهو الآن خراب، وكان أوَّلاً مُصلَّى البلدة في العيدين بلا ارتياب، قيل إن آدم عليه الصلاة والسلام كان يزرع الحنطة في مرج بني عامر بالقُرب من جينين، فكان يُصلّي الصُّبح في هذا المصلَّى، ويذهبُ بعد ذلك الحين، فيزرع الحنطة في مرج بني عامر، لأنه أول من صلّى الصبح ركعتين، ركعة شكراً لذهاب الظلمة

زيارة الأولياء في نابلس

(١) انظر: الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، محمود العابدي، عمان ١٩٧٣، صفحة / ٦٠ وسنرمز له اختصاراً بكلمة «آثار».

صاحب الحال وصاحب المقام

٢٧/ب

قرية قيصين

وركعة شكراً لظهور النّور، كما هو مُقرّرٌ في محلّه، فدخلنا هذا المصلّى ودعَوْنا الله تعالى فيه لنا وللإخوان، وذهبنا فصلينا العصر بالجماعة في الجامع الكبير[1]، بمكان فيه يُسمّى بالمارستان، ثمّ عُدنا إلى ما كنّا فيه من منزلنا المبارك في ذلك المكان، وحضر عندنا جماعة من الإخوان، وذكرنا مبحث الولاية والأولياء، وبيّنا فضيلة الوليّ الصّاحي على الولي المجذوب، وقلنا إن صاحب الحال أدنى من صاحب المقام، فما استَتْمَمْنا الكلام حتى سمعنا في خارج البيت الذي كنا فيه صيحةً عظيمةً وضجّةً، فإذا هو مجذوبٌ يريدُ الدخول علينا فدخل حتى ارتجّ منه ذلك المنزل رجّة، ثم جاء فصافَحَنا وقد ظهر عليه أثر الغضب، فعلِمْنا أنّنا مع أهل الجذب أسأنا الأدب، فرجعنا في الباطن والظاهر عمّا كنّا نقرِّره من ذلك، فإنّ صاحب المقام الواصل ربّما أثّر فيه صاحب الحال / السّالك، فصاحب الحال يُفضِّل الحال على المقام، لأنه يكون عنه التأثير فيما يظهر للأنام، وهذا قُبل عند العوام، ثم إنّ ذلك المجذوب ظهر منه البِشْر واللّين في ذلك الحين وذلك من إحساس روحانيته بما هو في الكمين، كما هو عادة المجذوبين، وهو رجلٌ من أهل قرية قيصين، بكسر القاف بعدها ياء مثنّاة تحتيّة ساكنة وصاد مُهملة مكسورة، قرية من أعمال نابلس، واسمه الشيخ نصّار بتشديد الصّاد المهملة، وللناس فيه اعتقادٌ حسن، ثم عُدنا أيضاً بعد المغرب إلى الجامع الكبير، وحضرنا محيا الشّاذلية[2] الشّريف مَعَ الإخوان من كبير وصغير، وحصل في تلك اللّيلة لهم وَجْدٌ كثير.

---

(١) الجامع الكبير في شرقي المدينة، طوله ٣٠٠ خطوة وعرضه مائة خطوة. ومحرابه كبير جداً، وأصله كنيسة بناها الأمبراطور جستنيان، وأعاد الإفرنج بناءه سنة ٥٦٣هـ، ثم حوّله صلاح الدين إلى مسجد، وأجريت عليه عدة إصلاحات آخرها إصلاحات الأمير مصطفى بك الفقاري، وهي التي أعطته الشكل الحالي. الموسوعة ٢/٩١، وآثارنا في فلسطين /٥٨.

(٢) انظر فيما يلي.

اليوم الثاني عشر

[الجمعة ٢٨ جمادى الآخرة - ٧ نيسان/أبريل]

فلما أصبحنا في اليوم الثالث من الخمسة الأيام، وهو اليوم الثاني عشر، يوم الجمعة من رحلتنا المباركة في الأنام، جلسنا حصَّةً في المنزل، ثم ذهبنا مع جماعتنا إلى الحمّام، ودخل معنا علي شربجي المذكور، ودخلت الأفراح علينا في ذلك السُّرور، وهو حمام لطيف جليل يُسمُّونه بحمّام الخليل، فوجدنا فيه النعيم في الجحيم، واستعملنا فيه الماء الحميم، مع الصديق الحميم، ثم خرجنا فأنشأنا هذه الأبيات، ثناءً على محامد صاحب الأخلاق الأبيَّات، وهي قولنا:

في الحمّام

مدحُ علي الشربجي

زرتُ في بلدتنا نابلسٍ	أهلَ أصْلٍ في العُلا منغرسِ
أهلَ إكرامٍ وجودٍ وتُقى	ما لَهُمْ غير الهدىٰ من حرسِ
عندهم آنستُ نوراً لائحاً	مثل موسىٰ طالباً للقبسِ
دوحة الوادي له الظلّ الذي	يُنعِشُ الفارس قبل الفرسِ
نسلُ عزٍّ وفخارٍ وعُلاً	كلُّ سارٍ من نداه يحتسي
وعليّ الاسم[1] والقدر وما	هو إلا بأبيه يأتسي
زاده الله كمالاً في الورى	وحَباه بالمقام الأقدسِ
ولَهُ أوهب أعلى دولةٍ	جُودُها كالوابل المنبجسِ
وعن الشرّ حمى ساحته	بين من يُحسن فعلاً ويُسي
وأدام الله بالخير لهُ	كلَّ وقت في الهنا كالعَرسِ
/ما زها الروض بزهرٍ فائحٍ	وتبدّى في ثياب السُّندسِ

٢٨/أ

وتذكّرنا مسيرنا من دمشق الشام إلى نابلس المحروسة، ونزلنا بالسَّاحة العليَّة، على قدم الإعزاز والإكرام، فقلنا في ذلك وسلكنا طريق ألطف المسالك:

---

(١) في نسخة حلب: والاسم علي.

مدح علي الشربجي

قد سِرتُ من عند إبراهيم آغتنا ... بجلّقِ الشّام نجل المجد والكرمِ
إلى علي بن بحر الجود يوسف مَنْ ... يَوم النَدى يده السَّحاءُ كالدِّيمِ
فقلْتُ مذ سِرتُ هذا لمُشبهه ... ما سِرتُ من حَرَمٍ إلا إلى حرمِ

وقال في ذلك الشيخ اسماعيل اليعبدي المتقدم ذكره:

أيا منزلاً قد فاق مالكهُ على ... مقام السُّها والفرقدين تكرُّما
بناهُ عليٌ صاحب الفضل والتُّقى ... له الأصل في التُّقوى وبالجود قد سما
فيا ربّنا كُن عونَه في أموره ... وكُن من شرورِ الظّالمين له حِمىً

صلاة الجمعة في الجامع الكبير

ثم ذهبنا بقصد صلاة الجمعة إلى الجامع الكبير، فدخلنا إليه فوجدنا في حجرةٍ هناك نسخةً من الجامع الصغير، وقد رأينا شَرْحَهُ للمرحوم الإمام العلاَّمة، العمدة الفهَّامة الشيخ أبي بكر النابلسي[1]، جاء به ولده إلينا، وعرض نسخةً علينا،فوجدناه شرحاً جمع فيه مصنِّفه بين شرح العلقمي وشرح المناوي، ولكلٍّ إنسانٍ ما هو ناوي، ثم اجتمعنا بعد صلاة الجُمُعة في الجَامع المذكور، بالشيخ سالم الأسمر من أهل الصلاح والجذب والحضور، وشمَّ أيدينا وظهر منه البشر والسرور، ثم ذهبنا معه إلى حجرة الشيخ الإمام العلاّمة والقدوة الفهَّامة الشيخ عبد الحافظ مفتي الحنفية في تلك الديار، وجلسنا في تلك الحجرة إلى أواخر النهار، وحضر عندنا جماعةٌ من أهل العلم وغيرهم، وتذاكرنا في جملةٍ من المسائل سائرين في سيرهم، ثم صلّينا صلاة العصر بالجماعة في تلك الحجرة، بعد دخول وقت المثلين[2]، وخرجنا مع جماعتنا إلى بيت صديقنا الفاضل وحبيبنا الكامل، جامع أشتات الفضائل الشيخ أحمد النابلسي المشهور بابن الحارثية، وكان قد دعانا إلى ضيافته في ذلك اليوم،

أحمد النابلسي

---

(١) أبو بكر بن عبد الله النابلسي الشافعي المعروف بابن الأخرم، ولد سنة ١٠٠١هـ وتوفي ١٠٩١هـ ويعرف بابن الأخرم، أما شرحه المذكور فيقع في مجلَّدين. كشف الظنون ٥/ ٢٤٠.

(٢) يعني عندما أصبح ظلّ الشيء مضاعفاً، وهو وقت دخول العصر.

٢٨/ب

مع بقية الإخوان والقوم، فاجتمعنا عنده في مجلس / عظيم ومقام كريم، نتجاذبُ أذيال الأبحاث العلميَّة ونتناشد طرائف الأشعار الأدبيَّة، حتّى انفصم نظام ذلك المجلس، وانطوىٰ بساط ذلك الجمع المتقدِّس، فعُدنا إلى مكاننا المعهود، ودخلنا في رواق صاحب تلك المكارم والجود، وكان في المجلس الذي نحن نازلون فيه شباكٌ كبير، يطل على جُنينةٍ ذات أشجارٍ نضرةٍ وماءٍ ما لها من نظير، وكانت الزّاغ من الطُّيور تأتي إليها في كلّ ليلةٍ بعد غروب الشمس، وهي من غُصنٍ إلى غصن تدُور، ولها ضجَّةٌ عظيمة وجَلَبة، وغوغاء في هاتيك الحلبة، إلى أن يسحَب عليها اللَّيلُ ذيله فتلزم السُّكون وتترك الحركة، وقد أركض النَّسيمُ عليها خيله، حتّى إذا شقّ الصَّباح غلالةَ الظُّلماء، وانحلَّتْ عقود كوكب الجوزاء، دبّ بأعطافها شراب الصَّباح فعربدت على هاتيك الأغصَان وأظهرت الصّياح، وكانت توقظ الجماعة لصلاة الصّبح إذا قال المؤذن حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح، وأخبرنا صاحب ذلك المنزل المعمور، أنَّه عجز عن دفع ذلك الزّاغ من المبيت على أغصان ذلك الروض المذكور، ولم يخلُ الأمر من حكمةٍ إلٰهيَّة ونكتةٍ علميَّةٍ أدبيَّة.

تغريد العصافير

اليوم الثالث عشر

[السبت ٢٩ جمادىٰ الآخرة ـ ٨ نيسان/أبريل]

زيارة الشيخ عبد الحافظ في حدائقه المعلّقة

فلمّا أصبحنا في اليوم الرَّابع من الأيام الخمسة، وهو يوم السَّبت الثالث عشر من الرحلة التي أدرك بها القلب قُدْسه وحصل أُنْسه، ذهبنا إلي ضيافة الشيخ الإمام والفاضل الهمام الشيخ عبد الحافظ المفتي المتقدم ذكره، والفايحُ في أوراق هذه الروضة نشْرَه، فذهب بنا إلي روضٍ أريض، يُصعد إليه بدرجٍ طويل غير عريض، وهو من العجايب التي عن الغرايب مُفصحة أن يكون بُستانٌ ذو أشجارٍ ومياهٍ جارية وثمار يانعة وأزهارٍ فائحة وأطيار صادحة وذلك كلُّه فوق الأسطحة، وتحتها أفران ومخازن، وعليه ذلك مما عليه الناس مصطلحة،

بيوت نابلس

وهو من خُصوصيَّات هذه البلاد النَّابلسية، لأنَّ بيوتها كلها بالأحجار المنحوتة والجصِّ مبنيَّة وأسقفها القبو المعقود، وليس السقف من الخشب هناك معهود،

٢٩/أ

/وقُلنا في ذلك وأَنَّرْنا بأُنْسه ليل الوحشة الحالك:

شعر في مجلس علم في بيت الشيخ عبد الحافظ

وبُستانٍ دَخلْنا فوق سطح	له درجٌ كأمثال القصورِ
فسيحُ الصَّدرِ مُتَّسِعُ النَّواحي	به الأشجار مطلقةُ الزهورِ
وبركةُ مائه بالورد حُفَّت	وذلك بين نسرين وجوري
وإيوان يُقابل ذاك عالٍ	غدا وقْفاً على أهل السُّرورِ
تُصافحنا النَّسائم فيه طوراً	وتَسْحبُ تارةً ذيل النُّهورِ
وترقُصُ بينَه الأغصان زهواً	إذا غَنَّتْ لها غيدُ الطيورِ
جلسنا فيه مع أبناء صدْقٍ	كرام سادةٍ غُرٍّ صُدورِ[1]
نجول بمبحث الآداب طوراً	وطوراً في الحقائق والحضُورِ
وطوراً في علوم النَّاس نأتي	بأجوبةٍ لمشكلةِ الأمورِ
إلى أن تمَّ مجلسُنا وقُمنا	لتحصيل المثوبة والأجورِ
وصلَّينا صلاة الظهر جمعاً	نرومُ عناية الربّ الغفورِ

(١) في نسخة حلب: عين الصَّدور.

وجـاءَتْـنـا الإجـابـةُ من قـريـبٍ ولاحَ الـوجْـهُ مـن خلف الـسُّـتـورِ
وفـرَّقَـنـا الـذي كُنَّـا اجـتـمـعـنـا عـليـه، وهكـذا شـأن الـدهـورِ

وقد نَعِمْنا في ذلك اليوم بجماعةٍ من أهل نابلس من كرام القوم، حتَّى اقتضىٰ الحال نظم هذه الأبيات بطريق الارتجال:

قصيدة أخرى في أهل نابلس

إنْ لـي قـومـاً بـنـابـلسٍ يـألـفـون الـحـفظ للذِّممِ
قـلْ لـمن قـد جـاء ساحتـهـم جئـتَ أهـل الـجـود والـكـرمِ
سـادةٌ مـا مـثـلهـم أحَـدٌ فـي مـعـالي العـزم والـهـممِ
ضـيـفُـهـم ثـاوٍ بـبـحـر نـدىً أو بـغـيـثٍ مـنـه مـنـسـجـمِ
وبـهـم يـسـلو الـغـريـب فـلا يـرتـضـي أوطـان غـيـرهـمِ
أصْـلُ نـبـعي مـن جـداولـهـم وغـراسـي فـي ريـاضـهـمِ
لا أزال الله رونـقَ مـا فـي وجـوه الـقـوم مـن نِـعَـمِ
وحـمـاهـم مـن شـرور عـدا ومـن الأسـواء والـنـقـمِ
وأدامَ الـعـيـشَ مـنـتـظـمـاً بـيـنـهـم فـي شـمـلٍ مـنـتـظمِ
/مـا شـدا طـيـرٌ عـلىٰ غـصـنٍ فـشـجـا الـمُـشـتـاقَ بـالـنَّغمِ

٢٩/ب

ثم إننا ذهبنا بعد أن استكملنا الضِّيافة وفرغنا من إمدادَ الكثافة بالكثيف، وشرعنا في مداد اللطيف باللَّطافة إلى جهة السُّرايا الخراب العتيقة لنزور فيها ضريح شيخ الكمال والطريقة ومعدن السلوك والحقيقة، الدرويش مراد الرُّومي رحمه الله تعالى، فلمّا وصلنا إلى مكانه، دخلنا إلى بيتٍ فيه ذلك الضريح، وعليه هيبةُ التقديس والتسبيح، فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالىٰ هناك بالكناية والصَّريح، ثم خرجنا إلى إيوانٍ لطيف، قبالته روض وريف، وأشجارٌ باسقةٌ، وأزهارٌ متناسقة، وورد يانع على الغصون، وعرايش عنب تُظِلُّ مَنْ تَحتَها يكون، وفي وسط المكان بركةُ ماء لطيفة بها الماء يجري، فيا حُسن تلك الحضرة الشريفة، ثم جلسنا غير بعيد، وإذا بقدوم الشيخ السعيد، فدخل علينا، وجَلس لدينا، وهو أخونا الشيخ الصالح والكامل الفالح النَّاجح المعروف

زيارة ضريح مُراد الرومي

نزهةٌ في روضته

بالشيخ ثلجيّ بن الشيخ محمد المشهور بأبي الرُّب، وكان بحضوره وقتنا وقتاً مبارك، ونحن معه في الذاكرة نتشارك حتّى دخل علينا من أهل تلك البلاد الشيخ حجازي بن محمود من المجذوبين المولّهين المصطلمين أخرس لا يتكلّم إلا بالإيماء، وله أحوالٌ كثيرة يعرفها أهل الاعتقاد في هاتيك البلاد، ودخل علينا أيضاً الشيخ عيسى بن محمد وهو من المجذوبين المولّهين من بيت[1] ليد، بالباء الموحّدة والياء الساكنة التحتيّة، وتاء مثنّاةٌ مفتوحة، وكسر اللام وياء ساكنةٌ، وآخره مُهملة، قرية من قرى نابلس، وهو في جميع أوقاته حامل للبندقية الكبيرة والسّيف، وهو يدور بذلك في الأسواق والأزقّة، يعتقده الناس ويحبُّونه، ثم قمنا من ذلك المكان، وذهبنا إلى ضيافة الشريف الحسيب النسيب العزيز لدينا، والرفيق الحبيب، السيد أمين الدين النابلسي، حفظه الله تعالى، وأيّده بالمقام الأُنسي، وذهب معنا الشيخ ثلجي المذكور، وزدنا بلطافة مجالسته نوراً على نور، وكانت تلك الضيافة ضيافة شريفة ببركةِ من حضر فيها من الأحباب أصحاب النفوس اللطيفة، ثم رجعنا إلى مقرّنا الأوّل، إذ ليس لنا عنه متحوّل، وبات معنا الشيخ ثلجي في تلك الليلة يُثلجنا بعباراته ويُتحفنا بإشاراته حتى بسم ثغر الظلام عن ثنايا الفجر، ونادى المؤذن حيّ على الصلاة ونيل الثواب والأجر، فقُمنا للصّلاة رغبةً في جناب مَن عفا وغفر، وتهيئةً للمسير بقطع المسَافة والسَّفر.

زيارة أمين الدين النابلسي

٣٠/أ

---

(١) انظر الموسوعة ١/٤٦٤، وهي بلدة على بعد ١٨ كم ج ش طولكرم.

اليوم الرابع عشر

[الأحد ٣٠ جمادى الآخرة ـ ٩ نيسان/أبريل]

وهو يوم الأحد الرابع عشر من سفر هذه الرحلة، وجنيُ شَهْد هذه النَّحلة، وهو آخر الأيام الخمسة التي أدرك بها القلبُ أُنْسه، فذهبنا سائرين إلى البلد المقدَّس بعزمٍ على حصول البركة إن شاء الله مؤسَّسْ، وخرج لوداعنا أهل نابلس من الخاصّ والعام وهم يتلون بين يدينا البراة[1] الشريفة والصَّلاة على النبي عليه الصَّلاة والسلام، حتى ذهب صحبتنا بعضهم إلى القدس الشريف، وودَّعنا بعضُهم ورجع بشوقٍ إلينا قويٍّ غير ضعيف، وسار معنا جماعةٌ منهم حتى وصلنا مكان قبر نبيِّ الله العزير[2] عليه السَّلام، وهو على أرضٍ مرتفعة، حولهُ بنيان قديمٌ مُتهدِّم، وهناك أشجار من الزيتون وغيره.

مُغادرة نابلس

وضريحه عليه السلام كبير عال مبني بالأحجار والجير الأبيض، وهو مدفونٌ في مغَارةٍ كبيرةٍ مبنيَّةٍ تحت ذلك القبر، حتى إن اليهود يأتونه ويقصدون زيارته، ووجدنا على قبره كتابات بخطهم، فجلسنا هناك حِصَّةً وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالى بما تيسَّر لنا من الدعاء، ثم ركبنا وسرنا حتى وصلنا إلى قرية عَوَرتا[3]، بفتح العين المهملة وفتح الواو وسكون الراء، والتاء المثنَّاة بعدها ألف مقصورة، فدخلنا إلى مسجدٍ فيه مغارةٌ يُقال إنه دفن فيها أربعون من الأنبياء، فصلَّينا هناك ركعتين لله تعالى، وأكثرنا من الدعاء وخرجنا وزرنا فيها

ضريح العُزير

قرية عَوَرْتا

---

(١) هي قصيدة الكواكب الدريَّة في مدح خير البريَّة لمحمد بن سعيد البوصيري المتوفى سنة ٦٩٤هـ، والمعروفة بالبردة وقد عارضها كثيرون منهم أحمد شوقي في نهج البردة، والمؤلف الشيخ النابلسي يُسميها البُراة تيمناً بمعنى «الشافية».

(٢) كاهنٌ ومستشار في بلاط الفرس، تمكّن من إعادة بني قومه إلى القدس في القرن الرابع قبل الميلاد، وعاد معهم فكان المؤسس الحقيقي لدولتهم بعد السبي، وأخباره موجودة في سفر عزرا أي العزير وهو السفر الخامس عشر، وقد زعم اليهود أنه ابن الله، كما ورد في القرآن الكريم، تعالى الله عن ذلك. انظر قاموس الكتاب المقدس ٦٢٢/٢.

(٣) عورتا على بعد ٨ كم ج ش نابلس وهي قديمة العهد يقيم فيها اليوم ثمانية آلاف عربي، انظر الهروي /٢٤، طبعة المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٥٣م، والموسوعة الفلسطينية ٣٦٢/٣.

أيضاً جماعات من الأولياء والصالحين في أماكن متعددة يقال لهم رجال عَوَرْتا، وأهل تلك القرية لا يعرفون / أسماءهم ولا يُدركون أخبارهم وأنباءهم غير أنهم وجدوا على التبرُّك بهم أجدادهم وآباءهم.

٣٠/ب

قال الهروي في زيارات مدينة نابلس: عَوَرْتا قرية في طريق القدس من نابلس بها مغارةٌ فيها قبر يوشع بن نون[1] ومفضَّل ابن عم هٰرون، ويُقال بها سبعون نبياً، انتهى.

قبر يوشع بن نون

وقال الحنبلي في تاريخه: ودُفن يوشع بن نون في قرية كفر حارس من أعمال نابلس، وقيل إنَّه مدفون في المغارة، انتهى. وهناك بركة من الماء واسعة، مبنيَّةٌ بالأحجار العالية الشَّاسعة، ثم زُرنا فيها أيضاً نبيَّ الله المفضَّل عليه السلام وله قبر كبير مبنيٌّ بالأحجار البيض العظام، وهو بين هاتيك الأشجار القيام، وزرنا أيضاً نبيَّ الله المنصُور في جامع عتيقٍ مُتهدِّم مهجور، فجلسنا في هاتيك المرجة الخضرا، بين كلّ زهرة حمرا، وزهرة صفرا، حتّى جاءت لنا بالضّيافة أهلُ هاتيك القرية، واستمرَّ بنا ذلك الطَّعام، واستمرّينا إلى أن صَلَّينا صلاة الظهر مع الأقوام، ورأينا في تلك القرية شاباً مجذوب[2]، لا يتكلَّم مع أحدٍ من اصطلامه في شهود المطلوب، واسمه الشيخ محمد بن حماد، فجاء إلى عندنا وقعد معنا في ذلك المكان المستجاد، وقد بلغنا أنَّه بعد اجتماعنا به بمدة قليلة، انطلق في الكلام مع الناس، غير أنَّه على أسلوب المجاذيب، لا خدعة عنده ولا حيلة، ولولدنا الفاضل إبراهيم جلبي بن الراعي، حفظه الله من النظام، في ذلك المقام:

نبي الله المفضَّل

نبي الله المنصور

مجذوب

شَرُفَتْ بالربيع كلُّ الأراضي	وتباهَتْ به على كلّ فصلِ
وغدا زهرُه يفوحُ علينا	حيثُ كنّا بالوصل من غير فصلِ

---

(١) يشوع، بم يكن مشترعاً ولا نبياً، بل قائداً حربياً فذّاً دخل باليهود إلى أرض كنعان بعد حروب ومجازر مذهلة، وأخباره مبسوطة في «سفر يشوع»، مات في حدود سنة ١٤٢٠ ق. م. النهج القويم في التاريخ القديم، هارفي بورتر، بيروت سنة ١٨٨٤م صفحة ١٢٢ ـ ١٢٤.

(٢) هكذا كتبت في الأصول لتوافق السجع.

قرية جماعيل

ثم سِرنا وذَهَبَ معنا جَماعةٌ وفارَقَنا آخرون حتى وصلنا بجماعتنا أجمعين إلى قـرية جمَّـاعين، بفتح الجيم وتشـديد الميم مفتـوحةً بعـدها ألف، وكسـر العين المهملة، وسكـون المثناة التحتيـة، بعدهـا نون، كمـا هو المشهـور بين أهل تلك البلاد. وقال ابن قاضي شهبـة في تاريـخ الإسلام: جمـاعيل بـاللام مكان النّون، ولعلّه الصواب[1]، وكان قد دعانـا إلى زيارتـه / في تلك القريـة الشيخ الصَّالح، والفالح النّاجح، الشيخ عبد الحق الزّيتاوي العمري، اجتمعنا به في نابلس المحروسة، فتقدمنا إلى تلك القرية المـأنوسـة، فبتْنا عنـده تلك الليلة المبـاركة مـع جماعتنـا وإخوانـا، وقد كنّـا محفـوفين بعنـايـة الله تعـالى وحراسة الملائكة، وقد أضفنا بما تيسَّر من الـزاد، وأضاف الله تعـالى الدوابَّ بحشيش تلك البـلاد، وقُلتُ في ذلـك من النـظام على سبيـل الارتجـال في الانسجام:

أ/٣١

الشيخ عبد الحق الزيتاوي المصري

بقـريـةِ جمَّـاعينَ جئنـا جمـاعـةً	من الخيـر جمَّـاعين كـلّ كمـالِ
كـأنَّ وجوه القـوم في سـاعـة النّدىٰ	بـدور تـمـامٍ في ظـلام لـيـالِ

وزُرنا قريباً منها بقيَّة أولاد يعقوب عليهم الصَّلاة والسلام، في قبَّة هناك تـظهر من بعيـد لأعين الأنام، وزرنـا أيضاً قـريباً منهـا السيد علم الهـدىٰ عليه رحمةُ الله تعالى كلَّما خفي النّهارُ وبدا، ودعونـا بما تيسَّـر من الأدعية المقبـولة إن شـاء الله تعالى، وقـد زُرنا في تلك القـرية ديـار أجدادنـا بني قدامـة الذين هـاجروا من هـاتيك البـلاد لمّا استـولت عليهم الـظلامـة، وأخـذ الكفّـار بيت المقدس فهجروا الدّيار والأوطان وجاؤوا مـع من جاء من علمـاء بيت المقدس وصلحـائها الكـرام، إلى دمشق الشَّـام، وسكنـوا بـالصَّالحية في ذيـل جبـل

بنو قدامة

(١) جمَّاعيل هي القـرية التي خرج بنو قـدامة منهـا إلى دمشق وبنوا دير الحنابلة والمدرسة العمرية وجامع الحنابلـة في الصالحية ومن أشهرهم أحمد بن قدامة الأب وولـداه أبو عمـر، والموفَّق، صاحب كتاب المغني. وأما ابن شهبة فهو الشيخ تقي الدين أحمد الأسدي الدمشقي، والكتاب مخطوط، وقد طبع قسم من مختصره في المعهد العلمي الفرنسي بدمشق سنة ١٩٧٧، وسيذكر الشيخ النابلسي مقطعاً من الكتاب المذكور عن هجرة بني قدامة، فيما يلي.

قاسيون، وبنى فيها الشيخ أبو عمر بن قدامة جامعه المشهور ومدرسته المعمورة بالبركات والنُّور.

قال العلاَّمةُ ابن قاضي شهبة في تاريخ الإسلام: وفي سنة سبعٍ وستمائة، توفي الشيخُ أبو عمر[1] محمد بن أحمد بن محمد بن قُدامة شيخ الصَّالحية والمقادسة، الزَّاهد العابد أخو الشيخ الموفَّق، ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بقرية جماعيل من نابلس، وهاجر من بلاده ونزل دمشق بمسجد أبي صالح بباب شرقي، فأقام به ثم انتقل إلى الجبل فقال الناس: الصَّالحية الصَّالحية، نسبوهم إلى مسجد أبي صالح لأنهم صالحون، ولم يكن بالجبل عمارة إلاّ أماكن يسيرة، وكان معتدل القامة حسن الوجه عليه أنوار العبادة، لا يزال مبتسماً، قرأ القرآن وحفظ الخرقي / وسمع الحديث بمصر، ويخرج من الثلث الأخير إلى المسجد إلى الفجر، ويصوم الدهر إلا من عذر، ويصعد يوم الاثنين والخميس إلى مغارة الدم فيصلي فيها ما بين الظهر والعصر، وإذا نزل من الجبل، جمع الشّيحَ وربطه بحبلٍ وحمله إلى بيوت الأرامل واليتامى، ويصرف عليهم الدرهم والدقيق، وكان ينام على الحصير، ويأكل خبز الشعير، وكان يُجاهد في سبيل الله، ويحضر الغزوات، وكان مُجاب الدّعوة وكراماته كثيرة، مرِضَ أيّاماً يسيرةً، فلمّا كان عشيَّة الاثنين ثامن عشرين ربيع الآخر جمع أهلَهُ واستقبل القبلة وأوصَاهم بتقوى الله ومراقبته، وأمرهم بقراءة ما تيسَّر، وكانَ آخر قوله «إنَّ الله اصطفى لكم الدِّين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون». وتوفي رحمهُ الله وغُسِّل وقت السَّحَر، ونشَّف الرجال والنساء الماء الذي غسلوه به، بالمقانع والعمائم، ولم يتخلَّف عن جنازته أحدٌ، وكان يوماً مشهوداً، ولمّا خرجوا بجنازته، كان يوماً شديد الحرّ، فأقبلتْ غمامةُ فأظلَّت الناس إلى قبره، وكان يُسمع فيها دويٌّ كدويّ النَّحل، ولولا المعتمد وسيف الدولة ما وصل إلى القبر من كفنه شيء.

الشيخ أبو عمر وسيرته

٣١/ب

---

(١) انظر ترجمته في أول الجزء الثاني والعشرين من سير أعلام النبلاء، ولا سيَّما في المصادر الكثيرة التي ذكرها المحققان في الهامش.

ولمّا دُفن رأى بعضُ الصَّالحين في منامه تلك الليلة النبيَّ ﷺ وهو يقول: من زار أبا عُمر ليلة الجمعة فكأنّما زار الكعبة[1]، ومات عن ثمانين سنة، ولم يُخلِّف ديناراً ولا درهماً، انتهى ملخَّصاً.

فنظرنا إلى تلك الدِّيار، ولم يبقَ منها إلا الآثار، فوجدنا آثار قوم صالحين، ورأينا أماكن شريفة قد مَحَتْها حوادث الأوقات والأحايين، فأنشأنا من النظام في ذلك المقام حيث قُلنا:

مدْحُ بني قدامة

بجمَّاعين دار بني قُدامهْ	سقىٰ جنباتها صوبُ الغمامهْ
رسُوم منازلٍ جارتْ عليها	يدُ الحدثانِ ناضيةً حُسَامهْ
وغيَّرت الدهور سنا رُباها	وقد محت الملاحَةَ والشَّهامهْ
وقفتُ أُسائل الأطلال عنهم	فلم تُرجعْ لسائلها كلامهْ
/ألا يا ديارُ، أين ذوو المعالي	وأين ذوو المفاخر والكرامهْ
وأين ذوو العلوم ومن تَسامُوا	بأنواعِ الهدىٰ والإستقامهْ
هنا سكنوا وقد ساروا لأمرٍ	به من لم يَسِرْ حلّت ندامهْ
وجمَّاعين عنها فرَّقتهُم	فلم تُجْمع لهم حتّى القيامهْ
وهم بالصالحيَّةِ من دمشقٍ	جُدودي يُعرفون بنو قُدامهْ
عليهم رحمةُ الرحمن والتْ	صلاةُ الله تاليةً سلامهْ
مدىٰ الأيام ما النَّسمات هبَّتْ	على روضٍ وغرَّدت الحمامهْ

١/٣٢

وقد أطلعَنا الشيخُ عبد الحق المذكور على قصيدة للشيخ الإمام العالم أحمد بن سالم الخلوتي، يمدحُ بها هذه القرية المنسوب إليها الشيخُ الإمام، الشيخ موفق الدين بن قدامة وأخوه الشيخ أبو عُمر، والحافظ بن سرور المقدسي رحمهم الله تعالى، من الوزن والقافية وهي قوله:

---

(١) الشيخ أبو عمر فوق ما ذكروا، نظر ترجمته في حوادث سنة ٦٠٧هـ من الجزء الثامن من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي الذي عاصره، وأمّا المنام المذكور فهو أضغاث أحلام، ولا يجوز ذكره لو كان صحيحاً، لأن المنام شرعاً لا يُلزم إلا صاحبه، وهو من المبالغات التي تضرُّ ولا تنفع.

أحمد الخلوتي
يمدح بني قدامة

رأيتُ الدَّار دارَ بني قُدامهْ ... وآثار الكرام لها علامَهْ
فقلتُ لها: دويرةُ هل تقومي ... فقالت لا أقوم إلى القيامهْ
لجمَّاعين منزلنا قديماً ... أتينا والدِّيارُ لها شهامهْ
وقد طابتْ أويقاتي وغنَّتْ ... على نوحي بناديها حمامهْ
وقالت أين قومك قلت حلُّوا ... بأرضٍ لا تحلّ بها ملامَهْ
كرامٌ من كرامٍ من كرامٍ ... فدع عنك الحسُود ودع كلامهْ
وأصلهم القديم سما بقومٍ ... منازلهم على أكناف رامهْ
نزيلهمُ إذا وافىَ حِماهم ... وجاور لا تحلُّ به ندامَهْ
ونالوا في رباهم كلَّ مجدٍ ... ولا تعلو منازِلُهم غرامهْ
وساحات الكرام لها سُمُوٌّ ... ويفخر مَنْ أراد بها إقامَهْ
ومَن ينزل حماها في أمانٍ ... وغاية أمره فيها السَّلامهْ
أتيتُ ديارَهُم وسألتُ عنهم ... أجابوا بالعزازة والكرامهْ
وحيُّوني بألفاظٍ عِذابٍ ... عليها أنُس آل بني تُهامَهْ
وعندهم فتىً من أهل زيتا ... فليتي أن أكون له غلامَهْ
/محمَّد الوليّ ومن تَسامىَ ... عن الأقران تكفيه الإمامهْ
أقام بأرضهم، أحيا رُسوماً ... لهم درسَتْ وحياها استقامهْ
وعبد الحقّ سار على طريقٍ ... قويمٍ، والصَّلاح له علامَهْ
وأهل الدّار كلّهم أناخوا ... بسَاحةِ من تُظلّله الغمامهْ
عليه صلاة ربّي كلّ وقتٍ ... بتكرارٍ إلى يوم القيامَهْ
وآلٍ ثم صحبٍ ثم صهرٍ ... وأتباعٍ تواليهم كرامهْ
وإنّي السَّالميُّ وقد نزلنا ... كأني قد حللتُ بأرض رامهْ

٣٢/ب

اليوم الخامس عشر

[الاثنين غرَّة رجب ـ ١٠ نيسان/أبريل]

ثم لما أصبحنا في يوم الاثنين الخامس عشر من أيام الرحلة، شدّ كلٌّ منّا للسَّفر رَحلَهْ، فزرنا في تلك القرية الشيخ محمد الزيتاوي أخا الشيخ عبد الحق المذكور، ثم سِرْنا على بركة الله تعالى، فمررنا في الطريق على قرية

قرية مَرْدىٰ

مَرْدى، بفتح الميم وسكون الراء ودال مُهملة بعدها ألفٌ مقصورة، فقرأنا الفاتحة لمن دُفن بها من الصَّالحين، وأخبرنا الشيخ ثلجي سلَّمه الله تعالى أن أحد أجداده مدفون فيها فقرأنا الفاتحة ودَعَوْنا الله تعالى بما تيسَّر لنا من الدعاء، ولم نزل سائرين، وإلى جهة بيت المقدس متوجهين حتَّى وصلنا إلى عقبة اللُّبَن، بتشديد اللاّم مضمومة، وتشديد الباء الموحَّدة مفتوحةً بعدها

خان عقبة اللبن

نون، وهناك خان وبركة ماء، فنزلنا ساعةً وأبدلنا الحركة بالسّكون ثم أكلنا ما تيسَّر من الزاد، وشكرنا ربَّ العباد، وشربنا من ذلك الماء اللطيف الذي يُطفي

قبر عمرو بن أمية الضَّمري

حرارة الأكباد، ثم ركبنا وصعدنا تلك العقبة الكَؤُود، وبذلنا في قطعها المجهود، فمررنا بقبر عمرو بن أميَّة الضَّمري الصحابي المشهور[1]، وقرأنا له الفاتحة، وأهديناها إلى جنابه المعمور، وقرأنا الفاتحة في قبالة ذلك الضَّريح المشهور بأنَّه قبر عبد الرحمن بن عوف، الصحابي رضي الله عنهما.

قرية سِنْجِل

ثم دخلنا قرية سِنْجِل بكسر السّين المهملة وسُكون النون وميم مكسورة وآخره لام، فصَلَّينا فيها الظهر بالجماعة، وجلسنا فيها ساعةً لأمر اقتضاه الحال

٣٣/أ

عين يبرود

في ذلك المقام، ثم سِرْنا إلى أن وصلنا إلى قرية عين يبرود / فنزلنا بها في ذلك المنزل المعهود، الذي هو لنزول الضيفان معدود، وفي قبالته مسجدٌ عالٍ يُصعد إليه بدرجات، وهو من غير سقفٍ تجتمعُ الناس فيه للصلوات، فبتنا بها تلك الليلة مع الجماعة في خير كامل وعيشٍ شامل.

---

(١) توفي في المدينة المنوَّرة في حدود سنة ٥٥هـ، وكذلك عبد الرحمن بن عوف الصَّحابي المشهور رضي الله عنه، فقد توفي أيضاً في المدينة المنوَّرة. انظر الأعلام ومصادره.

اليوم السادس عشر

[الثلاثاء ٢ رجب - ١١ نيسان/ أبريل]

فلمّا أصبحنا يوم الثلاثاء، السادس عشر من أيام الرحلة القدسية والحضرة الأنسيَّة، ذهبنا نقطع الفلاة بالسَّير، ونصافح كفوف القفار بأقدام الخيل المعقود بنواصيها الخير، حتى وصلنا إلى قرية البيرة[1] بكسر الباء الموحدة وسكون المثنّاة التحتيَّة وفتح الراء آخره هاء ساكنة، فنزلنا هناك سَاعةً من الزمان، ثم ركبنا وسرنا وكان الله لنا هو المستعان، فقرأنا الفاتحة في الطريق لنبي الله شمويل ونبي الله بنيامين من أولاد يعقوب، أخو يوسف الصديق. ثم لم نزلْ سائرين، وبأجنحة الدوابّ طائرين حتى صعدنا العقبة، وأشرفنا على القدس الشريف، وما منّا إلاّ وقد هزَّتْهُ الأشواق إلى زيارة ذلك البلد المنيف، فنسينا عند رؤيتنا ذلك، ما قطعنا من تلك العقبات، وابتهجنا بأنواع الراحة والمسرَّات، ولله درّ الحافظ الشيخ ابن حَجَر العسقلاني حيثُ قال حين وصل إلى القدس الشريف، وتمتَّع برؤيةٍ بهجة هاتيك المباني:

قرية البيرة

إلى البيت المقدَّس قد أتينا ... جنان الخلد نُزلاً من كريمِ

قطعنا في مسافته عقاباً ... وما بعد العقاب سِوىٰ النَّعيمِ

وقوله عقاباً في الأوّل جمع عَقَبة، وفي الثاني بمعنى العذاب، وفي الكلام توريةٌ باللفظ المستطاب، وقُلنا نحن كذلك، وقد قطعْنا بمعونة الله تعالى وحفظه هاتيك المفاوز والمهالك:

أتينا بفضل اللّهِ نبغي الهُدىٰ وقد ... قطَعْنا جبالاً شامخاتٍ إلى القدسِ

كأنّا سَلَكْنا بالرّياضة باطناً ... إلى أن دَخَلْنا في ذرىٰ حضرة القدسِ

---

(١) انظر الموسوعة ١/٤٨١.

المدرسة الجرّاحية بالقدس

فوصلنا إلى مزار الشيخ جرّاح[1] فوقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بالخير والإصلاح، وهذا المزار في المدرسة الجرّاحية، قال الحنبلي /في تاريخه: وهي بظاهر القدس الشريف من جهة الشمال ولها وقف ووظائف مرتّبة، نسبتها لواقفها الأمير حسام الدين الحسين بن شرف الدين عيسىٰ الجرّاحي أحد أمراء الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب، ووفاته في صفر سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ودُفن بزاويته المذكورة انتهى.

٣٣/ب

دخول القدس

وقد خرج للقائنا في ذلك المكان، جماعة من المشايخ والأعيان، وقد نشروا الأعلام على جهة الإفهام، بكمال المودَّة والإعلام، يتلُون البراة الشّريفة والصلوات، إلى أن أقبلنا على باب المدينة مع هاتيك الجماعات، منهم الشيخ الإمام العالم العلاّمة العمدة الفهّامة، الهُمام الفاضل، والمقدَّم الكامل الشيخ أحمد بن الشيخ صلاح الدين العلمي، وولده المكرَّم الفاضل الشيخ أبو بكر وأخوه فخر الأفاضل، وعمدة أرباب الفواضل الشيخ علي، ومنهم التقيّ العابد والنّاسك الزاهد، الشيخ محمود السّالمي، ومنهم الحسيب النسيب الفاضل الأريب السيد خليل إمام الشّافعية بالمسجد الأقصى، ومنهم الإمام الأديب الكامل التهذيب، قريبنا الشيخ محمد بن جماعة، الخطيب بالمسجد الأقصى، وغير ذلك من الخاص والعام من الإخوان أهل التعظيم والاحترام، وقد استقبلنا فقراء الزّاوية الأدهميّة[2] في الطريق. وحصلت لنا البركة بلقائهم ومصافحتهم، فنعم ذلك الفريق، حتى دخلنا من باب المدينة الذي يسمى

علماء القدس

---

(١) هي الزاوية الجرّاحية في القدس وتضم مع الضريح مسجداً كتب عليه بالخط النسخي: «... هذا قبر الأمير حسام الدين الحسين بن عيسى الجرّاحي رحمه الله ورحم من ترحّم عليه، توفيّ إلى رحمة الله تعالىٰ في صفر سنة ٥٩٨. انظر صورة الزاوية والضريح والكتابة المذكورة في: «أجدادنا في بيت المقدس» للدكتور كامل العسلي عمان ١٩٨١م، صفحة ١٠٤ ـ ١٠٦ والموسوعة ٣/٥٣٥، وكنوز القدس/١١٣.

(٢) هي كهفٌ عظيم تحت مقابر «السّاهرة» وهي من بناء الأمير سيف الدين منجك نائب دمشق المملوكي، ورأس أسرة منجك والمتوفىٰ سنة ٧٧٦هـ بالقاهرة، وكان البناء سنة ٧٦٢هـ، وقد أوقفت على هذه الزاوية أوقاف كثيرة، ولا تزال إلى اليوم: انظر الأنس الجليل للحنبلي ٦٣/٢، والموسوعة ٥٣٩/٣.

باب العمود[1]، فإذا هو كبير عظيم واسع عالٍ كأنه قطعة من جُلمود، وسور بيت المقدس سُورٌ جديد متين مشيد قويّ الأركان عظيم البنيان، يحيط بالبلاد كلّها وهدها وسهلها، مبنيٌّ بالشّيد والحجر المنحوت، وفي داخله جميع الأماكن والبيوت، وقد أخبرنا أنّه من بناء السلطان الملك المظفر سليمان خان[2]، من ملوك آل عثمان، أيّدهم الله تعالى ونصرهم على ممّر الأزمان.

أبواب القدس

ولمدينة القدس عشرة أبواب منها هذا الباب المذكور الذي هو باب العمود/ وهو من جهة الشمال، ومن هذه الجهة أيضاً باب آخر يُسمّى باب الداعية المتوصل منه إلى حارة بني زيد، وباب يُسمّى باب دير السّرب وباب السّاهرة، ومن جهة القبلة باب حارة المغاربة وباب صهيون المعروف الآن بباب داود، ومن جهة الغرب باب صغير بلصق دير الأرمن، وباب المحراب المعروف الآن بباب الخليل، وباب يعرف بباب الرحبة، ومن جهة الشرق باب الأسباط.

٣٤/أ

---

(١) لمدينة القدس سبعة أبواب مستعملة وأربعة مغلقة، والأبواب المستعملة:
١ ـ باب العمود الذي يعرفه الأجانب باسم باب دمشق، وقد بناه السّلطان سليمان القانوني فوق أنقاض صليبيّة ورومانية قديمة، وهو في منتصف الحائط الشمالي للسور.
٢ ـ باب السّاهرة، ويعرفه الغربيّون بباب هيرودوس، شرقي الأول، وهو عثماني البناء.
٣ ـ باب الأسباط ويعرفه الغربيون باب القديس اسطفان، في الحائط الشرقي وهو عثماني أيضاً.
٤ ـ باب المغاربة في الحائط الجنوبي للسور وهو أصغر الأبواب.
٥ ـ باب النبي داود أو باب صهيون وهو باب كبير في الجنوب أيضاً.
٦ ـ باب الخليل أو باب يافا في الغرب.
٧ ـ الباب الجديد فتح سنة ١٨٩٨م في الجزء الشمالي.
وأبرز الأبواب المغلقة باب الرحمة الذي يعود إلى العصر الأموي، وهو باب مزدوج تعلوه قوسان، وقد أُغلق أيام العثمانيين، الموسوعة ٣/٥١٧ وما بعد.

(٢) من أعظم سلاطين بني عثمان، بعد محمد الفاتح، حكم قرابة خمسين عاماً بعد وفاة والده السلطان سليم، ووصلت فتوحاته إلى النمسا، كما بنى عدداً كبيراً من المساجد والتكايا منها التكية السليمانية والمدرسة السليمانية بدمشق، وقد توفي سنة ٩٧٤هـ.

ولنا من النظم في شأن الوصول، وما اتفق من الدخول:

سَعِدْنا في دخول القدس لمّا صعدنا في ذُرا أوج السُّعودِ
ولا عجب إذا الأقدار مِنّا سَمَتْ وترفَّعت أعلى الوجودِ
فإنَّا قد تفاءلنا لأنَّا دخلنا القدس من باب العمودِ

المدرسة اللؤلؤية

فأوَّل ما دخلنا من باب العمود، فاستبقنا به من باب إلى باب، ووجدنا في جانب الشمال مزاراً لطيفاً له مسجد ومحراب، وفيه ضريح الشيخ لولو غازي صاحب الكرامات المشهورة والفضائل المأثورة[1]، فوقفنا وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسَّر من الدعاء، ثم انحدرنا في تلك النَّزْلة وحثَّ كلٌّ منّا رحلَه، وحرَّك رِجلَه، ومررنا في ذلك السُّوق العامر، ورأينا به الخير الغامر، حتى أقبلنا على الحرم الشريف وشهدنا نور ذلك المقام المنيف، وقُلنا في ذلك من النظام اللطيف:

ولِلَّهِ يوم القدس إذ طلعتْ بنا ركائبنا كالنَّجم في طالع السَّعدِ
وسِرْنا إلى تلك البلاد نزورها إلى المسجد الأقصى، إلى منتهى القصدِ
فيا حُسن وقتٍ قد أتينا بجمعنا ومن سوق قطّانين لاحت رُبا نجدِ
وأشرقتِ الأنوار للحرم الذي تقدَّس بالتفضيل والفخر والمجدِ
وجِئْنا فأقبلنا عليه كأننا من البُعد أقبلنا على جنَّة الخلدِ

أبواب مسجد الأقصى

فدخلنا من باب القطّانين إلى تلك السَّاحة الواسعة والحضرة النّورانية الشّاسعة. وللمسجد الشَّريف أربعة عشر باباً، منها ثلاثة مسدودة: باب التَّوبة وباب الرحمة وهما بابان متَّحدان في السور الشرقي من/ داخل الحائط، ممَّا يلي المسجد، والباب الآخر بالسور الشرقي بالقرب من البابين المذكورين من جهة القبلة، والأحد عشر باباً من جهة الغرب: باب القطانين الذي دخلنا منه

٣٤/ب

---

(١) هي المدرسة اللؤلؤية، واقفها الأمير لؤلؤ غازي في حدود سنة ٧٨٠هـ، وقد توفي الواقف سنة ٧٨٧هـ، أي أنه لم يكن ولياً وإنما كان من أرباب السيف. الأنس الجليل ٢/ ٤٦. انظر صورة المدرسة وما تحتاجه من ترميم اليوم في كنوز القدس/ ٢٤٣.

وباب الغوانمة وباب الناظر وباب الحديد وباب المتوضأ وباب السلسلة وباب السكينة وباب المغاربة ويسمى باب النبي، ومن جهة الشمال: باب الأسباط وباب حطّة وباب شَرَف الأنبياء[1].

ورأينا ذلك الحرم الشريف والمسجد الذي هو غنيّ عن التعريف.

ذَرْعُهُ

وذرعُه كما ذكره الحنبلي في التاريخ[2]، طولاً من حائط السّور القبلي إلى صَدر الرواق الشمالي ستمائة وستّون ذراعاً، غير عرض السُّورين، وعرضاً من السُّور الشَّرقي إلى الرواق الغربي أربعمائة وستة أذرع، غير عرض السُّورين، على التقريب، واتفق لنا أن الذين كانوا يقرؤن البُرأة الشَّريفة قُدّامنا على الترتيب، وصلوا في حال دخولنا للحرم المبارك، وهو اتفاق عجيب، إلى قوله فيها:

سَرَيْتَ من حرمٍ ليلاً إلى حرمٍ كما سرى البدر في داجٍ من الظلمِ

حزب البحر

ثم شرعوا في قراءة حزب البحر للشيخ الإمام العارف بالله تعالى أبي الحسن الشّاذلي[3] قدَّس الله سره، إلى أن وصلنا إلى المدرسة السلطانية[4]

---

(١) انظر الأنس الجليل ٢/٢٨ وما بعد، ويعرف باب شرف الأنبياء بباب الدّويدارية لمجاورته المدرسة الدويدارية. أما باب القطانين فهو من أعظم الأبواب وقد جدد عمارته السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٧هـ.

(٢) الأنس الجليل ٢/٢٤، حيث ذكر أن القياس تم بحضوره.

(٣) أبو الحسن عليّ بن عبد الله الشاذلي، من تونس وقيل من سبتة، أكبّ على طلب العلم في فاس وتتلمذ على أصحاب الجنيد ثم التجأ إلى الأسكندرية فعظم صيته وأحبّه الناس، وذكر ابن بطوطة نقلاً عن الشيخ ياقوت عن أبي العباس المرسي، أن الشاذلي كان يحجّ في كل سنة ويُجاور بمكة في شهر رجب ويبقى حتى انتهاء الحج وفي آخر حجة له سنة ٦٥٦هـ، مات في «حميثرا» في صحراء عيذاب في صعيد مصر ودفن هناك وبنيت قبة على قبره، ومن تلاميذه أبو العباس المرسي وابن عطاء الله السكندري.

أما حزب البحر، فهو دعاء ذائع الصيت سُمي بهذا الأسم لأنه يُتلى عند السفر في البحر، وقد أورد ابن بطوطة نصّه كاملاً في رحلته، وللشاذلي أحزاب أخرى وأوراد شتى. انظر رحلة ابن بطوطة ٢٥/، والموسوعة الإسلامية ٣٦٨/٧ و٥٦/١٣.

(٤) المدرسة السلطانية وتُعرفُ أيضاً بالأشرفية، بناها السُّلطان الأشرف قايتباي بالقرب من باب =

وصعد الناسُ معنا حتى غُصَّتْ بهم هاتيك الأماكن المرتفعة العليَّة، وحين أقبلنا علىٰ المدرسَة المذكورةِ، رأينا باباً عظيماً مصنوعاً من الأحجار المنحوتة الملوَّنة المحفورة، وعليه رواق المدرسَة مبنيٌّ بالأعمدة الرُّخام، والأحجار الكبار العظام، والعقد المقبىٰ العالي، وكمال الرونق والبهجة كالكوكب المتلالي، حين صعدنا في نحو خمسين درجَة من الدَّرجات الكبار المبنيَّة بالمنحوت من الأحجار، وهو درج ملفوف مشترك مع درج المنارة المشتملة من المحاسن على صُنوف، وفي أثناء الدَّرج شبابيك كبار من النّحاس مطلَّات على الحرم، ينظر الصَّاعدُ فيها إلى الناس، ثم دخلنا من فوق ذلك الدَّرج إلى عمارة، وذلك على/ مقدار النصف من درج المنار، فعبرنا إلى درجٍ واسع الفضا، مُزخرف الجوانب بالأحجار المنحونة إذا طلعت عليه الشمسُ أضا، يطل عليه أربع شبابيك من شبابيك المدرسة، معقودة من النحاس الأصفر، يروق في المنظر، ثم عبرنا من باب آخر مصنوع بالأحجار المنحوتة، والزّخارفُ والكتابات التي تظلّ العيون بها مبهوتة، فوجدنا ممشىً صغيراً مُبلَّطاً بالرخام، والدقيق الملوَّن من الأحجار العظام، وهناك جهتان مشتملتان على بابين، أحدهما على اليمين، والآخر على الشّمال، فالذي علىٰ الشّمال يُتوصَّل منه إلىٰ مطبخٍ وبيت طهارة وما يحتاج إليه من الأحوال، فأخذنا من ذلك جهةَ اليمين فوجدْناه باباً بمصراعين لطيفين، فدخلنا منه إلى ميدان من ألطف الميادين، مفروش جميعُه بالسُّماقي الملوَّن على ألوان، والرّخام الأبيض والدقّي من الحجارة التي تُزيِّن المكان، مسقوف بالسّقوف العجميَّة المدهونة التي تحيِّر الأذهان فإذا هي قاعٌ متقنة البنيان محكمةُ الأركان واسِعةٌ كبيرةٌ مُشرقَةٌ منيرة، تشتمل على أربعة إيوانات، وهي بالسُّقوف العجمية التي

وصف المدرسة السلطانية الأشرفية

٣٥/أ

= السلسلة سنة ٨٨٧ هـ فصارت جوهرة ثالثة بعد قبة الصخرة وقبة الأقصى كما يقول الحنبلي ٢/٣٥، وللتوسع في أمرها انظر: المدارس في بيت المقدس في العصر الأيوبي والمملوكي للدكتور عبد الجليل عبد المهدي، عمّان ١٩٨١م ٢/١٥٦ ـ ١٧٣. ولمعرفة وضع المدرسة اليوم وتطور أحوالها انظر كنوز القدس /ص ٣٠٦.

هي بأنواع الدّهان والأطلية مزخرفات وجميع جدرانها من داخلها معمولةٌ بالرخام والحجر السُّماقي الخام، وأنواع الفُصوص والأحجار الدقاق، فأرضها تحاكي حيطانها في زيادة البهجة والإشراق، وأرضيَّةُ الإيوانات الأربع مفروشة أيضاً بالسُّماقي والرخام وأنواع الأحجار الملوَّنة والفصوص المكوّنة، إيوانان منها كبيران واسعان متقابلان، أحدُهما أكبر من الآخر وأوسع، وهو القبليّ وفيه المحراب العظيم البنيان المتقن غاية الإتقان، .وإيوانان صغيران متقابلان، أحدُهما أصغر من الآخر، فالصغير منهما له شبّاكان مطلّان على الساحة العلوية التي ذكرتُها آنفاً، وكنتُ لها فيما تقدَّم واصفاً، والإيوان الآخر الذي يُقابلهُ منفتح الصَّدْر لمّاع فيه عامود من الرخام/ الأبيض وله شعيرةٌ مبنيَّةٌ من الأحجار الملوَّنة، في ارتفاع ذراع، وذلك مطلّ على الحرم الشريف، وصحن الصَّخرة العالي المنيف، وارتفاع سقوف الإيوانات والمدرسة يُسامت تلك المنارة، وكلّ ذلك مُعَمَّرٌ أكمل العمارة، وفي الإيوان القبليّ من الشرق، ثلاثة شبابيك كبار معقودة من النحاس الأصفر نزهةً للأبصار، مُطلّات على الحرم، وصحن الصخرة الشريفة، وفي جهته القبلية أربعة شبابيك كبار أيضاً كذلك، واحد منها يُطل على الحرم الشريف من جهة القبلة، والثلاثة مطلَّةٌ على دهليز المدرسة وتلك الظلَّة، وشباكان من الجهة الغربية، على تلك السَّاحة المذكورة السماوية، وفي الإيوان الشَّمالي شباكان كبيران من الجهة الشَّرقية، مطلّان على الحرم وسطح الصَّخرة الشريفة، وشبّاكان كذلك مِنَ الجهة الشَّمالية مطلّان على الحرم وهاتيك المسالك. ٣٥/ب

ومن الجهة الغربيّة شباكان أيضاً مطلّان على بيتٍ لطيف، لصيق المطبخ المذكور فيما تقدَّم من التعريف، وعلى الجُملة والتفصيل فهي مدرسَةٌ عظيمة ذات قدرٍ جليل، لم يُبن في الدنيا مثلها، كما يشهد به الجيل بعد الجيل، ولئن وجد مثلها، فلا يمكن أن يكون في مثل هذه البلاد المقدَّسة الحَرِيَّة بالتعظيم والتبجيل، وقُلنا في مدحها من النظم البديع، ما تُطرب به أسماعُ الجميع :

وصف المدرسة السلطانية الأشرفية شعراً

وسُلطانيـةٍ فـي الـقـدس كُـنّـا ... نـقـابـل فـوقـهـا طـوراً بطورِ

نَبِيتُ بـرفـرفٍ عـالٍ شـريـفٍ ... ونُصبح في ذرا أعلىٰ القصـورِ

وتلك أجلُّ مـدرسـةٍ تسـامتْ ... بـأنـواع المحـاسن في الـظهـورِ

شـبـابـيـكٌ كـبـار عـالـيـات ... تـروقـكَ في المساء وفي البكـورِ

مـطلّات عـلى تلك الـنـواحـي ... فـجـالـبـةٌ لأنـواعِ الـسُّرورِ

بهـا الحـرم المقـدَّس قـد تجلَّى ... لـسـاكنهـا بـأنـواعِ الحضـورِ

وقـبَّـة صـخـرةِ الله مـنـهـا ... تـلوح رفـيـعـة شـبـه الـبـدورِ

وتـبـدو قـبـة الأقـصـىٰ وبـاقـي ... قـبـابٍ ثَمَّ قـد حَـفَّـتْ بـسـورِ

وإيـوان يـقـابـلـه أخـوهُ ... على التـربيع في شكـل الصُّدُورِ

٣٦/أ

/وآخرُ فـي مـقـابـلـه مِـثـالٌ ... لـه يـزهـو بـأمـثـال الـزهـورِ

وأوسط ذلـك الإيـوان فـيـه ... بـديـع الـنقش لـمَّاع النُّحُـورِ

بـلاط كـالـبـسـاط لـه امـتـدادٌ ... هنـاك مـزخـرف كـوجـوه حـورِ

لهـا جهـةٌ أمـاطتْ عن حـلاهـا ... فـأدهشت العـيـونَ بـفـرط نـورِ

وأسفل ذاك حوض المـاء يجري ... وسيـع الصَّدْرِ ضحَّـاك الثُّغورِ

وجـانـبـه أنـابـيـبٌ تـحـاكـي ... مـراشـف ثغـر ربَّات الـخـدورِ

سـكـنّـا مـدَّةً فـيـهـا كـأنّـا ... بـجـنَّـات الـنـعـيـم وبـالـنُّـهـورِ

ومـا رأت الـعـيـون لـهـا نـظـيـراً ... ولـيس تَـرىٰ عـلى مـرِّ العـصُـورِ

مـكـانٌ نـزهـة الـدنـيـا وقـدسٌ ... شـريفٌ وهـو من أعلىٰ الأمـورِ[1]

وهي من بناء السّلطان الملك الأشرف قايتباي الشركسيّ تغمَّدَه الله برحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح جنانه[2].

---

(١) البيت الأخير غير موجود في النسخة الثالثة، وفيها الدهور بدل العصور في البيت السابق.

(٢) من أعظم سلاطين المماليك، وهو الحادي والأربعون من ملوكهم، تولى الملك في رجب سنة ٨٧٢هـ واستمر فيه حتى وفاته في يوم الأحد ٢٧ ذي القعدة سنة ٩٠١هـ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين، فهو والحالة هذه من أكبر سلاطين المماليك عمراً، انظر بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس، الجزء الثالث بتحقيق محمد مصطفى، وفيه كل ما جرى في عهده =

وقد ذكر الشيخُ محمد بن الشيخ يوسف الباعوني في التاريخ المنظوم[1] الذي ذيَّلنا عليه بذكر الدَّولة العثمانية، وجرينا على أسلوبه المعلوم عند ترجمة السلطان الأشرف قايتباي وذكر ماله من الخيرات والعمائر فقال:

وعمَّـر السُّلطان أيضـاً مـدرسـةْ ... في المسجد الأقصى غدت مؤسسةْ
في غـايـةِ الإتـقـان والإحكـامِ ... بـزخـرفِ الـطُّرْزِ وبـالـرّخـامِ
يحـار في نـعـوتهـا الـمفكِّـرْ ... وبـالـجنـان حسنـهـا يـذكَّـرْ
ومن غـريب مـا بـه قـد وُصفتْ ... مـع كـونهـا على السَّطوح رصفتْ
بمُـرتـقىً تـعـدَّدتْ سـلالـمـهْ ... وأحكمت في وضعهـا معـالِمـهْ
إن بعيـرهـم لـوسـطهـا صَعَـدْ ... بتنبكٍ يـسـمـعـه كـلُّ أحـدْ

وتحت المدرسة المذكورة مسجد الحنابلة، يصلُّون فيه الصلوات الخمس على حدة، وقبالته بحرة كبيرة مُربَّعة الشكل، يجري إليها الماءُ من نوفرةٍ في وسطها صغيرة، وبالقرب منها قبَّةٌ صغيرة، حولها أنابيب يجري فيها الماء لمن أراد الطهَّارة، بِفَتْلِ أنابيبها، فتمسك الماء وتُرسله.

ثمّ لما استقرَّينا مع الجماعة المذكورين، واطمأنينا في المدرسة المذكورةِ/جالسين، قرأنا الفاتحة في تلك السَّاعة، وتفرَّقتْ تلك الجماعة، وكان ذلك الوقتُ قبيل الظُّهر بيسير، فأرسل لنا إلى المدرسة المذكورة بالضيافة المشتملة على الألوان الكثيرة كالروض النَّضير، غب الوصول بالتيسير، صاحبُ القدر الخطير والجاه الكبير، الحسيب النسيب، السيد عبد

٣٦/ب

الاستقرار بالمدرسة السلطانية

= من وقائع وأحداث، وقد كان ملكاً جليلاً خيِّراً محباً للعمران، وعن الأيام الأخيرة من حياته انظر الصفحة ٣٢٣ من المصدر المذكور، وعن وصول خبر وفاته إلى دمشق انظر تاريخ البصروي بتحقيقنا ـ دمشق سنة ١٩٨٨م، صفحة ١٨٢.

(١) هو «القول السديد الأظرف في مسيرة الملك المنصور الأشرف»، وأما ذيله للشيخ عبد الغني النابلسي فهو «الأبيات النورانية في ملوك الدولة العثمانية». انظر هدية العارفين ٦/٢٢٥ و٥/٥٩٠.

اللطيف أفندي، فإنّه عين هاتيك البلاد القدسيَّة، وصدر أهلها في المحافل الأنسيَّة.

صفة الصلاة في الحرم

ثمَّ لمّا سمعْنا الأذان، خرجنا مسرعين من ذلك المكان، فنزلنا وصلّينا صلاة الظهر مع الجماعة، في جامع الصَّخرة الشَّريفة التي هي بالأنوار لمَّاعة، وكانت صلاتنا خلف إمام مذهبنا الإمام الحنفي، فإنَّ عادتهم إذا فرغ المؤذنون من الأذان في الظّهر والعصر، فأوّل ما يُصلّي إمام المالكية في جامع المغاربة، وخلفه المبلّغ له المقتدي به، وعلى الصُّفَّة في الخارج مبلّغ آخر مقتدٍ به، وفي صحن الصَّخرة مبلّغ آخر غير مقتدٍ به، فإذا فرغ يُصلّي إمام الشّافعية في المسجد الأقصى، وخلفه مُبلّغٌ مقتد به، وعلى الصفة في الخارج مبلّغٌ آخر مُقتدٍ به، وفي صحن الصَّخرة مبلّغ آخر غير مقتدٍ به، فإذا فرغ صلّى إمام الحنفية بجامع الصَّخرة، وله مبلّغٌ مقتد به، وفي سطح الصَّخرة من الخارج مبلّغ آخر غير مقتد به، فإذا فرغ صلى إمام الحنابلة في المسجد الذي تحت المدرسة السلطانية[1].

وأمّا في المغرب والعشاء والفجر فكل إمامٍ يصلّي بجماعته من غير تهيّب، وأمّا صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء فإنها تُقام في المحراب الذي على صحن الصَّخرة الشريفة ويخطب الخطيب في المنبر الذي بجانب المحراب[2]، وللصَّلاة هناك فضيلةٌ عظيمةٌ، ومزيّة جسيمةٌ؛ وردتْ بها

---

(١) جامع المغاربة في صحن المسجد الأقصى من جهة الغرب، ربما كان من بناء عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأما مسجد الحنابلة فهو مجمّع بُني تحت المدرسة السلطانية مكان الرواق الغربي خلف منارة باب السلسلة من جهة الشمال، وفي المسجد الحرام، والجامع الأموي يختلف هذا الترتيب، إذ يبدأ الشّافعي، ويليه الحنفي فالمالكي وأخيراً الحنبلي. انظر الأنس الجليل ٣٢/٢. ومن الضروري أن نُنوه هنا إلى أن كلمة «المسجد الأقصى» كان يراد بها، كما ذكر الحنبلي وغيره، جميع الأماكن الواقعة ضمن السور، أي الحرم القدسي الشريف بكامله، ومن ضمن ذلك قُبّة الصخرة المشرفة، والمسجد الكبير جنوبي الحرم، أي المسجد الأقصى، وغير ذلك. أمّا جامع الصَّخرة فهو جزء من المسجد الأقصى وليسا شيئاً واحداً كما يظن بعضهم.

(٢) يُسمّى منبر برهان الدين، على رأس السلّم المقابل للباب الجنوبي لقبة الصخرة، وقد عمّرهُ قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، المتوفى سنة ٧٩٠هـ. انظر الموسوعة ٥٤٠/٣.

الأخبار، وصرَّحت بذكرها الأئمة الكبار، فروى النسائي[1] في سننه بإسناده عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أن سُليمان بن داود لمّا بنىٰ بيت المقدس، سأل الله عزّ وجلّ خلالاً ثلاثاً: سأل الله عزّ وجل حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عزّ وجل مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه / وسأل الله عزّ وجلّ حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحدٌ لا ينهزه إلا الصلاة فيه، أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدتْه أمُّه. وروى ابن ماجة[2] في سننه بإسناده عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: لما فرغ سُليمان بن داود من بناء بيت المقدس، سأل الله عزّ وجلّ حكماً يصادفُ حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده، وأن لا يأتي هذا المسجد أحدٌ لا يُريد إلا الصَّلاة فيه، إلا خرج من ذنوبه كيومِ ولدته أمه، فقال النبي ﷺ: أمّا اثنتان فقد أُعطيهما وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة.

٣٧/أ

فضائل الصَّلاة في المسجدالأقصى

وفي كتاب الروض المستأنس في فضائل بيت المقدس: وعن كعب الأحبار[3] رضي الله عنه قال، لما فرغ سُليمان عليه السلام من بناء بيت المقدس، وضع القربان فر رحبةِ المسجد، ثم قام على الصخرة، ثم قال بعد ثناء وحمدٍ، اللّهم أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال أن لا يدخل إليه مذنبٌ لم يتعمَّدْهُ إلا لطلب التَّوبة، أن تتقبَّل منه وتتوب عليه وتغفر له ذنبه، ولا يدخل إليه خائف إلا أمِن منْ خوفه، ولا يدخل إليه سقيمٌ لا يعمده

---

(١) هذا هو الحديث الوحيد الذي رواه النّسائي في فضائل المسجد الأقصى في كتاب المساجد ٢/٣٤ طبعة ١٩٣٠.

(٢) حديث ابن ماجة يحمل الرقم ١٤٠٨ في سننه.

(٣) يتردد اسمه كثيراً، وهو كعب بن ماتع بن ذي هجن الحميري، كان من أحبار اليهود في الجاهلية، وأسلم زمن أبي بكر، وقدم المدينة زمن عمر فأخذ عنه الصحابة كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وأخذ هو من الكتاب والسنّة عن الصحابة، ثم هاجر إلى حمص وتوفي فيها سنة ٣٢هـ عن نيف ومائة عام.

انظر ترجمته في الأعلام ومصادره، وانظر تهذيب الكمال للحافظ المزّي، طبعة دار المأمون ص ١١٤٥.

إلا لطلب الشفاء أن تشفيه من سُقْمِه، ولا يدخل إليه مُقحطٌ لم يعمده إلا لطلب الاستسقاء أن تسقي بلاده وأن لا تصرف بصرك عمّن يدخله حتى يخرج منه، اللّهم أجب دعوتي وأعطني مسألتي فاجعل علامة ذلك أن تقبل قرباني، فنزلت نار من السّماء فاحتملت القربان وصعدت إلى السّماء.

الصلاة في الأقصى

وروى ابن ماجة في سننه بإسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة، وصلاته في مسجدي بخمسين ألف صلاة، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة[1]. وروى أيضاً بإسناده عن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: قلتُ يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس قال / أرض المحشر والمنشر، إيتوه فصلوا فيه، فإنَّ صلاةً فيه كألفِ صلاةٍ في غيره، قلتُ أرأيتَ إن لم أستطع أن أتحمَّل إليه، قال فتُهدي إليه زيتاً يُسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه[2].

٣٧/ب

وروى أبو داود السّجستاني في سننه[3] عن ميمونة أيضاً رضي الله عنها قالت يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، قال: ائتوا فصلّوا فيه، وكانت البلاد إذ ذاك حرباً، فإن لم تأتوه وتصلّوا فيه فابعثوا بزيت يُسْرَجُ في قناديله.

وفي إتحاف الأخصّا في فضائل المسجد الأقصى للشيخ إبراهيم السّيوطي، روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، من صلى في بيت المقدس غُفرت له ذنوبه كلُّها، وعن أبي أمامة الباهليّ رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: من حَجَّ البيتَ أو اعتمر وصلّى ببيت المقدس وجاهد ورابط فقد استكمل جميع سُنّتي.

---

(١) السنن، الحديث ذو الرقم ١٤١٣، ج١/ ٤٠٥٣، وإسناد الحديث ضعيف.
(٢) سنن ابن ماجة بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الحديث ذو الرقم ١٤٠٧.
(٣) شرح سنن أبي داود للشيخ محمود خطاب السّبكي ٤/ ٦٤.

فضائل الصلاة في المسجد الأقصى

وعن أحمد بن أنس عن حبيب المؤذن عن أبي زياد الشيباني، وأبي أميَّة الصّمغاني قال: كنّا بمكّة، فإذا رجلٌ في ظل الكعبة، وإذا هو سفيان الثوري، فسأله رجل فقال يا أبا عبد الله، ما تقول في الصَّلاة في هذه البلدة فقال بمائة ألف صلاة، قال ففي مسجد رسول الله ﷺ، قال بخمسين ألف صلاة، قال ففي بيت المقدس قال بأربعين ألف صلاة، قال ففي مسجد دمشق قال بثلاثين ألف صلاة.

وعن مكحولٍ عن كعب الأحبار رضي الله عنه: من أتى بيت المقدس فصلّى عن يمين الصَّخرة وعن شمالها ودعا عند موضع السّلسلة، وتصدّق بما قلّ أو كثر، استجيب دعاؤه، وكشف الله حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه، وإن سأل الله تعالى الشّهادة أعطاه إيّاها.

وعن مكحول: من صلّى في بيت المقدس ظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً، ثم صلّى الغداة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه، وقال من خرج إلى بيت المقدس لغير حاجةٍ إلا الصلاة فيه فصلّى فيه خمس صلواتٍ صبحاً وظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه[1]، / انتهى، قلت بدأ بالظهر في الرواية الأولى لأنّ الظهر أول صلاةٍ ظهرت في الإسلام، فإنَّ صبيحة يوم المعراج، لم يجب على الأمّة صلاة الفجر لأنَّهم لم يكونوا يعرفونها ولا بلغهم ذلك، حتى بلّغهم الصلاة رسولُ الله ﷺ، وأنَّها فُرضت عليهم كذا وكذا، فكان أول ذلك صلاة الظُّهر، وقد اتّفق لنا ولله الحمد أن أول صلاة صلّيناها في بيت المقدس صلاة الظُّهر في رحلتنا هذه كما قدّمناه، وفي الرواية الثانية بدأ بصلاة الصُّبح لأنَّها أول النّهار.

٣٨/أ

(١) لو صلّى الإنسان هذه الأوقات الخمسة في جوف الكعبة نفسها ما خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه!!! فهل المسجد الأقصى أفضل من المسجد الحرام؟ إن هذه الأحاديث وأمثالها تسيء إلى المسجد الأقصى وإلى الإسلام نفسه الذي لا يُغدق المكافآت الخيالية لمجرد أن يصلّي الإنسان هنا أو هناك، وهذا لا يكون إلا بالحجّ المبرور، كما ثبت عن رسول الله ﷺ.

فضائل لمسجد الأقصى

وفي كتاب إتحاف الأخصّا أيضاً، وعن كعب قال: شكا بيتُ المقدس إلى ربّه الخراب، فأوحىٰ اللّهُ تعالى إليه، لأملأنك خدوداً سُجّداً يزفّون إليك زفيف النُسور إلى أوكارها، ويحنُّون إليك حنين الحمام إلى بيضها، فقال رجل لكعب، اتّقِ الله يا كعب وإنَّ له لساناً قال نعم، وقلباً كقلبك أو كقلب أحدكم.

قال، وشكا بيت المقدس إلى ربّه، فقال له رجلٌ من أهل الشّام، وهل له لسانٌ يا كعب؟ قال نعم وأذنان، فقال الله تعالى سأملأك خدوداً سُجَّداً يزفُّون إليك زفيف النّسور إلى أوكارها، ويحنُّون إليك حنين الحمام إلى بيضها، قال في المصباح المنير، زفّ الرجل يزفّ، من باب ضرب، أسرعَ، والاسم الزفيف، ذكر ذلك في الزاي المعجمة والفاء.

أحاديث غريبةً لمكحول في المسجد الأقصى

وعن عبد الله بن يزيد عن مكحول قال: من زار بيت المقدس شوقاً إليه دخل الجنّة مُدلّلاً وراه جميع الأنبياء في الجنة وغبطوه بمنزلته من الله تعالى، وأيّما رفقة خرجوا يُريدون بيت المقدس إلا شيّعهم إليه عشرة آلافٍ من الملائكة يستغفرون لهم ويصلُّون عليهم ولهم مثل أعمالهم، وإذا انتهوا إلى بيت المقدس فلهم بكل يوم يُقيمون فيه صلاة سبعين ملكاً، ومن دخل بيت المقدس طاهراً من الكبائر تلقّاهُ اللّهُ بمائة رحمة، ما منها رحمةٌ إلّا لو قُسّمت على جميع الخلائق لوسعتْهم، ومن صلّى في بيت المقدس ركعتين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه، وله بكلّ شعرةٍ من جسده حسنة، ومن / صلّى ببيت المقدس أربع ركعات مرَّ على الصِّراط كالبرق وأُعطي أماناً من الفزع الأكبر يوم القيامة، ومن صلّى في بيت المقدس ست ركعات أعطي مائة دعوةٍ مستجابة أدناها براءة من النار ووجبت له الجنّة، ومن صلّى في بيت المقدس ثمان ركعات كان رفيق إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومن صلّى في بيت المقدس عشر ركعات كان رفيق داود وسُليمان عليهما الصلاة والسلام في الجنّة، ومن استغفر الله للمؤمنين

٣٨/ب

والمؤمنات في بيت المقدس كان له مثل حسناتهم، ودخل على كل مؤمن ومؤمنة من دعائه سبعون مغفرة، وغُفرتْ له ذنوبه كلّها.

وعن قتادة عن أنَسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: من صلّى ببيت المقدس خمس صلواتٍ نافلة، كلّ صلاةٍ أربع ركعات يقرأ في الخمس صلوات عشرة آلاف مرة قل هو الله أحد، فقد اشترى نفسه من الله تعالى وليس للنّار عليه سُلطان[1].

وصف الصَّخرة الشريفة

ثم بعد أن فرغنا من صلاة الظهر ودَعْونا الله تعالى بما تيسَّر من الدعاء، ذهب معنا خَدَمة المكان إلى الزيارة والتبرُّك بهاتيك الآثار الحسان، فأوّل ما زرنا الصَّخرة الشريفة ذات الأنوار الواضحة التي بها مطيفة، ورأينا أمراً عظيماً على أسلوب هائل، وهيكلاً مُباركاً يحوي أنواع الفضائل، وهي الصَّخرةُ العظيمة والدرَّةُ اليتيمةُ، فدرنا حولها والتمسنا فضلها وطولها، ودعَوْنا الله تعالى عند رؤيتها بما تيسَّر من الأدعية المقبولة، والتوسلّات المطلوبة المأمولة، وهي صخرةٌ طولها نحو العشرة أذرع، وعرضها نحو الخمسة أذرع، وسمكها من جهة القدم الشّريف نحو الذراعين، ومن الطرف الذي يقابله أقل من ذلك بكثير، وهناك محراب لطيف على أعمدة الرّخام، مُتّصل بالداير الخشب، الذي يحيط بالصَّخرة، بحيث إنَّ المصلّي إليه يكون مستقبلاً للكعبة والصَّخرة الشريفتين، فصلّينا إليه ركعتين/ودعونا الله تعالى، ويُسمّى هذا المحراب بمحراب الخضر عليه السلام، ثم دخلنا تحتها، وجلنا في ذلك المجال، بعد نزولنا إليه بأربع أو خمسٍ من الدرجات، مع الإكرام والإجلال، فصلّينا ركعتين في تلك المغارة المباركة، التي لا تزال مهبطاً لأنوار الملائكة ودعونا الله تعالى مستقبلين القبلة، نحن ومن معنا من الجماعةِ، فكان وقتاً مُباركاً، لا بعده ولا قبله، وقد ورد في فصل الصَّخرة أخبار كثيرة وآثار غزيرة، فمن ذلك

٣٩/أ

فضلُها

---

(١) هذه الأحاديث ظاهرة الوضع، وهي من زمرة الأحاديث السّابقة.

ما ذكره في كتاب باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس قال: وعن أبي هُريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: الأنهارُ كلُّها والسُّحاب والرِّياح من تحت صخرة بيت المقدس، وعن أبي عبيد قال: اختلف عبد الله بن مسعود وعبادة بن الصَّامت في شيء، فقال عبادة بن الصَّامت لا والذي كانت له صخرة بيت المقدس مقاماً أربعين سنة، ما كان كذا وكذا، فصدَّقه عبد الله بن مسعود، انتهى. قلت ولعل معنى ذلك أنَّ كَوْن الصَّخرةِ مقاماً له، أي الله تعالىٰ، يعني كونها قبلةً لعبادته تعالى هذه المدَّة، وهي مُدَّة صلاته عليه الصلاة والسلام قبل النبوَّة وبعدها إلى الصَّخرة حتَّى تحوَّلت القبلة إلى الكعبة، ويدل عليه ما سيأتي قريباً من قول عبادة بن الصَّامت ورافع بن خديج إن الله تعالىٰ قال لصخرة بيت المقدس، هذا مقامي إلى آخره، ويؤيدهُ ما ذكره البيضاوي في تفسير قوله تعالىٰ ﴿**وما جعلنا القبلة التي كنتَ عليها**﴾[1]، أي الجهة التي كنت عليها، وهي الكعبة، فإنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يصلي إليها بمكَّة، ثم لمَّا هاجر أُمر بالصلاة إلى الصخرة تألّفاً لليهود، وكذا ذُكر هذا في تفسير المدارك للنَّسفي.

ومن ذلك ما ذكره في إتحاف الأخصا، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: المياهُ العذبةُ والرياحُ اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس، وعن أُبيّ بن كعب في قوله تعالىٰ ﴿**ونجَّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**[2]﴾ قال الشَّام، وما من ماءٍ عذب إلا ويخرج من تحت الصَّخرة التي ببيت المقدس.

الماء يخرج من تحتها

وعن أبي العوام، مؤذن بيتِ المقدس قال، قال كعبُ: ما شُرِبَ من ماء عذبٍ إلاَّ ويخرج من تحت هذه الصخرة، وعن أبي العالية قال: من بَركتها، يعني صخرة بيت المقدس، أنَّ كلَّ ماء عذبٍ يخرج من أصلها، وعن الصَّلتِ بن دينار عن أبي صالح عن نون البكالي قال: الصخرةُ يخرج من

(١) سورة البقرة/١٤٣.

(٢) سورة الأنبياء/٧١.

تحتها أربعة أنهارٍ من الجنّة: سيحان وجيحان والفرات والنيل.

وعن خالد بن معدان/ عن عبادة بن الصَّامت قال، قال رسول الله ﷺ: صخرةُ بيت المقدس على نخلة والنَّخلة على نهرٍ من أنهار الجنة، وتحت النخلة آسيَّة امرأة فرعون ومريم ابنة عمران ينظمان سموط أهل الجنة إلى يوم القيامة. ٣٩/ب

فضائل الصخرة

وعن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: صخرةُ بيت المقدس من صخور الجنة، وعن أبي إدريس الخولاني أنَّه قال يُحوِّلُ الله يوم القيامة صخرة بيت المقدس مرجانةً بيضاء كعرض السماء والأرض، ثم يسيرون منها إلى الجنة والنار. وعن ثور بن يزيد عن عبد الله بن بشر عن كعب قال: إن في التوراة، يقول الله لصخرة بيت المقدس، أنتِ عرشي الأدنى، ومنكِ رُفِعَت السَّماء ومن تحتك بُسِطَتِ الأرض وكل ماءٍ يسيل من ذروة الجبال من تحتك، من مات فيك فكأنَّما مات في سماء الدنيا، ومن مات حولك فكأنّما مات فيك لا تنقضي الأيَّام والليالي، حتى أرسل عليك نوراً من السماء فيأكل آثار أكف بني آدم وأقدامهم منك، وأرسل عليك ماءً من تحتِ العرش وأغسلك حتى أتركك كالمهاة، وهي البلّورة كما في القاموس، وأضرب عليك سوراً من غمامٍ غلظه اثنا عشر ميلاً، وسياجاً من نور، وأجعل عليك قبَّة جبلتها بيدي، وأنزل فيك روحي وملائكتي يُسبِّحون فيك. لا يدخلك أحدٌ من بني آدم إلى يوم القيامة، فمن يرى ضوء تلك القبة من بعيدٍ يقول طوبى لوجهٍ يخرّ فيكِ ساجداً، وأضرب عليك حائطاً من نار، وسياجاً من الغمامة وخمس حيطانٍ من ياقوت ودرٍّ وزَبَرجَد، أنت البيدر وإليك المحشر ومنك المنشر.

وقال الله تعالىٰ لصخرة بيت المقدس: مَن أحَبكَ أحببتُه، ومَن أحَبكَ أحبَّني، ومن يشنأك شنيتُه، عيني عليك من السنة إلى السنة، لا أنساك حتى أنسىٰ يميني، ومن صلّى فيك ركعتين أخرجتُه من الخطايا كما أخرجتُه من بطن أمّه، إلا أن يعود إلى خطايا مستأنفة تكتب عليه، لا تذهبُ الأيام والليالي

حتى يُحشر إليك كلُّ مسجدٍ يذكر فيه اسم الله تعالىٰ، يحفُّون بك حفيف الرَّكب بالعروس إذا أُهديت إلى أهلها، أنزل عليك نوراً من السَّماء يأكل ما داستْه أقدام بني آدم وما مسَّتْهُ أيديهم.

٤٠/أ وهذا/ حديث ذكره الحافظ أبو محمد القاسم وفيه: ضمنت لمن سكنك ألَّا يعوزه أيَّام حياته خبز البر والزيت، وفيه: لا تنقضي الأيام حتى أُنزلك في ذروة كرامتي، منك المحشر وإليك المنشر.

وعن عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهَهُ قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: سيد البقاع بيتُ المقدس وسيِّدة الصخور صخرةُ بيت المقدس، وعن ابن عباس: صخرةُ بيتِ المقدس مِن صخورِ الجنة.

وعن كعبٍ قال: الكعبةُ بإزاء البيت المعمور في السَّماء السَّابعة الذي يحجُّهُ الملائكة، لو وقعت منه أحجار لوقعت على أحجار البيت، والجنة في السَّماء السَّابعة بإزاء بيت المقدس والصخرة. ولو وقع منها حجر لوقع على الصخرة، ولذلك دُعيتْ أُشْلِم ودُعيت الجنة دار السلام، ومعنى أشلم بيت السَّلام كما سبق بيانه وضبطه.

وعن الزُّهري عن وهب قال: قال الله تعالىٰ لصخرة بيت المقدس: فيكِ جَنتي وناري. وفيك جزائي وعقابي، فطوبى لمن زاركِ أو قال رآكِ.

وعن الوليد بن مُسلم عن جابر قال سمعتُ عمير بن هانيء العبسيّ يقول: يجعل الله صخرة بيت المقدس مُرجانةً بيضاء يوم القيامة، فيكون هو عليها ومَن أحبَّ من خلْقِه، بمعنى أنَّه يتجلَّى هو عليها بتجلٍّ خاص يعلمه سبحانه، ويظهر لخاصَّة عباده في ذلك اليوم، وفي رواية: يُحوِّل الله صخرة بيت المقدس يوم القيامة مُرجانةً بيضاء كعرض السَّماء والأرض، ثم يَضَعُ عليها عرشَه ويضع ميزانه، ويقضي بين عباده ويصيرون منها إلى الجنَّة والنَّار.

وعن إبراهيم بن أبي عبلَة قال، سُئِل عبادة بن الصامت ورافع بن خديج

وكانا عقبيين بدريّين[1]، فقيل لهمـا أرأيتما مـا يقول النـاسُ في هذه الصَّخـرة أحقٌّ هو فنأخـذبه أو هـو شيء أصله من أهل الكتـاب فندعـه، فقالا كـلاهما: سبحان الله ومن يشكُّ في أمرها، إن الله عزَّ وجلَّ لما استوى قـال لصخرة بيت المقدس هذا مقامي وموضع عرشي يوم القيامـة ومحشر عبـادي، وهذا مـوضع جنَّتي عن يمينها وموضع ناري عن يسارها، / وفيه أنصبُ ميزاني أمامها، وأنـا الله ديَّان يوم الدِّين، ثم استوي إلى عليين.

٤٠/ب

وعن عبـد الرحمن بن منصـور قال سمعتُ أبي يقـول، قـدم مقـاتـل بن سُليمـان إلى بيت المقدس وجَلس عنـد باب الصَّخـرة القبليّ واجتمعنـا إليـه، خلق كثيـر من الناس نكتب عنـه ونسمع منـه، فأقبـل عليه بـدويٌّ يطأ الأرض بنعلين على البلاط وطئاً شديداً، فسمعه فغمَّه ذلـك وقال لمن حـوله انفـرجوا عنّي، فانفرج النّاس عنه، وأهوى بيده يُشيـر إليه ويـزوره ويقول أيهـا الواطىء ارفق بوطئِك، فوالذي نفس مقاتل بيده إنّما تطأ على أجاجين الجنَّة، وأمَّا هذا الذي عليه الحـائط كلّه مديـراً، أو قال السُّور مديـراً، ما فيـه موضـع شبرٍ إلا وصلّى عليه نبيٌّ مرسل أو ملكٌ مقرَّب، انتهى. والأجاجين بالجيمين مـا يحوط على الأشجار شبه الأحـواض، وهي في الأصل جمـع أجَّانـة بالتشـديد، إنـاء تُغسل فيه الثياب، ذكره في المصباح المنير.

خَلْعُ النّعل في المسجد الأقصى

قلتُ: والذي ينبغي ،أن لا يدخل أحدٌ بالنّعلين إلى المسجد كلّه مسجـد الصَّخرة وغيره، وإن كان الوارد هنـا عن مُقاتـل، إنما هـو في مسجد الصَّخـرة المرتفع الذي يُصعد إليه بالدَّرج وحده، فإن الفضيلة الواردة للمسجـد كلّه كما يؤيّده آخر كلام مقاتل رحمه الله تعالى.

وقد أخبرونا أنه وردت الأوامـر السُّلطانية بـالنَّهي عن المشي بالنعلين في المسجد كلّه، وتكلّفوا ذلك مدة من الزمان، ثم تركوه لما يجدون في ذلك من الحرج، خصوصاً في زمن الشتاء، وقد رأيناهم جعلوا تختاً طويلاً من الخشب

---

(١) شهدا العقبة وغزوة بدر.

يوضع زمن الشتاء من عند باب جامع الصَّخرة إلى عند الدَّرج الذي من جهة الغرب، يدوسون عليه بالنِّعال، وهو مُخلٌ بالاحترام أيضاً، ومما يشمله أيضاً قول مقاتل المذكور فيما مرَّ أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يستقبل جهة الصَّخرة الشريفة ببول أو غائط، كما يُكره ذلك كراهة تحريم في استقبال جهةِ الكعبة.

وذكر الحنبليّ في تاريخه فقال: روى أبو داود في سننه[1] أن رسول الله ﷺ نهى أن تُستقبل / القبلتان ببولٍ أو غائط، وعن نافع عن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ لا تستقبلوا واحدةً من القبلتين ببولٍ أو غائط، ورُوي تحريم ذلك عن الشعبي، وفي إتحاف الأخصّا في خطبته، بعد كلام طويل: وقد أشرقَتْ قبَّةَ الصَّخرة الشَّريفة على السُّها، وأزهرت مصابيحُ أُنْسِها في سماء قُدْسها، والصخرة قائمة بنفسها، رفعها الله الذي رفع السماء بغير عمد ترونها، فأنشدتُ:

١/٤١ أ

بلغ الصدودُ المنتهى ... والقلبُ عنكم ما انتهىٰ
وإذا رضيتم حالتي ... فيكم فذاك المشتهىٰ
ها قد حللتُ بأرضكم ... متفيّىءٌ في ظلِّها
مُستمطرٌ من سحبكم ... أهنا هواطل وبْلها
فلئن سمحتم فهو من ... عاداتكم وأجلِّها
وعوارفُ الحسنىٰ لكم ... معروفةٌ من أصْلها

وذكر الشيخُ علي الحلبي[2] في سيرته قال، قال أبو بكر بن العربي[3] في شرحه لموطَّأ مالك: صخرة بيت المقدس من عجايب الله تعالى، فإنها

---

(١) انظر شرح سنن أبي داود للشيخ محمد خطاب السبكي ١/٥١.

(٢) ابن ابراهيم بن أحمد، القاهري الشافعي، وسيرتُه هي «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون» ولد سنة ٩٧٥هـ وتوفي سنة ١٠٤٤هـ. انظر أول الجزء السابع من معجم المؤلفين، ومصادره.

(٣) توفي في الأندلس سنة ٥٤٣هـ. انظر معجم المؤلفين ١٠/٢٤٢ ومصادره. وهو صاحب الكتاب المعروف «العواصم من القواصم».

هل الصخرة معلَّقة في الهواء؟

صخرةٌ شعثاء في وسط المسجد الأقصى، قد انقطعت من كلّ جهةٍ، لا يُمسكها إلا الذي يُمسك السّماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، في أعلاها من جهة الجنوب قدم النبي ﷺ ، وفي الجهة الأخرى أصابع الملائكة التي أمسكتْها لمّا مالت، ومن تحتها المغارة التي انفصلَتْ من كلّ جهةٍ، فهي معلَّقةٌ بين السماء والأرض، وامتنعتُ لهيبتها أن أدخل من تحتها لأني كنت أخاف أن تسقط عليَّ بالذنوب، ثم بعد مدَّة دخلتُها فرأيتُ العجب العجاب، تمشي في جوانبها من كلّ جهةٍ، فتراها منفصلةً عن الأرض، لا يتَّصل بها من الأرض شيء ولا بعض شيء، وبعض الجهات أشدُّ انفصالاً من بعض، انتهى[1].

قلت والظَّاهر، والله أعلم، أنّ هذا البناء المبني الآن حول الصّخرة إنما بناه الإفرنج لما استولوا على بيت المقدس، لئلا يبقىٰ هذا الأمر العظيم الذي فيه ظهور/شأن الإسلام. قال الحنبلي في التاريخ: والمشهورُ عند النّاس أنّ الصّخرة معلَّقةٌ بين السَّماء والأرض، حُكي أنها استمرت على ذلك[2] حتى دخلت تحتها امرأةٌ حامل، فلما توسطت تحتها خافت فأسقطت حملها، فبُني حولها هذا البناء المستدير عليها حتى استتر أمرها عن أعين الناس.

٤١/ب

وقد تقدم في ترجمة ابن العربي أنَّه دخل المشرق في سنة خمس وثمانين وأربعمائة، والظاهر أن قدومه كان في ذلك العصر، فعلى هذا، البناء المستدير حول الصَّخرة بعد هذا التاريخ والله أعلم، انتهى.

وأخْذُ الفرنج لبيت المقدس الأخْذَ الأول كان في سنة اثنين وتسعين وأربعمائة[3] بعد دخول ابن العربي إلى القدس بسبع سنين، فيحتمل أن يكونوا هم الذين بنوا هذا البنيان حول الصّخرة، وأخفوا هذه الآية الواضحة

---

(١) الأنسُ الجليل/١٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان/تموز ـ يوليو ١٠٩٩م.

على شرف الإسلام بباهر قدرة الله تعالى حين استولوا على البلاد، خصوصاً وقد بلغهم ما اشتهر بين الناس، أنّ نبيّنا مُحمّداً ﷺ لمّا صعد إلى السّماء من الصخرة ليلة المعراج، صعدت الصَّخرةُ خلفه، فأمسكتْها الملائكة، فوقفت بين السماء والأرض، فيكون ذلك أبلغ معجزةٍ لنبيّنا ﷺ ، دالةٍ على صدق نُبوَّته ورسالته إلى يوم القيامة، وهم مكذّبون بذلك، وهي مكذّبةٌ لهم فستروها عن أعين النَّاس بهذا البنيان الذي بنوه، والله أعلم، فإنه كان قصدهم إخفاء الصَّخرة وإهانتها على كل حال، ولهذا قال في مثير الغرام: وعن سعيد بن عبد العزيز قال: لما فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس، وجد على الصَّخرة زبلاً كثيراً مما طرحَتْهُ الروم غيظاً لبني إسرائيل، فبسط عمر رداءه فجعل يكنس ذلك الزبل، وجعل المسلمون يكنسون معه.

كانت الصَّخرةُ معلّقةً في الهواء

وقال الوليد، قال سعيد بن عبد العزيز، جاء بكتاب رسول الله ﷺ إلى قيصر وهو ببيت المقدس وعلى صخرة بيت المقدس مزبَلةٌ قد حازت محراب داود ممّا ألقَتْه النَّصارى عليها مضارَّةً لليهود / حتى إن المرأة لتبعث بخرق دمها من رومية فتلقى عليها، قال قيصر حين قرأ كتاب رسول الله ﷺ ، يا معاشر الروم إنْ تُقْتلوا على هذه المزبلة بما انتهكتم من حرمة هذا المسجد كما قُتلت بنو إسرائيل على دم يحيىٰ، فأمر بكشفها فأخذوا من ذلك، فقدم المسلمون الشَّام، ولم يكشفوا منها إلا ثلثها، فلما قدم عمر رضي الله عنه بيتَ المقدس وفتحها ورأى ما عليها من المزبلة عظم ذلك عليه، فأمر بكشفها وسخّر لها أنباط فلسطين، انتهى.

٤٢/أ

تطهير صخرة المشرفة

وفي اتحاف الأخصَّا، روي عن عطاء بن رباح أنّه قال، كانت صخرةُ بيت المقدس طولُها في السماء اثني عشر ميلاً، ويُقال إنه ليس بينها وبين السَّماء إلا ثمانية عشر ميلاً، وكان أهل أريحا يستظلُّون بظلّها وكان عليها ياقوتةٌ تغزل نساء البلقاء على ضوئها بالليل، قال ولم تزل كذلك حتى غلبت عليها

الروم بعد أن خربها بختنصَّر[1]، فلما صارت في أيديهم قالوا تعالوا نبني عليها أفضل من البناء الذي كان عليها، فبنوا عليها على قدر طولها في السماء وزخرفوها بالذهب والفضَّة ودخلوا إليها وأشركوا فيها، فانقلبت عليهم فما خرج منهم أحد، فلما رأى ملك الروم منهم ذلك، جمع البطارقة والشمامسة ورؤساءَ الروم وقال لهم: ما ترون؟ قالوا نرى أنا لم نُرْضِ إلهنا، فلذلك لم يَتَقَبَّلْ منَّا، قال فأمر الثانية، فبنوا فيها وأضعفوا النفقة، فلما فرغوا من البناء المرَّة الثانية دخلها سبعون ألفاً مثل ما دخلوا أول مرَّة، ففعلوا كفعلهم أوَّلاً، فلمَّا أشركوا انقلبت عليهم، ولم يكن الملك معهم، فلما رأى ذلك جمَعُهم الثالثة وقال لهم، ما ترون؟ قالوا نرى أنا لم نُرْضِ ربنا كما ينبغي، فلذلك هدم ما فعلناه ونحن نبني ثالثةً، فبنوا ثالثةً حتى إذا رأوا أن قد أتقنوها وفرغوا منها، جمع النَّصارى وقال لهم هل ترون من العيب شيئاً؟ قالوا لا، فكلَّلها بصلبان الذهب والفضة، ودخلها قوم قد اغتسلوا وتطيبوا فلما/دخلوا أشركوا كما أشرك أصحابهم من قبل فخرَّتْ عليهم ثالثة، فجمع ملكُهم رابعةً واستشارهم فيما يفعل وكثُر خوضهم في ذلك، فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم شيخٌ كبير، عليه برنسٌ أسودُ وعمامة سوداء، قد انحنى ظهرهُ وهو متوكىءٌ على عصاً فقال لهم يا معشر النَّصارى إليّ إليّ فإني أكبركم سناً وقد خرجتُ من معبدي لأُخبركم أنَّ هذا المكان قد لُعِن أصحابه، وأنَّ القدس نُزع منها وتحوَّل إلى هذا الموضع، وأشار إلى الموضع الذي بنوا فيه كنيسة القمامة قال: وأنا أريكم الموضع ولستم تروني بعد هذا اليوم أبداً، اقبلوا مني ما أقول لكم، وأغواهم

لماذا هوت إلى الأرض

٤٢/ب

---

(١) بختنصَّر أو نبوخذنصَّر من أباطرة الكلدانيين الأقوياء. دخل أورشليم أولاً سنة ٥٩٧ق.م عندما كانت عاصمة مملكة يهوذا، ثم عاد إليها ثانية سنة ٥٨٦ ق.م ودخلها عنوةً وجعل عاليها سافلها ودمَّر الهيكل وسبى أكثر من خمسين ألفاً من أهلها إلى بابل وهذا هو السّبي البابلي الثاني. انظر تاريخ سورية لفيليب حتي ٢١٩/١. ومعنى نبوخذنصَّر «نبو حامي الحدود» وقد بنى الحدائق المعلَّقة في بابل، وذكرت أخباره في الإصحاحات الأولى من سفر دانيال. وتوفي سنة ٥٦٢ق.م بعد حكم دام ٤٣ سنة. انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٩٥٤.

وزادهم طغياناً، وأمرهم أن يقلعُوا الصَّخرة ويبنوا بحجارتها الموضعَ الذي أمرهم به، وبينما هو يكلِّمهم ويقول لهم ذلك إذ خفي فلم يروه فازدادوا كفراً وقالوا فيه قولاً عظيماً، ثم إنَّهم خربوا المسجد واحتملوا العُمُد والحجارة وغيرها، وبنوا بها كنيستهم القمامة والكنيسة التي في وادي جهنَّم.

الأقذار فوق الصخرة وسببها

وكان الشيخ الملعون قد قال لهم: وإذا فرغتم من بناء هذا الموضع، فاتخذوا ذلك الموضع الذي يُلعن أصحابه ونُزِعَ القدسُ منه، مزبلةً لعذَراتكم، وبذلك تُرضون ربكم، ففعلوا ذلك حتى كانت المرأةُ تُرسِلُ بِخِرَقِ حيضها وأوسَاخها من القسطنطينية وتطرحها عليها، ومكثوا على ذلك مدَّة، حتى بعث الله نبينا محمداً ﷺ وأسرىٰ به إليها، وذلك من أجل خصائصها وعظيم فضلها.

عمر بن الخطاب ينظِّف الصخرة

وفي تاريخ الحنبلي قال: ولمَّا فرغ عمر رضي الله عنه من فتح إيلياء، يعني بيت المقدس وعزَّل الصَّخرة من القمامة، وأبقىٰ النَّصارى على حالهم بأداء الجزية، فسمى المسلمون كنيسة النَّصارىٰ العظمى عندهم قمامة تشبيهاً بالمزبلة، وتعظيماً للصخرة الشَّريفة، انتهىٰ وهذا هو السبب في تسميتها قمامة.

وقال في القاموس: والقُمامة بالضَّم الكُناسة، ونصرانيَّةٌ بنت ديراً بالقدس فسمِّي باسمها، انتهىٰ. وهذا وجه آخر في تسميتها قمامة، وقال المسعودي في تاريخه[1]/مروج الذهب: وابتدأ سُليمان عليه السلام ببنيان بيت ٤٣/أ المقدس، وهو المسجد الأقصىٰ، فلما استتمَّ بناءهُ بنىٰ لنفسه بيتاً، وهو الموضعَ الذي يُسمَّى في وقتنا هذا كنيسة القمامة، وهي الكنيسة العظمى ببيت المقدس عند النَّصارى.

وذكر ابن كثير رحمه الله تعالىٰ في تاريخه[2] بعد ترجمة عيسى عليه

---

(١) مروج الذهب ٢/٢٩٣.

(٢) البداية والنهاية: ٢/١٠١.

السَّلام وذِكْر صَلْب اليهود لذلك الرَّجل المشبَّه بعيسىٰ وأنَّهم جَعلوا مكانه قمامةً لهم وقال: ومن ثم اتخذوا الصلبانات وقبَّلوها لعنهم الله تعالىٰ، وأمرتْ أمُّ الملك، هيلانة، فأُزيلت تلك القمامة، وبُنيَ مكانها كنيسة هائلة مزخرفة بأنواعِ الزِّينة وهي هذه المشهورة اليوم ببلد بيت المقدس التي يُقال لها القمامة باعتبار ما كانت من قبل، ويسمُّونها القيامة، يعنون التي يقوم حينئذٍ المسيح منها، ثم أمرتْ هيلانةُ بأن تُوضع قمامةُ بيت المقدس وكناسته وقاذوراته على الصخرة التي هي قبلة اليهود، فلم يزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب بيت المقدس فكنس عنها القُمامة بردائه وطهَّرها من الأخباث والأنجاس، ولم يضع المسجد وراءها ولكن أمامها حيثُ صلَّىٰ النبيُّ ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء، وهو الأقصىٰ انتهىٰ.

كنيسةُ القيامة

فعلى ما ذُكر هنا يكون اسم الكنيسة بالقمامة باعتبار أنَّها كانت من قبل كذلك، تلقي اليهود قماماتهم، لا بسبب ما ذكره الحنبلي فيما تقدم قريباً، فيكون لما لم يُمكنْهم إخفاء الصَّخرة بالكليَّة، ولم يتيسَّر لهم بقاء ما عملوه من إهانتها، قد أظهرها الله تعالى بإظهار الإسلام وفتح بيت المقدس.

ثم إنَّهم لمَّا استولوا على بيت المقدس ثانياً في ذلك التاريخ المذكور بنوا البنيان حول الصخرة، وأخفوا هذه الآية الباهرة بُغضاً منهم لها وزيادة كُفر وعناد، والله أعلم بما هو الحقّ في نفس الأمر.

ثم لمَّا فتح المسلمون بيت المقدس في ثاني مرَّة[1]، ظنُّوا أنَّ الأمر كان في الأصل كذلك فأبقوه على حاله، ولم يُغيِّروا ذلك البنيان. وممَّا يؤيد كون صخرة بيت المقدس معلَّقة بين السماء والأرض ما ذكرناه فيما سبق مما ورد في الأحاديث، أن مياه الأرض / كلّها من تحت الصَّخرة، وكذلك الأنهار والرياح، فإنها لو لم تكن مُعلقةً بين السَّماء والأرض لم يتمَّ ذلك، والمُنصفُ يتأمَّلُ في الأخبار فيزيد عنده في ذلك استبصار.

٤٣/ب

(١) كان ذلك سنة ٥٨٣هـ على يد صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله.

مَن حلف أنّ الصّخرة معلّقةٌ

وفي فتاوىٰ العلّامة الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي[1] رحمه الله تعالى، سئل عمّن حلف بالطلاق الثلاث أن صخرة بيت المقدس مرتفعةٌ في الهواء بين السّماء والأرض، وحلف آخرُ أنّها متّصلةٌ موضوعة على البناء الذي تحتها ما الحكم؟ فأجاب: إن أراد الأوّل بارتفاعها في الهواء أنّها غير متّصلة بالبناء الذي بُني تحتها حنث لكذبه في ذلك، نعم إن غلب على ظنه ذلك فحلف اعتماداً على غلبة ظنّه، لم يحنث، وأمّا الثاني فلا يحنث لأنّ الاتصال بالبناء موجودٌ، فإن اتفقا على اتّصالها بالبناء وحلف واحدٌ أنّها معتمدة عليه لم يحنث، لأن الاعتماد أمرٌ مشكوك فيه، يُحتمل وجوده ويُحتمل عدمه، ومثل هذا لا يمكن أن يحنث فيه أحدهما، لأنّه تحكُّم، ولا هُما، لأن أحدهما صادق، فهو كمسألة ما لو قال: إن كان هذا الطائر غراباً فامرأتي طالق، فلا يحنث واحدٌ منهما ظاهراً، وإن كان أحدهما حانثاً قطعاً لعدم يقينه انتهى.

الحكمةُ في تعليق الصخرة

والحاصل أنّ الله تعالى أخفى آية الصخرة، بهذا البُنيان الذي حولها، حكمةً منه سبحانه، وإن كان أمرها لا يخفى على أهل البصائر وأصحاب القُلوب الطّاهرة والسّرائر، خصوصاً عند من يتأمّل في قوله تعالى **﴿سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾**، فإنّه يُفهم منه أنّ حكمة الإسراء من مكّة إلى بيت المقدس لأجل المعراج إلى السمٰوات، الذي هو مقصودٌ من ذلك لتلقي فرض الصلاة وغيره، ولم يكن المعراج ابتداءً من مكّة من غير إسراء إلى بيت المقدس، مع أن ذلك أسهل في حقّ النبي ﷺ، وأقل تعباً، ولكن ليُريه تعالى من آياته أي آية من آياته، وهي الصّخرة التي هي معلّقة بين السماء والأرض، ممسوكة بقدرة الله تعالى الذي يُمسك السّماء أن تقع على الأرض، ولو لم تكن معلّقةً / بين السّماء والأرض، لم تكن آية، فكونها آية أي دالة على أنّه

٤٤/أ

(1) أحمد بن محمد الأنصاري الشافعي، المتوفىٰ سنة ٩٧٣هـ. معجم المؤلفين ومصادره ١٥٢/٢.

تعالى، كذلك يُمسك نبيَّهُ ﷺ في عروجه من الأرض إلى السماوات، فيطمئن قلبه برؤية هذا الصَّخر الهائل العظيم الممسوك بقدرة الله تعالى، فالله تعالى قادرٌ أن يُمسكه في معراجه بقدرته تعالى كذلك، وأيضاً فإنَّ السمٰوات ممسوكةٌ بقدرته تعالى كالصَّخرة المعلَّقة بين السماء والأرض، فقد عرج من ممسوك بالقدرة، إلى ممسوكٍ بالقدرة، فلم يستوحش ﷺ في معراجه ذلك، وهذا من فتوح الوقت، ولم أجد من نبَّه عليه.

وبالجملة فاستتارها الآن بالبنيان لذهاب مقتضى ذلك في العيان، وقُلنا في ذلك، وأنَرْنا ليل الجهالة الحالك:

يا صخرة اللّهِ يا شريفهْ | مرفوعة في الهوى منيفهْ
تستَّرت بالبناء لبساً | من أعين الحاسدين خيفهْ

ولنا أيضاً في شأن الصَّخرة المباركة الميمونة التي هي على عجائب أسرار الله تعالى مأمونة:

وصف الصخرة شعراً

يا صخرةَ اللّهِ المعظَّمة التي | قلبُ المتيَّم عن هواها ما فتي
روحٌ تصوَّر في بواطن خاطري | نورٌ تجسَّد في ظواهر مقلتي
خالٍ بِخَدِّ المسجد السّامي الذُرا[1] | منه تعيَّنت الخطوط كنقطةِ
هي كعبة الأرواح طافت حولها | أسرارنا من قبل حجّ الكعبةِ
كالنفس في جسد الوجود وروحه | في طيِّ كعبتنا التي في مكَّةِ
منّي إليك تحيَّةٌ مقرونةٌ | بالصّدقِ، مَنْ لي لو تردّ تحيتي
هي صخرةٌ لانت لعارف فضلها | وقسَتْ على الجهّالِ أبلغ قسوةِ
سِرٌّ لطيفٌ لاح من أوج العلا | كالشّمس في الآفاق ذات أشعةِ
والمشركون لها بجهلٍ قابلوا | فيما مضى من طول تلك المدَّةِ
فهي الكثيفة في العيون لأنَّها | أضحت تسمّى في الورىٰ بالصخرةِ
والعارفون لهم تلوحُ لطيفةً | مثلَ الذي قد كان أوَّل مرَّةِ

(١) في النسخة الثالثة: الذي، بدل الذرىٰ.

وكـذلك الحجر الـذي هـو لم يـزل ... بـالكعبـةِ الغـرّاء ذات الـبهجـةِ
قـد كـان أبيض والـذنوب بشومها ... قـد سوَّدتْـهُ فـأسـودُ في الـرُّؤيـةِ
/اللّهُ أكبـرُ مـا أجـلَّ مقـام مَن ... للقـدس قـد وافى بقصـدِ زيـارةِ
ورأىٰ المشـاهد والقبـاب وما حوَت ... تلك الأمـاكن مـن كمـالٍ مُبهتِ
وصفت لـه تلك المشـارب بـالهنا ... وتمتَّعت منـه الـعيـون وقـرَّتِ
وبَدت لـه من حَـوْل صخرة ربّنـا ... أنـوارهـا كـالشّمس وقت ظهيـرةِ
ورأى الـذين جوارهـا قـد جـاوروا ... ونفـوسُهـم قـامت بصـدْقِ مـودَّةِ
ورأى سـنـا أرواح تـلك الأنـبيـا ... حـامتْ هنـاك ببكـرةٍ وعشيَّـةِ
لا زالـت الصلوات مـن ربّـي عـلى ... تلك النفـوس الـزّاكيـات الجمَّـةِ
أبـداً تروح وتغتـدي مـا غـرَّدت ... في الـروض ساجعةُ الحمام بـأيكةِ

44/ب

قصيدة أخرى للنابلسي

ولنا في ذلك أيضاً، وقد فاض به الإناء فيضا:

لـصخـرة الله نـور يـمـلأ الأفـقـا ... ولـيس يـدريـه إلّا من إلـيـه رقـا
وتلك مضغـة جسم الكون قد صلحتْ ... فـأصبَح الكونُ سعداً ليس فيـه شقا
سـرٌ عـظيـمٌ من الأسـرار مكتتمٌ ... في قلب مسجدها يـدريهِ أهـلُ تقىٰ
ومن رأىٰ صخـرةً فـالقلب منه قسا ... لأنَّـه لم يـزلْ بـالصَّخـر ملتحقـا
يا حُسن مسجدها المعمور حيث بـه ... حضرتُ في الصّلوات الخمس حيث لقا
ومُقلتي بهتت فـي لـطف بهجتـه ... والقلب مني إلـى أبـوابـه استبَقـا
وهـيبـةُ الأنـبيـا والأولـيـاء بـهِ ... يكـاد من جـاءهُ لا يعـرِف الـطّرقـا

شعر إبراهيم جلبي

ومن نظم ولدنا إبراهيم جلبي بن الرّاعي، سلّمه الله تعالى:

أيـا صخـرة اللّهِ فـيـك الـهـدىٰ ... ومـن قـد أتـاك غـدا أسـعـدا
لـقـد خـصّـنـا الـلّهُ فـي زورةٍ ... تـذكّـرنـا الـحجَـر الأسـعـدا

ومما وجدناه في ديوان الشيخ الكامل والعالم العامل الشيخ العلمي رحمهُ الله تعالى، يمدحُ الصَّخرة الشريفة والجوهرة المنيفة بقوله:[1]

---

(1) نسخنا هذه القصيدة كما وردت بالضبط بدون أدنى تعديل أو تصحيح لمعرفة مستوى الشعر في قمة الانحطاط وقارناها بما ورد في نسخة حلب (الأحمدية)، وبالنسخة الثالثة.

قصيدة الشيخ العلمي

يـا صخـرة الله أعلىٰ الله مثـواكِي | وبـالبهـا والـرضـا والنُّـور حـلاّكِي
يـا صخرةً رُفعت من غيـر أعمدةٍ | طوبى لمن في الورى يحظى برؤياكي
يـا صخـرةً قـد عَلَت قـدراً ومنـزلـةً | أرواحُ أهـل التقىٰ تنمـو بمثـواكي
/يا بُقعةً من جنان الخلد قـد بَـرزتْ | بكـلِّ خيـرٍ بـه مـولاك أولاكـي

٤٥/أ

يـا بُقعـةً بـالبهـا والنُّـور قـد مُلئتْ | ولم يـزل دائماً ذو الفضـل يغشـاكي
وبـارك الله فـيـكـي لـلأنـام ومَـن | فـوق الأراضـي بحـق الله رقّـاكـي
وكم فضـائـل أولاكِ الإلـه بهـا | وكم من اسم بـه سمّـاك مـولاكي
لكِي محبّـون في الآفـاق أجمعُهـا | وكلُّهم قـد حبُوا حقّـاً بحسنـاكي
بُشرى لمن زاركي بشرى لساكنكي | ذاك الـذي بـرضـاء الله وافـاكـي
وجنّـة الخلد تشتـاق اللقـاء لَكِي | وسـائـر الخلق تـأتيكي وتهـواكي
طُـوبى لأهـل التّقى حقـاً بـأجمعهم | مـا كـملوا قطّ إلاّ فـي محيّـاكـي
وسـائر الأنبيـا فيكي لقـد جمعـوا | في ليلةٍ سَـرَّهـا الإسـرا بلقيـاكي
وأسعدُ النـاس خيـر الخلق قـاطبـةً | صلّى بهم قـاصداً بـالـوجه تلقـاكي
وجـاءه الـوحي من رب العبـاد بمـا | قد صحّ واسألْ، بذا أولاك مـولاكي
وضـاعف الله فيـك الخيـر أجمعُـهُ | وخصّكي بـالبهـا حقـاً وأرضـاكي
بمـا أنـالـكِ من عِـزٍّ ومن شـرفٍ | ومن سُـرورٍ سمـا قـدراً بعليـاكي
ويجمـع اللّهُ فيـك الخلق قـاطبـة | كذا استماع النّدا من فوقِ صخراكي
والمصطفى المجتبى قد زادكي شرفاً | لمّا سرى للعـلا من فـوق أعـلاكي
صلّى عليـه إلـه العـرش سيّـدُنـا | مُـسـلّمـاً بـسـلامٍ عـاطـرٍ زاكـي
والآل والصحبُ والأتبـاع أجمعـهم | ومن تمـلّى بمحـلاكـي ومعنـاكـي
والعـاجز العلمي يـرجـو الـدعـاء لـهُ | من سـامعيهـا بصخـراكي وأقصـاكي

مقام الخضر

وقد وجدنا في صدر المغارة التي تحت الصّخرةِ قبالةَ وجه الذي ينزل من الـدرج على جانبـه اليمين مصطبـةً متصلةً بحائـطها الشرقي لها عمـود متّصل بالصخرة، يُقال إنَّ هناك مقام الخضر عليه السَّلام.

وفي نفس الصْخرةِ خرقٌ واسِعٌ، نافـذٌ إلى الجهةِ العُليـا، يضعون فيـه قنديلاً مشعولاً كل ليلةٍ، فلعلَّهُ هـو الخرق المـذكور الـوارد في الحديث. قـال السهيلي رحَمُـه الله في الروض الأُنُف، وأخـرج التـرمـذي من طـريق بُـريـدة الأسلمي: أنه عليه السلام حين انتهىٰ إلى بيت المقدس، قال جبريل بأصبعِهِ إلى الصخرة فخرقها فشدَّ بها البراق[1].

٤٥/ب

الخرق في الصَّخْرة

/وفي سيرة الشيخ علي الحلبي رحِمَـهُ الله تعـالىٰ قـال، وفي روايـة أن جبـريل عليـه السَّلام خـرق بأصبعـه الحجـر الـذي هـو الصخـرة، وفي كـلام بعضهم، فأدخل جبريل عليه السَّلام يده في الصخرةِ فخرقها وشدَّ به البراق.

أقول: لا منافاةَ لجواز أن يكون المراد وسَّع خَرْقَ الصخـرة بإصبعـه، أو فتحه لعروض انسداده، وأن هذا الخـرق هو المـراد بالحلقـة التي في البـاب، لأن الصَّخرة في الباب، وقيل لهذا الخرق حلقة لاستدارته.

وفي الإمتاع[2]: وعادت صخرةُ بيت المقدس كهيئة العجين فربط دابَّتـهُ فيها، والناس يلتمسون ذلك الموضع إلى اليوم، وجمع بعضهم بأنه ﷺ ربط بالحلقة خارج باب المسجد الذي هو مكان الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، تأدباً، فـأخذهُ جبـريل عليـه السَّلام، فربطه في زاويةِ المسجـد في الحَجَرَ الـذي هو الصَّخـرةُ التي خرقهـا بأصبعـه وجعله داخلاً عن بـاب المسجد، فكأنَّه يقـول له ﷺ إنك لست ممن يكون مركوبه على الباب بل يكون داخلاً. انتهىٰ.

وفي داخل المغارة قنـاديل كثيـرة يوقـدُونها بين العشـاءين[3]، ويفتحون الباب للزائرين كلَّ ليلةٍ أيضاً، وهو باب يُفتح إلى جهة القبلة، ثم صعـدنا إلى زيارة القدم الشريف، قدم النبي ﷺ الـذي أثَّر في الصَّخـرة، قال الحنبلي في

(١) الحديث ذو الرقم ٣١٣٢ في الجامع الصحيح ٣٠١/٥، ونصُّهُ أن رسـول الله ﷺ قـال: «لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بأصبعه، فخرق بهـا الحجر وشـدَّ به البـراق». ومعنى قال: أشار.

(٢) إمتاع الأسماع بما للرسول عليه الصَّلاة والسَّلام من الحفَدة والمتاع، للمقريزي.

(٣) المغرب والعشاء.

القدم الشريف

التاريخ: وموضع القدم الشريف في حجر منفصل عن الصخرة محاذٍ لها آخراً من جهة الغرب، من جهة القبلة، وهو على عمدٍ من رخام، انتهى. قلت، ومراده بكونه منفصلاً عن الصَّخرةِ يعني بحائل مستقل مَجعولٍ للقدم المذكور، لا أنْه في قطعة حجر منفصل عن الصَّخرة نفسها بدليل ما سبق من قول ابن العربي المالكي، في أعلاها، يعني في أعلى الصَّخرةِ من جهةِ الجنوب قدم النبي ﷺ، ومعلومٌ الآن، أنَّ موضع القدم أعلى من الصَّخرةِ فهو في جانبٍ منها مُرتفع، وقد ورد أنه ﷺ ركب البراقَ من فوقِ الصخرةِ ليلة المعراج وهوَ واقف على هذا المكان المرتفع، ومن عادة الراكب أنَّه يقف عند ركوبه علىٰ مكان مرتفعٍ، وقد جعلوا على هذا المكان من الفضَّةِ على شكل الخزانة له قبةٌ صغيرةٌ/ وبابٌ بمصراعين، كل ذلك مصنُوعٌ من الفضَّة، ثم خافوا على ذلك من السَّارق فجعلوا على ذلك شبكةً من النحاس الأصفر لها بابٌ بمصراعين أيضاً يُفتح للزائرين، ففتحوه لنا والتمسنا من أثر ذلك القدم، البركة، وقد وضعوا فيه ماء الورد، فوقفنا ودعونا الله تعالىٰ بما تيسَّر من الدُّعاء وأخذنا منه ووضعنا على وجوهنا ودفعنا للخادم ما تيسَّر من الدراهم، كما هو عادتهم، وقُلنا في ذلك من النظام، على حسب ما اقتضاه المقام:

٤٦/أ

قام في الصَّخرة طٰه المصطفىٰ ... ليلةَ المعراج والرُّسل خَدَمْ
وبدا التأثير من أقدامِه ... عبرةً لمّا بها الصخر اصطدمْ
وعجيبٌ كيف في صلْد الصَّفا ... يظهر التأثيرُ من لحمٍ ودمْ
إنَّه مُعجزةٌ لا عجبٌ ... وهو للشكِّ وللريب هَدَمْ
فاتني لثمُ ثرىٰ أقدامه ... فتبرَّكْتُ بآثار القدَمْ

قدمُ إدريس

ثم زرنا أيضاً قدم نبي الله إدريس عليه السَّلام، وهو في الجهةِ الشَّرْقيَّة، ليس عليه قبَّةٌ ولا شيء من ذلك.

قال الحلبي في سيرته بعد نقله كلام ابن العربي المتقدم في كون الصَّخرةِ معلَّقةً بين السَّماء والأرض: وهذا الذي ذكره ابن العربي رحمَهُ الله

تعالى أنَّ قدمه ﷺ أثَّر في صخرة بيت المقدس حين ركب البراقَ وأنَّ الملائكة أمسكتها لما مالتْ، قال به الحافظ شمس الدين بن ناصِر الدين الدمشقي[1] حيث قال في معراجه المسجَّع: ثم توجَّها نحو صخرة بيت المقدس وعمّماها، فصعدا من جهةِ الشَّرق أعلاها، فاضطربت تحت قدم نبيّنا ولانَتْ، فأمسكها الملائكة لمّا تحرَّكت ومالتْ، انتهى.

وفي المواهب اللدنّيَةِ للإمام القسطلاني[2] رحمهُ الله تعالى: كان ﷺ إذا مشىٰ في الصَّخرِ غاصتْ قدماه فيه كما هو مشهود قديماً وحديثاً على الألسنة، ونطق به الشعراء في منظومهم، والبُلَغا في منثورهم، مع اعتضاده بوجود أثر قدمي الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوَّه في التنزيل في قوله تعالى: / ﴿فيه آيات بيِّناتٌ مقام إبراهيم﴾[3] البالغ تعيينه، وأنَّهُ أثرهُ مبلغ التَّواتر القائل فيه أبو طالب:

ومـوطىء إبراهيم في الصَّخر رطبة على قدميه حافياً غير ناعل

وبما في البخاري[4] من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه مرفوعاً من معجزة تأثير ضرب موسىٰ في الحجر ستاً أو سبعاً، إذ فرَّ ثوبُه لما اغتسل، إذ ما خُص نبيٌّ بشيء من المعجزات إلا ولنبيِّنا ﷺ مثله، كما نصُّوا عليه، مع ما يؤيد ذلك وهو وجود أثر حافر بغْلته ﷺ على ما قيل في مسجدٍ بطيبة حتى عُرف المسجد بها، بحيث يُقال له مسجد البغْلة، وما ذاك إلا من سرِّه السَّاري فيها ليكون ذلكِ أقوى في الآية، وأوضح في الدَّلالةِ على إتيانه ﷺ بهذه الآية التي أوتيها الخليل عليه السلام في حجر المقام على وجهٍ أعلى منهُ.

٤٦/ب

مسجد البغلة

(١) يعرف بابن ناصر الدين، محدث حافظ ومؤرخ ناظم ولد بدمشق ثم توفي فيها سنة ٨٤٢هـ، مُعجم المؤلفين ١١٢/٩.

(٢) أحمد بن محمد بن أبي بكر المصري الشافعي، مُحدث ومؤرخ ومقرىء وفقيه، توفي في القاهرة سنة ٩٢٢ هـ، ومن تصانيفه: إرشاد السَّاري على صحيح البخاري والمواهب اللدنية بالمنح المحمَّدية مُعجم المؤلفين ٢/ ٨٥.

(٣) سورة آل عمران/٩٧.

(٤) فتح الباري، كتاب الغسل/ ٢٠ والحديث طويل.

وفي غربيّ هذا المسجد المذكور أعني مسجد البغلة أثرٌ كأنّه أثر مِرفق يذكر أنّه عليه الصلاة والسَّلام اتّكأ عليه ووضع مرفقه الشريف عليه، وعلى حجر آخر أثرُ أصابع، والناس يتبرَّكون بها.

وقال السيد السَّمهودي[1] في كتابه وفاء الوفا: ومسجدان قُربَ البقيع أحدهما يُعرف بمسجدِ الإجابة والثاني يُعرف بمسجد البغلةِ، فيه أسطوان واحد وهو خراب، وحولَه نَشْزٌ من الحجارةِ فيه أثرٌ يقولون إنّه أثرحافر بغلة النبي ﷺ انتهى. وقال البيضاوي في قوله تعالى ﴿**إن أول بيت وُضع للناس، لَلَّذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين فيه آيات بيّناتٌ**﴾، كانحراف الطيور عن مُوازاة البيت على مدى الأعصَار، وأنَّ ضواري السبّاع تخالط الصُّيود في الحرم ولا تتعرَّض لها وأنّ كل جبَّارٍ قَصَدهُ بسوءٍ قهرهُ، مقام إبراهيم مبتدأ محذوف خبره، أي منها مقام إبراهيم، أو بدل من بدل البعض من الكلّ، وقيل عطف بيان، على أن المراد بالآيات أثر القدم في الصخرة الصَّمَّاء وغوصها فيه إلى الكعبين، وتخصيصها بهذه الإلانةِ من بين الصِّخار، وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء، وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة / ويؤيده أنّه قُرىء آية بيِّنةٌ على التوحيد[2]، وسبب هذا الأثر أنّه لما ارتفع بنيان الكعبة، قام على هذا الحجر ليتمكَّن من رفع الحجارة، فغاصت فيه قدماه، انتهى.

تفسير البيضاوي لآية الحج

٤٧/أ

وفي تهذيب الإمام النووي[3] رحمهُ الله تعالى قال: كان أيُّوب عليه السَّلام ببلاد حوران، وقبرهُ مشهور عندهم بقريةٍ بقرب نوىٰ، عليه مشهد ومسجد وقريته موقوفةٌ على مصالحه، وعين جاريةٌ فيها أثر قدم يقولون إنه أثر قدمه.

قبر أيوب

---

(١) علي بن عبد الله الحسني الشامخي السمهودي، مؤرخ فقيه ولد بمصر، وتوفي في المدينة المنورة سنة ٩١١هـ، معجم المؤلفين ٧/١٢٩.

(٢) لم يقرأ أحد من القراء العشرة هذه الآية بالإفراد أبداً. انظر النشر لابن الجزري ٢/٢٢٤١ والبدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضي طبعة سنة ١٩٨١ صفحة/٦٨. والآية من سورة آل عمران/٩٦.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، المتوفى في نوىٰ سنة ٦٧٧هـ، وكان النووي رحمه الله شيخاً لدار الحديث الأشرفية الجوانية بدمشق وبها كان يقيم.

مهبط آدم

وفي حياة الحيوان الوسطى للدُّميري[1] عن كعب قال: أَهْبَطَ الله تعالى آدم عليه السَّلام بجبل سَرَنديب وهو بأعلى الصين في بحر الهند، يراهُ البحريُّون من مسافة ثلاثة أيَّام، وفيه أثر قدم آدم عليه السلام مغموسة بالحجر، ويُرى على هذا الجبل كلَّ ليلةٍ كهيئة البرقِ من غير سحاب، ولا بُدَّ في كلّ يومٍ من المطر، يغسل أثر قدم آدم عليه السَّلام.

السيوطي ولين الحجارة

وذكر الحافظ السُّيوطي رحمهُ الله تعالى في الخصائص الكبرى[2] عن أبي نُعيم، أنَّه قد لُيِّنَتِ الحجارة لنبيِّنا محمد ﷺ وصمّ الصخور، ولما استتر من المشركين يوم أُحُد مال برأسه إلى الجبل ليخفي شخصه عنهم فليَّن الله له الجبل حتى أدخل رأسَهُ فيه، وذلك ظاهر باقٍ يراه الناس، وكذلك في بعض شعاب مكَّة حجر أصم استروحَ له ﷺ في صلاته فلان له الحجر حتّى أثَّر فيه بذراعيه وساعديه وذلك مشهور، وهذا أعجب من لين الحديد لداود عليه السلام، لأنَّ الحديد تُلَيِّنُهُ النَّار، ولم نرَ النَّار تُلَيِّنُ الحجر، وقال الإمام شرف الدين الأبوصيري رحمه الله تعالى في همزيته المرفوعة:

ليتَهُ خصَّني برؤيةِ وَجْهٍ ... زال عن كل من رآه الشَّقاءُ
أو بلثم التراب من قدم لا ... نَتْ حياءً من مسِّها الصَّفواءُ

وهي الحجارةُ الصَّلدة المتينةُ، وقال الإمام تقيُّ الدين السُّبكي رحمه الله تعالى في تائيته في مدح النبي ﷺ:

وأثَّر في الأحجَار مشيك ثمَّ لم ... يُؤثِّر برملٍ أو ببطحاء مكَّةِ

٤٧/ب

انتهى ما نقل في ذلك ملخَّصاً، قُلتُ وقد صنف الشيخُ الإمام / أحمد العجمي المصري[3] رحمهُ الله تعالى رسالةً في ذلك سمَّاها تنزيه المصطفى

---

(١) محمد الدميري، توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ وهو عالم «شامل». معجم المؤلفين ٢/ ٦٥.

(٢) جلال الدين السيوطي المتوفى في القاهرة سنة ٩١١هـ عالم كبير له مصنفات كثيرة تربو على خمسمائة، وقد حط عليه السخاوي كثيراً، وهذه عادته غالباً. انظر الضوء ٤/ ٦٥ ومعجم المؤلفين ٥/ ١٢٨.

(٣) هو أحمد بن أحمد الوفائي المصري، المتوفى سنة ١٠٨٦هـ، انظر معجم المؤلفين ١/ ١٥٣ ومصادره.

المختار عمّا لم يثبت من الآثار، وأنكر هذه الأقدام المشتهرة عن النبي ﷺ في الأحجار بمصر وبيت المقدس وغيرهما واعتمد في ذلك على كلام ابن تيمية وابن القيِّم ومن تابعهما في إنكار ذلك، وليس هذا بأوّل ورطةٍ وقع فيها ابن تيميَّة وأتباعه فإنَّه جعل شد الرحال إلى بيت المقدس معصية كما تقدم ذكر ذلك وردُّه، ونهى عن التوسّل بالنبي ﷺ إلى الله تعالى وبغيره من الأولياء أيضاً، وخالف الإجماع من الأئمة الأربعة في عدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظةٍ واحدة إلى غير ذلك من التهوُّرات الفظيعة الموجبة لكمال القطيعة التي استوفاها الشيخُ العلاَّمةُ والعمدةُ الفهّامة، تقي الدين الحصني الشّافعي رحمهُ الله تعالى في كتاب مستقلّ في الردّ على ابن تيميَّة وأتباعه وصرَّح فيه بكفره، وإن جاء بعده البقاعي الحنبلي وصَّنف الردَّ عليه في ذلك وسمَّاه «الردّ الزّاجر[1] على من زعم أن ابن تيمية كافر».

تنزيه المصطفى المختار عما لم يثبت من الآثار

مثالب ابن تيمية

قال الشيخُ شهاب الدين أحمد بن حَجَر[2] في كتابه «الجوهر المنَظم في زيارة القبر المكرَّم»، بعد أن تكلَّم في شأن ابن تيمية بكلام كثير: ولقد تصدَّى شيخ الإسلام وعالم الأنام، المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وأمانته، التقي السبكي[3] قدَّس الله روحه، للرد عليه في تصنيف مستقلّ أفاد فيه وأجاد وأصاب، وأوضح بباهر حججه طريق الصَّواب، فشكر الله مسعاه، وأدام عليه شآبيب رحمته ورضاه، انتهى. فلا عجب بعد ذلك إذا فتح باب الإنكار على ثبوت هذه الأقدام النبوية والآثار، وعلَّل ذلك بأنَّه لا سَنَد له في كتب الحديث، وإنما هو بناء على ما اشتهر بين الناس، وأنكر وضع اليد والتمسُّح والتبرُّك بهذه الآثار غاية الإنكار، مع إجماع الأئمة على مشروعية

رأي السبكي وابن حجر في الزيارة

---

(١) توجد نسخة منه كتبت سنة ٨٣٥هـ، في المكتبة الأحمديَّة بحلب، رقمها ١٤٠٥٠ عام في مائة وثمانين ورقة.

(٢) الهيتمي ألفه سنة ٩٥٦هـ عندما زار المدينة المنورة. كشف الظنون / ٦٢٠.

(٣) علي بن عبد الكافي المصري عالم مشارك في علوم كثيرة وهو أشهر من أن يعرف. توفي بمصر سنة ٧٥٦هـ. معجم المؤلفين ٧/ ١٢٧.

استلام الحجر وتقبيله وأنّه سنةٌ كلّما مرّ به، وإنْ لم يمكنه ذلك للازدحام، يَمَسُّهُ بشيء في يده كعصاً ونحوها، ثم يُقبّل ذلك الشيء، وهو مشروعٌ اتفاقاً في الحجر الأسود، ويكفي ذلك أصلاً في كلّ ما هو من الآثار المباركة، كموضع / القدم ونحوه، وأنت تدري أن الشهرة كافية في ثبوت أثر القدم الشريف في صخرة بيت المقدس وغيرها، إذ لا يقتضي ذلك ثبوت حكم شرعيٍّ من تحليل حرام أو تحريم حلال، حتى يتحرّى العلماء في ذلك كمال التحرّي، ويطلبوا على ذلك الأسانيد الصحيحة، وإنما في ذلك ثبوت بركةٍ وخيرٍ وفضيلة وكمال خشوع وحضور وتعظيم للنبي ﷺ، لا سيّما وقد اشتهر ذلك بين العلماء المتقدمين، وذكروه في نظمهم ونثرهم بقصد الفضيلة وحصول البركة للناس، فكيف يجعلُ ذلك حكماً شرعيّاً ويطلب له سنداً قوياً كما يطلب للأحكام الشرعيّة. بل يقول إنّ ذلك ثابت بطريق التّواتر، لأن القدم الشريف في الصخرة يُخبر به جميع أهل بيت المقدس أنه قدم النبيّ ﷺ ويُحدثون بذلك عن آبائهم وأجدادهم.

٤٨/أ

الأدلة عن صحة أثر القدم الشريف

ما هو التواتر

وقد ذكروا في حدّ التّواتر أنّه الخبر الذي رواه قوم لا يُتَوّهمُ تواطؤهم على الكذب. قال في شرح المنار لابن ملَك[١] رحمه الله: وشرط فخر الإسلام في أهل التواتر العدالة والإسلام، لكون الكفر والفسق مظنّة الكذب، وعند العامة ليس بشرط، لأن أهل قُسطنطينية لو أخبروا بقتل ملكهم يحصل العلم بخبرهم وإن كانوا كفاراً، انتهى. فما بالك بجماعات من العلماء والصُّلحاء والكبار والصّغار والرجال والنساء، يقولون كلهم إن هذا قدم النبي ﷺ، بحيث لو سألت كلّ واحدٍ منهم لأجاب بذلك، حتّى صبيانهم الصّغار[٢]، ويؤيد هذا ما نقل الحنبلي في تاريخه، قال: وروى الحسن بن عبد

---

(١) شرح المنار في الأصول لابن ملك، المولى عبد اللطيف، والمنار للإمام حافظ الدين النسفي صاحب الكنز. في الفروع، وقد طبع شرح المنار في استانبول سنة ١٩٦٥م.

(٢) لو سألنا الكبار والصغار في مصر مثلاً عن الضريح المقام تجاه الأزهر لقالوا إنه ضريح =

الواحد بن رزق الرّازي قال، قدم أبو زرعةَ قاضي فلسطين إلى مسجد إبراهيم عليه الصلاة والسَّلام، فجئتُ أُسَلِّم عليه وقد جلس عند قبر سارة في وقت الصلاة، فدخل شيخ فدعاه وقال: يا شيخ أيّما قبر إبراهيم من هؤلاء، فأومىٰ له الشيخُ إلى قبر إبراهيم عليه السلام ومضى، وجاء شاب آخر فدعاه وقال له مثل ذلك، فأومى إليه، فقال أبو زرعة، أشهد أنّ هذا قبر إبراهيم/لا شك فيه، نقل الخلف عن السّلف، كما قال مالك بن أنس رضي الله عنه، إنّ نقل الخلف عن السَّلف أصحّ الحديث، لأنَّ الحديث ربّما يقع فيه الخطأ، والنقل لا يقع فيه خطأ، ولا يطعن في ذلك إلا صاحب بدعةٍ أو مُخالف، ثم قام ودخل إلى داخل المسجد فصلّى الظهر، ثم رحل من الغد، انتهى.

٤٨/ب

الالتزام بالخبر المتواتر

فانظر ما أكثر إنصاف هذا العالم الفاضل، الجامع لأنواعِ الفضائل، حيث عمل بما هو معلوم عنده من حكم الخبر في ثبوت قبر الخليل عليه السَّلام بطريق نقل الخلف عن السَّلف كما هو معلوم في الأخبار النبويَّة، واستفاضة ذلك بين العوام والخواصّ من الناس، فكذلك نقول نحن في كلّ ما هو نظير ذلك من ثبوت قبور الأنبياء عليهم السّلام كقبر موسىٰ وداود ونوح وشيث[1] وغيرهم، وقبور الأولياء كذلك، ومثل ذلك آثار الأقدام النبوية في الأحجار كقدم النبي ﷺ في صخرة بيت المقدس وغيرها، وقدم إبراهيم عليه السلام في الحجر عند الكعبة، وغير ذلك مما تُخبر به الناس، ويأخذه خلفهم عن سلفهم، بقصد التبرّك بالآثار الشريفة، ولا يلتفت إلى من طعن في ذلك وأنكره وما التفت إلى نقل الخلف عن السّلف، ولا اعتبر تواتر الخبر بذلك من

= الحسين بن علي، ومع ذلك فإنّه لا صحة لذلك، وهذا يعني أن ما يقوله أهل بلد عن بلدهم، لا يؤخذ على علاته، ولا يعد إجماعهم حجّة ولا يُعدُّ سكوت من سبقهم حجّةً، والحجة في الأمور الشرعية هي النصوص الشرعية الثابتة، قطعيَّة الدلالة، وليس غير ذلك، وفي معجزات النبي الكريم الثابتة ما يُغني عن التمسك بالأخبار المختَلَف عليها.

(١) ليس ثمة ما هو ثابت شرعاً من قبور الأنبياء إلا قبر خاتمهم محمد عليه الصلاةُ والسَّلام، أما قبور الأولياء والصالحين فغير ثابتة، وغالباً ما نجد أكثر من قبرٍ للواحد منهم، مثل قبر بلال الحبشي، والسيدة زينب والحسين وأبي يزيد البسطامي وغيرهم.

الناس واشترط السَّند الناس في إخبارهم بذلك، مع علمه بأن الإجماع حجةٌ شرعيَّة تثبت به الأحكام القطعيَّة ولا بد له من سندٍ على أحد القولين، ولا يُشترط العلم بسنده، ولا نقل سنده، وإنَّما يكفي مجرَّدُ الإجماع في ثبوت الحكم به وأنه إجماعٌ له سند، فتثبت بذلك الأحكام الشرعيَّة في حقوق الله تعالى وحقوق العباد، مثل إجماعهم على صحَّة بيع التعاطي[1] وأخذ أُجرةِ الحمّام.

ما هو الإجماع؟

قال في شرح المنار لابن ملك: فإن قلتَ ينبغي أن يُفرد الإجماع بالذكر لأنَّه لا يجوز إلا عن مستند شرعي، وإلا كان إثبات شرعٍ ابتداءً وهو غير جائز، فيكون للإجماع مثبتاً لوصف الحكم وهو القطع لا أصله، قلنا: اشتراط المستند في الإجماع ممنوع، فإنه جائزٌ بدونه عند / البعض، بأن يخلق الله فيهم علماً ضرورياً ويوفقهم لاختيار الصَّواب كإجماعهم على بيع التَّعاطي وأجرةِ الحمّام، وذكَر في بحث الإجماع قال: وما ذكرهُ من بيع التعاطي وأجرة الحمام فالإجماع فيهما واقع عن دليل، إلا أنَّه لم يُنقل إلينا اكتفاءً بالإجماع، كذا في جامع الأسرار[2].

٤٩/أ

وقال في شرح مرقاة الأصول[3]: وقيل لو كان عن سند لا يُستغنى به عن الإجماع، فلم يبق له أو لحجيَّته فائدة، قلنا هذا يقتضي أن لا يكون إجماع ما عن سند، وهو خلاف الإجماع، ومع ذلك لا نُسلِّم اللزوم، إذ فائدتُه حرمة المخالفة وسقوط البحث عن كيفية دلالة السند وعن تعيينه ونحو ذلك، انتهى.

---

(١) بيع التعاطي هو البيع بدون إيجاب وقبول، مثل بيع قطع الحلوى والمجلاَّت والصحف وما في معناها، وقد أجازه الفقهاء للضرورة. وكذلك أُجْرَةُ الحمّام.

(٢) لعلَّه كشف الأسرار للبروي.

(٣) واسمه «مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول». وهو حاشية على كتاب مرقاة الوصول إلى علم الأصول لملاّ خسرو الحنفي محمد بن فراموز المتوفى سنة ٨٨٥ هـ. كشف الظنون/١٦٥٧.

وأنتَ خبير بأن هذه الآثار النبويَّة اشتهرت بين الناس يعلمها الخلف عن السَّلف تفيدُ أمراً شريفاً فيه فضيلةٌ وبركة فكيف يسوغ ردُّها والطعن فيها، ونسبة الكذب إلى من وجدوا في نفوسهم العلم بها من آبائهم وأجدادهم وما هي إلا عداوة في الدين وسدٌّ لسبيل الخير على المسلمين.

من توقّف في قبول الأثر النبوي على الصخرة

والحاصلُ أنَّه إن لم يكن الإجماع واقعاً على أنها آثار تلك الأقدام المذكورة فقد ثبت ذلك بطريق التواتر وأخبار الخلف عن السَّلف، وذلك لاشتراطهم اتفاق المجتهدين في تحقيق الإجماع، ونحن لا نعلم الآن أحوال المجتهدين المتقدمين في اتفاقهم على ذلك أو عدم اتفاقهم عليه أو سكوتهم عنه، غير أنَّ أول من ردَّ ذلك وأنكره تقي الدين بن تيميَّة وتلميذه ابن قيم الجوزية، وتردّد في إثبات ذلك وإنكاره، الجلال السيوطي، وتردد أيضاً الشهاب ابن حجر الهيتمي، وعبارته في الجوهر المنظَّم. وفي حديث إنَّ بمكَّة حجراً كان يسلِّم[1] عليَّ ليالي بُعثتُ، إني لأعرفه إذا مررت عليه،إيماء إلى ما اشتهر على ألسنة الخلف عن السَّلف إنَّه الحجر البارز بزُقاق المرفق لأنَّه كان على ممرِّه ﷺ إلى بيت خديجة رضي الله عنها، وعبارته في شرح القصيدة الهمزيَّة التي للأبوصيري في المديح النبوي، قال عند البيت المتقدم ذكرهُ قريباً: الذي ذكره الناظم / ذكره غيره ممن تكلّم على الخصائص، لكن بلا سند، انتهى، فقوله بلا سند ميلٌ منه إلى ما ذهب إليه ابن تيمية وابن القيِّم ومن تابعهما من إنكار ذلك، والرَّاجح هو إثبات ذلك ميلاً إلى ما اتفق عليه عُموم الناس واشتهر على ألسنة الخلف عن السَّلف وإن لم يكن لهم مستندٌ في ذلك، فقد يكون لهم مستندٌ وخفي عنّا كما قدمناه في الإجماع، فإن هذا المقدار من العلماء المتقدِّمين والمتأخرين وغيرهم من عوامّ الناس لا يتفقون في الغالب على أمرٍ باطلٍ، ولا يُخبرون بشيء كذب، وقد بلغوا حدّ التواتر بحيث لا يُحصىٰ عددهم، وإثبات الخبر أولى من نَفْيه، وتخريج أحوال

الحجر الذي كان يسلم على رسول الله

٤٩/ب

(١) رواه الترمذي والدارمي وأحمد بن حنبل. المعجم المفهرس ١/٤٢٦.

المستند على النفي والإثبات

المسلمين على الكمال أولى من تخطئتهم ونسبتهم إلى الزّور والبهتان والكذب بلا مستند أيضاً، ومَن طالبنا بالمستند على الإثبات طالبناه بالمستند على النفي، على أنه يكفي اتفاق الناس في كلّ زمان على ثبوت ذلك وإخبارهم به وحسب ذلك سنداً قوياً في ثبوت ذلك عند أهل الإنصاف والإذعان، وبالله المستعان.

واعلم أن الصَّخرة الشَّريفة في وسط المسجد على الصَّحن الكبير المرتفع في أرض المسجد وعليها بناء في غاية الحسن والإتقان، وهي قبة مرتفعة.

من بنى مسجد الصخرة

قال الدّميري في حياة الحيوان عند ذكر الأوزّ ومناسبة ذكر خلفاء بني أميَّة، فذكر خلافة الوليد بن عبد الملك ثم قال عنه إنَّه بنى قبة الصخرة ببيت المقدس، ناقلاً ذلك عن الحافظ ابن عساكر ثم قال: وفيه نظر، وإنّما بنى قبة الصخرة عبد الملك بن مروان في أيام فتنة ابن الزبير رضي الله عنهما، لمّا منع عبدُ الملك بن مروان أهل الشام من الحجّ، خوفاً من أن يأخذ منهم ابن الزبير البيعة له، فكان النّاس يقفون يوم عرفة بقبة الصَّخرة إلى أن قُتل ابن الزبير رضي الله عنهما، ولعلّها تشعّثت، فهدمها الوليد وبناها، والله أعلم، انتهى[1].

صفة قبة الصخرة

وذكر الحنبلي أنَّ علوَّها أحدٌ وخمسون ذراعاً[2]. هذا من فوق الصَّخرة، وارتفاع الصَّحن عن أرض المسجد سبعة أذرع، فيكون ارتفاعها ثمانية وخمسون/ذراعاً، وللقبَّة المذكورة سقفان، أحدُهما من الخشب، وهو المدهون المذهب، وفوقه سقف آخر يعلوه الرصاص، وبين هذين السّقفين

٥٠/أ

---

(١) سيطر عبد الله بن الزبير على الحجاز قرابة تسع سنوات، انتهت بانهزامه ومصرعه على يد الحجاج الثقفي سنة ٧٣هـ. وفي هذه الفترة بنى عبد الملك قبة الصخرة. انظر تاريخ اليعقوبي ٢٦١/٢.

(٢) انظر شكل القبة والمسجد وتاريخهما في كنوز القدس ٧١.

خالٍ متَّسع، وهي مرتفعة على اثني عشر عموداً من الرخام وأربعة سواري مبنيَّة في غاية الإتقان والإحكام، والصخرة الشريفة تحت هذه القبَّة يحوطُها درابزين من حديد لاصِق بالأعمدة والسَّواري المذكورة، وفي ذلك الدرابزين أربعة أبواب من الحديد المشبَّك، واحدٌ منها مسدود، والثلاثة مفتوحة، وخارج القبة سقفٌ مستدير من الخشب المدهون المذهب على سبعة عشر عموداً من الرخام وثمانية سواري، وأرض القبة وحيطانها مبنيةٌ بالرخام باطناً وظاهراً ومزينة بالفصوص الملوَّنة الباطن والظاهر، وذرعُ دائر جامع الصَّخرة المشتمل على القبَّة المذكورة من الباطن مائتا ذراع وأربعة وعشرون ذراعاً، ومن الظاهر مائتا ذراع وأربعون ذراعاً بالعمل. ولجامع الصَّخرة المذكورة أربعة أبواب تفتح إلى صحن الصَّخرة.

أبواب قبة الصخرة

الأول: باب قبلي عن يمين الدَّاخل منه المحراب، مقابله دكَّة المؤذنين على عُمُدٍ من رخام، وعلى جانب الدكَّة بابُ قبَّة الصَّخرة المشبك من الحديد، ويليه البابُ الذي يُنزل منه إلى المغارة.

والثاني: باب شرقيٌّ تجاه درج البراق قبالة باب السلسلة ويُسمّى باب إسرافيل.

والثالث: باب شمالي معروف بباب الجنَّة وعنده البلاطة السوداء الآتي ذكرُها، والرابع باب غربي، وهو الذي عنده التَّخت المستطيل الذي يضعونه أيَّام الشتاء ويمشون عليه بنعالهم، وعلى ظاهر كل بابٍ من أبواب جامع الصَّخرة الأربعة عضايد وعُمُد من رخام، وسقفٌ يعلوه، والله تعالى أعلم.

البلاطة السوداء

ثم توجَّهنا جهة الباب الشمالي المشهور بباب الجنَّة، ووقفنا عند البلاطة السوداء ووجدنا فيها مسامیراً من الفضَّة، يزعم الناس أنه في كل سنة يغيب مسمار، فإذا غاب الجميع قامت السَّاعة، يقولون إنها بلاطة الجنَّة.

قال الحنبلي: يُحكى أنَّه رؤي الخضر عليه السلام يُصلِّي هناك، ويُقال إنّ قبر سُليمان عليه السَّلام بهذا الباب المذكور، وإنّما قيل لها سوداء مع أنّها

٥٠/ب خضراء، لأن الخضرة تظهر من بُعد سواد، كما قالوا سواد العراق / أطلقوا عليه سواداً لخضرته بالأشجار والزّرع على أحد الأقوال، ومنه قولنا في وصف زهر القرنفل:

وصف زهر القرنفل

قُم يا نديمي لداعي اللَّهو واستبقِ فقد ترنّمت السورقاء في الوَرقِ
وانظر إلى حُسن باقات القُرنْفل ما بين الرّبا نفحتْ كالمندل العبقِ
أطفا النسيم لهيباً من مشاعلها في ظلمةِ الرّوضِ حتى جَمْرهُن[1] بقي

فإن ظلمة الروض كناية عن سواده وهو اخضراره.

قبّة السُلْسِلة

ثم توجّهنا إلى جهة قبة السلسلة، وهي قبالة الباب الشرقي الذي لجامع الصَّخرة، فصلَّينا فيها ركعتين ودعَوْنا الله تعالى، وهي قبة ظريفةٌ مكشوفةٌ من جميع جوانبها، بمنزلة الخيمة الكبيرة المثمّنة، مرتفعةٌ على أعمد الرخام[2]، وفي وسطها سلسلةٌ مدلاَّة، وعدَّة أعمدتها سبعة عشر عموداً غير عامودي المحراب، وبين العمود والعمود نحو الذراعين.

أصل السلسلة في بني إسرائيل

قال في إتحاف الأخصا: ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنّما الصخرةُ التي كانت ببيت المقدس إنّما كان لبني إسرائيل طست فيه سلسلة، وكان في الصّخر ثقبٌ وكانوا يعلقون به السّلسلة وهي في وسط الطست، ثم يقرّبون قربانهم فما تُقُبِّل منه أُخذ. وما لم يُتقبل منه ألصِقَ إلى الأرض ولبسوا المسوح إلى مثلها، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما كان قط أحوج إلى السلسلة منهم اليوم، قيل له وما السلسلة، قال: السّلسلة أعطاها الله لداود عليه السلام وفيها فصل الخطاب، لا يأتيها رجلان إلا نالها المحقُّ منهما وإنْ كان قصيراً، فاستودع رجلٌ رجلاً لؤلؤاً وقيل ذهباً، فأخذ عصاً فثقبها وجعل اللؤلؤ فيها، أو قال فسكب الذَّهب فيها، وجحد صاحبها، وجاء إلى داود عليه السَّلام فقال اذهبوا بهما إلى السلسلة، فقال الرجل:

---

(١) في نسخة حلب «هجرهنَّ»، ولا معنى لها هنا.

(٢) انظر شكلها اليوم وما تحتاجه من ترميم في كنوز القدس ٧٣.

اللَّهُم إن كنت تعلم أنّي دفعتُ إليـه لؤلؤاً أو قال ذهبـاً فجحدنيـه، فأسـألك أن أنالها فنالها، فقـال الآخر: امسـك عصاي حتى أحلف ودفـع إليه العصـا وفيه الـوديعة وهـو لا يعلم ثم قال: اللَّهم إن كنت تعلم أني قـد دفعتُ إليه وديعتـه فأسألك أن أنالهـا فنالهـا، فقال داود يـارب ما هـذا؟ نالهـا الظالم والمـظلوم، فأوحىٰ الله إليه أنّ ماله كان في العصا التي دفعها إليه، قـال وارتفعت السّلسلة من / حينئـذٍ، وقيل كـانت السلسلة آيةً من آيـات داود عليه السـلام، وكان إذا حكم بين اثنين من بني إسرائيل بحكمٍ سأل الله تعالى أن يُريه برهاناً يعرف به الصَّادق من الكاذب، فأنزل الله عليـه السلسلة من نورٍ من السَّمـاء إلى الأرض مُعلَّقةً في الموضع الذي عند صخرة بيت المقـدس بين السماء والأرض، فـإذا حكم بحكمٍ بعث ناساً إلى الموضع الذي فيه السلسلة، فمن كـان صادقـاً في مقالته ممن حكم عليـه نال السلسلة، ومن كـان كاذبـاً لم يَنلْها حتى وقع المكر بين الناس وخبثت البواطن، فارتفعت السلسلة من ذلك الوقت، وهذه السّلسلة كـانت من العجائب، وكـانت مُعلَّقةً من السَّمـاء إلى الأرض شرقيّ الصخـرة، مكـان قبة السلسلة المـوجودة الآن، وهي التي بنـاها عبـد الملك بن مـروان، وفيها يقُول الشَّاعر:

١٥/أ

مضىٰ مـع الـوحي زمـان العـلا　　　وارتـفـع الـجـود مـع السّـلسـلة

ثواب الصلاة عند السلسلة

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من صلّى عند موضع السلسلة ركعتين ودعا وتصدَّق بما أمكن، أجاب الله دعاءه وكشف حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه، وإن سأل الله الشهادة أعطاه إيَّاها.

قبّةُ المعراج

ثم ذهبنـا إلى جهـة الغـرب وزرنـا فيهـا قبّـة المعــراج، وهي عن يمين الصَّخرة الشريفـة في صحن جامعهـا، وهي قبّةٌ مستـديرةُ الجـدران، لها بـاب يُتوصَّل منه إلى داخلها، مبنيَّةٌ بالـرخام، مشهـورة مقصودةٌ للزيـارة، استدعينـا بخـادمها ففتـح لنا البـاب، فدخلنـا وصلّينا ركعتين، ودَعوْنا الله تعـالى، وفيهـا محراب لطيف تجاه الدَّاخل من الباب.

ورویٰ في مُثير الغرام عن يحيىٰ بن سُليمان البصريّ عن أبان بن يزيد عن أبي سعيد قال، قال رسول الله ﷺ : صلَّيتُ ليلة أُسري بي إلى بيت المقدس غربيّ الصّخرة، رواه عنه أبو عبد الملك.

محراب النبي

قال المشرِّف: ولم يختلف اثنان أنَّه عُرج به ﷺ من عند القبَّة التي يُقال لها قبة المعراج ثم ذهبنا إلى محراب النبي ﷺ بجانب قبة المعراج المذكورة، وهو محراب مبسوط في الأرض، له حافَّةٌ مقدار / الشبر من الرخام. قال الحنبلي: يُقال إن ذلك المحراب موضع صلاة النبي ﷺ بالأنبياء والملائكة ليلة أُسري به، ثم تقدَّم أمام ذلك الموضع فوُضعت له مرقاةٌ من ذهب ومرقاةٌ من فضَّةٍ، وهو المعراج، فصلَّينا هناك ركعتين، ودَعَونا الله تعالى بما تيسَّر من أنواع الدعاء، ووجدنا هناك خلوات مُتعددة لها قباب على أطراف صحن جامع الصَّخرة من كلّ جهةٍ، مبنيَّة بالأعمدة الرخام والأحجار الملوَّنة، منها قبةٌ تُسمى قبَّة الطومار، ومنها قبَّة تُسمى حاكورة القيشاني، وغير ذلك، وبعضُها مسكون، فيه جماعةٌ من المجاورين، وبعضُها غير مسكون، وبعضها مسدود، وصحنُ جامع الصَّخرة، كما قال الحنبلي في تاريخه، محيطٌ بقبة الصخرة على التَّربيع، لكن طوله من القبلة إلى الشمال أكثر من عرضه من المشرق إلى المغرب، وأما صحن الصَّخرة الشريفة، فإن دائرَهُ سورٌ مبني بالأحجار، مقدار نصف القامة، فمقدار صحن الصَّخرة الذي يحيط به هذا السُّور المذكور من القبلة إلى الشمال مائتان وخمسة وثلاثون ذراعاً، وهذا طولُه، وأمّا العرض، فمن الشرق إلى الغرب مائة وتسعة وثمانون ذراعاً، وجميع هذا المقدار مما هو حول جامع الصَّخرة مبلَّطٌ بالأحجار والبلاط الأبيض الكبير المتين.

٥١/ب

قبة الطومار والقباب الأخرى

أبعاد مسجد الصخرة

لسان الكذّاب

وفي صحن جامع الصخرة، من جهة الغرب قبالة قبَّة الطُّومار، مِزولةٌ مبنية بالأحجار، وفيها بلاطة كبيرة منصوب عليها لوحٌ من الحديد، يُعرفُ بظلّه مقدارُ الماضي والباقي من ساعات النهار، يُسميّه بعض المزوِّرين هناك لسان

الكذّاب، ويأتون بالنّساء وبعض الجهّال إليـه، ويقولـون هذا لسـان الكذّاب. وفي حائط قبّة الطومار عامود من الرخام ملفوفٌ يُسمُّونه بطن المرابي، وعامـود آخر بالقرب منه ملفوف أيضاً من الرخام يسمّونه عـاقق والديـه، وذلك مشهـور بين النساء والجهّال، ولا أصل له بحال، وأمّا الدَّرج الذي يُحيط بصحن جامع الصَّخـرة من كلّ جـانب، فهو من جهـة القبلة دَرَجان، أحـدهما مقـابلٌ لبـاب الجـامع الأقصى بحيث ينـزل إليه، وهـو نحو العشـرين درجة / وعـرضه نحـو العشرين ذراعاً، وعلى رأس هـذا السلّم منبر من رخـامٍ، وإلى جانبـه محراب يُصلّى فيه صلاة العيـدين والاستسقاء[1]، والثـاني يليه من جهـة قبّة الـطّومار، وعرضه وعدد درجه نحـو الأوَّل، ومن جهة الشَّـرق سُلَّمٌ يعرف بـدرج البراق، نحو الأول في عرضه وعدد درجه، ومن جهة الشمال سُلَّمـان، أحدُهما مقـابل باب حطة، والثـاني مقابـل باب الـدويداريـة، وهما كـالأوّل في عرضـه وعدد درجه، ومن جهة الغـرب ثلاث سـلالم، أحدهـا مقابـل باب النـاظر، والثـاني مقابل باب القطانين والمتوضئين، والثالث مقابل بـاب السلسلـة وهي كالـدرج الأول، وعلى رأس كـلّ درجٍ من الدّرج المـذكور أعمـدةٌ من الرّخـام، عليهـا قناطر مرتفعة في الهواء نحو العشرة أذرع يسمّونها الناس بالموازين.

٥٢/أ

منبر برهان الدين

السّلالم

ثم نزلنا من الدَّرج القبلي الذي يقابل باب المسجد الـذي يُسمّونـه الآن المسجد الأقصى[2]، وإلا فالمسجد الأقصى جميع مسجد بيت المقدس كلّه، فرأينا في أسفل ذلك الدَّرج بلاطة كبيرة يُسمُّونها بلاطة الأولياء، يُقال إنَّ تحتها مغارة متصلةً بمغارة السيد الخليل عليه السَّلام، وأنّ الدعـاء هناك مستجـاب. وحين أُخبـرنا بـذلك وقفنـا وصلّينا ركعتين عليهـا ودعونـا الله تعالى بمـا تيسَّر لنـا من

---

(١) هـو منبر بـرهان الـدين بن جماعـة، قاضي القضـاة المتوفى سنـة ٧٩٠هـ، بُني في حدود سنـة ٧٨٤هـ انظر إنباء الغمر لابن حجر، طبعـة الهند ٢/٢٩٢، وانـظر صورة المنبـر في الموسـوعة الفلسطينية ٣/٥٤٠، وكنوز القدس/٢٦٤ وفيه أن ابن جماعة أمر ببنائه سنة ٧٠٩هـ وهو خطأ لأن ابن جماعة ولد سنة ٧٢٥هـ، وانظر تاريخ ابن قاضي شهبـة الأسدي، تحقيق عـدنان درويش، صفحة ٢٤٩ وما بعد.

(٢) انظر وصف المسجد الأقصى سنة ٣٧٥هـ كما رآه المقدسي، في أحسن التقاسيم ١٧٠.

كأس الرخام

الدعاء، ثم سرنا فوجدنا الكأس قبالة أبواب المسجد الأقصى، وهو كأس[1] من الرخام كبير، سعة باطنه مقدار الخمسة أذرع في خمسة أذرع، موضوع شكل النُّوفرة في وسط البحرة الكبيرة المستديرة الجوانب على شكل الكأس الذي في وسطها والماء يخرج منه ويسقط في البحرة، ثم يسيل في بالوعاتٍ حوله ويجري إلى صهريج كبير في أرض المسجد طوله نحو الأربعين ذراعاً وعرضُه كذلك، وله أربعة أفواه مبنيَّة بالأحجار، يُستخرج الماء منه بالدلاء على شكل البئر، وهذا الماء يجري إلى الكأس المذكور من خارج المدينة على مقدار مرحلةٍ في طريق الذاهب إلى بلاد الخليل، من بُركٍ ثلاثةٍ كبارٍ هناك، مبنيَّة بالكلس والحجر. وعندهم قلعةٌ مبنية بالأحجار المتينة، يجلس

٥٢/ب

بها أناسٌ يحرسون هذه / البرك من العدوّ، والماء يجري من تلك البرك في سواقي مغطَّاة بالأحجار، لا ينقطع في الليل والنهار، وفي ذلك نقول، من النظام المقبول:

ولقد شهدتُ قبالة الأقصى الذي	وردتْ إليه بنا كبارُ مواردِ
كأساً من الحجر الرُّخام مدوَّراً	في بركةٍ جمعت لفكرٍ شاردِ
وأتيتُه فشربتُ منه فيا له	كأساً تدفّق بالزُّلال الباردِ

وقلنا أيضاً كذلك، بمعونة القدير المالك:

للّهِ بالبيت المقدَّس جَامعٌ	بَهَرَ النَّواظرَ نورُه وضياؤُهُ
مِنْه الجوانب واسعات تنجلي	وزهتْ بطلعةِ قُبَّتِيه سماؤُهُ
حيث المدارس حوله قد أشرقتْ	يمتدُّ من أشجاره أفياؤُهُ
والمسجدُ الأقصىٰ المبارك فاتح	كفّاً، وفيه الكاس يدفق ماؤُهُ

الباعوني وأرجوزته عن قايتباي

والظَّاهر أنَّ هذا الكاس من عمارة السُّلطان الأشرف قايتباي الذي عمر

---

(١) أقامه السلطان العادل أبو بكر سنة ٥٨٩هـ، وجدَّده الأمير تنكز الناصري في القرن الثامن، ثم أعاد السلطان الأشرف قايتباي تعميره في أواخر القرن التاسع. كنوز القدس ١٠٨.

المدرسة السلطانية، كما ذكر ذلك الشيخ محمد الباعوني[1] في منظومته المختصرة في التاريخ عند ترجمة السلطان المذكور، حيث قال:

فمِنْ جليلِ خيرهِ المؤسسِ ... سياقُه قناة بيت المقدسِ
تُعرف بالعروب كانت درست ... ومن تعاقب السنين اندرست
فظهرت بسعدهِ وعُمِّرتْ ... وبمعين مائها قد غُمرتْ
قد بلغتْ مناهلاً مُنتشره ... في العدّ نحو بضعةٍ وعَشَرهْ[2]
غالبها على الدوام يجري ... طوبى له، فاز بهذا الأجرِ
من بعد ما كان الوضوء يُشترىٰ ... والماء كان ربّما تعذَّرا
صار على طول المدىٰ مبذولا ... يجري سبيلاً قُلْ، وسَلْسَبيلا
كم من وفودٍ من جميع الأرضِ ... توسَّعوا في الشُّرب والتوضّي
ووردوا منهل هذا المشرب ... من عربٍ وعجم ومغربي
هذا هو الظلّ العميمُ السَّابغْ ... في ضمنه النفع العظيم البالغْ

ثم توجَّهنا على أبواب المسجد الأقصى، وهي سبعة أبواب على صف واحدٍ قبالة / القبلة، والأوسط منها أكبر الجميع، وبظاهر الأبواب السبعة رواقٌ على سبع قناطر، كلُّ بابٍ قبالة قنطرة، ولتلك القناطر أربعة عشر عموداً من الرخام مبنيَّة، غير السَّواري، وله من جهة الشرق باب صغير يُسمّى باب الخضر، وباب آخر من جهة الغرب، والبابُ العاشر يُدخل منه إلى الأقصى العتيق بالقرب من جامع المغاربة، فدخلنا إليه فوجدناه مشتملاً على بناء عظيم برقبةٍ مرتفعةٍ عند الحائط القبلي، مُزيّنة بالفصوص الملوَّنة، وطرفها مبنيٌّ على الحائط القبلي، والطرف الآخر على أربعة أعمدة: عمودين متلاصقين بينهما مقدار الشبر في جهة الغرب، وعمودين كذلك في جهة الشرق، والعامَّة يمرّون

٥٣/أ

وصف المسجد الأقصى

المسجد الأقصى العتيق

---

(١) محمد بن أحمد، توفي سنة ٨٧١هـ بدمشق، واسم الأرجوزة «تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء»، وهي مطبوعة، وفي مخطوطات الظاهرية عدة نسخ عنها، انظر فهرس التاريخ للأستاذ خالد الريان ١٤٢ و١٤٣.

(٢) في نسخة حلب «قد بلغت مناهلاً منتشرة ... في السعد نحو بضعة وعشره» وما أثبتناه أقرب إلى الصَّواب، والله أعلم.

بين هذين العمودين، ويعتقدون أنَّ الذي يمكنه المرور لا ذنب عليه، والمذنبُ لا يقدر أن يمرَّ بينهما، وبلغني مرَّة أن رجلاً كان جسيماً فلم يمكنه أن يمرَّ بينهما، فلما توسَّطهما انكسر شيء في ظهره، فحسب أنَّه ضلع من أضلاعه فأُغمي عليه حتى رشُّوا الماء على وجهه، فلمّا أفاق وقد أخرجوه فنظروا فإذا ملعقة قد انكسرت له موضوعة في ظهره وقد نسيها وذلك من العجايب أنَّه أُغمي عليه من جهة الوهم.

وتحت القبَّة، المنبرُ من الخشب المرصَّع بالعاج والآبنوس وبجانبه المحراب. وهو مسجد ممتدٌ من جهة القبلة إلى جهة الشمال على سبعةِ قيسٍ متجاورة مرتفعة على عمد الرّخام والسَّواري، فعدَّة ما فيه من الأعمدة خمسةَ وأربعون عموداً، منها ثلاثةٌ وثلاثون من الرخام ومنها اثنا عشر مبنيَّةٌ من الأحجَار وجميع هذه الأعمدة تحت الجملون، وعمود ثالث عشر مبني عند الباب الشرقي، تجاه محراب زكريا، وعدة ما فيه من السَّواري أربعون سارية، وسقفه في غاية العلو والارتفاع فالسقفُ مما يلي القبلة من جهة المشرق والمغرب مسقوفٌ بالخشب، ومما يلي القبلة من جهة الشَّمال ثلاثة قيسٍ مسقوفة، الأوسط منها هو الجملون وهو أعلاها، واثنان إلى جانب الجملون من المشرق / والمغرب، ودونه بقيَّة القيس وهي أربعةٌ: اثنان من جهة الشرق، واثنان من جهة الغرب، معقودٌ ذلك بالشّيد والحجر، وعلى القبَّة والجملون والسَّقف الخشب رصاصٌ من ظاهرها، وصدر الجامع القبليّ، وبعضُ الشرقي، مبنيٌّ بالرخام الملوَّن، والمحراب الكبير الذي هو صدرهُ إلى جانب المنبر من جهة الشَّرق يُقال إنَّهُ محراب داود عليه السَّلام، وبداخل المحراب سبعة عشر ضلعاً من الرُّخام الملوَّن، ثمانية بيض وأربعة حمر وثلاثة سود واثنان أخضران، فذكر لنا بعض الخدام هناك أنَّ الثمانية البيض إشارة، إلى عدد ركعات صلاتي الظُّهر والعصر، لأنَّهما نهاريتان، وأنَّ الأربعة الحمر لصلاة العشاء لأنَّها تجب بمغيب الشَّفَق الأحمر، والثلاثة السود لصلاة المغرب لأنها تجب عند أول الظلام، والاثنان الأخضران لصلاة الصبح.

عُمُدُ المسجد

٥٣/ب

الرخام الملوَّن

المقصُورة

وبجانب المنبر من جهة الغرب مقصورةٌ لطيفةٌ حولها جدران مشتبكة من حديد، ملاصقة للمنبر مُعدَّة لمصلى الخليفة إذا كان، أو للخطيب ليبرز منها للمباشرة لقرب المكان. ومقابل المنبر والمحراب دكَّةُ المؤذنين على عمدٍ من رخام، وهي في غاية الحسن.

وذرعُ هذا الجامع في الطول، من المحراب الكبير إلى عتبةِ الباب الكبير المقابل له، مائة ذراع غير المحراب وغير الأروقة التي على الأبواب السَّبعة الشَّمالية، وعرضه من الباب الشَّرقي المسمَّىٰ بباب الخضر إلى الباب الغربي سبعة وسبعون ذراعاً، وقد نظمنا هذه القصيدة في ذكر الأقصىٰ وهاتيك الحضرة التي سِرُّها لا يُستقصى، وفي ذلك قولنا:

إلى المسجدالأقصىٰ بي الله قد أسرىٰ ... وفكَّ بإطلاقي من القيد عن أسرىٰ
وشاهدتُ أنواراً هناك تَشَعْشَعَتْ ... وكم كَشَفت شمساً وكم خفتْ بدراً
وجئتُ فصادفتُ العنايةَ والهدىٰ ... وقرَّبني باعاً وقرَّبتُه شبراً
ولاحتْ لعيني قبَّة النور تنجلي ... على البعد حتى أدهشت مُقلتي جهرا
وهيبةُ أرواح النَّبيين لم تزل ... وإن قلوب العارفين بها أدرىٰ
/ صَدَقْتَ، هو الوادي المقدس فابتهل ... إلى الله فيه واغتنم بالدعا أجرا
ولا تبتئس وادخل من الباب ساجداً ... وحطَّ هناك الذنب والإثم والوزرا
وقُمْ في جوارِ الله ملتجئاً بهِ ... إلى عرشه الأدنىٰ إلى جامع الذكرى
إلى المسجد المعروف بالفضل والهُدىٰ ... ولُقِّب بالأقصىٰ لبُعدٍ به قدرا
ومهبط أنوار النبيين كُلِّهمْ ... وأسْرار كل الأولياء به تُقرا
وقفتُ بذلي في علا عرفاتِه ... وألقيتُ عني فيه من وزريَ الجمرا
وقلبي بسرٍّ منه قد طاف ساعياً ... ونفسي ذاقت في منى قربه نحرا
وكم جمعةٍ شاهدتُ يا ابن جماعةٍ ... على المنبر المعمور ما يشرح الصَّدرا
وأطربني منه على الغصن بلبلٌ ... يُغرِّدُ بالأسرار في الروضة الخضرا

٥٤/أ

وقدْ سَأَلَنا بعض الأصحاب عن معنى قولنا في هذا النظم: وقـرَّبني باعـاً وقرَّبتُه شبرا فأجبناه بما فتح الله تعالى به في ذلك الوقت وألهمَهُ لنا، أوردنا لـه هذه الأبيات التي هي للحافظ ابن[1] عساكر رحمه الله تعالى، وهي قوله:

أبيات لابن عساكر

إنْ لله أنـاسـاً كشفـوا عنـه القـنـاعـا
هـل رأيـتـم أحـداً عـامَـل مـولاه فـضَـاعـا
سَـوف أرويكـم حـديـثـاً قـد سـمـعـنـاه سـمـاعـا
مَـن دنـا مـن ربِّـه شـبـراً دنـا مـنـه ذراعـا

جامع عمر

وبداخل هذا الجامع في آخره من جهة الشَّرق مكـان معقودٌ بـالحجارة والشيد، وبه محراب يُقال له جامع عمر لأنَّهُ بقيَّة بنائِه الذي جَعَلهُ عند الفتـح، وإلى جانب هذا المكـان المعروف بجامع عمر من جهة الشمـال إيوانٌ كبيـر معقود يسمّى مقام العزيز، ويه بابٌ صغير يُتوصَّل منه إلىٰ جامع عمر ويلي هذا الإيوان من جهة الشمال، إيوانٌ لطيف به محراب يُسمَّى محراب زكـريا، وهـو بجـوار الباب الشَّـرقي المسمَّى بباب الخضـر، وبهذا الجـامع أيضـاً من جهـةِ الغرب، مكان كبير معقود بالأحجار الكبـار، وهو قبـوان معقودان مُمتـدان جهة الغـرب علىٰ عشرة قنـاطر وتسـع سواري في غـايـةِ الإحكـام يُسمَّىٰ بـالأقصىٰ القديم. وعلىٰ يسرةِ الدَّاخل للمسجـد الأقصىٰ في طرقـه مكان محوطٌ له باب يُفتح / لجهة القبلة لا غير، معد لصلاة النساء في الجمعة والعيد، وعلى يسرةِ الداخل أيضاً في طرف الجامع بئر تُسمى بئر الورقة، وقد رُوي في أمرِ الـورقة أحاديث وأخبار وحكايات كثيرة وآثار، من ذلك ما نقله في مثيـر الغرام عن أبي بكر بن أبي مريم، عن عطيَّة بن قيس أنَّ رسـول الله ﷺ قال: ليـدخلنَّ الجنَّة رجـلٌ من أمتي يمشي على رجليه وهـو حي، فقدمت/ رفقةٌ إلى بيت المقدس

مقام العزيز

محراب زكريا

الأقصى القديم

٥٤/ب

بئر الورقة

ورقة الجنّة

---

(١) محدِّث الشام ومؤرخها، بنى له نور الدين الشهيد دار الحديث النـورية في العصـرونية، وجعله شيخاً لها، توفي بدمشق سنة ٥٧١هـ، وقبره مشهـور في جنوب مقـابر البـاب الصغير. وأوسع ترجمة له هي التي كتبها الدكتور صلاح المنجد في أول الجزء الأول من تاريخه الكبير.

يُصلُّون فيه في خلافة عمر رضي الله عنه، فانطلق رجلٌ من بني تميم يُقال له شريك بن حباشة النّميري يسقي أصحابه، فوقع دلوه في الجب، فنزل ليأخذ دلوه فوجد باباً في الجب يُفتح إلى جنان فدخل من الباب إلى الجنان فمشى فيها وأخذ ورقة من شجرها فجعلها خلف أذنه، ثم خرج إلى الجب فارتقىٰ، وأتى صاحب بيت المقدس فأخبرهُ بالذي رآه من الجنان ودخوله فيها، فأرسَل مَعَه إلى الجبّ فنزل ونزل معه ناس فلم يجدوا باباً ولم يصلوا إلى الجنان، فكتب بذلك إلى عمر فكتب عمر يُصدِّقُ حديثه في دخول رجل من هذه الأمّة الجنَّةَ يمشي على قدميه وهو حيّ وكتب عمر أن انظروا إلى الورقة فإن هي يبست وتغيَّرت فليس هي من شجر الجنّة، فإنَّ الجنة لا يتغير منها شيء، وذكر في حديثه أن الورقة لم تتغير[1].

قال الوليد بن مُسْلم: حدثني أبو النجم إمام أهل سلمِّية ومؤذِّنهم قال، وحدَّثني غير واحدٍ من أهل سلمِّية من قبائل العرب أنَّهم أدركوا شريك بن حباشة، قال: فكنا نأتيه نسأله فيخبرنا بدخوله الجنة وما رأى فيها وعن أخذه الورقات منها وأنه لم يبق معه إلا ورقة ادّخرها لنفسه، قالوا: كنَّا نسأله أن يريناها فيدعو بمصحفه فيخرجها من بين ورق مصحفه، خضراء تبرق، فيأخذها ويقبلُها ثم يضعها على عينيه، ثم يردها فيضعها بين الورق.

قال: فلما احتُضر أوصى أن تجعل بين كفنه وصدره، قالوا وكان آخر عهدنا بها أن وضعوها على صدره ثم وضعوها على أكفانه.

قال الوليد: قلتُ لأبي النجم هل وصفُوها لك قال نعم، شبَّهُوها بورق الدّراقن بمنزلة الكف، محدَّدةِ الرأس.

محراب داود

ثم خرجنا وذهبنا إلى محراب سيدنا داود ﷺ وهو محراب كبير من جهة الشرق في السُّور القبلي، يقال إن الدُّعاء/ عنده مستجاب، فصلينا هناك ركعتين، ودعَوْنا الله تعالىٰ، ثم ذهبنا إلى مكانٍ يُسمَّى بسوق المعرفة، وهو

٥٥/أ

(١) الأنس الجليل ٢/ ١٤.

مكان معقودٌ بـه محراب يلي محـراب داود من جهة الشـرق، قال الحنبلي في التّـاريخ : ولا أعـرف سبب تسميته بـذلك والـظّاهر أنّـه من اختراعـات الخدام لترغيب من يرد إليه من الزوار.

ونقـل بعض المؤرخين أن باب التّـوبةِ كـان في هـذا المكـان، وأن بني اسـرائيل كـان إذا أذنب أحدٌ ذنبـاً أصبح مكتـوبـاً على بـاب داره، فيأتي هـذا المكان ويتضرَّع إلى الله تعالىٰ، فلا يبرحُ إلىٰ أن يغفر الله له، وأمارة الغفـران أن يُمحى ذلـك المكتوب عن بـاب داره، وإنْ لم يُمح لم يقـدر أن يتقرَّب من أحدٍ ولو كـان أقرب النـاس إليه، انتهىٰ. ولعـل هذا كـان سبب تسميته بسـوق المعرفة لأنّهم كانوا يعرفون بالدعاء فيه والتـوبة ومحـو الذنب الـذي كُتب على أبوابهم أنّ الله تعالىٰ غفرذلك الذنب لصاحبه، وكأنَّ هذا المكان جُعـل قديمـاً مصلىً للحنابلة، ثم جُعل لهم المسجد الذي تحت المدرسة السُّلطانية[1].

سوق المعرفة

ثم ذهبنـا إلىٰ مهد عيسىٰ[2] عليـه السـلام، وهـو مسجـدٌ تحت الأرض بجانب سوق المعـرفـة في ركن المسجد من جهة الشَّرق، يُنزل إليه بدرجات، فيـه صورة مهـد من الرُّخـام، وإلى جانبـه على يسـار مستقبـل القبلة، صـورةُ محراب لطيف يُقـال إنّه محـل تعبّد سيدتنا مـريم عليها السـلام، وهو مـوضع مأنوسٌ، ومحلٌ في ركنه أيضاً يُقال إنه محلّ سيـدنا جبـريل عليـه السَّلام وفيـه أيضاً مكانٌ يُقال إنّه محلّ تعبّد حواريّي عيسىٰ عليه السلام، يُقال إنّ الدعاء في ذلك المكان مستجابٌ، فصلّينا هنـاك ركعتين، ودعَوْنـا الله تعالىٰ، وبهـذا المحلّ بابٌ متهدّم من جهة الغرب، يُتوصَّـل منه إلى تحت الجـامع الأقصىٰ، وهو أقبوة مرفوعة على عُمُدٍ من الأحجار الكبيرة، مربّعة الأوضاع، كل عمـود له غلظ زائـدٌ مبنيٌّ من ثلاثـة أحجار أو أربعـةٍ رُكّبَ بعضها فـوق بعضٍ بـإحكـام الإلصاق، وبكل عمودٍ حجر مخروق يُقال إنّـه من وضع سُليمـان نبي الله عليه

مهد عيسىٰ

الأقباء تحت الأقصىٰ

---

(١) المصدر السابق ٢ / ١٥.

(٢) صورته في كنوز القدس ٩١.

السلام، وأنّ هذه الأخراق هي التي كان يُصفَّد فيها الجانّ عند عمارة المسجد المشار إليه بقوله تعالى ﴿**والشياطين كل بناء وغوَّاص وآخرين مقرَّنين في الأصفاد**[1]﴾ .وهو محلّ مُظلم فيه بعض ضوءٍ من طاقةٍ هناك، فنزلناه ومشينا في جهاته للإحاطة/ وهو عالٍ نحو العشرةِ أذرع، وذكروا لنا أنّ الجامع، جميع رحابه وصحنه معلّقٌ على هذه الكيفية ولم نجسر أن ندور فيه لأنَّا وجدناهُ مهولاً موحشاً ولم يجد الإنسان له فيه مؤنساً، ثم خرجنا من ذلك المكان ومشينا شيئاً قليلاً، ثم صعدنا في درجات في حائط السُّور الشُّرقي، وهناك عمودٌ ممتدٌ إلىٰ خارج السُّور، فذكر لنا بعضهم أن امتداد الصِّراط يكون في ذلك المحل، وتحته الوادي العميق الذي فيه الآن قبور اليهود، وذُكر أيضاً أنَّ ذلك المحل يسمىٰ وادي جهنم، وذكر في كتاب الرَّوض المستأنس في زيارة بيت المقدس عن ابن العاص رضي الله عنه في قوله تعالىٰ ﴿**فضُرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**﴾[2]، قال هو سور بيت المقدس الشرقي، وعن ابن الصَّامت رضي الله عنه أنه قام على سور بيت المقدس الشرقي فبكى، فقال بعضُهم ما يبكيك يا أبا الوليد، فقال من ها هنا، أخبرنا النبي ﷺ أنَّه رأىٰ جهنَّم، ورؤي عبد الله بن الصَّامت على شرقي مسجد بيت المقدس يبكي فقال من ها هنا حدَّثني رسول الله ﷺ أنَّه رأى مالكاً يقلّب حجراً كالقِطْف، والقطف بالكسر العنقود، وفي إتحاف الأخصَّا: وهذا السور هو المراد بقوله تعالى ﴿**فضُرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمةُ وظاهره من قبله العذاب**﴾ رواه أبو العوَّام مؤذن بيت المقدس. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال السور الذي ذكره الله في القرآن بقوله فضُرب بينهم بسورٍ «الآية»، وادي جهنم، رواه الحاكم وقال صحيح.

٥٥/ب

وادي جهنم

سور الأقصى الشرقي

---

(١) سُورة ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) سورة الحديد ١٣، وفي التفاسير أنه سور الأعراف بين الجنة والنار، انظر تفسير الطبرسي ١٤٧/٦.

وعن سعيد بن عبد العزيز عن أبي العوام قال: رأيتُ عبد الله بن عمر قائماً على سور بيت المقدس يبكي، فقيل له ما يبكيك، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى فضُرب بينهم بسورٍ له باب، الآية، باطنه المسجد وما يليه وظاهره الوادي وادي جهنم وما يليه، فقال عبد الله بن عمر وهو سور بيت المقدس الشرقي، وفي لفظ آخر، هو السُّور الشَّرقي باطنه المسجد وظاهره وادي جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه وقف على سور بيت المقدس الشرقي فقال: من ها هنا ينصب الصراط، انتهى. والمراد بالسور المذكور في هذه الآثار هو السور/ الذي كان في تلك الأعصار، ولعل هذا السُّور الموجود الآن مبني على أساس ذلك، والله أعلم بما هنالك.

٥٦/أ

باب الرحمة وباب التوبة

ثم ذهبنا إلى باب الرحمة وباب التَّوبَة وهما بابان متحاذيان كبيران مسدودان الآن شرقي المسجد من جُملة السور المذكور، لهما بابان من الخشب القديم المحدَّد، يُفتحان إلى داخل، وعليهما من الداخل مكان معقودٌ بالبناء السُّليماني.

قال الحنبلي في التاريخ: ولم يَبْقَ بداخل المسجد من البناء السُّليماني سوى هذا المكان، وهو مقصودٌ للزيارة والدعاء، وعليه الأُبَّهةُ والوقار، وقد أخبرت من شخصٍ من القدماء أن الذي سدَّهما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنهما لا يُفتحان حتى ينزل عيسىٰ بن مريم عليهما السَّلام[1]، انتهى.

والذي ظهر لي أن سبب سدهما خشيةً على المسجد والمدينة من العدو المخذول فإنَّهما ينتهيان إلى البرِّية، وليس في فتحهما فائدة، والحكمة في سدهما أن بلاد بيت المقدس قد امتلأت الآن من الفرنج واليهود، فكانت الحكمة سد بابي الرحمة والتوبة عنهم، فإذا نزل عيسى بن مريم وقتل الكفَّار

---

(١) الأنس الجليل ٢/٢٧، وفي الموسوعة الفلسطينية أن الباب أُغلق زمن العثمانيين، وفي هذا القول نظر، لأنه كان مغلقاً في عهد الحنبلي سنة ٩٠٠هـ، الموسوعة ٣/٥١٨.

فتحهما على الأمَّة المحمدية، فوقفنا هناك ودعونا الله تعالىٰ بأنواع الدعاء، ثم ذهبنا إلى المكان الذي يُقال له كرسي سُليمان عليه السَّلام في مؤخر الجامع من جهة الشرق فدخلنا إليه وصلَّينا فيه ركعتين ودعَوْنا الله تعالى، وفيه قبَّةٌ محكمةُ البناء، بداخلها صخرةٌ كبيرةٌ ثابتةٌ تشبه القبر، لاصقة بالسُّور، يُقال إنها الصخرة التي وقف عليها سُليمان نبي الله بعد انتهاءالبناء، ودعا الله تعالىٰ بالدَّعوات المتقدم ذكرها في الفضائل، فاستجاب الله له.

كرسيّ سليمان

وذكر لنا بعضهم أن هناك دُفن نبي الله سُليمان، وفي مؤخر المسجد من جهة الشمال مما يلي الغرب صخور كثيرة ظاهرةٌ يُقال إنها من زمن داود عليه السلام، وهذا ظاهر لأنها ثابتَةٌ في الأرض، ولم يطرأ عليها ما يغيِّرها، ثم ذهبنا إلى مكان الصخرةِ المقتطعة من الصَّخرة الشريفة على ما يُقال له باب يفتح ويغلق، ففتحوه لنا ودخلنا إليه، ورأينا صخرةً نحو الذراعين طولاً والذراع عرضاً وفيه محراب/وعليه قبَّة عظيمة محكمةُ البناء، فوقفنا ودعونا الله تعالىٰ، ورأينا القبَّة التي تجاه باب السلسلة المعروفة بقبة موسى.

٥٦/ب

قبة موسى

قال الحنبلي: وليس هو موسىٰ النبي عليه السلام ولم يصح شيء في سبب تسميتها بذلك، وكانت تُعرف قديماً بقبة الشَّجرة.

أروقة المسجد

ورأينا في المسجد من الأروقة المبنية المحكمة البناء رواقاً ممتداً من القبلة إلى جهة الشمال على أعمدةٍ كبار، ورواقاً مُمتداً من جهة الغرب إلى جهة الشرق على أعمدةٍ أيضاً، ورأينا المنائر المبنيَّة في هذا الجامع الشريف، وهي أربع منارات: الأولى على مُقدَّم الجامع من جهة القبلة ممَّا يلي الغرب على المدرسة الفخريَّة، وهي ألطفها بناء، لكونها مبنية على غير أساس وأنّها مبنيَّةٌ على ظهر المدرسة المذكورة، والثانية على باب السلسلة لصيق المدرسة السلطانية التي كنا نازلين فيها، بحيث إن درجها ودرج المدرسة المذكورة واحد، وهي المختصَّةُ بالأماثل من المؤذنين، وعليها عمل المسجد واعتماد بقية المنائر، والثالثة على مؤخر المسجد من جهة الشمال مما يلي

المنارات

الغرب وتسمّى مغارة الغوانمة لكونها عند باب الغوانمة، وهي أعظمها بناءً وأتقنها عمارة، والرّابعة على الجهة الشمالية من المسجد، بين باب الأسباط وباب حِطَّة، وهي أظرفها شكلاً وأحسنُها هيئةً.

الأشجار في صحن الأقصى

ورأينا في صحن المسجد من جهةِ الغرب، بين الأروقة وصحن الصخرة عدَّة محاريب على مساطب مبنيَّة للصَّلاة وأشجاراً كثيرةً تشتملُ علىٰ تين وميس وغير ذلك، ورأينا فيه من جهة الشَّرق بين صحن الصخرة والسُّور الشَّرقي أشجار زيتون كثيرة من عهد الروم، قال الحنبلي في التاريخ: وفي المسجد أماكن كثيرةٌ من الحواصل والأقبية والمخازن ما يطول شرح وصفها، فإنَّ هذا المسجد الشريف أوصَافُه عظيمة لا يتصوَّرها إلا من شاهدها عياناً، ومن أعظم محاسنه أن الإنسان إذا جلس في أي موضع يرىٰ أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأبهجها، ولهذا قيل إن الله تعالىٰ نظر إليه بعين الجمال، ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال.

قال صاحب الأكمل، تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الدين أبي عبد الله الحنفي[1] في كتابة/ المسمى بالعسجد في صفة الأقصى والمسجد[1]: وأمَّا ما شاهدتُه بالعيان أنني جلستُ وقتاً في بقعةٍ منه مكللة بالزّواهر من الشّقايق والأقحوان وإلى جانبي رجل فقير عليه أثوابٌ رثَّةٌ، تارة يُخفي حِسَّهُ وتارة يُعلن بالتسبيح والتكبير ويقول سُبحان من جمع فيك المحاسن والحلل الفاخرة وجعلك تحتوي على كنوز الدنيا والآخرة، فقلتُ له يا سيِّدي، أمّا فضلُه وبركتُه فقد صدق العيان فيها الخبر، ولكن ما كنوز الدنيا؟ فقال: ما من زهرةٍ تراها إلا ولها في النفع والضرّ خواص يعرفها أهل الاختصاص، فقلت له: لعلّ تُظهر للعيان شيئاً ممّا عرفت يزداد به اليقين تبصرة وتكون هذه الجلسة منك عن مصباح النجاة مسفرة، فأخذ بيدي ومضى خطوات إلى جهة

٥٧/أ

جمال المسجد الأقصى

كنوز الدنيا

(١) ترجمته في النجوم ٣٠١/١٠، توفي سنة ٧٥٥هـ، وعن الكتاب انظر فضائل بيت المقدس صفحة ٦٩.

من جهات المسجد، ومدّ يده، فأخذ قبضةً من ذلك الكلأ، قال هل معك خاتم أو درهم، فقلت نعم، فأخرجت درهماً ممّا معي وعركَهُ بذلك الكلأ فعاد كالدنيار في صفرته، ثم أخذ حشيشة أخرى وعركه بها فعاد مثل ما كان في الأول، وقال هذه رموز احتوت على الكنوز، انتهى.

جامع المغاربة

ثم ذهبنا إلى جامع المغاربة[1]، وهو خارج الجامع الأقصى وداخل الحرم المستقصى من جهة الغرب في ساحة الحرم، مكان معهود، بالقبور والأحجار معقود، مأنوسٌ مهيب، فيه صلاة المالكية كل يوم، والذي يظهر كما قال الحنبلي أنَّه من بناء السيد عمر رضي الله عنه، لما رُوي عن شدّاد أنّ سيدنا عمر رضي الله عنه لمّا دخل المسجد الشّريف مضى إلى مقدمه مما يلي الغرب، فحثا في ثوبه من المزبلة وحثونا معه في ثيابنا ومضى ومضينا معه حتى ألقيناهُ في وادي جهنّم، ثم عاد، فعدنا بمثلها حتى صلّينا فيه في موضع مسجد يصلّى فيه بجماعة، فصلى بنا عمر فيه، فيحتمل أن يكون بناهُ عمر، ويُحتمل أن يكون من أثرِ البناء الأمويّ، فدخلنا إليه وصلينا ركعتين ودعونا الله تعالى،

محلّ البراق

٥٧/ب

ثم بعد خروجنا منه، ذهبنا إلى زيارة محلّ البراق، وهو محلٌّ على يمين الخارج من باب المسجد الذي عند جامع / المغاربة، يُنزل إليه بدرج طويل قليل العرض، على يمين النازل منه في أسفل الدَّرج طاقة في الحايط يقال إن موسىٰ عليه السلام ألقىٰ الألواح هناك، ثمّ ذهبنا على الميسرة إلى مكان هناك يُقال إنه ربط به البراق ليلة الإسراء، وهو بيت مسكون، فدُعي لنا بالخادم ففتح لنا ودخلنا فرأينا مكاناً معتماً ومسجداً صغيراً منيراً في الباطن، وإن كان في الظاهر مظلماً، فصلينا ركعتين ودعونا الله تعالى، ووجدنا هناك حلقة كبيرة في الحايط يقال إنها الحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء عليهم السلام البراق، وربط بها النبي ﷺ البراق ليلة أسري به، ثم خرجنا وذهبنا إلى بستان قريب إلى الأقصىٰ، فيه باب يُتوصَّل منه إلى تحت الجامع الأقصى، فأوقدت لنا

---

(١) هو جامع عمر، انظر كنوز القدس ١٠٤.

المسجد الأقصى الأرضي

الشموع فدخلنا إليه وهو مُظلم ليس فيه ضوء إلا من طاقةٍ هناك، وهو أقبوة[1] مرفوعة على عُمُد محكمة البناء، يقال إن الجامع الأقصى كان أولاً هناك في ذلك المحل الأسفل، وهو المناسب لتسميته بالمسجد الأقصى، وكانت زيارتنا لهذه الأماكن المذكورة في أوقات مختلفة معهودة، وأيّامٍ متفرقة معدودة، ولكن جمعناها في هذا المحلّ على الترتيب، ليتبيّن معناها للقاصر واللبيب، ثم خرجنا وعُدنا إلى منزلنا بالمدرسة السُّلطانية، فحضر عندنا أعيان تلك البلدة وأكابرها وعلماؤها وغالب أهلها، ففرحنا بلقائهم، وابتهجنا برؤياهم، وكان ممَّن حضر عندنا بالمدرسة السُّلطانية، شيخ الإسلام، صاحب النسب الطاهر المتصل بسيد الأنام، العالم العلاَّمة عبد الرحيم المفتي بالقدس الشريف، والمحفل المنيف ابن أبي اللطف ابن اسحاق بن الشيخ عمر، ومعه ولده مفخر الأفاضل وزبدة الصَّالحين أرباب الفضايل السيد محمد سلّمه الله تعالى.

الشيخ عبد الرحيم المفتي

قصيدة للشيخ درويش الطالوي

وجدُّ السيد عبد الرحيم أفندي المذكور الذي هو السيد عمر، كان بينه وبين الشيخ الإمام درويش أفندي الطَّالوي[2] محبَّة وصداقة ومراسلة، كما ذكر ذلك درويش أفندي في سانحاته حيث قال: وممَّا كتبت به صدر مكاتبة من غزَّة هاشم، سقتها غرُّ الغمايم، للعالم الرَّباني والقطب الصمداني سراج الملة والدين علاّمة الديار المقدَّسة/ زين الدين عمر بن أبي اللطف، لا زال مشربُه من العلوم صافياً، ولباس العوارف عليه ضافياً، وقد تشرَّفتُ به مدَّة إقامتي عام ثمانية وتسعين وتسعمائة:

٥٨/أ

سَقَىٰ معهداً من إيلياء هتونُ ... فلي بين هاتيك الربوع شجُونُ
ولا زال خفَّاق النسيم بربعهِ ... لطيفاً فإن القلْب فيه رهينُ

---

(١) يقصد جمع قبو، وصوابها أقباء.

(٢) يعرف بابن طالو، كان شاعراً معروفاً يجيد الهجاء والمدح، توفي سنة ١٠١٤، وقد ترجم له الحسن البوريني ترجمة مطولة. انظر تراجم الأعيان ٢/٢٠١ - ٢٢١.

منــازل أحبــابٍ إذا عــنَّ ذكــرُهــم سقَتْهم على بُعــد الــدِّيــار شؤونُ
أقــامــوا وسِــرْنـــا والفؤاد لــديـهم مُقيمٌ وهــل يــرعىَ الــوداد حزينُ(١)
أيا ساكني البيت المقــدَّس هل تــرىٰ يــجــود بكـم دهــرٌ عـليّ ضـنـيـنُ
سقى الله هــاتيك الــديار وأهلهــا سحــاب دُنُوِّ العهــد وهــو هتــونُ
وخصَّ خبــابــاً فيــه ركن هــدايــةٍ لــهُ الفضــل خِــدْنٌ والــوفــاء قــرينُ
سِراج المعاني عمــدة القوم والــذي لــديه جميــع المشكــلات تهــونُ
عليكم ســـلام الله مـــا حنّ عـــاشقٌ تــضــاعــف مــنــه إنَّــةٌ وحـنــيــنُ
فــوالله مــا فــارقتكم قــاليــاً لـكم ولكنَّ مــا يُقضىٰ فســوف يـكــونُ

أعيان القدس

وكان ممَّن حضر عنــدنا أيضــاً، السيد الحسيب النَّسيب صــاحب الفضل والكمال والتَّقريب، مفخر السُّلالــة الهاشميــة، وطراز العصــابة المصـطفويــة، مصطفى أفندي نقيب السادة الأشراف في هــاتيك الجهــات والأطراف، ومنهم السيد الحسيب النسيب صاحب المكــارم والمفاخـر السيد عبـد اللطيف أفندي المتقدم ذكره، والفائحُ في رياض هذه الأوراق نشره، ومعَهُ أخوه مفخر السَّــادة الأشراف ودرَّة تيجان بني عبد مناف، السيــد عبد الصَّمــد، سلَّمهما الله تعــالى من كــل سوء ونكــد، ومنهم الشيخ الإمــام، قدوةُ الأنــام مفخـر السَّــادة الأئمــة الفخام، بركــة السَّلف وجوهـرة الخلف الشيخ أبــو الوفــا العلمي، ومعه ولــداه الفاضلان الكاملان، مفخر العلماء والمدرسين بركة السلف الصَّالحين، الشيخ مصطفى العلمي، ومفخر الأفاضل أرباب الكمالات والفضائل، السيد محمد، جعلهمــا الله تعالى ذخيــرة أبيهما في الــدَّارين وشمس كمالاتــه المشرقــة / في الخــافقين، وأنار سمــاء هدايتـه بطلعــة هذين النيِّــرين، ومنهم مفخــر الأكــابــر والأعيــان، وخلاصَــة أكارم أبنــاء الــزمــان، المــولى الهمــام، والجهبــذ الشَّهم المقــدام، صالــح أفندي الشهيــر بابن العسَلي أعــزَّه الله تعــالى في الــدارين، وجعله من خير الفريقَين، ومنهم الشيخُ الإمامُ العــالم العلاَّمةُ والجهبذ الكــامل

٥٨/ب

(١) في الأصل: خدين، والتصحيح من نسخة حلب، لأنه أنسب للمعنى، وفي البيت التالي وردت «ساكني» بالإفراد في نسخة حلب.

الفهّامة، أمين الدين أفندي الخليلي المقدسي حفظه الله تعالى وعافاه من كلّ شرٍّ وبليَّة، وأدام له الرُّتبة السَّامية العليَّة، فإنَّ مزاجه كان مُتوعكاً في حين الاجتماع، وقد حصل بيننا وبينه مع ذلك ما تقرُّ به العيون وتلذّ الأسماع، ومنهم الشيخ الإمام الصَّالح، والفاضل الكامل الناجح، الشيخ محمود السَّالمي، وقد بلَغنا وفاته رحمهُ الله تعالى في شهر رمضان سنة اثنتين ومائة وألف[1]، ومنْهم الشيخُ الإمام والحَبر الهُمام الشيخ أحمد بن الشيخ صلاح الدين العلمي، الإمام الحنفي بالصخرة الشريفة، والخطيب بجامع الأقصى ذي المشاهد المنيفة، ومعه ولده الكامل الفاضل الشيخ أبو بكر، ومنهم أخو الشيخ أحمد المذكور الشيخ الإمام الصَّالح، والعامل الكامل الفالح الشيخ علي العلمي، وفَّقهم الله تعالى للعلم والعمل، وبلّغهم غاية الأمل، ومنهم سليل العلماء الأعلام الشيخ الكامل الفاضل الإمام الهمام، من اتصلت بيننا وبينه نسبة الجدود، واتَّصف بمكارم الأخلاق ووفاء العهود، الشيخ محمد بن الشيخ بدر الدّين، المتصل نسبه الكريم بابن جماعة الكناني الشَّافعي الخطيب بالجامع الأقصى المعمور، حفظه الله تعالى وأدامه بين أرباب الصّدور صاحب ورودٍ وصدور، ومنهم السيد الحسيب والفاضل النسيب مجمع الكمال ومفخر أرباب النوال، السيد خليل، الإمام الشافعي بالمسجد الأقصى، وصاحب القراءة الحسنة على أكمل ما يُستقصىٰ، جعله الله تعالى من أكمل أهل التقوى وحفظه من الأغيار في السرّ والنجوى، ومنهم الشيخ الإمام القدوة الفاضل الكامل الملازم على العبادة في المساء والغدوة، الشيخ محمَّد، الموقّت بالمسجد الأقصى وإمام المالكية بجامع المغاربة، الحائز /من الكمالات ما هو الأقصى، أدام الله له التوفيق وجَعَلهُ من خير فريق، ومنهم الشيخ الفاضل جامع الفضائل والفواضل الشيخ يحيىٰ الدّجاني، أتحفه الله تعالى بالمقام السُّبحاني في حضرة الغيب الإحساني والجناب الصَّمداني،

أعيان القدس

٥٩/أ

---

(١) هذه إشارة إلى أنه دوّن الرحلة سنة ١١٠٢هـ أو بعدها، أو أنه نقّحها وأضاف إليها.

أعيان القدس

ومنهم الشيخ الكامل، صاحب الفضل الشامل الشيخ محمَّد القرمي، من ذريَّة الأنصار من قِبَل أمّه وجدّه لأبيه الشيخ محمَّد القرمي المشهور، إمام السَّادة المالكية في جامع المغاربة، وقد بلغنا وفاته في شهر رمضان عام إحدى ومائة وألف بعد رجوعنا لدمشق الشام، رحمَهُ الله تعالى، رحمةً واسعةً، وعامله بمقتضىٰ منّته النافعة، ومنهم الأخوان الصَّالحان الفاضلان الكاملان سلالة الأولياء المقرَّبين ونتيجة أهل الكمال والدين الشيخ محمد وأخوه الشيخ أحمد من ذريَّة الشيخ أبي الحسن الششتري صاحب الديوان المشهور[1] وقد وردا من مصر إلىٰ القدس الشريف، وجاورا هناك مدَّةً من الزمان عاملهما الله تعالىٰ باللطف والإحسان، وأنجح لهما القصد والأمل، ووفقهما لكمال العلم والعمل، ثم تشرَّفنا بهما بعد ذلك ووردا إلى دمشق الشام في شهر رمضان سنة اثنين ومائة وألف ومنهم الشيخ الإمام العالم العلاَّمة والمحقق المدقق الفهّامة، الشيخ موسىٰ المغربي[2] صاحب الشرح على السنوسيَّة وغيرها من المؤلفات، وهو القدوةُ في علمي العقائد والقراءات، كمَّله الله تعالىٰ بجميل الأخلاق وجمَّلة بالمحبَّة الشَّاملة والوفاق، ومنهم رجل من ذرية عبادة بن الصَّامت الصحابي[3] المشهور، ومنهم أناسٌ من ذريَّة الكمال ابن أبي شريف وغيرهم من طلبة العلم والصَّالحين ممن لا يُحصىٰ عددهم ولا نعرف الآن أسماءهم على التعيين، وفقهم الله تعالى جميعاً في جميع الأحايين.

وممَّن حضر عندنا من العسكريَّة في المدرسة السلطانية مفخر الأمراء المعتبرين «عقل بيك»، المتسلم يومئذٍ بمحكمة القدس الشريف على متقضىٰ الشَّرع والدِّين، أدام الله تعالى جنابه محروساً، وَمحلَّه مأنوساً، ولنا في مدحه هذه الأبيات على البديهة:

---

(١) علي بن عبد الله، توفي سنة ٦٦٨هـ. معجم المؤلفين ٧/١٣٥.

(٢) موسى بن قاسم المغربي، معجم المؤلفين ١٣/٤٥.

(٣) شهد العقبة والمشاهد كلها، مات بين ٣٤ ـ ٤٥هـ، ودفن في القدس، انظر سير أعلام النبلاء ٢/٥.

مدحُ متسلِّم القدس

ألا إنَّ عقلاً أفضلُ الناس كلهم ... ولولاهُ في الأحكام ما ظهر النقلُ
فتىً هو في البيت المقدَّس كوكبٌ ... مضيء وفي أرض الكرام هو البُقْلُ

٥٩/ب

/وحسبك من فخرٍ بأنك دائماً ... بك الناس في الدارين تدرك يا عقلُ

ومنهم فخر الأكارم والأماجد، خلاصة ذوي المكارم والمحامد، عليٍ آغا، الناظر سَابقاً على حَرَمي القدس والخليل، جَعَله الله تعالى منه في ظلٍ ظليل، ومِنْهم فخر الأعيان وخلاصة أبناء الزمان، محمد آغا الناظر يومئذ علىٰ الحرم القدسي، والمقام الخليل الأنسي، حفظه الله تعالىٰ بأسرار عنايته وجعله في كنف هدايته، وغيرُهم من بقية أرباب الأقلام، وفق الله تعالىٰ الجميع إلى ما هو الخير المحض التَّام، ولنا من النظم البديع، في مدح الجميع:

مدح أعيان القدس

إنَّ الأكارمَ أهلُ بيت المقدسِ ... أهل المحامد في المقام الأقدسِ
أهلُ المراتب والمناصب والنَدىٰ ... شُمٌّ العرانين الكرام الأنفسِ
يسلو غريبُ الدار عن أوطانِه ... بلقائهم من إلفةٍ وتأنُّسِ
ومتى بدا في النَّاس منهم واحدٌ ... فكأنَّه ريحانةٌ في المجلسِ
قاموا على حفظ المودَّة بينهم ... للقادمين بهم سِواهُم يأتسي
فتُرابهم وهواؤهم زاكي الشَّذا ... والماءُ والنَّار الذي لم ينجسِ
وصدورهم يلقون من يلقونَه ... برحابها والوجه غير معبَّسِ
نازلتُهم فوجدتُهم أهلَ الهدىٰ ... وذوي مقامٍ بالصلاح مؤسَّسِ
وصحبتُهم فرأيتُهم صفواً بلا ... كدرٍ وذيلاً ليس بالمتدنِّسِ
ومحبَّة للزائرين ورحمة ... للسَّاكنين ورقَّة للمؤتسي
قومٌ إذا عُدَّ الكرام وجدتَهم ... مثل الجسُوم لهم وهم كالأرؤسِ
نزعوا ثياب الكبريا عنهم وقد ... لبسوا من المعروف أفخر ملبسِ

وقد وجدنا في مجموع بعض الأصحاب بالقدس الشريف، قصيدةً في مدح أهل بيت المقدس المنيف، من نظم الشيخ الصَّالح، والإمام القدوة

الشيخ أحمد السَّالمي يمدح أهل القدس

النَّاجح الشيخ أحمد السَّالمي، شيخ الخلوتية بدمشق رحمهُ الله تعالى، فإنه نظمها في زيارته بيت المقدس عام إحدى وثمانين وألف، وهي قوله:

يا أهل بيت المقدسِ … جودوا لصَبٍّ مُفلسِ
ما جاءكمْ بقوَّةٍ … لكن بشقِّ الأنفسِ
جئنا على رغم العِدا … لبابكم كي نحتسي
من خمرةٍ قد عُتِّقت … لا من سُلاف الأكؤسِ
/رقَّتْ وراقت وصَفَتْ … من غير ما تقعُّسِ

٦٠/أ

وإن أتىٰ السَّاقي بها … بأطلسٍ من سُندسِ
أقولُ يا بُشراي ذا … فوق الجواري الكُنَّسِ
وهِمْتُ من وجدي بها … وبالمقام الأنفَسِ
وقلتُ للنفس ارتعي … من الرياض المكتسي
من كلِّ زهرٍ رائقٍ … من المحلِّ الأقدسِ
وفتية حلُّوا بها … بغيرهم لم نأنَسِ
مَنْ حلَّ ساحة فضلهم … أوطانه فيها نسي
نُفوسُهم من عزِّها … تبيتُ تحت الأطلسِ
من جاءهم مِنْ بابهم … شالوهُ فوق الأرؤسِ
فجودهم وفضلُهم … في غيرهم لم يُغرسِ
يا صاحِ مذ رأيتُهم … أبهجني تَغرُّسي
وقلتُ قومٌ قد رضوا … لم تلقَ من مُعبِّسِ
طابت بهم أوقاتنا … حَيَّهَلا يا مؤنسي
وسَار حاديهم على … ضوء الدَّراري الخُنَّسِ
يقول هذا إنْبَسِطْ … ومن حمانا فاكتسِ
فجئتهم منكسراً … ملتحفاً ببُرنسِ
وتمَّ أمري بينهم … وغاب عنِّي غلسي

وصلِّ ربي دائماً على النبيِّ الأنفَسِ
وآله وصحبِه فكم أقالوا مِن مُسي
والسَّالميّ عبدُكم من فضلكم لم ييأسِ

وقد وجدنا مطلع القصيدة أحسن ما فيها، فاستخلصنا الفريدة من عقد لآلىء فيها، ونظمنا علي البديهة بحسب قوافيها، فقلنا:

قصيدة الشيخ النابلسي

يا أهلَ بيت المقدسِ طِبتم لطيب المغرسِ
أنتم أجِلَّةُ الورىٰ أنتُم كرام الأنفسِ
جئنا نزوركم على أعيننا والأرؤسِ
محبَّة فيكم وفي ذاك المقام الأقدسِ
وكم رأينا عندكُم من بهجةٍ في مجلسِ
ومن صفاء مشربٍ في الودّ عذب الأكؤسِ
قُطر شريف لم يزل بكل خيرٍ مكتسي
والبركاتُ حوله لمحسنٍ ومن يُسي
والمسجد الأقصى زها في صُبْحِهِ والغَلَسِ
فيا له من مسجدٍ على التُّقىٰ مؤسسِ
وصخرةِ اللّهِ لقد بَدَتْ بثوب أطلسِ
من نورها السّامي الذُّرا كان به تأنُّسي
معاهدٌ شريفةٌ آثارها لم تُطمسِ
ومرجها الأخضر قد وافى بثوب السندسِ
والطور في إشراقِه مثل نهارٍ مُشمسِ
يطلُّ من قربٍ على مثل الجواري الكنَّسِ
ووقْتُنا راق لنا هناك والغير نسي
وخصَّنا الله بما قد خصَّنا إذ نحتسي
من خمر ذاك القرب في أوجِ المقام الأنفسِ
ولِلتجلّي بيننا صولةُ ليثٍ مُغرسِ

نفتنيٰ به إذا بدا | وجهُ الجمال المؤنسِ
ولم يَزَل بنورهِ | يمحو ظلام الحندسِ
ونحنُ منه نمتلي | صفو الرجا لم نيأسِ
وكلُّنا في فرحٍ | لدى الجناب الأقعسِ
/جنابُ ربٍّ ساقنا | إلى الحمىٰ المقدَّسِ

٦٠/ب

وقد لبسنا من ندا | يديه خير ملبسِ
وعمَّنا بفضلِهِ | وخصَّنا بالنفسِ
وقد تطهَّرنا بهِ | فماؤنا لم ينجسِ
وقد رأينا نورهُ | في نار ذاك القبسِ
ونحن منه في حمىٰ | عن جاهل مُوسوسِ
والأمر فينا ظاهرٌ | وليس بالمتلبِّسِ
وإنني الراجي له | عبدُ الغني النَّابلسي

وقد وجدنا هذه القصيدة في سانحات الشيخ الإمام درويش أفندي الطالوي رحمهُ الله تعالى، نظمها لما قدم إلى الديار المقدَّسة سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، وهي قوله:

قصيدة الشيخ درويش الطالوي سنة ٩٩٨ هـ

إلى المسجد الأقصىٰ من الحرم القدسي | سرينا فوافىٰ الفتح من حضرة القدسِ
وجئنا حمىٰ التقديس والليل راقدٌ | وقد جُنَّ حتى لا يفيق من المسِّ
طلايح أنضاءٍ على مثلها لها | على الأين إذ قال الظليم على الحرسِ
تُباري نعام الجوِّ طوراً وتارةً | تُجاري نَعام الدَّوِّ[1] في المهمه الوعسِ
إلى أن بدتْ للعين أعلام ذي طُوىٰ | وبان حمىٰ البيت المقدَّس عن رجسِ
نزلنا من الوادي المقدَّس شاطئاً | على بقعةٍ فيه مباركة الرَّمسِ
فلاحَ لنا من جانب الطُّور لامعاً | سنا ضوء نارٍ قد جلت ظلمة اللبسِ
وما تلكَ نارٌ بل سنا ربَّة السَّنا | تجلَّى لقلب قد تخلَّى عن الحدسِ

---

(١) نعام البرّية.

أضـــاء سناهـــا طـــور سينـــاء مـــرَّة وآنسهـــا منً قبـل مـــوسىٰ بـلا حِسِّ

سمعنـا بـطور القلب منهـا نفائسـاً تنـزَّهُ عن فصـلٍ يـدانيـه أو جنسِ

ونادىٰ منادي القرب من حضرة الرضا ألا فانعموا فالفتح فوق جنىٰ الغرسِ

فطوبى لنا من حاضري أيمن الحمىٰ وطوبى لنا من زائري حضرة القدسِ



اليوم السابع عشر

[الأربعاء ٣ رجب - ١٢ نيسان / أبريل]

ثم جلسنا في اليوم السابع عشر من الرحلة السعيدة في مجلسنا بالمدرسَة السُلطانية الفريدة، وهو يوم الأربعاء المبارك، وكان ذلك اليوم في كمال لطافته وانسجامه لا يُشارك، وأرسَل إلينا في هذا اليوم مفخر العلماء والمدرسين وخلاصَةُ أرباب الكمال في هذا الدين، السيد عبد الرحيم أفندي المفتي هذين البيتين من نظمه، وطلب منّا الجواب عن ذلك، وهما قوله:

بيتان للشيخ المفتي

النَّاسُ حاروا في الضمير وحجبه … مَنْ يرفع الأستار عنه يكشفُ
العينُ للعينِ اتحاداً صادقاً … قل لي وما هو منهُ لا يتكيَّفُ

١/٦١ أ

/ فأجبناه على البديهة بهذه الأبيات وأرسلنا بها إليه غبَّ التحيّات، وهي قولنا من الوزن والقافية، تحريكاً لسلسلة المودَّة الصافية:

ردُّ الشيخ النّابلسي

لا حيرة في الحقّ عند ذوي الهدىٰ … بل عندهم منه الهداية تُعرفُ
قومٌ أزال حجابه عن قلبهم … وبهم يُسمّى بل بهم هو يوصفُ
لا زال فيهم نور ظلمة كونهم … أينَ الظلام وشمسه لا تُكسفُ
والعين تلك العين واحدة كما … كانت قديماً عند من هو منصفُ
والنَّاسُ حاروا بالعقُول لأنَّهم … رامُوا التكيّفَ وهو ليس يُكيَّفُ
فلو احتموا بحماه عن أفكارهم … وبه اهتدوا لا بالعقُول لأُتحفوا
لكنْ إذا رام المهيمن رتبةً … للمرء قام بها فمن ذا يحرفُ
فهو المكلَّف بالأوامرِ للحجىٰ … وبحضرةِ القيُّوم ذاك مكلَّفُ

زيارةُ الشيخ أحمد العلمي

ثم دعانا إلى داره مفخر العلماء الكرام، الشيخ أحمد العلمي المتقدم ذكرُهُ في أثناء هذا الكلام، فذهبنا إلى داره مع جماعةٍ من الإخوان أهل شهامةٍ ورفعة شان، وكان ذلك عشيَّة النَّهار، فرجعنا ونحنُ في كمال السرور والاستبشار، وصعدنا إلى جامع الصخرة المبارك وصلينا فيه المغرب بالجماعة فضلاً من الله تعالى وتبارك، ثم ذهبنا بعد صلاة العشاء الأخيرة إلى مكاننا بالمدرسة السُّلطانية الشهيرة.

اليوم الثامن عشر

[الخميس ٤ رجب ـ ١٣ نيسان/أبريل]

ثمَّ لما أصبحنا في يوم الخميس الثامن عشر من زمان الرحلةِ الأنيس، جلسنا في مجلسنا بالمدرسة المذكورة، ووردت علينا الإخوان والطلبة بقلوب مُستبشرة ووجوهٍ مسرورةٍ، وكان ممن حضر عندنا في ذلك اليوم الشيخ الصّالح محمود السّالمي المتقدم ذكره، وهو من أعزّ القوم، فأورد عندنا ما يُنسب إلى الشيخ الأكبر والقطب الأفخر سيدي الشيخ محي الدين بن العربي الحاتميّ الطّائي الأندلسي قدّس اللّهُ سرَّهُ، ورفع في درجات القرب مقرَّه، من المواليا قوله:

أعيان القدس

مواليا للشيخ محي الدين

لي حبٌّ لواسم حيَّر كل من لواسم[1]	في صنعة السحر والتنجيم والطلسم
خذ خمسة أحرف بلا نقطة وصوِّر اسم	بميم أوَّل وميم آخر تحلّ الاسم

ثمّ ذكر أن الشيخ محمد العلمي سئل عن معنى هذه المواليا فأجاب بقوله القافية مراعياً:

٦١/ب

مواليا للشيخ محمد العلمي

/سُبحان من حيَّر العالم بوضع الاسم	وكلُّ شيءٍ غدا ذاكر لذاك الاسم
اللّهُ فردٌ تعالى يا جزيل القسم	من ميم لاميه يا ذايق ترى الطلسم

وطلب من الجواب عن ذلك أيضاً فأجبناه بما فاضت به القريحةُ على البديهة فيضاً، فقُلنا:

ردّ النابلسي

حُبِّي هو الله كم حيَّر باسمواسم[2]	حروفه الخمس منها للأصابع قسم
يدٌ تعالت من اللامين لاح الجسم	مُحمَّد المصطفى عنها هو الطلّسم

وقد رأينا في ديوان الشيخ محمد العلمي رحمَهُ الله تعالى هذا السؤال والجواب، ووجدنا بعده جواباً آخر من القافية فأحببنا إثباته هنا في هذه الصحيفة الصّافية، وهو قوله رحمهُ الله تعالى:

---

(١) يعني له اسم.

(٢) باسمه.

مواليا للشيخ العلمي أيضاً

جلَّ الذي قيَّد المطلق بهذا الجسم حتى غدا جامعاً للسرِّ كالطلّسمْ
سرّ الإله لمن قد خصّ من ذا القسم روح الوجود حبيب الله ذاك الاسمْ

وقد أرسَلَ لنا ذلك اليوم، مع صديق لنا من القوم، مفخرُ الأفاضل ومجمعُ الكمالات والفواضل السيد محمد بن عمدة العلماء والمدرسين وسُلالة الأكارم الطيبين الطَّاهرين السيد عبد الرحيم أفندي المفتي بالقدس الشريف المتقدم ذكرُه وذكر ولده في هذا الكتاب المنيف، هذه الأبيات الثلاثة الفريدة، من نظمه الكاشف عن الأخلاق الحميدة وهي قوله:

قصيدة المفتي

يا عارفاً فيه الحقيقة قد غدتْ عين الشريعة يستقي من وردهِ
أحيا رسوماً من مآثر قومنا بعد اندراسٍ من فوائدِ جدّهِ
هذا وحيّا بالمحبَّة زائراً بيت المقدَّسِ عابقاً من ندِّهِ

ثم ذهبنا مع جماعة من الإخوان إلى زيارة السيد عبد الرحيم أفندي المذكور في هذا المكان، فوصلنا إلى مجلسه السَّامي، وقد اشتمل على جملةٍ من طلبة العلم، وهو بالبركة نامي، ففرح بنا غاية الفرح، وتلقّانا بصدرٍ قد اتَّسع وانشرحْ، فتذاكرنا معه في الصخرة الشريفة وكونها مرتفعةً بين السماء والأرض وذكرنا قوله تعالى ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلَّة﴾[1] الآية، فوجدنا المفسّرين ذكروا أنَّه جبل من الجبال، وقيل / هو جبل الطور، ويؤيده قوله تعالى ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطّور﴾[2] الآية، قال البيضاوي: رُوي أنَّ موسى عليه السلام، لمّا جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشَّاقة، كبرت عليهم وأبوا قبولها، فأمرَ جبريل بقلع الطور فظلَّلهُ فوقهم حتى قبلوا، انتهى. وقلنا نحن: إذا رفعَ الله الجبل على بني إسرائيل بقدرته، فكان واقفاً في الهواء بين السَّماء والأرض كما أخبر الله تعالى عن ذلك، فهو قادر على أن يجعل الصخرة واقفةً بين السماء والأرض كذلك إلى

٦٢/أ

مذاكرة مع عبد الرحيم المفتي

جبل الطور والصخرة

(١) سورة الأعراف ١٧١.

(٢) سورة البقرة ٦٣.

يوم القيامة، ولو قيل إن الصخرة قطعة من ذلك الجبل الذي جعله الله تعالى آيةً لبني إسرائيل وقد بقيت منه تلك القطعة مرتفعةً بين السّماء والأرض إلى يوم القيامة، لكان له وجهٌ، كما أن الطّاعون بقيَّةُ رجسٍ أرسَلهُ الله تعالى على بني إسرائيل، وكذلك الجراد والضفادع، والله على كل شيء قدير، والله أعلم بكلِّ شيء وهو السَّميع البصير.

وقد عَرضَ علينا عبد الرحيم أفندي المذكور من نظمه هاتين القصيدتين، إحداهما من قافية العين في مدح النبي المصطفى سيد الكونين عليه أفضل الصّلاة والسلام، ومدحِ آلِهِ وأصحابه الكرام، أمّا الأولى فهي قوله:

قصيدةُ عبد الرحيم المفتي في مدح المصطفى

أبَرقٌ بدا من نحو طيبة لامعُ ... ففاضتْ على تلك العهود مدامعُ
أمِ الشَّوق للسكَّان حرَّك كامناً ... فحرَّق قلباً بالمحبَّة والعُ
أم العِيسُ حنَّتْ للحجيج وشوِّقتْ ... أم العينُ أبكاها الحمام السَّواجعُ
نعم راعني ذكر الحبيب صبابةً ... فكلِّي لأشواق الحبيب مجامعُ
أبيتُ بذكراه أُراقبُ بدرهُ ... يَلوحُ بأوصاف الثنا وهو طالعُ
فأنظم أوصَافاً تحلَّى بعقدها ... وأضحى علينا من سَناها لوامعُ
ولما تباهىٰ الوصف جِيداً تزاحمتْ ... على وصفها للواصفين مَطامعُ
تَرومُ مداها السَّابقات وتنثني ... ودون المدىٰ بعد الزمان موانعُ
أجدِّدُ عمري في حياة نظامها ... فعمرٌ سعيدٌ ينقضي لي راجعُ
فأنسىٰ بها، يا عينُ قُرِّي سعادةً، ... إذا لَمَّني أمرٌ وفيها المنافعُ

٦٢/ب

/ويا نفس إن عنَيتِ غنّي فوقْتُنا ... لقد طاب قومي والعيون هواجعُ
وقولي بكفِّ السُّؤال مولاي إنني ... إليك بجاه المصطفى العمر ضارعُ
إلهي بجاه الأبطحيِّ مُحمَّدٍ ... وعِتْرته فرِّجْ وعفوك واسعُ
نبيٌّ له الخلق العظيم سجيَّةً ... وفي وجهه نور النبوَّةِ ساطعُ
تبارك أبداهُ نبيّاً وآدمُ ... بطينته المجدول فيه الودائعُ
وأظهره منّا نتيجةَ جذْلِها ... رسولاً لدعوته الأنام تُسارعُ

أتيتُ رسول اللهِ شمسَ هدايةٍ ... له في قلوب المؤمنين مطالعُ
وأعربتُ عن علم الغيوب بأمْره ... فأنتَ خيار الخلق للسرّ جامعُ
جليل إمام المرسلين وخاتم ... وهل أنت إلا في زها العزّ يانعُ
عكوفٌ على الفضل العظيم مكارماً ... عطوفٌ رحيمُ المؤمنين وشافعُ
له المعجزات الباهراتُ وجُلُّها ... لدينا كتاب الله فيه الجوامعُ
ومنها حنين الجذع لولا انضمامُه ... لحنَّ إلى يوم اللقا وهو جازعُ
وأصحابه الغرّ الكرام لقد رأوا ... أصابعَهُ من بينها الماء نابعُ
له الرَّاحة البيضاء يهطل سُحبها ... ومِنْ وكفها في العالمين صنايعُ
بها أثمر النخل الكريم بعامِهِ ... وسبَّحت الحصباء والقوم سامعُ
وأضرع منها الشّاة وهي مقلَّةٌ ... وأغني منها ظامئٌ ثم جَائعُ
فتلك يدٌ غرَّاء يهمي نوالُها ... ومنه غدا للواردين مشارعُ
فيا خير رسل الله أنت خيارهم ... رسول كريمٌ بالشفاعة نافعُ
أمانٌ لنا يوم الزحام وملجأٌ ... إلى فضلك العالي تشير الأصابعُ
عليه لواء الحمْدِ، والرسل حوله ... والأملاك، وهو السيد المتواضعُ
نبيٌّ، رسولٌ، من أولي العزم غاية ... وليس له في الأنبياء مضارعُ
ظلال لواهُ ذلك اليوم ظلُّهُ ... علينا لحرّ الأزدحام تدافعُ
إمام وليّ الكل والعقل شاهدٌ ... بهذا، وأما النقل فيه القواطعُ
فيا خير خلقِ الله أنت ملاذُنا ... إذا ضَاق أمرٌ أورمتْنا المواجعُ
فجاهُك أضحى للعصاةِ وقايةً ... لها في قبول المذنبين مواقعُ
/إلى فضلك المأثور سِرنا ركائباً ... ومن ضرَّهُ الحوباءُ ثمَّ لواقعُ ٦٣/أ
رعى الله ذاك الفضل إنَّ عيونَهُ ... بنيل الهدىٰ للشاربين منابعُ
فيا ربِّ قبل الموت والعودُ أحمدُ ... ويُبْشرك في أهل السَّعادة ذائعُ
أنِلنا إلٰهي بالحبيب محمَّدٍ ... نبيِّك من فينا بأمرك صادعُ
وصلِّي وسلم دائمين كلاهما ... وتُبْ واعف عني، إنني لك طائِعُ
فبابُك مقصود وعبدك واقفٌ ... وفضلكَ موجودٌ وعفوك رابعُ

وأمّا الثانية فهي قوله:

قصيدة أخرى لعبد الرحيم المفتي في مدح المصطفى

مِنْ مِنَّةِ المولىٰ عليَّ أصوِّغُ ... نظماً وفي خير البريَّة يُفرِغُ
وهوالسُّؤل والمأمول في نيل المنى ... وإلى الجنان به نفوز ونبلغُ
عذْب المديح، ثناؤه يُحيي الحشا ... كالغيث يُحيي الأرض بل هو أسبغُ
إن ضاق ذرعكَ فالوسيلة جاهه ... والخير من تلك السَّعادةِ يبزغُ
كشَفَ التيقُّظ عن قلوب أصبحت ... من حبِّه بهنا النعيم تصيَّغُ
هذا النبي الهاشمي محمَّدٌ ... يوم اللقا سبل النجاةِ يبلِّغُ
بمقامه المحمود خصَّ مُشفَّعاً ... جَمْع الخلائق بالشفاعةِ يُسبغُ
قامت له الأملاك تحت لوائه ... والرسل صفُّوا ليس عنه مروَّغُ
كلُّ يشير إليه ليس لغيرهِ ... في فتح باب الفضلِ ما يتسوَّغُ
ما نال هذا قبله أحدٌ ولا ... من بعدِهِ أضحىٰ لذاك مسوَّغُ
فتباهت الأزمان والعليا به ... والعيشُ مذ جاء الكريم يُرغرغُ
كم جاء بشرى الأنبياء لقومهم ... بالخاتم المختار أن قد يبزغُ
ومحا الظلام ظهورُه وبفجره ... يعلو الهدى فوق الضلال ويدمغُ
يا ليلةً غَرَّاءَ أسفر صُبحُها ... والضوءُ من شمس الهداية ينبغُ
فيها ابتهاج والسُّرور مكرراً ... للدين حقاً إذ أتاهُ مبلِّغُ
وتعددت بشرى الهواتف أن أتى ... للأمة الأخرى نبيٌّ يُبلغُ
وتساقط الإيوان فيه آيةً ... والتَّاجُ أيضاً في الزوال يُسَغسِغُ
غارتْ عيونُ الفرسِ واقتمَتْ بها ... نيرانُهم والجمرُ لا يُتَبيَّغُ
زهر النجوم لوضع طه أشرقتْ ... فأضاءت الأرجا تطول وتسبغُ

٦٣/ب

وأَرَتْ قصور الروم مَن في طيبةٍ ... ودنتْ إليها من ضياها تُفرَغُ
يا مولداً صار السرورُ مُؤبَّداً ... للدين حتى غيرهُ لا يفرغُ
ولد الحبيب محمّدٌ خير الورىٰ ... شوقي له فوق الصبابةِ يلذغُ
طاب الهناء لأمِّهِ نالت علا ... ما ناله أنثىٰ وطاب المنبغُ
هذا الكريم ابن الكريم مُسلسلاً ... وبخيرِ أصلاب الأنام مُصوَّغُ
نسبٌ سما في الخافقين تقلَّدتْ ... منْهُ النُّجوم بنوره تتبلَّغُ

فتح النبوةِ طينةً وختامُها — وخزانة الأسرار ذاك المبلغُ
خرق الطباق السّبع من بين الملا — ورقى، تعالى اللّهُ ما هو أبلغُ
ورأت عياناً عينُه جلَّ الذي — أعطاهُ ما قد ينبغي ويُسوِّغُ
فسعادةٌ قعساء نال قيادها — أنواعها نِعَمٌ عليه تُصَبَّغُ
رتبٌ حواها ما حواها مُرسلٌ — لم يَبق منها ما إليه يسبغُ
في ليلة المعراجِ نال كمالها — عين اليقين فلا تقلُّ وتفرغُ
يا سيد الرسل الكرام ومن بهِ — غوث الورىٰ أنت الكريم المسبغُ
أنت الشفيعُ بباب جاهك أصبحتْ — منّا القُلوبُ بثقلها تتمرَّغُ
واستوثقت بالحبِّ من زمن الصِّبا — وازداد ما عن بابه تتروَّغُ
الجود منكَ الغيثُ يهطل وبْله — وندىٰ الشفاعة في الكرامة يسبغُ
إني علاني المثقلات وعصمتي — بك سيدي أرجو الخلاصَ فأفرغُ
يا أرحم الشفعاء مُنَّ ببُغيتي — واسمح لعاصٍ مُشفقٍ يتزيَّغُ
ما للغريق عن الزمام عنايَةٌ — عن جاهك المقبول لا يتروَّغُ
أنت الغياث لكشف كلّ مُلمَّةٍ — بالمذنبين المؤمنين وتسبغُ
أسبِغْ عليَّ من العناية نعمةً — فسواك من للعفو عنّا نبلغُ
صلّى الإله عليك ربي سرمداً — وعلى الصَّحابة من بهم نتبلَّغُ[1]

ولما رأينا هاتين القصيدتين، وهما على مدح النبي ﷺ مشتملين، عملنا قصيدتين على وزنهما والقافية في مدحِ النبي ﷺ، صاحب الإمدادات/الوافية، أمّا الأولى فهي قولنا:

٦٤/أ

قصيدةٌ للشيخ النابلسي في مدح الرسول الكريم

عيوني لأنوار الحبيب مطالعُ — وقلبي لأسرارِ الجمال مُطالعُ
ويومي بألطافِ التودّد رائقٌ — وليلي بأنواع التقرّب ساطعُ
رآني فأفناني بغمز عيونه — فلم أرهُ، والفرد للفردِ راجعُ
وكلّي بكلّي قائمٌ وملائمٌ — وبعضي لبعضي مُقبلٌ ومُسارعُ
صدقتَ نديمي ذاك نور محمَّدٍ — تجلّى لنا فهو البروق اللوامعُ

(١) سيأتي الشيخ على شرح الغريب من ألفاظ هذه القصيدة فيما يلي.

هـو البحـر بـالأمـواجِ يـظهـر دائمـاً وما المـاء إلّا الشَّـامخ المتـواضعُ

رسـولٌ أتـانـا من حقـائقنـا إلـى ظـواهـرنا والكشف عنه الشـرائعُ

دنـا فـتـدلّى مـنـه فـيـه بـهِ لـهُ فكـان كقاب القـوسِ لا يتدافـعُ

وعـزّ فـذلَّتْ للعـزيـز نفـوسُنـا وجـلَّ فكـلٌّ للجليـل صنـائـعُ

نـبـيّ كـريـمُ زادهُ الله رفـعـةً هـو اليـد مُـدَّتْ والجميعُ أصـابعُ

بـه قـد نجا نـوحُ من المـاء واكتفىٰ أذى النَّـار إبـراهيـم إذ هـو واقـعُ

وآدمُ من تلك الخـطيئة قـد نجـا بـه، فـعليـه تـوبَـةٌ تـتـسـارعُ

وكـلّ نـبـيٍّ نـال مـنـه كـرامـةً وكـلّ ولـيٍّ وهـو لـلكـل واسِـعُ

وقـد خصَّـهُ الله الكـريم بخمسـةٍ بهـا هـو في قرب المهيمن طـائـعُ

له الأرض صارتْ مسجداً أينما بهـا أتىٰ بصـلاةٍ جـازَ فَلْيَـهْـن راكـعُ

وكـلّ صعيـد الأرضِ فيـه طهـارةٌ إذا لم يكن مـاء هنـالـك نـابـعُ

وحلَّتْ لـه كـل الغنـائم في الوغىٰ فيختصُّ فيهـا عسكـرٌ وطـلائـعُ

وبـالـرعب من شهرٍ لـهُ اللَّهُ نـاصرٌ على من يُعـادي حـزبَـهُ ويُقـاطـعُ

وبـعثـتـه للخلق طـرّاً وفي غـدٍ شفـاعتـه للنـاس والكـلُّ جـازعُ

أتىٰ وظـلام الكفـر داجٍ فـأشرقت شمـوسُ الهُدىٰ بـالنُّور وهي طوالعُ

وزالت أبـاطيـل الـردىٰ وتنكَّسَتْ طـواغيـة الأصنـام وهي فـظائـعُ

أتىٰ يـوم بـدرٍ وهـو كـالبـدر وجهُهُ فـأخفى ظـلام الـظُّلم مـا منه لامعُ

ويـوم حُـنـيـنٍ أظهـر الله حِفْـظَهُ لـه وحمـاه وهـو عنـه المـدافـعُ

وأسـرى به لـيـلاً من المسجد الـذي بمكَّـة لـلأقصىٰ الـذي هـو شاسـعُ

/وجبـريـل وافـاه ليعـرج للسَّـمـا بـه وبـراق الـعـزّ بـالعـزّ رافـعُ

ومن كـان في القرآن قـد جاء مـدحُهُ فمَنْ ذا لـه يـأتي بمـدحٍ يُضـارعُ

تبـارك من أهـداه لـلخلق رحـمـةً بـه ربُّه للنـاس معـطى ومـانـعُ

لـدعوتـه الأشجـار جـاءت سـريعـةً ودانت لـه الأحجـار وهي خـواضعُ

وحنَّ إليـه الجـذعُ من شـوقـه لـهُ وأنَّ بـوجـدٍ أضمرَتْـه الأضـالـعُ

وقـد أظهر التسبيح في كفّه الحصـا وأعلنَ حتى كـل من كـان سـامـعُ

٦٤/ب

وقد شُقَّ لمّا أن أشار بأصبعٍ ... له البدرُ في أفق السما وهو طالعُ
ألا يا رسول الله يا أفضل الورىٰ ... ومن ليس في العليا له من ينازعُ
ويا غوثنا في كلّ ضيقٍ وشدَّةٍ ... ويا مَن لنا يوم القيامةِ شافعُ
ويا ملجأي يا مقصدي يا وسيلتي ... ويا سندي يا سيدي أنت نافعُ
إذا كنت لي في كلّ أمرٍ ملاحظاً ... فما أنا متعوبٌ ولا أنا ضائعُ
تجلّى بك الرحمن في كلّ مَظهرٍ ... عَلينا فمتبوعٌ كما أنت تابعُ
لأنّك نورٌ كنتَ من نور ربِّنا ... ظهرتَ لنا والكلُّ منك بدائعُ
عليك صلاةُ الله ثم سلامُهُ ... بغير انقطاعٍ لم يزل يتتابعُ
وآلك أرباب الشَّهامة والحجا ... ومَنْ فضلُهم بينَ البريَّةِ شايعُ
وأصحابك الغرّ الكرام جميعهُم ... أُولي المجد كم قد عاهدوك وبايعوا
على نصرة الدين القويم قيامُهم ... ونالوا ائتلافاً حيث زال التقاطعُ
وتابعهم بالخير سادتنا ومَنْ ... بهم عمِّرت أقطارنا والمرابعُ
مدى الدهر ما هبّت على الروض نسمةٌ ... وناحت على الغصن الطيور السَّواجعُ

وأمّا الثانية فهي قولنا:

قصيدة أخرى للنابلسي في مدح الرسول

هل من فتىً أرض الحجاز يُبلّغُ ... عنّي التحيَّة للنبيّ يُبلِّغُ
إن البروق إذا تتابع لمعُها ... من نحو طيبة: للأضالع تلذغُ
وإذا هفتْ من نحو هاتيك الرُّبا ... نسماتُه للشوقِ زاد المبلغُ
يا سائرين على الركايب للحمىٰ ... ولهم أيادٍ في المسير وأرسغُ
يطوون بالأظعان منشور الفلا ... وأديمُهم بفم المهامِهِ يُمضغُ
/إنْ أقبلتْ بكمُ المطيّ على الحمىٰ ... من طيبةٍ حيثُ الأهلَّة تبزغُ ٦٥/أ
حيث الشموس تضيء من أفلاكها ... وبنورها ثوبُ الدُّجنَّة يُصبغُ
وتشعشعتْ أنوار أحمد فاغتدتْ ... منها أباطيلُ الجهالةِ تُدمغُ
بُثوا التحيَّة من مشوقٍ والِهٍ ... عن حبّه طول المدىٰ لا يفرغُ
واستعرضوا ذكراه عند حبيبه ... فالشوق داءٌ عنهُ لا يُستفرغُ
واستكْتِمُوا كيد العذول ومكره ... إنَّ العذول من الثعالب أروغُ

طه الرسولُ محمَّدٌ خيرُ الورىٰ … نِـعَـمُ الإلـه بـه أتـمُّ وأسـبـغُ

من جـاءنـا بـالحق أوضَح أبْلجـاً … كـالغُصن في روضِ المحاسن ينبغُ

سُبحـان من أسـرىٰ بـه ليـلاً إلى … أسنىٰ مقـامٍ في الـعـلا هـو أبلغُ

وحبـاهُ بـالشـرف الـرفيـع وخصَّـه … بـمـزيَّـةٍ عنـهـا سـواه مُـفـرَّغُ

هـو أفصح العـرب الـذين بـه سموا … وسـواه في تلك الفصـاحـة ألثـغُ

والله أيَّـدهُ بـنـصـرٍ ظـاهـرٍ … فـتـوسَّلوا بجنـابـه ولـه ابتغُـوا

طـوبىٰ لمـن وافى إلىٰ أعتـابـه … وغـدا على ذاك الثَّرى يتمـرَّغُ

وفؤاده قـد ذاب من فـرط الجـوىٰ … والـدمـعُ في أجفـانـه يتـرغـرغُ

هـو أفضلُ الـرُّسْل الكرام جميعهم … وأمـورُه أسـنـىٰ الأمـور وأضـوغُ

قـد أنـزل البـاري عليـه كـلامَـهُ … وَحْيـاً وذاك الـوحي فيـه يفـرغُ

والجـذع حنَّ لـه وسبَّحت الحصىٰ … في كفِّـه والـجـود منـه مُسـوَّغُ

والبـدرُ شقَّ لـه بـغـيـر مشقـةٍ … والـعيش أرغـد في لقـاه وأهيـغُ

وعليـه سلَّمت الغـزالـة واهتـدتْ … بهـداةِ قـومٍ لم يكـادوا يصدغـوا

وهـو الـذي رفـعَ الإلـهُ بفضله … عنّـا الشـدائـد فهي ليست تبلغُ

ونبينـا منـه الشفـاعـة في غـدٍ … يـوم القيـامـةِ والجمـاجم تُفـدَغُ

والحلم فيـه والشَّهـامـة والتقىٰ … والـصَّبـر وهـو لـربِّـه المتفـرِّغُ

رحمَ الإلـه بـه القلوب فـأشـرقت … بـالنـور منـه فللهـدىٰ هي مَنبـغُ

وعيـونُ أربـابِ العيـون تمتّعتْ … بجمـالـه وعن السّـوى هي فـرّغُ

يا حُسنَ، بل، يـا طيب ساعـةِ قربـهِ … يـوم الـزيـارة والجـوىٰ متـذلِّـغُ

٦٥/ب /حيث الـركـائب أقبلت تمشي إلىٰ … ذاك الجنـاب بـهن غص الأصيـغُ

ولشـوقهـا في كـلِّ عـام جَـوْلـةٌ … نحـو الحجاز لهـا العنـاء يُسـوَّغُ

خفَّت من السَّيـر الشـديـد خفـافهـا … وجلودُهـا بيـد المهـامِـهِ تـدبـغُ

أرْسـانُهـا بيـن الحـداة غـنـاؤهم … فكـأنَّمـا هي حين تسمـع زغـزغُ

طـارتْ بأجنحـةِ الغـرامِ إلى الحمىٰ … والحبـل طَـلْقٌ والجـلالُ مُـريَّـغُ

لثمت ثـرى أرض الحبيب بنفسهـا … والـقلبُ منهـا بـالبعـاد مُـروَّغُ

يـا خيـر من زارتْـه وافـدةُ الفَـلا	فـي كـلّ عـامٍ والحنيـن الأربـعُ
أنت الـذي لـك دين حق واضـح	لا يـختـفي أبـداً ولا ولا يـتبيَّـغُ
صلّى عليـك الله يا نُـور الهدىٰ	يـا مَـن لنـا هـو منـذرٌ ومُبَـلِّغُ
وأتتـك أنـواع السُّـلام من الـذي	نعمـاؤه بـك في البـريَّـة تسبـغُ
مـع آلـك القـوم الكـرام أولي العـلا	ومَـن الكمـال بـهـم أتـمُّ وأسـوغُ
وكـذاك أنـواع الصَّحـابـة كـلِّهم	والتَّـابعيـن لـهم بخيـرٍ يـبلغُ
طـول المدا مـا هبَّ ريـح صبـاً ومـا	هفتِ البـروق دُجىً وصـاح اللغلغُ

وأما بيان اللغة في قوافي هاتين القصيدتين الغينيَّتين، بـالغين المعجمة، فأمّا في القصيدة الأولى فقوله أصوَّغ، يقال صاغ الشيء بالغين المعجمة، هيَّأهُ على مثال مستقيم فانصاغ وهو صوَّاغ وصيَّاغ والصياغة بـالكسر حـرفته، وصَاغ له الشراب سَاغ فقوله أُصَوِّغ نظماً هو بتشديد الواو من الأول، مبـالغة أصـوغُ مُخفَّفاً بزيـادة المبنى ليدلَّ على زيـادة المعنى، فهو من صَـوَّغ بتشديـد الـواو بمعنى صـاغ كما أنَّ حمَّـد بالتشـديد أبلغ من حَمَـدَ بالتخفيف، أو من الثـاني بنقله من المخفف إلى المثقَّل كما ذكـرنا، وقـولُه بهنـا النّعيم تُصيَّـغُ بـالبنـاء للمفعـول بتشديـد الياء التحتيَّـة، يقال صـاغ اللَّهُ فُلانـاً صيغةً حسنـةً أي خلقَهُ كـذلك، وقـولُه بـالشفاعـة يسبغ أي يشمـل، يُقال أسبـغ الله النعمةَ، أتمَّهـا، والوضوء، أبلغَهُ مواضعه ووفى بكل عضوٍ حقَّهُ، وقوله ليس عنه مروَّغ، بتشديد الواو من راغ، مال وحـاد عن الشيء،وقولـه يُسوِّغ ومسـوَّغ بتشديـد الواو، من سـاغ الشراب، سهُـل مدخله، وقـولـه يُـرغـرغ، الـرغـرغـة / رفـاغـةُ العيش والانغمـاس في الخير، وقـولُه ينبـغ نبغ، كمنـع ونَصر وضـرب، ظهر، وقـوله يُسغسغ، سغسغ الشيء، حرَّكهُ من موضعه كالوتد ونحوهِ وفي التراب دسَّه فيه أو دحرجَهُ، وقوله: لا يتبيَّغ، تبيَّغْتُ به انقطعتُ به وبيِّغ به مجهولاً، وتبيَّغ عليه الأمرُ اختلط، وقوله: وطاب المنبغ، أي المنبغ من نبغ الماء بالغين المعجمة، نبع بالمهملة.

التحليل اللغوي للقصيدة الأولى

٦٦/أ

شرح كلمات القصيدة الثانية

وأما ما في القصيدة الثانية فقولُه: وأرسغُ جمع رُسُغ بالضمّ وبضمتين، الموضع المستدقّ بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرِّجْل، أو مفصل ما بين السّاعد والكفّ والسّاق والقدم، ومثل ذلك بين كلّ دابّة، وقولُه: وأهيغ هو أرْغد العيش، وقوله: يصدغوا، من صدغه عن الأمر صرفه وردَّه، وقوله: تفدغ، فدغَهُ كمنعه، شدخه، أو هو شدخ الشيء المجوَّف، وقوله: متذلِّغ بالذال المعجمة يُقال: أمر ذالغ ومتذلِّغ، ليس دونه شيء، وقوله: غصُّ الأصيغ، الأصيغ هو واد، وقوله: زغزغ بالفتح الخفيف، النَّزق من الإنسان خاصَّة، فهو مبنيٌّ على التشبيه، وقوله: مُريِّغ، الريغ بالكسر، الغبار والتراب والمريِّغ كمعظم الشيء، المترّب، وقوله: يتبيَّغُ، تبيَّغ عليه الأمر اختلط، وقوله: اللَّغلغ، هو طائر غير اللقلق، ذكر ذلك كلَّه في القاموس، وباقي الكلمات واضحة المعنى ظاهرة المبنى.

تربة الشيخ علاء الدين البصير بالقدس

ثم ذهبنا من عند السيد عبد الرحيم المذكور، فزرنا بين أزقَّة بيت المقدس تربَة[1] الشيخ علاء الدين البصير صاحب المقام المونس، وزرنا المكان الذي يُسمَّى قنطرة الخضر، وزرنا تربة الشيخ خبير والشيخ السيوفي والشيخ موسىٰ، جدّ الشيخ محمد العلمي الكبير، عليه رحمةُ الله تعالى السميع البصير، ودعونا الله تعالى عند مقامات هؤلاء السَّادة وقبورهم، والتمسنا من بركاتهم ولمحات نورهم، ورجعنا إلى مكاننا في المدرسة السلطانية، وجلسنا على عادتنا فيها، لاستقبال من يرد علينا من الإخوان والطلبة العلميَّة، فحضر عندنا/ جماعةٌ من أعزّ الطلّاب، وأرادوا منا أن نُقرئهم في رسالة الشيخ العارف بالله تعالىٰ وبالآداب الشيخ أرسلان الدمشقي[2] عليه رحمة الكريم الوهّاب التي في علم التوحيد العرفاني، وذوق الوجدان الروحاني، فشرعنا في الإقراء في ذلك اليوم وحضر عندنا جماعةٌ من المحبين لكلام القوم، وكان وقت الدرس في كل يوم بعد أداء صلاة الظهر، والتطهُّر

زيارة مجموعة من القبور

٦٦/ب

درس في علم التوحيد للشيخ محي الدين

---

(١) رباط بُنيَ سنة ٦٦٦هـ انظر كنوز القدس/١٤٣، ومصادره.

(٢) سبقت ترجمته، انظر سير أعلام النبلاء ٢٠/٣٧٩.

لـذلك بكمـال الـطُّهـر، فجلنـا في الأبحـاث العـرفـانيـة والحقـائق الإيمـانيـة والإحسـانية، غيـر أنَّ الشقَّة بعيدة والمشقَّة شـديـدة، وقـد علم كـلُّ أنـاسٍ مشربهم، ونسأل الله تعالىٰ أن يُعطي كلَّ قومٍ مأربهم، ثم عزم علينا رجلٌ من الأحباب، إلى منزله الواسـع الرحـاب، فسِرنـا للمبيت عنده في تلك الليلة مـع جماعة من الأصحاب، ومررنا في الطريق علىٰ مـزار[1] الشيخ عيـد رحمه الله تعـالىٰ فوقفنـا عنده وقـرأنا الفـاتحة لـه، ودعونـا الله تعالىٰ بـرفـع المشقَّـة عن المسلمين والشدَّة، فوصلنا إلى دار محبٍّ خليل، وصديق جليل، وفنـاء رحب واسع، وقدر عظيم شاسع، وضيافة كريم كـالبستان مختلفـة الطعـوم والألوان، حتى إذا استقر بنا المجلس في ذلك، وأشرق وجه الليل الحالك، قمنا فذهبنا مع الجماعة إلى حمّامٍ لطيف البنـا، ظريف الجـوانب والفنا، عـذب المياه، طيب الأفواه،فدخلنا إليه بعد العشاء الأخيرة، مع جمـاعتنا وهـاتيك العشيـرة، ولم يدخل معنا أحدٌ غيرنا من الأجانب،فانشـرحت صدورنـا في هاتيـك الأرجاء والجوانب، وأُطلقتْ في داخله مجامرُ البخور، وجيء بمـاء الورد، ورُشَّ على هاتيك الوجوه والنُّحور، ثم وردتْ علينا فناجين القهوة، ونحن في أكمل مَسرَّة وأتم خطوة، حتى أخذنـا من ذلك بـالحظ الوافـر، واطمأن بيتنـا بما رأى قلب المقيم والمسافر، فخرجنا إلى ذلك المكان الوسطاني، بعدما تنعَّم منـا الوجْـهُ الجسمـاني والروحـاني، فجيء بأواني السكَّـر في ذلـك الأوان، وكمـا تحلَّت المسامع هناك بالألحـان الطيبـة، تحلَّى بالطعوم الـطيبة اللسـانُ/ وقد قُلنـا في وصف ذلك، بمعونة القدير المالك:

دخول الحمّام

٦٧/أ

وصف الحمّام

ألا لله حـمَّـامٌ دخـلـنـا	إلـيـه مـبـاركٌ طـبـق الـرَّجـاءِ
رأيـنـا فـيـه مـنـفـعـةً وخـيـراً	وأنـواع الـمـسـرَّة والـهـنـاءِ
وللقدس الشريـف بـه افتخـارٌ	عـلى كـل الـبلاد بـلطف مـاءِ
وكـيـف ومـاؤه مـن وجـه غيـبٍ	جـرى وأمـدَّه غيـثُ الـسَّمـاءِ

---

(١) نَسَفَتْهُ إسرائيل مع ١٣٥ داراً، وأنشأتْ ميداناً أمام حائط البراق، انظر: أجدادنا في بيت المقدس/٧٣.

وقلنا كذلك:

وحمّام دخلناهُ عشاءً	على لمعاتِ أنوار الشُّموعِ
به القدس الشريفُ على سواه	له فخرُ الأصُول على الفروعِ
هواءٌ فيه ذو حَرٍّ لطيفٍ	كأنفاسٍ تردَّدُ في النّزُوعِ
مجاريه تُقَهْقِهُ فيه ضحكاً	على الأجسام تبكي بالدموعِ
يمُدُّ من السماء بماء غيثٍ	فلم يحتجْ إلى ماء النبوعِ
لهذا تنظر البركات فيهِ	وإنْ دَخَلتْه وافدةُ الجموعِ
صفا ووفا وفاق وراق لُطفاً	وأشرقت الأهلَّةُ بالطُّلوعِ
وكان به السُّرور لنا جميعاً	وزالتْ لهفة الكبد الولوعِ
يُحقِّقَ ماؤه قلبَ المصلِّي	ليهنىٰ بالسجود وبالركوعِ
به مُدَّتْ أنابيبٌ إلينا	من البلُّور كالبرقِ اللموعِ
وفاض الماء عذباً فيه حتّى	حسبنا أنَّه لبن الضُّروعِ
وشاهدنا نعيماً في جحيم	به ولذاذةً بين الضُّلوعِ
يكاد عن الغذا يُغني البرايا	ويُلهي النَّاسَ عن عطشٍ وجوعِ

قصيدة ثالثة في الحمّام

زيارة مقامات الصّالحين

ثم خرجنا من الحمَّام ونحن في غاية السرور والإكرام، وقد زرنا في الطريق قبر الشيخ المعروف بالشيخ غباين وقبر الشيخ أبي الريش، من الأولياء الصَّالحين أصحاب المقامات واليقين، إلى أن وصلنا إلى تلك الدار التي منها أتينا إلى الحمام، فبتنا في أحسنِ ليلةٍ علىٰ أبلغ نظام إلى أن طلع الصَّباحُ، وأضاء بنوره ولاح.

اليوم التاسع عشر

[الجمعة ٥ رجب ـ ١٤ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يومَ الجمعة التاسع عشر من الرحلة الميمونة، واللؤلؤة المكنونة، فذهبنا/ مع الجماعة الكرام إلى زيارةٍ نبيِّ الله داود[1] عليه الصلاة والسَّلام، فخرجنا إلى خارج المدينة من الباب القبلي المسمى بباب صهيون، المعروف الآن بباب داود، فوصلنا إلى مزارٍ عظيم ومقامٍ كريم، وقبَّة عالية، وحضرةٍ سَامية، وفناءٍ رحب الجوانب واسع الأطراف، وقصرٍ مشيدٍ عالٍ موطَّد الأكناف، فدخلنا إلى زيارة قبر داود عليه الصلاة والسَّلام، وهناك مسجدٌ ومحرابٌ وسَاحةٌ ومقام، فوجدنا كمال الهيبة وغاية الاحتشام، فصلَّينا ركعتين ووقفنا ودعونا الله تعالىٰ نهاية الإذعان والاحترام، ويُقال إن قبر داود عليه الصلاة والسلام في بلاد البقاع في ذيل جبل لبنان وقد زرناه أيضاً ولله الحمد كما ذكرنا ذلك في رحلتنا المسماة بحلة الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز[2].

٦٧/ب

قبر داود عليه السلام

وقال الحنبلي في تاريخه، قال وهب، ودُفن داود بالكنيسة المعروفة بالجسمانية شرق بيت المقدس في الوادي، ويُقال إن قبر داود عليه السَّلام بكنيسة صهيون وهي التي بظاهر القدس من جهة القبلة بأيدي طائفة الفرنج، لأنها كانت داره، وفي كنيسة صهيون المذكورة موضع تُعظِّمهُ النصارى ويُقال إن قبر داود فيه، وهذا الموضع هو الآن بأيدي المسلمين، وصهيون بكسر الصَّاد المهملة وسكون الهاء وفتح الياء المثنَّاة التحتيَّة وسكون الواو، قال في القاموس صهيون كبرذون، بيت المقدس أو موضع، انتهىٰ، يعني موضع منه كما هو المتبادر للأفهام، وقُلنا في ذلك المقام، ما تيسَّر من النظام:

(١) انظر كنوز القدس/ ٣٢٥.

(٢) ما تزال مخطوطة واسمها «حلية الذهب الإبريز...» وقد تمت الرحلة سنة ١١٠٠هـ وفي المكتبة الظاهرية بدمشق نسختان عنها برقم ٧٩١٠ و ٨٣٦٦ تصوف في بضع وخمسين ورقة. فهرس الظاهرية ـ التصوف ١/ ٤٨٠.

قصيدة النابلسي في النبي داود

يا نبـيَّ اللهِ يا داود يا — من لـه في القبر نورٌ وضيا
يـا مـن لـه استخلَفَ في — خَلْقِه حيث عليهم وَليا
وجبالُ الأرض سُخِّرن له — معه سبَّحن حتى رضيا
قد أتينا لحمى حضرتكم — بانكسارٍ وخشوعٍ وحيا
ووقفنا عندكم وانطرحتْ — شدَّةٌ عنّا وعجزٌ وعيا
وبكم سعدت زورتنا — وإليكم سرُنا قد هُديا
من نداكم جئتكم ملتمساً — وقبولاً عاجلاً مُرتجيا
/ربَّ يومٍ جئتُ داود الذي — بمزاياه تسامت إيليا

أ/٦٨

قبرهُ في خارج البلدة في — قبَّة جانبها قد عليا
وعليه هيبةٌ مُظهرةٌ — من سنا الحضرة ما قد خفيا
فعليه صلواتٌ لم تزل — من إلهي، مع سلامٍ تُليا
جلَّ مولانا الذي أوهبنا — ما ترجَّيناهُ ممّا قُضيا
من زياراتٍ لأرباب الهدى — كنتُ فيها بالدّعا مبتديا

وقد وجدنا في ديوان الولي الكامل الشيخ محمَّد العلمي رحمهُ الله تعالى قصيدةً يمدحُ بها حضرة نبيّ الله داود عليه الصلاة والسلام، وهي:

قصيدة الشيخ محمد العلمي في مدح داود

يا زائر القدس ذات الخير والنعم — ورحمة لزوال الهمّ والألمِ
بُشراك بشراك ما أوليت من منن — ومِنْ هباتٍ وإحسان لمغتنمِ
زُرِ الخليفة بحر العلم والحكمِ — داود ذا الودّ في البأساء والنِّعمِ
واقصُد علاه لما ترجوه من مددٍ — من رحمةِ الله مولى الجود والكرمِ
فإنَّه حرمٌ للزائرين لَهُ — طوبى لمن زاره لو كان في الحلمِ
أبو سُليمان سَلْهُ ما تشا كرَماً — فإنه ملجأ في الحكْم والحِكَمِ
يا آل داود من يُحصي فضائلكم — بذاك أثنى إله الخلق كلِّهم
وكم لكم من أيادٍ ليس يعلَمُها — إلا الذي خصَّكم بالفضل والهممِ
بقوله اعملوا شكراً فإنَّ لكم — مجداً سناهُ يفوق الشمس في العلمِ

أنتم لـنـا ملجـأ في كـلّ نـائبـةٍ ... أنتم لنـا مقصـدٌ في الحلّ والحـرمِ
اللهُ فـضَّـلكـم، واللهُ كـرَّمـكـم ... اللهُ شـرَّفكـم فـي سـائـر الأمـمِ
لا زال يسمـو مـدى الأيـام ذكـركم ... بمحكم الذِّكر من عُرْبٍ ومن عجمِ
عبيدكم قـد أتىٰ يـرجـو مكـارمكم ... المـذنب العاجـز المعروف بـالعلمي
بُشـرى لنـا حيث مـا نُـدعى لحيِّكم ... سعياً على الراس لا سعياً على القدمِ
منِّي عليكـم صـلاة الله دائمـة ... مـع السَّـلام ولـلأتبـاعِ كـلِّهـمِ

ووجدنا أيضاً قصيدة عند بعض الأصحاب للإمام الهُمام الشيخ أحمد بن سالم شيخ الخلوتية بدمشق[1]، يمدح بها نبيّ الله داود عليه الصلاة والسـلام /لمّا زار القدس الشريف سنة إحدى وثمانين وألف، وهي قوله: ٦٨/ب

قصيدةُ الشيخ أحمد الخلوتي في مدح داود.

جئنـا إلى بـابكم بـالـذلّ والنَّـدمِ ... نـرجو نـداكم فـأنتم سـاحـة الكـرمِ
وقـد تُكمَّـل إشـراقي بـزورتكـم ... وطـاب وقتي بكم يـا عمـدة الحـرمِ
جئتُ الخليفـة أرجـو فضله فعسى ... من فيضـه مـددٌ يـأتي لـذي عَـدَمِ
مـولايَ داود إنـي فـي رحـابـكـم ... مُلقىً على بـابكم والـذلّ من شيمي
مـولاي داود حصنـاً مـن دروعكـم ... فحصِّنـوا عبـدكم كي يشتفي ألمي
مـولاي داود قـد طـابت منـازلكم ... وعـم فضـلكم لـلعـرب والـعـجـمِ
مـولاي داود قـد سـارت جبـالكم ... بالذكـر والشُّكر والتسبيـح في الظلمِ
مـولاي داود قـد غنَّت منـازلكـم ... فجاء عبـدكم في شكـل مصطلمِ
مـولاي داود قـد جـاءت مـدائحكم ... في محكم الـذِّكر والتنـزيل والحِكَمِ
مـولاي داود قـد سـارت بسـاطكـم ... فـوق الهـواء بـلا سـاقٍ ولا قـدمِ
مـولاي داود إنَّ الـجنَّ تـخـدمكـم ... لا سيِّمـا ببنـاء القـدس والحـرمِ
مـولاي داود في حبـرون سـاحتكم ... دار الخليـل بنـاكم غيـر مُنْهـدمِ

---

(١) هو أحمد بن علي الدمشقي الخلوتي العمري الحنبلي المعروف بابن سالم، كان شيخه الشيخ أيوب الخلوتي، وقد أوصى له بالخلافة من بعده، وقد ألف ابن سالم مؤلفات عديدة منها «تحفة الملوك لمن أراد تجريد السلوك» وقد توفي بدمشق سنة ١٠٨٦هـ. خلاصة الأثر ١/٢٥٣.

مولاي داود جئناكم على طمعٍ نرجو نداكم فعُدُّونا من الخدمِ
مولاي داود جئنا والرفاق على ساحات بحرٍ لكم بالفضل ملتطمِ
لا سيما السَّادةُ الأنجال تخدمكم بيت المحاسن أهل الفضل والكرمِ
بيتُ الدَّجاني قد سارت مناقبهم في سائر الأرض حاشاهم من التُّهمِ
قد عاملونا بفضلٍ ثُمَّ مرحمةٍ مَنْ كان يشنأهُم في العالمين عمي
لو كنتُ أكتبُ ما يولون من كرمٍ جفَّ المداد وزادتْ قيمة القلمِ
ثم الصلاة على المختار مِن مُضرٍ حاوي المكارم خيرِ الناس كلِّهمِ
مُسلِّماً كلَّما هب النسيم على زهر الرياض وصاح الورق بالنغمِ
ثم الصَّلاة على آل الخليل ومن في حيِّهم وعلى الأبناء والحرمِ
ثمَّ الصلاة على داود سيِّدنا كذا سُليمان وهو القصد في العدمِ
من سائر الأرض من شرقٍ لمغربها على البساط لرفع الذكر والحكمِ
وآلِهم ومحبّيهم وجيرتهم أهل الأمانة من ساروا على قدمِ
٦٩/أ /والعبدُ خادمكم يرجو مكارمكم ففضلكم سادتي نارٌ على علمِ

ثم جئنا قبيل وقت صلاة الجمعة، وقصدنا المسجد الأقصى الزائد الإشراق واللمعة، فدنونا من المنبر والخطيب، وتمثَّلْنا بقول القائل في هذا المعنى الغريب:

صلاة الجمعة في الأقصى

قد زها المِنْبَرُ عُجبا مُذ ترقَّيتَ خطيبا
أترى ضمَّ خطيباً أم ترى ضمَّخَ طيبا

ثم استقصينا الخبر ورفعنا البصر، وجددنا النظر، فإذا هو قريبنا خطيب الخطبا، وكريم الفضلاء والنجبا، الشيخ الفاضل، سليل الأماجد والأكارم والأفاضل، الشيخ محمد بن بدر الدين بن جماعة، جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة، وجعَلَهُ مجمعاً للكمالات الفاخرة، ثم قضينا الصلاة وانتشرنا في الأرض، وتوجَّه معنا مع بقيَّة الأحباب والأصحاب، نقضي من حقِّ الدَّعوة إلى الضِّيافة ما يجب من الغرض، وذهبنا جميعاً إلى دعوة شيخ الإسلام،

خطيب الأقصى ابن جماعة

ومفتي الأنام، السيد عبد الرحيم أفندي المتقدم ذكره فيما مضى من الكلام، حتّى صعدنا إلى قصرٍ متّسع الأطراف، له على جامع الصخرة والحرم الشريف كمال الإشراف، وجلسنا في بستانٍ من الكتب النفيسة، وحياضٍ من أبحاث العلوم اللطيفة الأنيسة، وسجع حمايم الأناشيد، وأثمار أزهار الموائد الفائقة على موائد جعفر والرشيد، وحضر في هذا المجلس عين العيون وحقيقة السرّ المكنون، الشيخ أبو الوفا العلمي وأولاده رياحين الجنان وأرواح جسد الخلاّن حفظهم الله تعالى بآيات القرآن، ما توالى الملوان وكرّ الجديدان، وغيرهم أيضاً من أهل البيت المقدّس الذي هو على كل كمالٍ مؤسّس، وقد انساق بنا البحث في أمر فرعون، فأوردَ لنا السيد عبد الرحيم أفندي المذكور سؤالاً: هل أرسل الله تعالى رسولين في زمانٍ واحدٍ، وهل كانت رسالةُ موسىٰ عليه السَّلام عامَّة أو خاصَّة ببني إسرائيل؟ ونَقَل لنا عن الشيخ الإمام شهاب الدين المالكي المعروف بالقرافي أنَّه قال في كتابه المسمّى بالأجوبة الفاخرة على الأسئلة/الفاجرة، وهو كتابٌ صنَّفه في الردّ على النصارى واليهود، وصرَّح فيه بأن كلّ نبي بعث إلى قومه خاصَّةً، ومحمد ﷺ بُعث إلى الثقلين جميعاً، الإنس والجن على اختلاف أنواعهما، وعبارته هي قوله «إنَّ أكمل الشرائع المتقدمة شريعة التوراة مع أنّ موسىٰ عليه السَّلام لم يُبعث إلا لبني إسرائيل، ولما أخذهم من مصر وعدّىٰ البحر، لم يعد لمصر ولا وعظ أهلها ولا عرَّج عليهم، ولو كان رسولاً إليهم لما أهملهم، بل إنّما جاء لفرعون ليسلِّم له بني إسرائيل فقط» فلما أخذهم انقضى هذا الغرضُ البتة، وإذا كان هذا حديث موسى عليه السلام فغيرهُ أولى.

زيارة عبد الرحيم أفندي

مناظرةُ حول موسى وهارون وفرعون

٦٩/ب

فأوردنا له قوله تعالى عن موسىٰ وهارون: ﴿**اذهبا إلى فرعون إنَّه طغى**﴾[1] الآية، وهو يقتضي إرسالهما معاً في زمان واحدٍ إلى فرعون، وكون موسى مُرسَلاً إلى فرعون وقومه صريح في آيات أخرى، قال الله تعالى: ﴿**ثم بعثنا من بعدهم موسىٰ بآياتنا إلى فرعون وملائه فظلموا بها**﴾[2]، وقال تعالى:

رد الشيخ النابلسي

(١) سورة طه/٤٣.

(٢) سورة الأعراف/١٠٣.

﴿ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا وسلطانٍ مبينٍ إلى فرعون وملائه﴾[1] وقال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسىٰ الكتاب وجعلنا مَعَهُ أخاه هارون وزيراً، فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمَّرناهم تدميراً﴾[2]، قال البيضاوي: يعني فرعون وقومه.

وقال تعالى: ﴿وإذ نادىٰ ربك موسى أن ائت القوم الظالمين، قوم فرعون ألا يتقون، قال رب إني أخاف أن يكذبون، ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هٰرون، ولهم عليّ ذنبٌ فأخاف أن يقتلون، قال كلّا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مُستمعون، فائتيا فرعون فقولا إنّا رسول ربّ العالمين﴾[3] الآية، وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحرٌ كذّاب﴾[4] الآية، وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه، فقال إني رسول ربّ العالمين﴾[5] الآية. ثم انتقل بنا الكلامُ إلى غير ذلك وسلك معنا في لطف المسالك، وقد دعا لأجلنا بجماعة من رؤساء المؤذنين، في الصخرة الشريفة وذلك الحرم الأمين، فقرؤوا لنا المولد الشريف بالقصائد النبوية، والإنشاد المنيف/ثم قُمنا غبّ تلك الضيافة، نشكر ما صدر منه من غاية الإكرام ونهاية اللطافة، وقد كان عَرَض علينا في ذلك المجلس، ولدُه السعيد الصّالح الفريد السيد محمد رسالة من تأليفه في الكلام على قوله ﷺ في الحديث الصحيح: الشّهر هكذا وهكذا، وطلب منّا التقريض على ذلك، فقلنا بمعونة القدير المالك:

٧٠/أ

تقريظ للشيخ محمد ابن عبدالرحيم أفندي

مَنَّ علينا ربُّنا هكذا	بنبذةٍ في هكذا وهكذا
رسالةٌ غرّاء جاءت بها	يدُ لمن أضحى الفتى الجهبذا

---

(١) سورة هود/٩٦.

(٢) سورة البقرة/٨٧.

(٣) سورة الشعراء/١٦.

(٤) سورة غافر/٢٣.

(٥) سورة الزخرف/٤٦.

مـحـمـد الَلطفي نـجـل الـذي　　كـلُّ أمـرٍ بـالفضـل منـه اجتـذىٰ
عـلأمـةُ الإسـلام مـفـتي الـورىٰ　　يـنفـي عـن الـعيـن هـذا الـقـذىٰ
لا زال بـالـتـوفـيـق مـع نـجـلـه　　والله يـنـفـي عـنـه كـلَّ الأذى

ثم ذهبنا إلى جامع الصخرة المعمور، وجلسنا ننتظر صلاة المغرب مع الجمهور، ثم رجعنا بعد العشاء الأخيرة، إلى منزلنا بالمدرسة السُّلطانية المنيرة، حتى إذا أسفر وجه الصباح، وخمدت أنفاس المصباح وصلَّينا صلاة الفجر واغتنمنا الثواب مع الجماعة والأجر.



اليوم العشرون

[السبت ٦ رجب - ١٥ نيسان/أبريل]

وكان ذلك يوم السبت، العشرين من أيام هذه الرحلة المأنوسة إلى البلدة المقدَّسة المحروسة، وذهبنا مع جماعةٍ من الإخوان والأصحاب إلى عيادة أعزّ الأصدقاء والأحباب، ولدنا الفاضل الشيخ أبي بكر بن الإمام العالم الكامل الشيخ أحمد العلمي، وقد كان متوعك الجسد بالمرض، ولا يتضرَّرُ الجوهر بالعرض، فزرنا في طريقنا تربة الشيخ الإمام والعارف الكامل الهمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد القِرمي[1] بكسر القاف وفتح الراء، قدَّس الله سرَّه، وأعلى في درجات القُرب مقرَّه، ومولده في سابع عشر ذي الحجة سنة عشرين وسبعمائة، كان أحد أفراد زمانه عبادةً وزُهداً، ولم يكن في زمانه أشهر منه بالصَّلاح، وله خلوات ومجاهدات، ونشأ في دمشق وسمع الحديث بها، ثم أقام ببيت المقدس وبنى بها زاويته المعروفة، تُوفِّي بالقدس الشريف / نهارَ الأحد التاسع من صفر سنة ثمانٍ وثمانين وسبعمائة، ودُفن بزاويته المشهورة، وله كرامات ظاهرة، والدُّعاء عند قبره مستجاب، ودُفن عند ولده الشيخ الصَّالح القدوة زين الدين عبد القادر، وكان رجلاً صالحاً من أعيان بيت المقدس، توفي سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة، ذكر ذلك الحنبلي في تاريخه، فدخلنا إلى زاويته المشهورة، وتبرَّكنا بحضرته المأنوسة المعمورة، ووقفنا تجاه ذلك الشُّبَّاك، وقرأنا الفاتحة لحضرته بغير اشتراك، وكان يخطر في بالنا بأنا نذهب ولا ندخل إلى داخل الزاوية، وأنَّ هذا مقدار اجتماعنا بجنابه في هذه القضية الدَّاعية، وإذا بشيخ الزاوية الشيخ الصالح الذي على وجهه أثر الخير لائح، الشيخ محمد القرمي، وهو من ذرية الشيخ محمَّد القرمي المذكور من جهة أبيه، ومن ذريَّة الأنصار من جهة أُمّه. وهو السَّعيد النَّبيه، كما أخبرنا هو بذلك عن نفسه، وذكر لنا نسبه الشريف من دون

الشيخ محمد القرمي

٧٠/ب

---

(١) أجدادنا في بيت المقدس/٧٩. والأنس الجليل٢/١٦١.

أبناء جنسه، فجذبنا بحاله وقاله، ودخلنا مع الجماعة إلى داخل تلك الزَّاوية، وقد أجبناه إلى سؤاله، وقرأنا معه الفاتحة أولاً إلى الشيخ أحمد المثبت، وكان نقيب الشيخ محمّد القرمي المذكور، وقبره تجاه قبره، وبينهما الزّقاق في مكانٍ آخر معمور، ثم دخلنا إلى مسجدٍ لطيف البنيان، مُعدٌّ للذكر مع الجماعة وتلاوة القرآن، فجلسنا فيه حصَّة من الزمان، بمقدار ما شربنا القهوة وتطيينا بالعود الهندي مع الإخوان، ثم جرى بيننا ذكر الفقراء الفالحين، وكرامات السادات الصَّالحين فأخبرنا شيخ الزاوية المذكور عن سبب تسميته الشيخ أحمد بالمثبّت، وسبب كونه نقيباً لجدّه الشيخ محمد القرمي قدَّس الله روحهما ونوَّر ضريحهما، بأن الشيخ محمد القرمي كان يجلس في هذه الزاوية لتربية الفقراء والمريدين، في طريق المعرفة واليقين، وكان يحضر عنده نساء كثير ورجال ويختلط بعضهم ببعض في وقت الذكر وتوارد الأحوال فاعترض عليه الشيخ أحمد المذكور، وكان رجلاً من الفقهاء أهل العلم الظَّاهر، كما هو عادتُهم في كلّ زمان مع أهل السرّ / الباهر، والحال القاهر، فأخرج الشيخ أحمد الفتاوى من علماء المذاهب بأن الشيخ محمد القرمي يُمنع من الذكر المقتضي لهذا الاجتماع، وأنّه منكر وقع على حرمته الإجماع، ثم إنه جاء إلى هذه الزاوية واجتمع بالشيخ القرمي ونهاهُ عن ذلك وبيَّن له المفاسد المرتَّبة على ما هنالك، وكان مَعَه رجلٌ من أتباعه فأمره أن يذهب إلى منزله ويأتي بالعلبة التي فيها الفتاوى، لإثبات ما ذكر من الدّعاوى، فذهب وأتىٰ بالعلبة المذكورة، ففتحها فوجد فيها شيئاً من الأعاجيب المأثورة، وهو ثلج تحته قطن تحته نار، فتعجب من هذا الأمر، وقال ليس لي علمٌ بذلك ولا استشعار، وإنما كان في العلبة الفتاوى لا غير، فقال له الشيخ محمّد القرمي إنَّ هذا إشارةُ الخير: أمّا القطن فهو النساء وأما النار فهو الرجال وأمّا الثلج فهو الحال، فإنه إذا وُجد الحال لا تقدر النار أن تحرق القطن بالاشتعال، بل لها عنْ ذلك كمال الاشتغال، فتاب على يد الشيخ وحسُنَت توبته في الحال، وقال للشيخ اجعلني نقيباً عندك وخادماً للنعال، فجعله نقيباً عنده، وكان

قصّة الشيخ أحمد المثبّت

٧١/أ

حكاية الشيخ المثبت مع الشيخ القرمي

محسوباً عليه من جملة العيال، ثم قال له يوماً من الأيَّام يا سيدي: مُرادي أن تودِعني سرّاً من أسرار الله تعالى العظام، فقال له لا تقدر الآن على ذلك لأنّك في ليلٍ من ظلمات نفسك حالك، واصبر إلى أن يطلع فجر الفتح الربَّاني، ويتقد مصباح المقام الروحاني، ثم اتفق له أنَّه في مرَّةٍ رأى الشيخ قدَّس الله سرَّه، يتوضأ على البركة ورآه قابضاً يده، فوقع في نفسه أنَّ هذا من عادة الروافض، يقبضون أيديهم في وقت الوضوء، فالتفت إليه الشيخ وقال له: أما قلتُ لك إنك لا تقدر على ما طلبت من تحمّل الأسرار لأنك بعدُ لم تطهر من دنس الإنكار، فأخذه بيده ودفعه أوَّلاً وثانياً حتى غاب عن إدراكه وصار قريباً نائياً، فقال له يا سيدي أنا الآن في أي مكان؟ فقال له أنت في جبل قاف، وقد حصلتْ منك الموافقة والائتلاف، اثبُتْ على هذه الحالة، وحقّق له مقاصده وآماله، ومن ذلك اليوم لُقِّب بالشيخ أحمد المثبت بكسر الباء مشدَّدةً، فكأنَّه ثبّت نفسه لمّا قال له / الشيخُ اثبت، ثم بعد ذلك فتَحَ الله عليه بالفتح التام حتى صار من أصحاب الحال والمقام، وحلّ عليه نظر شيخه الكامل فصار من جُملةِ الأولياء الكرام، وكان شيخه الشيخ محمد المذكور من أهل الكمال في مراتب العلوم والأعمال والأحوال.

٧١/ب

بين الشيخ القرمي إبراهيم بن زقاعة.

وقد ذكر شيخ الإسلام، والعالم العامل الهمام، الشيخ نجم الدين[١] رحمَهُ الله تعالى في شرحه ألفيَّة التصوُّف من نظم والده العلامة الشيخ بدر الدين الغزّي[٢] رحمهُ الله، المسمّى بمنبر التّوحيد فقال فيه: قيل إنه كان من عادة الشيخ إبراهيم بن زقاعة[٣] زيارة البيت المقدَّس في كل سنة، وكان يجتمعُ بالشيخ الكبير سيدي محمد القرمي، فانقطع الشيخ إبراهيم عن الزيارة سنةً من السنين، وجاء في السّنة الثّانية للزيارة، فسأله الشيخ محمد القرمي

التنوير في إسقاط التدبير

---

(١) صاحب الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة. توفي سنة ١٠٦١ هـ.
(٢) توفي سنة ٩٨٢هـ، ترجمته في أول الجزء الثالث من الكواكب السائرة، وله مؤلفات كثيرة، راجع إن شئت معجم المؤلفين ١١/ ٢٧٠.
(٣) سبق الحديث عنه. انظر معجم المؤلفين١/ ٨٩.

عن سبب انقطاعه في العام الماضي، فقال كنت مشتغلاً بشرحٍ وضعتُه على التنوير لابن عطاء الله الاسكندري[1]، فقال القرميّ إيتني به، فأحضره إليه في مجلّدين، فلمّا تأمَّلَهُ الشيخ محمد القرمي، سأله الشيخُ إبراهيم، فقال له أجدْتَ وأحسنتَ، لكنّي شرحتُ هذا الكتاب في بيتين كتبتهما على ظهر كتابك وهما هذان البيتان:

مـا تـمَّ إلاّ مـا يُـريـدُ ... فَـدَعْ هـمـومسكَ واطَّـرِحْ

واتـرُكْ خـواطِـرك الـتـي ... شَـغَـلتْ فـؤادكَ، واسـتـرِحْ

انتهى كلامه، ثم جَذَبَتْنا أسرار هذا الشيخ المذكور، وتمتَّعت قلوبنا بما هنالك من البهجة والسُّرور، فدخلنا إلى داخل الزاوية المذكورة، وتنعَّمتْ أرواحنا بهاتيك الحفرة المعمورة، وفتح لنا شيخُ الزاوية باباً كان مقفلاً، ودخل بنا إلى روضٍ أريض ترقص أغصانه بأنواع الحليّ والحلا، ولله درُّ القائل، من الأوائل:

زاوية القرمي

قـد أتينا إلى الـريـاضِ صباحـاً ... ونَـعِـمْـنـا من الـصَّـبـا بـأمـانِ

ورأيـنـا خـواتم الـزَّهـر لـمّـا ... سقـطتْ من أنـامـل الأغصـانِ

ورأينا ذلك المقعد اللطيف، والمجلس العالي المنيف، ومكثنا ساعة لطيفة في ذلك القصر الشريف، وقد فتحت تلك الشبابيك المطلَّة على /هاتيك الجوانب المغنية عن التعريف، ثمَّ وعدتُه بالعَود إليه ثانياً وخرجت لعنان المسير عنه ثانياً، فودَّعْنا هاتيك الأماكن، وتحركت منّا القُلوب السَّواكن، فمررنا في الطريق على مزار السَّادة المشهورين بالشهداء البدرية[2]، فزرنا

٧٢/أ

الشهداء البدرية

---

(١) أحمد بن محمّد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، متصوف شاذلي من كبار الزهّاد، وهو تلميذ أبي العباس المرسي وكتابه المشار إليه هو «التنوير في إسقاط التدبير» وقد طبع مرّات عديدة، ومن كتبه الأخرى «الحكم العطائية»، توفي سنة ٧٠٩ هـ ودُفن في القاهرة. الأعلام ٢٢٢/١.

(٢) انظر: أجدادنا في ثرى بيت المقدس/٨٢.

مقامهم المشهور، وتنعَّمنا بما لـديهم من البهجة والنـور ودعونـا الله تعالى بمـا تيسَّر من الدّعاء لنا وللجمهور، ثم مررنا على تكية[1] الخاصكية المشهورة في تلك الديار القدسيّة، فـوجدنـاها مملوءةً بـأنواع الخيـرات وأجناس المبـرّات، طاحُونهـا دائرة، وهي على نقـطتها دائـرة، وأنواع مخـازنها عـامرة وصدقاتهـا للجميع غامرة، حتى وقفنا على بيت الرجاء، ورأينا الخيل تُديرهـا، وقد تقيَّـد بها أجيرها، فدلّنا ذلك الأجير على مكان هنـاك له بـاب، فدخلنـا منه إلى قبَّـة مبنيَّة بالأحجـار المنحوتـة، ذات جوانب وأعتـاب، وفي داخلها قبـر عليه هيبـةٌ وجلالة، فسألنا عن صاحب هذا القبر، وإن كان ميتاً لا يجيب سؤاله، فقيل لنا هـذا قبر المجـاهد الشيـخ سعد الـدين الرصـافي، صـاحب المنهـل الصافي، والمشرب الوافي رحمهُ الله تعالى، فوقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونـا الله تعالى بما تيسَّر من الدعاء، ثم ذهبنا إلى الجهة المقصودة والحفرة المشهودة إلى دار صديقنا الإمام والحبر الهمام، الشيخ أحمـد العلمي لعيادة ولـده السّعيد ونجله الفريد المتقدم ذكره في أثناء هذا العقـد النّضيد، حتى دخلنـا إلى داره وحللنا بحماه الرحب وجـواره، وتفرَّجنـا في هاتيـك الكتب اللطيفة، الجـامعة لأنـواع العلوم الشريفة، ثم قدَّم لنا الضيافة الوافية، جعـل الله تعالى ولـدهُ على أكمل حالٍ وأتمَّ عافية، ثم عدنا إلى مكاننا بالسُّلطانية المباركـة، وأوسعنا على الهنـا والسرور طرقه ومسالكه، ثم جلسنا للدرس في الرسالة الأرسلانيـة مع الإخـوان ذوي الهمم العليَّة، على عادتنا المرضية، إلى أن بتنا في أكمـل مسرَّة، ونحن من الصِّحـة والعافيـة على أرفع أسـرَّة، حتى أسفر الصَّبح، وانغسـل ببيـاض مائه / عن وجه الليل سواد القبح.

تكية خاصكي سلطان

ضريح الشيخ سعد الدين الرصافي

زيارة الشيخ أحمد العلمي

درس في الرسالة الأرسلانية

٧٢/ب

(١) اسمها: تكية خاصكي سلطان أنشأتها زوجة السلطان سليمـان المدعـوة خاصكي سلطان سنـة ٩٥٩هـ ووقفت عليها أوقافاً كثيرة، انظر وصفها وحالتها الحاضرة في كنوز القدس/ ٣٦٤، وأول كتاب «آثارنا في بيت المقدس» وفيه أوسع دراسة عنها على الإطلاق.

اليوم الحادي والعشرون

[الأحد ٧ رجب ـ ١٦ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم الأحد، وهو الحادي والعشرون من هذه الرحلة الميمونة، والسُّفْرة المأمونة، فذهبنا إلى زيارة المقبرة المشهورة في هاتيك البلاد المقدَّسة بماملاّ[1]، بتشديد اللام مفتوحة من غير همز.

مقبرة ماملاّ

قال الحنبلي في التاريخ: ومقبرة ماملاّ بظاهر القدس الشريف من جهة الغرب، وهي أكبر مقابر البلد، وفيها خلقٌ من العلماء والأعيان والشهداء والصالحين، وتسميتها بماملاّ قيل إنّما أصله مأمن الله، وقيل باب الله، ويقال: زيتون الملَّة، ورُوي عن الحسن أنّه قال: مَن دفن في بيت المقدس في زيتون الملَّة فكأنّما دُفن في سماء الدنيا، واسمها عند اليهود بيت ملوا، وعند النصارى يابيلا، والمشهور على ألسنة الناس ماملاّ، انتهى.

ضريح الشيخ المنسيّ

وقد تقدم ذكر شيء من ذلك في صدر الكتاب، فزُرنا في هذه التربة المباركة، المحفوفة بأنوار الأرواح القدسيّة، وأسرار الملائكة، غالب من دُفن فيها من مقابر الأولياء والشُّهداء والصَّالحين، والسَّادات الأبرار المقرَّبين، ووقفنا ندعو الله تعالى في هاتيك الرحاب، ونقرأ الفاتحة لكلّ من دُفن بها من العوام والخواص ذوي الاقتراب، ثم مررنا في الطريق على القبر المشهور بالشيخ المنسيّ، ويُقال إنه صحابي، فوقفنا هناك ودعونا الله تعالى وقرأنا الفاتحة، وأهديناها لصاحب ذلك القبر ومن جاوره من قبور المسلمين، وقيل لنا إنّما سمّي بالمنسيّ، لأن الصَّحابة رضي الله عنهم في يوم الفتح نسيتْهُ مقتولاً في ذلك المكان، حتى شُعر به فدفنه بعض الإخوان.

عين سلوان

ثم مررنا في وسط ذلك الوادي، الذي تظهر أنواره للصادر والغادي،

---

(١) أوسع مقابر بيت المقدس. مساحتها زهاء ١٥٠,٠٠٠ متراً مربعاً (١٦٨دونماً) انظر: أجدادنا في بيت المقدس ص ١١٧ وما بعد ففيه دراسة علمية قيّمة عنها.

بظاهر القدس من جهة القبلة، على العين المشهورة بعين سلوان[1]، ذات الماء العذب اللذيذ للظمآن، فوجدنا العين ينزل إليها بدرج نحو العشرين، المبنيّ بالحجر المنحوت والقبو المتين، يُشرِف عليها سور المسجد القبلي، وفوق تلك العين مسجد لطيف، بمحراب منيف، وحول تلك العين، بساتين القرية المعروفة بقريةسلوان، مشتملة من الثمار / على أنواعٍ وألوان.

٧٣/أ

فضلُ عين سلوان

وذكر الشَّيخ إبراهيم السُّيوطي رحمهُ الله تعالى في كتابه إتحاف الأخصّا قال: وروينا بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال إنّ الله اختار من المدائن أربعاً: مكَّة وهي البلدة، والمدينة وهي النخلة، وبيت المقدس وهي الزيتون، ودمشق وهي التينة، واختار من الثغور أربعاً: اسكندريَّة مصر، وقزوين خراسان، وعبّدان العراق، وعسقلان الشام، واختار من العيون أربعاً، قال الله تعالى ﴿فيهما عينان تجريان﴾ وقال ﴿فيهما عينان نضّاختان﴾[2] فأما اللتان تجريان فعين بيسان وعين سلوان، وأمّا النَّضّاختان فعين زمزم وعين عكّا، واختار من الأنهار أربعاً: سيحان وجيحان والنّيل والفرات. وعن أم عبيدة بنت خالد بن معدان عن أبيها أنه قال: زمزم وعين سلوان التي ببيت المقدس من عيون الجنَّة، وفي رواية عنها عنه قال: مِن عيون الجنَّة في الدنيا زمزم وعين سلوان، انتهى.

عَيْنُ زمْزَم وعين سِلوان

والمفهوم من هذا أن عين زمزم عينٌ مستقلَّةٌ بالحجاز غير عين سلوان التي في بيت المقدس، وأمّا الخبر المشهور بين العامَّة أنَّهما عين واحدة بسبب طعم مائها وملوحته، وقصَّة القدح المشهورة فذلك غير ثابت، فإنّ المياه تتشابه طعومها، حتى إن الماء الذي يخرج من تحت الصَّخرة إلى حمام الشفا، طعمه كطعم ماء زمزم، مثل عين سلوان في العذوبة والملوحة، ولم

---

(١) أهم مصدر مائي لبيت المقدس، وهي عدة عيون منها عين أم الدرج وبركة سلوان والبركة التحتانية وبئر أيوب وعين اللوزة، الموسوعة ٢/ ٥٨٠ وآثارنا في بيت المقدس٩٧ وما بعد وفيها صُوَر لعين سلوان قبل مائة عام.

(٢) الآيتان ٥٠ و ٦٦ من سورة الرحمٰن.

يقل أحدٌ إنّـه من ماء زمـزم، والله بكل شيء عليم، وهـو على كل شيء قـدير حكيم.

وقال الهَرَويُّ[1] في زياراته: وبظاهر القدس من الزيـارات عين سلوان، ماؤها مثـل ماء زمـزم، وهي تخرج من تحت قبّـة الصَّخرة، تـظهر في الـوادي قبليّ البلد، وأخبرونا أن حمّام الشفا في بيت المقدس، ماؤه يخـرج من تحت قبَّة الصَّخرة، فهُـوَ وعين سلوان ماء واحـد، وذلك الحمـام في سُوق القـطّانين بالقرب من بـاب المسجد، وقـد ظفرتُ بحكمـة عذوبـة ماء زمـزم، في بعض المجـاميع التي هي كـالـطراز المُعْلَم، وذلـك أني قـرأتُ بخطّ الشيـخ الإمـام المحدِّث محمد / بن طـولون الحنفي[2] الصَّـالحي رحمـهُ الله تعـالى قـال: أنشـدنا العـلاَّمة شهـاب الدين أحمـد بن عمـر الصَّـالحي؛ أنشـدنـا البـرهـان إبراهيم بن أحمد الباعوني لنفسه فقال:

ماء زمزم

٧٣/ب

تفكَّـرتُ يـا مـولاي في مـاء زمـزم	بمكَّـةَ أرض فـخـرهـا لا يمثَّـلُ
وفي كـون ما فيهـا من الماء مـالحـاً	على أنَّهـا من سـائـر الأرض أفضـلُ
فمكَّـة عين الأرض والعين مـاؤهـا	كمـا قـد علمتم مـالحٌ ليس يُجهـلُ

ثم رأيتُ بعد ذلك بخطّه أيضاً هذه الأبيات بأطول من ذلك وعبارته:

وقال البرهان إبراهيم بن أحمد الباعوني في كتابه ينابيع الزُّلال في بدائع المقال:

قصيدة إبراهيم الباعوني عن ملوحة زمزم

سـألتُ أبـا العبـاس والـذيَ الـذي	على فهمـه بـالمشكـلات يُعـوَّلُ
سؤالاً لـطيفـاً قـد تعسَّـر فَـهْمُـهُ	عـليَّ إلـى أن خِـلتُـه لا يُـزوَّلُ
فـقـلْتُ أطـال الله عـمـرك لـلورىٰ	وأبقـاك في عزٍّ بـه الخير يُـوصـلُ

---

(١) يتردد هذا الكتاب مثل الأنس الجليل، ومؤلفه أبو الحسن عليّ بن أبي بكر الحلبي المتوفىٰ سنة ٦١١هـ، وقد طبع الكتاب في المعهد العلمي الفرنسي في دمشق سنة ١٩٥٣ م.

(٢) مؤرخ دمشقي مشهـور عاصـر الحكم المملوكي والعثمـاني، من أشهر كتبـه مفـاكهـةُ الخـلان وإعلام الورىٰ وذخائر القصر وقضاة دمشق وغيرها.

تفكَّرتُ يا مولاي في بئرِ زمزمٍ بمكَّة أرض فخرها لا يُمثَّلُ
وفي كون ما فيها من الماء مالحاً على أنها من سائر الأرض أفضلُ
وقلت له هل من جوابٍ مبيَّنٍ وهل عندكم من حكمةٍ فيه تُعقلُ
فإني قد أتعبتُ فكري به فما ظفرتُ بما فيه يقال وينقلُ
فإنْ كان فيه عندكم من لطيفةٍ بروحي أفديكم عليَّ تفضّلوا
ومُنُّوا بإبداء الجواب تكرُّماً وفضلاً كما عوَّدتموني وعجّلوا
فقال أمَدّ الله في عمره على الـ بديهة قولاً للجواهر يُخجلُ
نعم عندنا فيه الجواب وإنَّه لكالسّحر أو كالدُّرِّ بل هو أمثلُ
جوابٌ غدا مثل النَّسيم لطافةً أزال عن الأفهام ما كان يُشكلُ
فلا تعجبوا منه فذلك ظاهرٌ كشمس الضُّحى تبدو لمن جاء يسألُ
فمكّة عينُ الأرض والأرض ماؤها كما قد علمتم مالحٌ ليسَ يُجهلُ

انتهى، فقد ذكر للأرض عيناً واحدةً ولم يذكر الأخرى، وإنما هي عين سلوان كما هو الأحقّ والأحرى، وفي ذلك نقول على حسب ما اقتضاه الوارد المقبول:

قصيدة النابلسي في عين سلوان

ملوحَةُ ماء العينِ شيءٌ مُحقَّقٌ ولسيس به نقصٌ وفيه كمالُ
فمن أجل هذا ماء زمزم مالحٌ كذا ماءُ سلوانٍ وذاك زلالُ
74/أ
/وإنَّهما العينان للأرض هذه يمينٌ بدتْ فيها وتلك شمالُ
ففي مكَّة اليُمنىٰ ويُسراهما التي بقدسٍ، وكلّ العالمين خيالُ

قصيدة الشيخ أيوب الخلوتي

وقد أنشَدَنا بعض الأصحاب في عين سلوان ما هو من نظم الشيخ الإمام، خلاصَة الأحباب العارف بالله تعالى الشيخ أيوب الخلوتي[1] العدوي رحمه الله تعالى وذلك قوله:

---

(1) ولد بدمشق وصار شيخ وقته بالتصوُّف وله مصنفات كثيرة، وتولى إمامة جامع الشيخ محيي الدين، توفي في صفر سنة ١٠٧١ هـ ودُفن بمقبرة الفراديس بدمشق انظر ترجمته الوافية في خلاصة الأثر ١/٤٢٨ - ٤٣٣.

إنْ غاب شخصك عن عيني فمسكنه | على الـدَّوام بقلبِ الـوالِـه العـاني
هـو المقـدَّسُ لمّـا أنْ حللتَ بـهِ | لـكنَّـهُ ليس فيـه عَيْنُ سِـلوانِ

فقلنا نحنُ أيضاً في ذلك الحين، وهو من لطائف هذه التَّلاحين:

قَرَّتْ برؤيـاك عيني كلَّما نـظرتْ | إليك من حمل ما تلقاه سَـلْ واني
وقُـدِّسَ القلبُ لمّـا أنْ سكنتَ بـه | وفيـه عينٌ ولكـن غيـر سـلوانِ

قصائد ومواليا للنابلسي في عين سلوان

وقُلنا أيضاً في ذلك:

في حضرة القدس من أهـواه غازلني | عينـاً بعيـنٍ وإنسـانـاً بـإنسـانِ
وصخـرةُ القلب منـهُ لـم تلِنْ وأنـا | لي عينُ عشقٍ ومـالي عين سـلوانِ

ولنا سابقاً في ذلك قَوْلُنا من المواليا:

سَـلِ العقيقَ وسَلْ نجـداً وسلْ وانـا | هـل رام فُـؤادي قطُّ سـلوانـا
هـواكَ في قـدس قلبي عين سلوانـا | وَمُنُـا أنت في الـدنيـا وسلوانـا

ولنا أيضاً من المواليا:

عن لوعةِ القلب سلْ شامي وسلْ واني | وسلْ قويـاً علىٰ وجدي وسـلْ واني
في بئـرِ أيوب صبـري عين سلْوانِ | وقُدْس عشقي زكي عن خبث سلواني

ولنا أيضاً من المواليا:

سَلْ شامنا في العرب بل في العجم سَلْ وان | أنتَ القـويُّ فعن هجـرانهم سلوان
يا عاذلي، قـدسُ شوقي مـاله سلوان | وادي جـهنـم ودمعـي عينـه سلوان

ولنـا أيضاً بـطريقٍ لطيفٍ مُـواتٍ، إشارة إلى مـا سبق ذكـره من الأمـاكن الشَّريفة وما سيأتي قَوْلنا من النظام في هذا المقام:

فـي قـدس قـلبـي عـين أشجـانِ | مـن حُبِّـه لا عـيـن سـلوانِ[1]
يـا قلبـه الصَّخـرة أقصى المنىٰ | لـقيـاك عـنـد الـوالـه العـانـي

---

(١) في نسخة حلب: في قدس قلبي عين سلوان | من الأحبَّة لا عين سلوانِ
وهو خطأ ظاهر، وما في النسخة الثالثة مُتطابقٌ مع نُسختنا، وهذا يؤيد ما ذَهبنا إليه من كثرة أخطاء نسخة حلب على الرغم من أنها أقدم النسخ التي وصلتنا.

٧٤/ب

قصيدة للنابلسي في آثار القدس

/ووصله الأقصىٰ العتيق الذي … عمَّر بالتحقيق أزماني
إنْي لبابِ التوبةِ الملتجي … وفتح باب الرحمة الداني
وقبَّة الجسم لروحي بها … معراج سرٍّ ظاهر الشانِ
ونشأتي سلسلةٌ علِّقتْ … بقبة الغيب لإنسَانِ
والكأس فيما بيننا دائرٌ … بخمر تحقيقٍ وعرفانِ
بلاطة العاذل سوداء مِن … صنيعه في حق ولهانِ
يُبدي مسامير[١] ملامٍ لنا … بمقتضىٰ ظلمٍ وطغيانِ
جهنَّم الأشواق وادي الحشا … وفي صِراط الصَّبر ميزاني
وطور نفسي اندكَّ من هيبةٍ … كانت وموسى الروح ناجاني
وَدَيْر صهْيون الهوىٰ نلتُ مِنْ … داوُده ملكَ سُليمانِ
حتى بنيران الخليل انمحى … هيكل إسراري وإعلاني
وصار عيسى الروح من أمرِه … في بيت لحمٍ منه جسماني
ومهدُه مهَّدتُ أمري بهِ … من موضع النخلةِ ناداني
والدَّيرُ لم أدْرِ به كائناً … كنيسة عن وجه إذعاني
وغبتُ بالأنوار عن ظلمةٍ … قد عرضتْ من ظلم نصراني
ومريم الذات بأوصافها … في درجٍ للحّق روحاني
وذلك الوادي أتينا به … باباً من الأبواب نوراني
وصادفتْ عيني بإنسانها … إنسان مَن للغير أنْسَاني
معاهِدُ تأوي إليها العِدا … والأصدقا من كلِّ أديانِ
لكِنْ بها نحن أحقّ الورىٰ … طُرّاً لأنا أهل إيمانِ
وهي لنا لا لسوانا وإنْ … لها ادَّعتْ أرباب طغيانِ
توحيدها مُشرقةٌ شمسُهُ … لا يختفي من غيم أوثانِ
قدس شريف طاهِرٌ كلُّهُ … في الدَّهر من أرضٍ وبُنيانِ

---

(١) في النسخة الثالثة: مساهير، وفي البيت التالي: صراط العين بدل الصبر.

قصيدةُ ابن زقاعة في آثارِ القدس

ووجدنا في ديوان الشيخ الإمام العارف بالله تعالىٰ إبراهيم بن زقاعة الخليلي قدَّسَ الله سِرَّهُ، هذه القصيدة من بحر كان وكان(١)، يُشيرُ إلى تلك الأماكن الشَّريفة الحِسان، وهي قوله:

إنْ كان أقصى مرادي　جامع على حبّي لكم　فالبيتُ بيت مقدَّس　بذكركم معمُورْ

وادي جهنّم بقلبي　ودمع عيني سلسله　وعين سلوان ما هي　عندي، وحقّ الطورْ

/أُقسِمْ بمعراج حبّي　لكم وميزان الوفا　وما تُلي في الصخرة　أنتم لعيني نورْ　٧٥/أ

نعم وفي باب حِطّة　حطّيت فيه سلوتي　بالله افتحوا باب رحمة　للمدنف المهجورْ

طُغيانكم يا أحبابي　في مهد عيسى مُنطرحْ　وجاء سليمان عِشْقُه　ضرب عليه سورْ

إنْ جاء بشير التّداني　في باب أسباط اللقا　فتحتُ باب النّاظر　ليقرأ المنشورْ

في صحن خدّي بحيره　سالت من أماق الحدق　هذا وزيتون عشقي　في يَدِّكُمْ معصورْ

رأيتُ قُبّة موسىٰ　فيها قناديل الرضا　تشعل بزيت المحبّة　فيشرق الدّيجورْ

محراب داود فيه　أهل الصّفا قد جمعُوا　يتلو زبور التداني　يا طيب ذاك زبورْ

فرعون مَنْ يعذلني　في حبّكم يا سادتي　في وسط راس مسلّه　من فوقها طرطورْ

يا ساكني ماملّه　عيني عليكم ساهره　فظاهر الحال أنّي　في أرضكم مقبورْ

مَدَدْتُ للوصل طرفي　والجفن مَقصُور الكرىٰ　فاعجب لمحدود دايم　عن الكرى مقصورْ

مالي وسيلة إليكم　سوى النبي المصطفى　مَن مدحه في المثاني　وفي الكتب مسطورْ

صلّى عليه وسلّم　ربُّ السموات العُلا　ما فاح نشر الخزامى　والورد والمنثورْ

---

(١) الكَان وكان هو أحد الفنون الشعرية الجارية على ألسن العامّة، وهو نظم واحد وقافيةٌ واحدةٌ ولكنّ الشطر الأول من البيت أطول من الثاني، ولا تكون قافيته إلّا مردوفة، وأجزاؤه المعهودة هي:

مُستفعلن فاعلاتن مستفعلن مستفعلن
مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فعلان

وأول من اخترعه البغداديون وسمّوه بذلك لأنهم نظموا فيه الحكايات، والخرافات، وقولهم كان وكان، كناية عن الأحاديث التي لايعتنى بها، وقد نظم فيه الإمام ابن الجوزي وشمس الدين الكوفي المواعظ والحكم، ومن بحر كان وكان نذكر:

يا قاسي القلب مالك　تسمع وعندك خبر
ومن حرارة وعظي　قد لانت الأحجار

انظر ميزان الذهب/١٥٩ وما بعد.

بئر أيوب

وقد مررنا على بئر أَيُّوب[1] في طرف ذاك الوادي، وهو بئر عذب الماء، للصادر والصَّادي، وهو بالقرب من عين سلوان، ويُنسب إلى سيدنا أيوب النبي عليه الصلاة والسلام في كل زمان ومكان.

قال الحنبلي في تاريخه: وحكى صاحب الأنس[2] في معنى هذا البئر قال: قرأتُ بخطّ ابن عمي أبي محمّد القاسم وأجازه لي قال، قرأتُ في بعض التواريخ أنَّه ضاق الماء في القدس فاحتاجوا إلى بئر هناك نزلوها، طولها ثمانون ذراعاً، وسِعةُ رأسها عشرون ذراعاً في عرض أربعة أذرع، وهي مطويَّة بحجارة عظيمة، كلّ حجر منها خمسة أذرع وأقلّ وأكثر في سمك ذراعين وذراع، فعجبتُ كيف نزلت هذه الأحجار إلى ذلك المكان، وماء العين باردٌ خفيف ويسقي الماء طول السنة من ثمانين ذراعاً، وإذا كان زمن الشتاء فاض الماء وساح حتى يسيح على وجه الأرض في بطن الوادي وتدور عليه أرحيةٌ تطحن الدقيق، فلمّا احتيج إليها وإلى عين سلوان نزلتُ إلى قرار البئر ومعي جماعة من الصُنَّاع، فرأيت الماء يخرج من حجر يكون قدرُه ذراعين في مثلهما، وفي/ البئر مغارةٌ فتح بابها ثلاثة أذرع في ذراع ونصف، يخرج منها ريحٌ باردٌ شديد البرد، وإنه حطَّ فيها الضَّوء فرأى المغارة مطويَّة السَّقف بحجر، ودخل إلى قريب منها، ولم يثبت له الضَوء فيها من شدَّة الريح الذي يخرج منها، وهذه البئر في بطن وادٍ، والمغارة في بطنها، وحولها من الجبال العظيمة الشَّاهقة ما لا يمكن الإنسان أن يرتقي إليها إلّا بمشقَّة، وهي التي قال الله تعالى فيها لنبيّه أيوب عليه السلام ﴿**اركض برجلك هذا مغتسلٌ بارد وشراب**﴾[3] ثم قال الحنبليّ، وهذا البئر مشهور معروف، وفي كلّ سنةٍ عند قوَّة الشتاء، وكثرة الأمطار يفور الماء منه حتّى يصير كالنهر الجاري، ويسير إلى

٧٥/ب

---

(١) في أسفل وادي سلوان على بعد ٤٠٠ متر من بركة سلوان، والراجح أنّ صلاح الدين هو الذي بناها. انظر آثارنا في بيت المقدس/١٠٣ وما بعد.

(٢) يعني «الأنس في فضائل القدس» لأحمد بن الحسين بن هبة الله الشّافعي المُتوفى ٦١٠ هـ، آثارنا ١٠٧.

(٣) سورة ص/ ٤٢.

مسـافةٍ بعيـدةٍ، ويستمّر على هـذا الحـال عـدَّة أيـام كـالشهـر ونحـوه فهـو من العجايب انتهى.

تم توجهنا بمعونة الله تعالىٰ ولم نقل لعلَّ وليتا، فصعدنا إلى طـور زيتا،[1] بقصـد زيارة مـا فيـه من قبـور الصَّـالحين، والحضـور في تلك المشـاهـد المشرقة بأرواح أهل المحبَّـة واليقين، وهو جبـل عظيم شـرقي بيت المقدس، مُشرف على المسجد الأقصىٰ وحرم الصَّخرة الشريف.

جبلُ الزَّيتون وما قيل عن فضائلِهِ

روى الحنبلي في التاريخ، والشيخ إبراهيم السُّيوطي في الإتحاف، عن خالد بن معدان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَقْسَمَ ربك بالتين والزيتـون وطـور زيتا، وفي روايـة عنه أقسم ربّنـا عزّ وجـلّ بأربعـة أجبـل فقـال، والتّين والـزيتون وطـور سينين وهـذا البلد الأمين، فـالتين مسجـد دمشق، والـزيتـون طور زيتا المشـرف على بيت المقدس وطور سينين حيث كلَّم الله موسىٰ عليـه السّـلام، وهذا البلد الأمين مكّـة، وعن سعيد بن عبـد العزيـز أنّ صفيَّـة زوج النبيّ ﷺ قدمتْ بيت المقدس وصلَّت به وصعدت إلى طـور زيتا فصلَّتْ فيـه، زاد بعضهم في الـرواية: وقـامت على طرف الجبـل وقالت من هـا هنـا يتفـرَّق النـاسُ يوم القيامة إلى الجنّة وإلى النّار، ويُسمَّى هذا الجبل الذي هو طور زيتا جبـل الحَمَر بفتـح الحاء والميم، وهـو كثير الشجـر والظلّ وهـو الجبل الـذي صعد منه عيسىٰ عليه السَّلام، إلى السّماء/ حين رفعه الله إليـه، وزاد في مثير الغرام أنَّه رُفع عيسىٰ عليه السَّلام ليلة القدر من جبل الطُّور ببيت المقدس.

٧٦/أ

ولمّا مررنا في وسط ذلك الوادي، أبصرنا باباً كبيراً يظهر للصَّادرِ والغادي، فسألنا عنـه فقيل لنـا ها هنـا قبر مـريم بنت عمران، في داخـل هذا المتين من البنيان، وهي كنيسةٌ كما قال الحنبلي، في داخل طور زيتا تسمّىٰ الجسمانيـة، خارج باب الأسبـاط، وهو مكـان مشهور يقصـده الناس للزيـارة من المسلمين

قبر السيدة مريم

(١) الموسوعة ٢/٥٢٢ ويقال له جبل الطور أو جبل الزيتون.

والنَّصارىٰ، وهذه الكنيسة من بناء هيلانة أم قسطنطين[1]، وروى المشرف بسنده، أن رسول الله ﷺ لما ظهر علىٰ بيت المقدس ليلةِ الإسراء، فإذا عن يمين المسجد وعن يساره نوران ساطعان فقال يا جبريل ما هذان النوران؟ فقال أمّا الذي عن يمينك فإنّه محراب أخيك داود وأمّا الذي عن يسارك فعلى قبر أختك مريم.

وصف كنيسة مريم

ورُوي أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح بيت المقدس، مرّ بكنيسة مريم التي في الوادي فصلّىٰ بها ركعتين، ثم ندم لقوله ﷺ هذا وادٍ من أوديةِ جهنّم، ثم قال: ما كان لعمر أن يُصلّي بوادي جهنّم، انتهىٰ، وقد دخلنا إلى هذه الكنيسة بقصد زيارة مريم عليها السَّلام، ونزلنا إليها بدرجٍ نحو خمسٍ وخمسين مشتمل على الأحجار الكبار، وعرض الدرج نحو خمسة أذرع، حتّى وصلنا إلى أسفل ذلك وإذا قبرٌ معقود من الأحجار، عليه قناديل نحو العشرة، كبار موقودةٍ بالليل والنهار، وهناك موضعٌ بالقُرب من القبر، يقولون إنّ عيسىٰ عليه السّلام رُفع منه، فوقفنا ودعونا الله تعالىٰ، ويُقال إنّ مريم بنت عمران عليها السّلام دفنت في جبل لبنان، بالقرب من قبر الشيخ عبد الرحمن الرِّمثاني رحَمُه الله تعالىٰ، وقد زرنا قبرها هناك كما ذكرنا في رحلتنا التي سميناها حلّة الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز.

طَرْطور فرعون

ثم خرجنا ورأينا المكان الذي يُسمُّونه الناس بطرطور فرعون ويرجمونه بالأحجار، وهي قبة من بناء الروم، من الصّخر بذيل جبل الطور، بالقرب من قبر مريم ورأينا بالقرب منها قبّة أخرىٰ من الصّخر أيضاً يُقال لها كوفية زوجة فرعون/، وقد قيل إنّ القبّة الأولى قبر زكريا، والثانية قبر يحيىٰ عليهما السّلام، وقد تقدَّم أنّ قبر يحيىٰ وزكريا في سبسطية، وسبق ما فيه من الكلام، ثم

٧٦/ب

---

(١) كانت مسيحية تقية قامت بزيارة إلى أورشليم حيث يُروى أنّها وجدت ما يُظن أنه الصليب «الحقيقي» في البقعة التي تقوم عليها كنيسة القيامة حيث شيد قسطنطين كنيسة القيامة الأولى وهذا ما أدى إلى الإسراع بجعل سورية مسيحية. تاريخ سورية ولبنان، فيليب حتّي ١/ ٣٨٨.

مقام رابعة العدويّة

صعدنا إلى قبر السيدة رابعة العدوية[1] البصريَّة، مولاة آل عقيل الصَّالحة المشهورة، كانت من أعيان عصرها في الصَّلاح والعبادة ولها كلام في الحقائق والمعارف توفيت سنة خمس وثلاثين، وقيل خمس وثمانين ومائة، وقبرها على رأس جبل الطور في زاوية ينزل إليها بدرج معمور، تُقصد للزيارة، كذا ذكره الحنبلي في التاريخ، فوقفنا هناك ودعونا الله تعالىٰ وقرأنا الفاتحة.

قال الهروي في الزيارات[2]: وبالجبل يعني جبل الطور، مقام رابعة العدويَّة وقبرها، والصحيح أن قبر رابعة في البصرة، وإنّما رابعة هذه التي بالجبل هي رابعة زوجة أحمد بن أبي الحواري، وفي الجبل مواضع مباركة وقبور كثيرة من الصَّالحين والتَّابعين رضي الله عنهم إلاّ أنَّها لا تُعرف لاستيلاء الفرنج على البلاد، انتهىٰ.

ضريح الشيخ مُحمَّد العلمي

ثم خرجنا فذهبنا إلى زيارة الشيخ الكامل والعارف العالم العامل الشيخ محمد العلمي[3]، قَدَّس الله سرَّه وأعلىٰ في درجات المقرَّبين مقرَّة، حتى دخلنا إلى جامعه المعمور، وتربته المملوءة من النور، ورأينا تلك المنارة العالية التي هي كالعَلَم المنشور، فوق جبل الطور، ودخلنا إلى زيارته بكمال الخشوع والحضور، ونزلنا إلى قبره بدرج العشر درجات، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالىٰ هناك بما تيسَّر لنا من الدَّعوات، وكانت وفاة الشيخ رحمه الله تعالى، ليلة الأحد منتصف شهر ذي الحجة الحرام سنة ثمانٍ وثلاثين وألف،

---

(١) رابعة العدوية بنت اسماعيل، أم الخير، البصرية، صالحة مشهورة ولدت في البصرة، وقد ذكر ابن خلكان أنها توفيت بالقدس سنة ١٣٥هـ، وقبرها يُزار وهو بظاهر القدس من شرقيِّه على رأس جبل يسمى الطور، وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٥.

(٢) ص٢٨ ،وأجدادنا في ثرىٰ بيت المقدس ص ١٠١ فيه صورة المبنىٰ المذكور.

(٣) ولد سنة ٩٦٤هـ وكان من كبار الصالحين أقام مدة طويلة في دمشق ثم استقر أخيراً في القدس. خلاصة الأثر٤/ ٧٩٠، وأجدادنا في ثرى بيت المقدس ص١٠١ فيه صورة الضريح المذكور.

أما الجامع المذكور فهو من بناء أسعد أفندي التبريزي، مفتي الدولة العثمانية، وقد توفي بالقسطنطنية بعد سنة ١٠٧١هـ ودُفن فيها، وكان من خيار العلماء، ويُعرف الجامع اليوم بالزاوية الأسعدية .خلاصة الأثر ١/ ٣٩٦. وأجدادنا / ٩٩ والموسوعة ٢/ ٥٢٣.

وعنده زوجته مدفونة في ضريح اخر، وعلى القبرين جلالةٌ ومهابة تُحقق لمن دعا الله تعالىٰ هناك بحصُول الإجابة، ثم خرجنا إلى ذلك الجامع الذي هو لكل خير جامع وصلّينا فيه ركعتين وأضافونا بما تيسَّر ممّا يلذّ به الفم وتقرُّ به العين، وتبرَّكنا بهاتيك المشاهد، وتذكَّرنا العهود الإلهية بين هاتيك المعاهد، وقرأ بعض من معنا كتابات في تلك الجدران المطليَّة بالشّيد، من أنواع القصائد والأناشيد، فكان ممّا وجدنا/ هناك من النظم المُحاك تاريخاً لعمارة ذلك المكان، قول شيخ الإسلام رضي الدين اللطفي رحمهُ الله تعالىٰ:

أ/٧٧

الأشعارُ في الزاوية الأسعدية

مقامٌ به ربُّ الخلائق يُعبدُ ... ويُرجىٰ إذا عمّ المصَابُ ويُقْصَدُ

وكيف وواديه المقدَّس بقعة ... تجلَّى عليها الخالقَ المتوحّدُ

وناجىٰ به، والليل داج، نبيُّهُ ... وخاطبه والقوم في الركب رُقّدُ

بنىٰ فيه ربُّ الفضل أسعد مسجداً ... وأقصى مُناهُ العفو، والله يشهدُ

محاسنه لم يُحْصِها قطُّ حاسبٌ ... ووصف علاهُ في الورىٰ ليس يُجحدُ

وقد قلتُ إذ تمّ البناء مؤرِّخاً ... مُصلًّى لطور الله قد شاد أسعدُ

ومنه، قول الشَّيخ عبد ربّه الشّعراني رحمهُ الله تعالى:

أسَّس الأسعديُّ لله بيتاً ... كان لله خالصاً أيَّ بيتِ

مستقرّ الأساسِ في طور زيتا ... مُشرقاً قد أضاءَ من غير زيتِ

ومنه قول الشيخ محمد بن عبد الجواد بن أحمد المنوفي المكّي:

أسَّسَ السَّعْد بيتَ أسعد لمّا ... قد بناه لله في الطور مُشرِقِ

فتسامىٰ بين البيوت وأضحىٰ ... واضحاً مُشْرِقاً بغربٍ ومشرقِ

ومنْه قول الشيخ عبد البرّ الفيومي:

طور زيتا قد أسَّس السَّعدُ بيتاً ... للإله العليّ يُرجىٰ ويقصدْ

حلّ فيه محمَّد الفضل مَيْتاً ... في مقامٍ له يزارُ ويُشهدْ

ومنه قول الشيخ الإمام يوسف العُسيلي رحَمهُ الله:

قد بنى الأسعديّ في الطور بيتاً	حلَّ فيه قطب الزمان محمَّدْ
مستقرٌ على التقىٰ فلهذا	صار ركناً فيه يزار ويشهدْ

ومنه قول بعضهم:

شيَّد الأسعديُّ في الطور بيتاً	قد سما رفعةً به الحال يشهَدْ
سيَّما ذا بحضرةِ القطب من قد	حاز فضلاً مَوْلىٰ الوجود مُحمَّدْ

وقد وجدنا في ديوان القطب الكامل الشيخ محمد العلمي رحَمهُ الله تعالىٰ أنَّهُ لمَّا أراد بناء المسجد الشريف في جبل طور زيتا، وتضرَّر الكفَرَةُ المشركون بذلك/قال مُحتسباً بالله تعالى:

٧٧/ب

قصيدة الشيخ محمد العلمي في الأسعدية

لا بدَّ للدين القويم الطَّاهرِ	من ناصرٍ ملكٍ قويّ قادِرِ
الله ينصُرُه بأهل ولائِه	وبجندِهِ الأعلىٰ وحزب الطَّاهرَ
ويمُده منه بكلّ مؤيّدٍ	بطل شجاع للأعادي قاهرِ
يُعلي لدين الحقّ يرفعُ شأنه	يحميه للمولىٰ بسيفٍ باترِ
يفري به أهل الضَّلالة والشقا	بمقال حقٍّ للأعادي زاجِرِ
لا يختشي في الله لومَة لائمٍ	كلّا ولا يُصغي لقول الغَادِرِ
لله ينظرُ في الأمور جميعها	والحق يَنصرهُ بنورٍ باهرِ
ويَرىٰ النصيحة للإلٰه بحقّها	بخلاص مسجده المنيف الفاخِرِ
المسجد السَّامي الشهير بطوره	بالمصعد الأعلى الشريف الطَّاهرِ
لله ينقذهُ ويرفعُ شأنه	وشعارهُ الداعي لذكر الذاكرِ
يسعىٰ لوجه اللّهِ في تطهيرهِ	من خُبث ذي رِجْسٍ عدوٍّ كافرِ
قد دنَّسوه بكل فعل منكَرٍ	لا يُختشىٰ فيه فسُوق الفاجِرِ
كالخمر والصّلبان والكفر الذي	يُبدونه فيه بفعل مُجاهِرِ
تشكو بقاع القدسِ من أفعالهم	بالحال للمولىٰ القويّ القاهِرِ

والمسلمون بحسرةٍ وبحرقةٍ ... مِنْ فعل عُبّادِ الصَّليبِ الصَّاغِرِ

قد حالَ حالُ المسلمين كآبةً[1] ... من شرّ فعلهم القبيح الجائِرِ

من إفكهم بالمال والعجب الذي ... يلقونهم فيه لقيَّ السَّاحِرِ

وتطاولوا ببنائهم وبجمعهم ... بين الملا يُبدون كيد الماكِرِ

فاللَّهُ يَخذلهم ويُطفي نارَهُم ... بظهور نورٍ من مُحقٍّ ناصِرِ

يُسمي[2] منار الدين، ينصر حزبَهُ ... ويشدُّه منه بحقٍّ ظاهِرِ

ويردُّ دين الكفر مُنتكصاً على ... أعقابه لمعاد حشرِ الحاشِرِ

بمذلَّةٍ ومذمَّةٍ وحقارةٍ ... تُدني لأدنىٰ صفقةٍ من خاسِرِ

كي يعلموا ما كان منهم مفترىٰ ... وتدمِّرَنْهم غارةٌ من غائِرِ

وأتوا بكشفٍ يبتغون ليهدموا ... أسَّ التُّقى من حين حفر الحافِرِ

وتضرّروا من مسجدٍ ومنارةٍ ... تُبنىٰ ابتغاءً للسميع النَّاظِرِ

٧٨/أ

/إذْ رام يسعىٰ في عمارة مسجدٍ ... عبد لمولاه العليم الغَافِرِ

في قريةٍ للمسلمين بعيدةٍ ... عنهم لأجل مجاورٍ ولزائرِ

يأوي إليه الوافدون لقدسه ... من كل بادٍ في الأنام وحاضرِ

العاجز العلميّ الضعيفُ المرتجي ... فضلاً من البرّ الرحيم القادرِ

يشكو لمولاه مصيبةَ دينه ... فيه الإعانة وهو حسب الصابرِ

هو سيدي هو مقصدي هو ناصري ... هو عالمٌ بظواهري وسرائري

ثم الصلاة على النبيّ وآلِهِ ... عدَّ الرمال وكلّ نجمٍ زاهِرِ

والصَّحب والأتباع أرباب الهدى ... والتابعين لهم ليوم الآخِرِ

قصيدة أخرى للشيخ العلمي في جبل الطور

وقال أيضاً رحمَهُ الله يمدحُ جبل الطور المذكور بعد بناء الأسعدية فيه:

واحبَّذا طور زيتا والمقام به ... بين الأحبَّة أرباب المودَّاتِ

طور شريف سما قدراً ومنزلةً ... وذِكْره جاء في آيٍ كريماتِ

---

(١) في النسخة الثالثة كأنّه، ولا معنى لها.

(٢) في نسختنا «يُسمِّى»، والتصحيح من نسخة حلب، ويُسمي هنا بمعنىٰ يُعلي.

بـه مـآثـر ســاداتٍ سَمَــوا كــرمــاً ... من حضـرةِ الله كم نـالـوا عنـايــاتِ

بـــه من الأنبيـاء مـا ليس يـعلمـهم ... إلا الـمهيمـن عــلاَّم الـخـفـيَّـاتِ

وقـد روى العـالم البكـري حين أتىٰ ... للقدس في أوجه الحاوي الكمالاتِ

أعني محمـداً الشمسيّ زيدُ رضـا ... مـن حَضــرة الله مـنّــاح المــودَّاتِ

حبـاهُ منـه بـرضـوانٍ يـسيـر بــه ... طـول المـدىٰ، بمقـامـاتٍ عليَّـاتِ

عن[1] عـدِّهم بألـوفٍ عـدّهـا مـائـة ... وفضـل مـولاي لا يُحصىٰ بغـايـاتِ

وفيـه مصعـد عيسىٰ جـلَّ مُنقـذهُ ... من الأعــادي إلى أهــل السمــواتِ

وقيـل يـأتيـه أيضـاً بعـد مهبـطه ... يـأوي إليــه لآيــاتٍ عـظيمــاتِ

وقيل فيه هو المعنىٰ بساهرةٍ ... والبعث منه لميزانالسياداتِ

لـه فضـائــل لا يُحصي لهـا عــدداً ... ســوىٰ إلـهـي منّــاح الـعـطيَّـاتِ

وفيه خرنـوبةٌ في العشـر قد شهـدتْ ... وقبـرُ سَلمـان من أعلى الكـرامـاتِ

وفيــه قبــرٌ سمــا فضــلاً بــرابعــةٍ ... من ذكرها شاع في أهل السيادات

أنـواره أشــرقَتْ من كــل نـاحيــةٍ ... بنـور حقٍّ تـداعىٰ بـالمسـرَّاتِ

بشــرى لـزائــره، بشـرىٰ لسـاكنـه ... بشرى لأهـل التقىٰ أهــل المبرَّاتِ

/وتمّ فيــه الهَنـا والسَّعـدُ أجمـعُــهُ ... بـأسعــديَّــةِ عــلاَّمِ الــوجــوداتِ

٧٨/ب

أعني به الماجدُ المولىٰ الذي حُمدتْ ... منــه المــآثــر في أوج الكمــالاتِ

مفتي الأنـام فريـد العصر أسعَـدَ مَن ... ولاَّهُ مــولاهُ مـنـه بـالـعـنـايــاتِ

مـدى الزمـان ولـلأنجاب يحفـظهم ... ربّ الـعبـاد بـإنعـامٍ ورفـعــاتِ

كـذاك لـلإخـوةِ السَّادات مـع وَلَـدٍ ... والأهــل جمعـاً وأربــاب المحبَّـاتِ

الله يكـلؤهم فـضـلاً ويحــرسـهم ... بنـور فضــلٍ يُـوالىٰ بـالمــودّات

بجاه خير الـورىٰ المبعوث من مُضَـر ... محمــد المجتبى أزكى الخليـقــاتِ

صلّى عـليـه إلـهي دائمــاً أبــداً ... مـع السَّـلامِ بـأنــواعِ التحيَّــاتِ

والآل والصحب أربـاب الكمال ومن ... والاهم بـالهدىٰ في كـلّ حـالاتِ

---

(١) من، في النسخة الثالثة.

قصيدة ثالثة للعلمي

وقال أيضاً رحمَهُ تعالى، يمدح الطور بعد بناء الأسعدية فيه:

بقعةٌ بالقدس قد عمرتْ ... مثلها الأبصارُ ما نَظَرتْ
وبَدتْ تزهو لناظرها ... بِسَنا نورٍ له نشرتْ
طور زيتا زادها شرفاً ... ويعبَّادٍ به فخرتْ
جلّ من بالذكر شرَّفَهُ ... وبساداتٍ به قُبِرتْ
ولَكم أمَّتْ له أُمَمٌ ... من بقاع الأرض واذّكرتْ
فضله كم جاء في نبأٍ ... وله الأخبارُ قد ذكرتْ
فلذا فاقت محاسنها ... سائر الآفاق وافتخرتْ
بإمام العصر عامرها ... أسعد المولىٰ به شهرتْ
سيّدٌ عمَّتْ فضائلُهُ ... وفتاواه الورى بَهَرتْ
فأدِمْ يا ربِّ رِفعته ... وبنيه أينما حَضَرتْ
سادةٌ للخير قد جُبلوا ... وبه أحوالهم خبرتْ
وأمير القدس قام بها ... قومةً للهِ ما فترتْ
فأدِمْ يا ربِّ دولتَهُ ... وقِهِ الأعدا وما حبرتْ
وأنلهُم ربنا مِنَنَاً ... بهباتٍ سعيها شكرتْ
لو يروم الخلق أجمعُهم ... وصفَها حقّاً لما قدرتْ
/وجنود الحقِّ تنصُرهم ... وبهم أعداؤهم كسرتْ
مَن بها لله قد أمروا ... ولذا بالدين[1] قد ظهرتْ
ولكم حلّوا بساحتها ... مَن بهم أرجاؤها عُمرتْ
سادةٌ بالله قد شُغِلوا ... ولهم نعماؤه غَمَرتْ
وبدا للعاجز العلميِّ ... مالُهُ، أحشاؤه ضَمرتْ
منّةٌ من فضل خالقِهِ ... لقلوبٍ كسرها جبرتْ
وحبيبُ الله أمّ لها ... بكرامٍ خلفه حضرتْ

٧٩/أ

(١) في النسخة الثالثة: باللِّين، ولا معنى لها.

زيَّنوا حقاً مجالسها بشذا عرف بهم عبرتْ
فصلاةُ الله تشملهم ولأتباعٍ لهم نصرتْ

قبر سلمان الفارسي

ثم ذهبنا نزور بقيَّة مَنْ دُفن في الطُّور، فزرنا قبر سَلمان الفارسي[1] الصَّحابي المشهور رضي الله عنه، وقد اشتهر كون قبره في ذلك المكان، بين أهل القدس الشريف، وهو في مسجد هناك لطيف، وعلى يمين الداخل إلى ذلك المسجد، شجرةٌ كبيرة من الخرنوب، وقد ألقاها الهواء وقلع بعض شروشها، وقد رأيناها ملقاة على الأرض، وهي مغروسةٌ فوق مصطبة وحولها بنيان مثل الحظير، وهي تُسمّى بخرنوبة العشرة، ولعلَّ أحداً رأى العشرة المبشّرين بالجنَّة في المنام جالسين تحتها أو غير ذلك فسُميت بخرنوبة العشرة.

خرنوبة العشرة

قال الحنبلي في التاريخ: وبطور زيتا شجرة خرنوب عندها مسجد لطيف، وتحت المسجد مغارةٌ مأنوسة، ويقصد الناس هذا المكان للزيارة، وتسمّى هذه الشجرة الخرنوب خرنوبة العشرة، ولا أدري ما السّبب في تسميتها بذلك ولكن اشتهر هذا عند الناس، والله أعلم بحقيقة الحال، انتهى.
وقُلنا من النظام، في هذا المقام:

قد أتينا نزور في طور زيتا كلُّ حيّ في قبره ليس ميتا
شيخةُ الكاملين رابعةٌ من أدركتْ في ذُرا المعارف صيتا
والصحابيّ ذا الفضائل سلما ن ومن كان بالهدىٰ منعوتا
والإمام الهمام حاوي المزايا ثابت الفضْل في الأنام ثبوتا
/علميُّ ثناه كالعلم الفَرْ دِ فلا يُختشى له تفويتا
وكذا قبر مريم أمّ عيسىٰ قد بناهُ الإله للسرّ بيتا
طُورَ نورٍ حوى قُبور كرامٍ والبرايا يدعونه طور زيتا

٧٩/ب

(١) صحابي جليل، توفي ودفن قرب المدائن في العراق سنة ٣٦هـ، في منطقة تعرف بسلمان بك، أي أنه ليس مدفوناً في جبل الطور. انظر الأعلام ٣/١١١ ومصادره.

لا تـزال الأرواح تـأوي إلـيـه ... فيـه أجسـامُهـا تـرى تقـويتـا
جبلٌ مشرف على القـدس شرقـاً ... زاده اللهُ بـالـكـمـال نُـعـوتـا
حيث أضحى لـلصَّـالحين مقـرًّا ... ليتَ أنّي مـا عنـه حـاولتُ ليتـا

مقبرة باب الرحمة

ثمَّ رجعنـا من زيارة الـطور، فجئنا إلى مقبـرة باب الـرحمة[1]، نـرتجي كمال الأجور، وهي بجوار سور المسجد الشرقي فوق وادي جهنَّم، وهي تربةٌ مأنوسـةٌ لقربهـا من المسجد، وهي أقـرب الترب إلى المـدينة، فـزرنا بهـا قبر الصَّحـابيين الجليلين شـداد بـن أوس وعبـادة بن الصَّـامت رضي الله عنهمـا، فوقفنا هناك، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بمـا تيسَّر من الـدعاء لجميـع من سكن تلك الجبَّـانـة من المسلمين والمسلمـات، وكـان معنـا رجـلٌ من ذُريَّـة

المدرسة الصلاحية

عبـادة بن الصَّامت رضي الله عنـه، ثم دخلنا إلى المـدينة من بـاب الأسبـاط، فمـررنا على المـدرسة الـصلاحيـة[2] لنتبـرك بها ونشهـد آثار العلمـاء الذين أقاموا بها الدروس سـابقاً من علمـاء الإسلام، فـدخلنـاهـا فوجـدناهـا مدرسـة عظيمةً، آثار أبنيتها قديمة، وكأنها كانت سابقـاً كنيسةً، فـإنَّ واجهة بـابها يُؤذن بذلك، وكذلك في داخلها الأعمدة والسقوف النفيسة، ويقـال إنَّ فيها قبـر حنَّة أم مريم عليها السلام كما ذكره الحنبلي في تاريخه، وقد وقفنا على هذا القبـر المذكور في داخل المدرسة المذكورة في مكانٍ مكشوف فضاؤه، ظـاهر لألأؤه وضيـاؤه، ينزل إليـه بدرج من الحجـر، والعامَّـةُ يقولـون إنَّه قبـر هيـلانـة، أمّ قسطنطين التي بنت الكنيسة الجسمانية التي فيها قبر مريم عليها السلام، كمـا قدَّمنا ذلك.

---

(١) المقبرة الإسلامية في القدس، يُقـال إن فيها عـدداً من الصحابة والأولياء، ولمـزيد من التـوسّع ارجع إن شئت إلى «أجدادنا. . .» ص١٣٣ ـ ص ١٤٣ ففيه دراسة ضافية عنها.

(٢) المدرسة الصلاحية: أنشأها صلاح الدين عقب تحرير القدس سنة ٥٨٣هـ مكـان دير أو كنيسـة أقامها الصليبيون، وكانت قبل الإسلام تعـرف بـ «صند حَنة»، وعندمـا احتلَّ الأنكليـز فلسطين سارعوا إلى إعادتها إلى «الآباء البيض» الذين حوَّلوها إلى كنيسة ومتحف ومكتبـة ومدرسـة. انظر كنوز القدس/١٠٢.

بركة
بني إسرائيل

ثم مررنا على بركة بني إسرائيل لصيق سور المسجد الشمالي، فوجدناها بركةً كبيرةً واسعة عميقة ليس فيها ماء، وإنما فيها الحشيش النّابت.

قال الهرويّ في زياراته: وشمالي المسجد بُركةُ بني إسرائيل يُقال إنَّ بختنصَّر ملأها من رؤوسهم.

٨٠/أ
المدرسة
القرقشندية

/ ثمَّ مررنا بالمدرسة القرقشندية، وهي قبالة هذه البركة، لصيقة باب المسجد وفيها قبر الشيخ القرقشندي[1] رحمه الله تعالى، فوقفنا هناك ودعونا الله تعالى، ثم دخلنا إلى المسجد وذهبنا إلى مكاننا بالمدرسة السُّلطانية، وبعد صلاة الظهر، ذهبنا مع الجماعة أصحاب الأخلاق المرضيَّة، إلى ضيافة الشيخ الإمام، والحبر الهمام، البركة النحرير، صاحب القدر الخطير الشيخ أبي الوفا بن الشيخ عبد الصَّمد بن الشيخ محمد العلمي، رضي الله عنه وعن أسلافه الكرام، وبارك الله فيه وفي أولاده السَّادة الأفاضل العظام، فدخلنا من داره دار السَّلام بتحيَّة وسلام، وصعدنا إلى ذلك القصر المنيف، والمجلس العالي حِسّاً ومعنىً، الموفق الشريف، فتلقَّانا بالإعزاز والإكرام والقبول والاحتشام، حتى دخلنا من حدائق أخلاقه جنّات النَّعيم، وتمتَّعنا بين أغصان عباراته بلطائف النَّسيم، وقلنا له قد زرنا جدَّك الشيخ محمد العَلَمي في أوَّل النهار في الطور، وزرناك يا علميّ في آخر النهار في أعلى القصور، ونحنُ معترفون بغاية القصور، وكلاماً هذا معناهُ متَّع الله بهذا الحبيب مُغْنَاهُ، وقد حصر في المجلس شيخ الإسلام وبركة السلف الصالحين الكرام، مجمع الفضايل، وخلاصة الأوائل، السَّيد عبد الرحيم أفندي، المفتي بالقدس الشريف وولدهُ الكامل الفاضل السيِّد محمد، وبعضُ السَّادة الأصحاب والأخلاّء الأنجاب، وجرت بيننا وبينهم الأبحاث العلمية في المسائل الشرعية والأدبيَّة، وكان ممن

الشيخ
أبو الوفا العلمي

---

(١) مُحدِّثٌ وخطيب المسجد الأقصى، وأعاد بالصلاحيَّة وحدَّث توفي سنة ٨٦٩هـ عن تسع وستين سنة ودفن بالقلندرية وهي زاوية لم يعدلها وجُود اليوم بعدما قامت على أنقاضها عمارة فندق «بالاس». الضوء اللامع ١١/٦٩، وأجدادنا في ثرى بيت المقدس/١٢٢ و ١٢٣، وكنوز القدس/٥٧.

إيمانُ فِرعون

تجاذبنا فيه أطراف الكلام، وتفاوضنا في تحقيق مسألته بين هاتيك الأقوام، القول في مسألة إيمان فرعون المشهورة، وجزمنا بتحقيق إيمانه وأنَّه بعد الإيمان عبد الله وليس بفرعون في هذه الصورة، وذكرنا ما أورده صاحب القاموس من أنّ فِرعون لُقّب الوليد بن مصعب صاحب مُوسىٰ ووالد الخضر أو ابنه، ونقل ذلك عن النَّقاش وتاج القرّاء في تفسيرهما، وقد جرىٰ في ذلك جدال وخصام حتى تحقق في هذه المسألة المقصودة المرام، لأهل الإحسان والإيمان والإسلام، ثمَّ لم ينفض المجلس حتى مُدَّتِ الموائد عقيب الفوائد، وتحلّت الأفواه/ وترطَّبت الشفاه، بما تلطّف للفؤاد وشفاه، بعدما كان من الجرف الهار، على شفاه، وما كلّ من نطق فاهُ تكلَّم بالحق وفاه، وحين وعد أبا الوفا وفاه.

٨٠/ب

وقد طلب منّا السيّد الكامل، صاحب اللطف الشّامل السيد محمد بن الشيخ البركة أبي الوفا العلمي المذكور في هذا الكتاب المسطور، أن نكتب له على إجازته السّعيدة ومعاهدته المفيدة الحاصلة له من أبيه، الكامل النبيه، العلمي المشهور شهرةَ، نار على علم، ومن يُشابه أباه فما ظلم، فكتبنا له ما تيسَّر في ذلك المقام على البديهة من النظام، وهو قولنا:

قصيدة النابلسي في مدح آل العلمي

لاحَ من أفق الكمال	بدرُ حُسْنٍ وجمالِ
وتجلّى نورُ وجْهٍ	عن دجىٰ ستر الخيالِ
وتبدّى الحقُّ حقّاً	وسِواهُ في الزّوالِ
وبياض الصّبح وافىٰ	واختفى صبغُ الليالي
وطريق الصدق فيهِ	عُصبَةُ خير رجالِ
كلُّ عصرٍ لم يزالوا	في الهدىٰ، لا في الضّلالِ
لا يراهُم غيرُ قلب	مِن سوىٰ التّسليم خالي
والذي فيه كمالٌ	عارفٌ أهْلَ الكمالِ
والمجيز الشَّهْمُ مِنْهُمْ	أهلُ حالٍ ومقالِ

ظهرتْ لمعةُ قرب ... من هُداهُ بالتَّوالي
لمجازٍ فرأيْنَا ... ضوءَ شمسٍ في الهلالِ
وأبٌ أنجب بابنٍ ... في كمالاتٍ وحالِ
وانتساب عَلَمِيٍّ ... زانه لمعُ النِّصالِ
قد تشرفنا بأنا ... عنده كنَّا ببالِ
وغداً يطلب منا الـ ... جَوْل في هذا المجالِ
وأنا عبدُ غنيٍّ ... من دمشق الشَّام آلي
أرتجي الدعوة منه ... لي بإحسان المآلِ

81/أ

المدرسة القادريَّة

ثم قمنا للمسير بعد إطلاق مباخر الطيب والعبير، وتوجَّهْنا/ فمررنا على المدرسة القادريَّة[1]، فدخلناها فوجدناها عظيمة البناء، واسعة الفناء، مشتملة على أشجار الورد ولها الرونق والبهاء بين المدارس كالعلم الفرد، واجتمعنا فيها، بمن هو كلمةٌ فيها، والمجاور بها على أكمل حسن وبها، وهو الشيخ الإمام والحبر الهمام، الشَّيخ موسىٰ المغربي المتقدَّم ذكره، والفايح في هذه الأوراق نشره، واجتمعنا هناك برجلٍ من أهل الجذب والصَّلاح اسمه الشيخ صالح بن الشيخ أبي بكر الحلبي، وقرأنا الفاتحة ودَعَوْنا الله تعالى بما تيسَّر من الدُّعاء، ثم عدنا إلى مكاننا بالمدرسة السُّلطانية، وجَلَسْنا على عادتنا في تلك الحضرة العليةً، وقد بتْنا على أحسن حالَة، يحقق كلٌّ منّا في النعيم آماله حتى طلع الصَّباح وأذَّن المؤذن حيَّ على الفلاح، وقضينا فرض الصلاة بالجماعة على حسب القدرة والاستطاعة.

---

(1) عمرتْها «مصرخاتون» زوجة الأمير التركماني ناصر الدين محمد بن دلغادر سنة ٨٣٦هـ، في عهد الأشرف «بَرْسْباي» كما هو مدوَّن عليها، وهي اليوم خربة بحاجةٍ إلى ترميم. انظر كنوز القدس/ ٢٧٩، والأنس الجليل ٢/ ٤٠، وعلى هذا فاسمها الصحيح الغادرية، ولبس القادرية.

اليوم الثاني والعشرون

[الاثنين ٨ رجب ـ ١٧ نيسان/أبريل]

وهو اليوم الثاني بعد العشرين من هذه الرحلة إلى زيارة المحبين، وهو يوم الاثنين المبارك، فعزمنا بقدرة الله تعالىٰ وتبارك، على زيارة نبيّ الله موسىٰ بن عمران، عليه من الله تعالىٰ أوفىٰ الصّلاة والسلام على مدىٰ الأزمان، فحثتنا هِمَمَ المحبّين والإخوان، وخرجنا نطوي تلك المسافات بجماعةِ الماشين وجماعة الركبان، وخرج لوداعنا هاتيك الأصحاب والأحباب، حتى شيّعونا إلى بعيدٍ من خارج ذلك الباب، وكان الماضي من طلوع الشمس ما يقربُ من سَاعتين، حتى انتهىٰ وداعنا وحصول أول البين، وقد صَحِبَنا صديقنا الصّالح، والكاملُ التقيّ الفالح، الشّيخُ محمّد وأخوهُ الصّالح الشيخ، أحمد من ذرية الشيخ الششتري المشهور، وكلٌ منهما فيما تقدَّم مذكور، وذهبَ معنا أيضاً من أهل بيت المقدس، قريبُنا مفخر الأفاضل الكرام وسليل العلماء الأعلام، الشّيخُ محمّد بن جماعة، والحسيبُ النسيب والحبيب الذي هو أكمل حبيب السيد خليل، وصديقنا مفخر الأعيان وخُلاصةُ أبناء الزمان، الحاج أحمد حضره، المتقدم ذكرهم، والفايح عطرهم، وغيرهم أيضاً من أهل بيت المقدس الكرام، فسِرنا على بركة الله تعالىٰ بالإعزاز والإكرام، وذهب معنا طائفة من السباهيّة[1] راكبين على خيولهم، ولم نزل في/ الطريق حتى وصلنا إلى حمىٰ ذلك الفريق، بعد قطعنا كل فجّ عميق، وكان قد دخل وقت الظُّهر وفات، وكادت أن تدرك المشَاةَ وفاةٌ من شدَّة الوعر، وكثرة الوعر، فأشرفنا من ذلك الشّاهق العالي، ووجدنا ذلك النور المتلالي، وأقبلْنا على ذلك الكثيب الأحمر وقد بُني حولَه بالجصّ والحجر الأغبر، ثم لم نزل نازلين، وفي سيرنا مُسرعين إلى أنْ وصلْنا إلى ذلك الحرم الأمين، وكان معنا

٨١/ب

---

(١) كلمة فارسية استخدمها الأتراك وغيرهم، وتعني الفرسان، وهي إحدى فرق الجيش العثماني، الموسوعة الإسلامية ١١/٢١٥.

الخادم من بيت المقدس، فسبقنا وفتح ذلك المقام المؤنس، فدخلنا من الباب، مع الجماعة والأصحاب، وبدأنا بصلاة الظّهر في ذلك الجامع مع الجماعة، وبادرنا إلى امتثال أمر الله تعالىٰ بأداء الفرض والإطاعة، ثمَّ بعد الفراغ، ساغَ لنا الإقبال على الزيارة أكمل مساغ، فقمنا وتوجّهنا إلى جهة ذلك المزار العظيم، والقبر الذي أشرقت عليه أنوار الكليم، عليه من الله تعالىٰ أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، فوجدنا باب هاتيك القبَّة مفتوحاً، وكان صَدْرنا بدواعي القبول مشروحاً، فدخلنا إلى قبالة القبر الشريف، ووقفنا نقرأ الفاتحة وندعو الله تعالىٰ مع الجماعة في ذلك المقام المنيف، وإذا بالخيالات تلمعُ في داخل تلك القبة، بحيث تتحيّر فيها عيونُ الأحبَّة، وهناك من الحُضور ما يشهد أنها خيالات الملائكة، تصعد وتنزل من حضرة الملكوت، على هاتيك التُّربة المباركة.

زيارة مقام النبي موسى

وقد ذكر الشيخ الإمام العلاَّمة العمدةُ الفهَّامة، الشيخ يوسف بن محمود بن أبي اللطف المقدسي في رسالته التي صنَّفها في تحقيق ذلك، وأنَّ هذه الخيالات التي تظهر في داخل قبَّة موسىٰ عليه السَّلام خيالات الملائك حيث قال ما ملخَّصُهُ إنه وجد الناس من أهل العلم وغيرهم يبحثون في ذلك عن ثلاثة أشياء: الأوَّل عن هذا القبر المشهور الذي للسيِّد موسى عليه السلام في غور أريحا، شرقي بيت المقدس على ذلك الكثيب الأحمر وما يظهر في القبَّة المبنية عليه من داخلها من تلك الخيالات الصَّاعدة والنازلة على صور مختلفةٍ وإذا قلتم إنها أشباح الملائكة فكيف يكون للملائكة أشباح وظلالات وهم أجسامٌ لطيفةٌ/نورانية، والجسم اللطيف النوراني لا شبح له.

لماذا تظهر الخيالات على قبر موسى؟

٨٢/أ

والثاني ما الحكمة أن الناس يرون هذه الأشباح دون أشخاصها، ومِنْ لازم وجود الشبح وجود الشخص، والثالث ما وجه المناسبة في ظهورها عند القبر الشريف في هذا المكان دون غيره مِنْ سائر قبور الأنبياء والمرسلين من أولي العزم وغيرهم عليهم الصلاة والسلام. وملخَّص ما أجاب به عن ذلك أنَّه قال: إنَّ الملائكة أجسَامٌ نورانية بسيطة مقدَّسة عن ظلمة الشهوة، وكُدُورةِ

الطبع، ذاتُ حياة مستقرَّة وعقل ونطق، وقد جعل الله فيهم قوَّة التشكُّل في صورةٍ مجسَّمةٍ مرئيَّةٍ، والقرآن والسنَّةُ يدلّان على ذلك، فلا يبعد من أن تكون الملائكةُ قد تصوَّرتْ في صور مجسَّمةٍ، ونـزلت على قبره الشريف فصار لها أشباحٌ تُرىٰ، وكان من لطف الله بالزائرين أن ترى الأشباح دون صوَرها، إذ لا يلزم من رؤية الأشباح رؤية الأشخاص، وإن كان رؤيتها دون أشخاصها من غير المألوف للإنسان بحسب العادة، هذا وقدرة الله صالحةٌ أنَّا نرى الشَّخص ولا شبح له كالنبي ﷺ، كما قالوا إنَّه عليه السَّلام لا شبح له يُرى على الأرض، أو نرى شبحاً دون شخص كما هنا. أو لا نرى شخصاً ولا شبحاً مع وجود ذاتٍ حاضِرةٍ، كما ورد أنّ جبريل كان ينزل على النبي ﷺ في صورة رجل، والحاضرون عند النبي ﷺ لا يرونه، لا شخصاً ولا شبحاً، والجنّ أيضاً يرونا ولا نراهم لا شخصاً ولا شبحاً، وقد نراهم إذا تشكّلوا، وقدرةُ الله صالحةٌ لكلّ مُمكن.

وأمّا وجه مناسبة ظهور الأشباح عند تربة الكليم دون غيره من سائر قبور الأنبياء والمرسلين من أولي العزم وغيرهم، فقد اشتهر جوابُه بين علماء بيت المقدس أنَّ قبر النبي ﷺ قد اشتهر بالمدينة المنوَّرة وثبت ذلك بالتواتر، والسيد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ثبت أنَّه في داخل الغار الشريف المشهور به في حبرون، والسيد عيسىٰ عليه السَّلام في السماء، والسيد موسىٰ عليه السلام قد / اشتهر أنّ قبره هنا، ولم يثبت ذلك بدليلٍ قطعيّ، فأوجد الله تعالى هذه الكرامة عند قبره، ليُسْتأنَس بها أنَّ قبرهُ الشريف هنا، وفيه نظر.

٨٢/ب

فإنَّه إنْ أريد بالخصوصية في هذا المكان كون المدفون فيه هو موسىٰ عليه السَّلام، وهو من أولي العزم الخمسة، كما يدلّ عليه سياق الكلام، ينتقض ذلك بقبر نوحٍ عليه السلام فإنَّه من أولي العزم، وقد اشتهر قبره في كرك نوح بأرض البقاع كما اشتهر قبر موسىٰ عليه السَّلام بغور أريحا، شرقي بيت المقدس، ولم يوجد عند قبر نوحٍ علامةٌ ما، يُستأنَس بها سوى الشهرة،

وهي موجودة للسيد موسىٰ عليه السلام، وإن كان الجواب لمطلق النبوَّة مع قطع النظر عن أولي العزم فينتقض أيضاً بقبور سائر الأنبياء عليهم السلام، كداود ولوط ويونس، ولم يوجد شيء من ذلك عند قبر واحدٍ منهم.

الرأي الأول

والجواب القريب أن يُقال: لا مانع أن يكون وجهُ الخصوصيَّة في ذلك تحقيقاً لإجابة سؤال موسىٰ عليه السلام عند هذه الأمَّة، حيث دعا الله تعالى عند موته في التِّيه أن يدنيه من الأرض المقدَّسة رميةً بحجر، كما ورد ذلك في الحديث الذي ذكره البخاري عن النبي ﷺ أن موسىٰ عليه السلام، لمّا حضرتْهُ الوفاة، سأل ربَّه أن يُدْنِيَهُ من الأرض المقدسة رمية حجر[1]، ودعوة النبيّ لا تُردُّ، فظاهر الحديث الشريف أن قبر السيد الكليم بالقُرب من الأرض المقدسة، لا فيها، والحال أنه داخل الأرض المقدَّسة، فقد أجاب الله تعالى دعوته بأبلغ مما طلب، وهو من صفات الكِرام، يُجيبون من دعاهم بأكثر ممّا يدعونهم به، وقد حقّق الله تعالى ذلك عند هذه الأمَّة بإظهار أشباح الملائكة، ليعلم الناسُ أن الله أجاب موسىٰ فيما دعاه به من شوقه إلى الأرض المقدسة وأن يكون مدفوناً فيها.

الرأي الثاني

وقد تكون الخصوصيَّة في ذلك بسبب أنَّ سيدنا موسىٰ لمّا ظهر للنبيّ ﷺ في ليلة المعراج، وأمره أن يُراجع ربَّه في شأن الصَّلاة تخفيفاً عن هذه الأمّة، كما ورد ذلك في حديث المعراج، حقَّق الله قبرهُ لهذه الأمَّة /بإظهار أشباح الملائكة عندهُ ليتحقق قبره عندهم، فيُجازونه على ما فعله بهم من التخفيف عنهم في أمر الصلوات بكثرة الزيارة له والدعاء عند قبره، وإهداء الفاتحة له وأنواع البرّ والخير، وقد يكون وجْهُ الخصوصيَّة بأنَّهُ لمّا قدَّرَ اللَّهُ تعالى أن يكون قبر موسىٰ عليه السلام في تلك الأرض المخسوفة لأنّها من جملة مدائن لوط، فيستبعد ذلك لكونها خسفت بغضب، فأظهر الله هذه الكرامة لينتفي هذا الاستبعاد أن يكون دفْنَ نبيِّهُ موسى في مثل ذلك.

٨٣/أ

الرأي الثالث

---

(١) انظر الحديث في فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب الأنبياء ٤٤١/٦.

ولا يُقال إنَّ هذه القبَّة حادثة، وهذا الكلام يقتضي أن تكون الأشباحُ موجودة من حين الدفن، لأنا نقول إن ذلك لم يكن معلوماً قبل بناء القبَّة، إذْ ليس هناك شيءٌ مرتفعٌ على القبر حتى يظهر فيه ذلك، لأنَّه لا يظهر على الأرض، فلمّا بُنيت القبة في زمان الملك الظاهر بعد سنة ستين وستمائة ظهر ذلك، وهذا ملخَّصُ معنى ما ذكره المصنِّف رحمه الله تعالى في رسالته.

أقول: وردَ في صحيح البخاري[1] في وفاة موسىٰ عليه السَّلام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُرسِلَ ملك الموتِ إلى موسى عليه السلام، فلمّا جاءَهُ صكَّهُ فرجع إلى ربّه، فقال: أرسلتني إلى عبدٍ لا يُريد الموت، قال ارجع إليه وقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطّت يدُهُ بكلِّ شعرة سنة، قال أي ربِّ، ثم ماذا؟ قال ثم الموت، قال فالآن، قال فسأل الله أن يُدْنِيَهُ من الأرض المقدَّسة رميةً بحجر، قال أبو هريرة: فقال رسول الله ﷺ فلو كنتُ ثمَّ لأريتكم قبرهُ إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر، وأورده البخاري أيضاً في الجنائز في باب من أحبَّ الدفن في الأرض المقدسة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُرسل ملك الموت إلى موسى ﷺ، فلمّا جاءه صكَّه فرجَع إلى ربّه فقال أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت، فردّ الله عزّ وجلّ إليه عينَهُ فقال له ارجع فقل له يضع يدهُ على متن ثور فله بكلّ ما غطّت به يدهُ بكل شعرةٍ سنة، قال أي ربِّ ثم ماذا؟ قال / ثم الموت قال فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدَّسة رميةً بحجر، قال، قال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر.

موسى وملك الموت

٨٣/ب

وورد في صحيح مسلم أيضاً في كتاب الأنبياء عليهم السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُرسل ملك الموت إلى موسىٰ، فلما جاءه صكَّه ففقأ عينه، فرجع إلى ربّه فقال أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت، قال، فردَّ عليه عينه، وقال ارجع إليه، فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطّت يدهُ

---

(١) المصدر السابق ٦/ ٤٤٠.

بكـل شعرةٍ سنـة، قال أيْ ربّ ثم مـه قال ثم المـوت، قال فـالآن، فسأل الله تعالى أن يدنيه إلى الأرض المقدّسـة رميةً بحجـر، فقال رسـول الله ﷺ ، فلو كنت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر.

وأورد مسلم[1] أيضاً عقيب هذا عن همّام بن منبّهٍ قال هذا مـا حدثنـا به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ فـذكر أحـاديث منها، وقـال رسول الله ﷺ : جـاء ملك المـوت إلى مـوسى فقـال لـه أجبْ ربّـك، قـال فلطم مـوسى عين ملك الموت ففقأها، قال فرجع الملكُ إلى الله، فقال إنّك أرسلتني إلى عبـدٍ لك لا يريد الموت، وقد فقأ عيني قال فردَّ اللّهُ إليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقـل: الحياةَ تريد، فإن كنت تُريد الحياة فضع يدك على متن ثور، فمـا توارت يـدك من شعـرٍ فإنّـك تعيش بها سنـة، قال ثم مـه، قال ثم تمـوت، قـال فـالآن مِن قريب، ربّ أمتْني من الأرض المقدّسـة رميةً بحجـر، قال رسـول الله ﷺ ، لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر.

حُدودُ الأرض المقدّسة

والمراد بالأرض المقدّسة كما قاله البيضاوي في قـوله تعـالى عن موسى ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾[2] أرض بيت المقدس، سُميّت بذلك لأنّها كـانت قرار الأنبيـاء ومسكن المؤمنين، وقيل الـطور ومـا حـولـه، وقيـل دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل الشام.

وأمّا حدودُ الأرض المقدّسة كمـا ذكره الحنبلي في تـاريخه، فمن القبلة أرض الحجاز الشريـف، يفصل بينهما جبال الشُّورىٰ وهي جبـال منيعة / بينهـا وبين أيلة نحـو مـرحلة، وسـطح أيلة هـو أول حـدّ الحجـاز وهي من تيـه بني إسرائيل، وبينها وبين بيت المقدس نحو ثمانية أيّام بسير الأثقال، ومن الشّـرق من بعد دومة الجندل بريّةُ السّماوة، وهي كبيرة ممتدةٌ إلى العراق ينزلهـا عرب الشـام، ومسافتهـا عن بيت المقدس نحـو مسافـة أيلة، ومن الشمال ممـا يلي

٨٤/أ

(١) كتاب الفضائل صفحة ١٨٤٣، الحديث ١٥٨.

(٢) سورة المائدة/٢٠.

المشرق نهر الفرات، ومسافته عن بيت المقدس نحو عشرين يوماً بسير الأثقال، فيدخل في هذا الحدّ المملكةُ الشَّاميَّة بكمالها، ومن الغرب بحر الروم، وهو البحر المالح، ومسافته عن بيت المقدس من جهة الرملة، نحو يومين، ومن الجنوب رمل مصر والعريش، ومسافته عن بيت المقدس نحو خمسة أيَّام بسير الأثقال، ثم يليه تيه بني إسرائيل وطور سينا، ويمتدُّ من تلك الجهة إلى تبوكِ ثم دومة الجندل المتَّصلة بالحد الشرقي.

تعجّب نبيّنا عليه السلام من لوط ويوسف وموسى

وهذه الأحاديث التي ذكرناها روايات الصَّحيحين، وقد أتىٰ النبي ﷺ في جميع الرّوايات بحرف لو التي هي من حروف الشرط، وأخبر أنَّه ﷺ على تقدير أن يكون عند قبر موسى عليه السَّلام، لأرى هذه الأمَّة قبرَه، ثم أخبر أنَّ قبرهُ إلى جنب الطريق عند الكثيب الأحمر، ولعلّ مراده ﷺ التعجّب من حرصِ موسىٰ عليه السلام على دفنه في الأرض المقدَّسة، والحال أنَّه قد دُفن فيها، كما ورد عنه ﷺ أنَّه قال فيما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يرحم الله لوطاً، فقد كان يأوي إلى ركنٍ شديد، ولو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف ثم أتىٰ الدّاعي لأجبتُ»[1]، وهذا تعجُّبٌ منه ﷺ من أحوال الأنبياء قبله إشارة إلى أنَّ قوْله تعالى في حقّ لوطٍ عليه السلام لقومه ﴿لو أنَّ لي بكم قوَّة أو آوي إلى ركن شديد﴾[2]، ووجْهُ التعجُّب أنَّ لوطاً عليه السَّلام كان يعلمُ أنَّه يأوي إلى الاعتماد والاتكال على الله تعالى، واللَّهُ تعالى هو الركن الشديد الذي هو أشدّ من القوم والأتباع والعشيرة، ومع ذلك قال ما قال، وكذلك يوسف عليه السَّلام، يعلمُ أنَّه بريء مما رُمي به، وحُبس في السجن لأجله من مُراوَدَةِ امرأة العزيز، ويعلم أنَّه صادق / وأنّ الله تعالى ينجي الصَّادقين ويحمي عنهم ويدفعُ عنهم كيد من يريدهم بسوءٍ، خصوصاً وقد ظهر له حصول ذلك بمجيء الرسول لإخراجه من السّجن، ومع ذلك قال للرسول الذي جاءه ﴿ارجع إلى

٨٤/ب

(١) كتاب الأنبياء في فتح الباري ٦/٤١٥.
(٢) سورة هود/٨٠.

ربك فاسأله ما بال النّسوة اللاتي قطّعن أيديَهُنّ﴾[1] الآية، وكان القياس أن يبادر بإجابةِ الرسول إلى ما دعاه إليه من الخروج من السجن، فتعجّب نبيُّنا محمد ﷺ من حاله ذلك، وكذلك موسى عليه السلام دعا الله تعالى أن يدنيه من الأرض المقدسةِ رمية بحجر حرصاً منه عليه السلام على الدفن فيها، ومع ذلك فإنّه كان فيها ودُفن فيها، فقال ﷺ ، لو أنّي عنده، وفي الرواية الأخرى ثَمَّ، أي هناك، يعني في الأرض التي دُفن فيها، لأريتكم قبره، حتى كنتم تتعجّبون من حالته، يُدفن في الأرض المقدَّسة، ويقول رب أمِتْني من الأرض المقدسة رميةً بحجر، ثمّ إنّه ﷺ ، لم يقدِّر الله تعالى فتح بيت المقدس له، ولا فتح البلاد الشّامية على يده في حياته ﷺ ، حتى كان يذهب بأصحابه إلى الأرض التي دُفن فيها موسىٰ عليه السلام فيريهم قبره كما أخبرهم، على جنب الطريق عند الكثيب الأحمر، وإنّما فُتحت البلاد في زمن خلفائه الكرام، ولمَّا كان الأمر كذلك، سخَّر الله الملائكة عليهم السلام، يتطوَّرون في أطوار شتّى، ينزلون على قبر موسى عليه السَّلام، فتظهر أشباحهم في القبَّة من داخلها، حتى يدلّوا هذه الأمّة على قبر موسى عليه السلام، وأنّه في هذا الموضع تصديقاً لنبينا محمد ﷺ فيما قاله من التعجّب المذكور، وهذا أقرب ما يُقال، عند أهل الإنصاف من الرجال، وهو من فتوح الوقت وتجلّيات ذي الجلال، وكون ذلك لم يظهر إلا بعد بنيان القبّة عليه، فقد يكون ظهر ذلك لبعض الناس، قبل بُنيان القبَّة، فأوجَبَ تحقيق أنّ ذلك قبره، وكان مقتضياً لبناء القبَّة عليه، ثم تحقَّق ذلك بظهور الأشباح في القبة، وانكشف للعام والخاص، والله بكل شيء عليم، وقد أشرنا إلى ذلك بهذه الأبيات التي نظمناها على البديهة في هذه المعاني الأبيَّات، حيث قلنا:

أسباب الخيالات على قبر موسى

مقام شريفٌ فيه للحقِّ مظهرُ ... ملائكة الله المهيمن تظهرُ

/وتشهد منها الناس أشباحَها التي ... تضاهي بها الأجسامَ منّا وتبْهرُ ٨٥/أ

فمن يتراءها بداخل قُبَّةٍ ... لموسى يراها، وهي في اللطف جوهرُ

(١) سورة يوسف/ ٥٠.

قصيدة النابلسي في الأشباح

لتخبرنا أنَّ الكليم مزارهُ هنا حيث كانتْ بالدَّلالة تجهَرُ
تصدَّق طه المصطفى في مقالهِ: لأخبرتُكم لو كنت ثمَّ فأجهرُ
كما جاء هذا في الحديث محقَّقاً بحكمةِ حقٍّ للبريَّة تقْهرُ
فصلِّي على طه وموسى إلهُنا وكلّ نبيّ كان وهو المطهرُ

معصية جرت عند قبر موسى فثارت الريح

ومما يؤيِّد هذا من الخوارق المشهودة عند قبر موسى عليه الصَّلاة والسَّلام، أنَّ الزوّار إذا قصدوه في كل سنةٍ وخرجوا إلى زيارته ونزلوا عنده في داخل ذلك المكان المبني أو خارجه في خيامهم، فإذا صدر مِن أحدهم شيء من المعاصي المخالفة للشريعة، والفواحش، وإن كان خفيةً لم يظهر عليه أحد، إلا الله تعالى، ثارت ريحٌ شديدةٌ وعجاج كثير بحيث تكاد تضطربُ تلك الأرض بأهلِها وتكاد تقتلع تلك الخيام، ويضطرب الناس اضطراباً شديداً، وربّما تنزل الأمطار الغزيرة بسبب ذلك، وقد تكرّر هذا مِراراً وعرفه الناس حتّى أخبرني رجل أنه كان مرَّةً في صحبة بعض العلماء الكبار في ذلك المزار، سنةً من السنين، فثارت الريح الشديدةُ وتحرَّك العجاجُ الكثير، واضطربت تلك الأماكن على العادة المعهودة، فعرفوا أن شيئاً وقع ممن هو حاضر هناك من الزُّوار، ففتشوا على ذلك، وإذا برجل جاء إلىٰ عندهم من المكاريَّة وأخبرهم أنَّه أكرىٰ امرأةً من بيت المقدس إلىٰ السيِّد موسىٰ مع الزوَّار دابَّةً له، وأنَّه طمع في إيقاع الفاحشة معها، وصدر منهما ما عصيا الله تعالىٰ به، وجاءت المرأةُ فاعترفَتْ بذلك وتابا إلىٰ الله تعالىٰ وأقلعا عن المعصيةِ ومعلوم أنَّ ذلك الإقرار بالزنا لا يوجب الحدّ لعدم كونه عند حاكم شرعيّ، وعدم تكرره[1] أربع مرات كما هو مقرَّرٌ في كتب الفقه، ثم إن ذلك الرجل العالم سأل المرأةَ هل لها مانعٌ من النكاح من الموانع الشرعية، فلم يكن لها مانع أصلاً، فعقد النكاح بينهما وقرأوا الفاتحة لحضرة موسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام/ ودعوا الله تعالى، فما استتمُّوا ذلك حتى انجلت تلك الحالةُ

٨٥/ب

(١) لا بد من اعتراف الزاني والزانية بالزنا في أربعة مجالس منفصلة. أو شهادة أربعة شهود عدول بأنهم رأوا الحادثة بأعينهم ساعة وقوعها، وهذا شبه المستحيل، وذلك حتى يقام عليهما الحدّ.

وسكن ذلك الريح وذلك العجاج الثائر، وصار كأنّ الأمر لم يكن، وهـذه أيضاً من الأمور الدالّـة على تحقيق أنّ قبر مـوسىٰ عليه السـلام هناك نـظير الأشبـاح التي تتراءىٰ في القبَّة، وذلك من خصوصيات هذا المكان، لا يوجـد هذا عنـد قبر نبيٍّ غير موسىٰ عليه السّلام، لأجل مـا ذكرنـاه من المعنى المتقدم، وكـأنَّ الملائكة عليهم السَّلام هم الذين يُثيرونهذا العجاج والأرياح الشديدة في ذلك المكان، كما أنّهم يتصورون في الصّور الجسمـانية فتـظهر خيـالاتهم في تلك القبَّة، وإنّما يفعلون كلَّ ذلك تصديقاً للنبي ﷺ ، فيما أخبر به عن موسىٰ عليه السلام، والله أعلمُ بحقيقة الحال وإليه المرجع والمآل.

وفاة موسى عليه السلام وعمره

وذكر الحنبلي في تاريخـه في وفاة مـوسىٰ عليه السَّـلام ما ملخَّصُـهُ: ثُمَّ لمّا قرب أجل موسىٰ عليه السلام قام خطيباً لبني إسرائيـل، فأنـذرهم وخوَّفهم وأشهدهم على أنفسهم بالإبلاغ وأمرهم بالطَّاعـة والتقوىٰ واستخلف يـوشع بن نون عليهم، فلمّا فرغ من وصيّته أوحىٰ الله إليه أنّي قابض روحك، وذكَّره بما أنعم عليه بالنبوة والرسالة والتكليم، فاعترف بنعم الله وحمَـدَهُ وأثنى عليه، ثم نـزل عليـه ملك المـوت وهـو جـالسٌ يتلو التـوراة، فسلَّم عليـه وقبض روحـه الشريفة، ثم ساق[1] حديث البخاري المتقدم، ثمّ قال: وكانت وفاتُه بالتّيه في سابع آذار لمضي ألفٍ وستمائة وست وعشـرين سنة من الـطوفان، وكـان موتـه بعد أخيه هارون بأحد عشر شهراً، وقيل غير ذلك وكان أكبر منه بثلاث سنين، وعاش موسىٰ عليه السلام مـائةً وعشـرين سنةً، وأنـزل الله تعالى عليه جبـريل عليه السَّلام أربعمائة مـرَّة، فيكون المـاضي من وفاة مـوسىٰ عليه السـلام إلى آخـر سنة تسعمـائة من الهجـرة الشريفـة ثلاثـة آلاف ومائتين وثمـانيـاً وأربعين سنة[2]، ومات موسىٰ عليه السَّلام فلم يدر أحَـدٌ من بني إسرائيـل أين قبرُهُ ولا

---

(١) يعني الحنبلي.

(٢) توفي موسى عليه السّلام في حدود سنة ١٢٥٠ق.م فيكون بينه وبين ولادة عيسى ١٢٥٠عاماً، وبين ولادة رسول الله محمد ﷺ ١٨٢١سنةً، وبينه وبين أواخر القرن التاسع الهجري زهاء ٢٧٧٠ سنة، انظر الموسوعة الأمريكية ١٩/٤٩٤ بقلم R. Patai مؤلف «الفكر اليهوديّ»، وانظر تاريخ سوريَّة لفيليب حتي ١/١٩٤. الموسوعة الفلسطينية ٢/٣٩٠.

أين توجَّه، فماج الناس في أمره ولبثوا ثلاثة أيـام، فلمّا كـانت ثالث عشيّتهم، جاءت سحابةٌ على قدر محلّةِ بني إسرائيل فسمعوا منادياً يقول بـأعلى صوتـه: مات موسىٰ وأيّ نفس لا تموت؟ / يكرر ذلك القول حتّى فهمت الناسُ كلامَهُ وعلمـوا أنَّه قـد مات، ولم يعـرف أحـدٌ من الخـلائق أين قبـره، فقيـل، وهـو المشهور عند النّاس، إنَّهُ شرقي بيت المقدس، بينهمـا مرحلة، وطـريقُه عسيـرةٌ لكثرة الوعـر، وعليه بنـاء، وداخله مسجد وعلى يمينـه قبَّةٌ معقـودةٌ بالحجـارة وفيها ضريحٌ يوضَع عليه في أيام موسم زيارته، ستر من حرير أسوَد، وعليه طراز أحمر مزركش دائرٌ على جميع أطرافه، والأكثرون على أنّ هذا قبرُه.

٨٦ أ

مقام موسى ومسجده

وفي الصحيـح أنّ النبي ﷺ مـرَّ ليلة أُسـري بـه على مـوسىٰ وهـو قـائمٌ يصلّي في قبره، وقبره عند الكثيب الأحمر، والذي بنى القبَّةَ المـذكورة الملك الظاهر عند عوده من الحجّ وزيارة بيت المقدس سنة ثمان وستين وستمائـة، ثم بنى أهـل الخير وزادوا زيـادات في المسجد وحـوله، فحصـل النفع للزائـرين بذلك، ثم في سنة خمسٍ وسبعين وثمانمـائة وسَّـعَ داخلُ المسجـد من جهة القبلة ولم تكمل عمارته إلىٰ سنة خمسٍ وثمانين وثمانمائة ثم بنىٰ به منارةً بعد الثمانين والثمانمائة، وهذا المكان بـالقرب من غور أريحا من أعمال القـدس، وأهل بيت المقدس يقصدونه في كـل سنة عقب الشتـاء ويُقيمون عنـده أيّامـاً، وقد ظهر في هذا المكان أشياء من أنواعِ المعجـزات، منها أنَّـه عند الضَّـريح الذي بداخل القبَّة لا يزال يُرىٰ فوق المحراب خيال أشباحٍ، ألوانهم مختلفة، فمنهم صفة الراكب، ومنهم صفة الماشي، ومنهم علىٰ كتفـه رمح وغيـر ذلك من الصفات، وللناس في ذلـك أقوالٌ مختلفـة، فيقال إنهم المـلائكة، ويُقـال إنَّهم الصَّالحون، وينظرهم كلّ الناس من الرجال والنساء والأطفال، لا يخفون على أحـد، ومنها أنَّـه إذا دخل للمسجـد امرأةٌ عليهـا حيضٌ أو جنابـةٌ أو فعل أحد حول المسجد شيئاً من المعاصي، يثور هواء وعجاج في تلك البرِّية حتى لا يرىٰ الرَّجلُ من إلى جانبه، وغير ذلك من الخوارق البـاهرات التي يستـدل بها

عودٌ إلى الأشباح والآيات

على أنَّهُ مدفونٌ في هذا المكان، ﷺ[1]، انتهىٰ.

وهذا الكلام الأخير يُؤيِّد ما ذكرناه من الكلام في تحقيق ظهور الأشباح هناك من الملائكة الكرام، ومن ذلك أيضاً ما يُناسب مقام موسىٰ عليه الصلاة والسَّلام من كون الأحجار/ عنده تشتعل بالنّار إذا أوقدها أحد، كما يشتعل الحطب اليابس، وكلَّما وُضع من ذلك التراب عليها زاد اتّقادها واشتعالها كما شاهدنا ذلك في زيارتنا هذه، وهو أمر مشهور بين الناس، وكان ذلك إشارة إلى أن موسىٰ عليه السَّلام ناريّ المشرب في تجلّي الشجرة الزيتونة التي هي لا شرقية ولا غربية من حضرةِ ذي الجلال والإكرام.

٨٦/ب

نيرانيَّة موسى

قال الله تعالىٰ: ﴿وهل أتيك حديث موسىٰ إذ رأىٰ ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنستُ ناراً لعلي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النَّار هُدىٰ. فلما أتيها نودي يا موسىٰ أنّي أنا ربُّكَ فاخْلع نَعليكَ إنَّكَ بالوادِ المقدَّس طوىٰ﴾[2] إلى آخر الآيات العظام ولمّا عرض عليه فرعون التَّمرة والجمرةَ، فاختار الجمرة على التَّمرة حتى يقال إنه وضعها في فمه، فتأثَّر منها لسانه، وهو قوله تعالى عنه: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾[3] وقولُه: ﴿واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي﴾[4] وإلى ذلك أشرنا بأبيات حين نقول:

قصيدة النابلسي في نشأة موسى عليه السلام

لله درُّ مقامٍ قد سما شرفاً	فوق السّماكين عنهُ قصَّر الأمَلُ
بقبر موسىٰ بن عمران الذي وضحت	آياته في بني يعقوب والسُّبُلُ
وهو الكليم لربّ العالمين كما	أتت بذاك نصوص الكتب والرسلُ
زرناه نحن وأقوامٌ تلوذ بنا	والأجر زاد لنا والعلم والعملُ
وقد رأينا عجيباً في زيارته	الصَّخر يوقد والأحجار تشتعلُ
وكلَّما ذُرَّ من ذاك التراب علىٰ	نار الحجارة زادتْ فوقَها الشُّعلُ

(١) انظر مقام النبي موسىٰ في الموسوعة الفلسطينية ٤/٣٩١. وانظر الأنس الجليل ١/١٠٠ وما بعد.

(٢) سورة طه/١٠.

(٣) سورة القصص/٣٤.

(٤) سورة طه/٢٧.

ولا عـجيب فـإن النـار كـان لَـهُ — بهـا التجلّي ليـالي دُكْـدِكَ الجبـلُ
واختـار جمرة فـرعون التي عُـرضتْ — عليـه يحسب شـوقـاً أنَّهـا أُكُـلُ
حتّى تنـاولهـا بـالكفّ يـقبضهـا — يـرومُ في فيه يُلقيهـا، كمـا نقلوا
وكـان يغضب من نـاريَّـةٍ هـي في — أحـوالـه مـع أخيـه حين يقتتـلُ
وقـد رمـت يـده الألـواحَ آخـذةً — بـرأسِ هارون وهـو الكامـل الرجـلُ
وكـانَ يعجـل حتىٰ قـومَـهُ ظهـرتْ — عبـادةُ العجـل فيهم أمْـرُهـا جلَـلُ
وحـاصل الأمـر أنّ الأرض حـلّ بهـا — من دفنـه مـا عليـه الـطبـعُ منجبلُ
وإنّمـا هي في الـدنيـا منـاسبـة — بمثْلهـا في البـرايَـا يضرب المثـلُ
٨٧/أ /صلّى الإلٰهُ عـليـه دائـمـاً وعـلىٰ — نبيّنـا من سنـا عليـاه مكـتمـلُ
مـا لاح ضوء صبـاحٍ وانقضى غسقٌ — من الـظلام وسحُّ الـوابـل الهـطِلُ

رأي ابن طولون في موقع قبر موسى

هذا وقد وجدنا رسالةً للعلاّمة المحدّث العمدة الفهّامة الشيخ مُحمَّد بن طولون الصّالحي رحِمَهُ الله تعالىٰ سمّاها تحفة الحبيب فيمـا ورد في الكثيب، يذكر فيها أنّ قبر موسىٰ عليه السّلام في مسجد القـدم، قبالـة الكثيب الأحمر في دمشق الشّـام، خارج بـاب الله، في طريق الحـاج، وقد ذكـر فيهـا بسنـده المتّصـل إلى أنس بن مالـك رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله ﷺ : مررتُ بمـوسىٰ عليـه السَّلام ليلة أُسـري بي، وهـو قـائمٌ يُصلّي في قبـره بين عـائلة وعـويلة، وذكر بسنـده إلى أبي القاسم علي بن الحسن بن عسـاكر في تـاريـخ دمشق في كـلامه على عـدد مساجـد دمشق التي خـارج البلد: مسجـد القـدم بقرب عائلة وعويلة[1]، قديم جدَّدَه أبو البركات محمد بن الحسن بن طاهـر، وفيه قبر جدّ أبيه لأمّه أبي الحسن الواعظ الـزاهد، ولهمنـارةٌ ووقف، ويقال إن قبر موسىٰ، عليه السلام فيه، ثم قال الحافظ أبو القـاسم في تاريخـه المذكـور في أول ترجمة موسىٰ عليه السّلام رُوي أنّ قبره ﷺ بين عـائلة وعويلة، وهمـا محلّتان كانتا بقرب مسجد القدم، ويُقال إنَّهُ رُؤي في النوم أنه قبره، انتهىٰ.

من قال إن قبر موسى في قرية القدم بدمشق

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر. تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد٢/ ٩٤.

وقيل إنّ عائلة وعُويلة بضمّ العين المهملة قريتان يُقال لهما سبينة وسبينات، وقيل القبة الطويلة برأس القُبيبات وأخرىٰ أمامها.

وذكر بإسناده إلى الشيخ أبي الحسن محمّد بن جبير الكناني الأندلسي في كتابه الذي سماه بكتاب الرحلة وتاريخها سنة ثمان وتسعين وخمسمائة[1] في ذكره لمشاهد دمشق فقال: ومن المشاهد مسجد الأقدام، وهو علىٰ مقدار ميلين من البلد ممّا يلي القبلة علىٰ قارعة الطريق الأعظم الآخذ إلى بلاد الحجاز والسّاحل وديار مصر، وفي هذا المسجد بيت صغير، به حجر مكتوبٌ عليه كان بعض/الصّالحين يرىٰ النبيّ ﷺ في النوم، فيقول له ها هنا قبر أخي موسىٰ صلوات الله عليه، والكثيب الأحمر على قارعة الطريق بالقرب من هذا الموضع وهو بين عائلة وعويلة كما ورد في الأثر وهما موضعان، وشأن هذا المسجد في البركة عظيم، ويُقال إنّ النّور ما خلا قطّ من الموضع الذي يُذكر أن فيه القبر حيث الحجر المكتوب، وله أوقافٌ كثيرة، والأقدام في حجارةٍ في الطريق إليه مُعلّم عليها، تجد أثر القدم في كل حجر، وعدد الأقدام تسعٌ، ويُقال إنها أثر قدم موسىٰ عليه السلام، انتهىٰ.

٨٧/ب

وذكر أيضاً بسنده عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: بالشام من قبور الأنبياء ألفا قبرٍ وسبعمائة قبر، وقبرُ موسىٰ عليه السّلام بدمشق، فإن دمشق معقلٌ للناس في آخر الزّمان من الملاحم، وأورد أيضاً بسنده عن كعب الأحبار رضي الله عنه قال: قبر موسىٰ عليه السلام بدمشق.

أقوال المؤرخين في موضع قبر موسى

قُلْتُ: قال العلّامة أبو إسحاق الفزاريّ الشّافعي[2]: فقد وُجد النقل بأنّه في دمشق مُطلقاً، وهذا المطلق يحتمل التنزيل على ذلك المقيّد، ولم أجد نقلاً عن المتقدّمين بتعيين موضعٍ لقبره علىٰ الخصوص غير ذلك، وأمّا بيان

---

(١) دخل ابنُ جبير دمشق في ربيع الأول سنة ٥٨٠هـ /٥ تموز يوليو سنة ١١٨٤م، ووصفُه المذكور ورد في الصفحة ٢٥٤ من رحلته التي طبعتها دار صادر في بيروت سنة ١٩٥٩ م.

(٢) إبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري، من رجال القرن الثالث. مُعجم المؤلفين ١/ ٢٥.

احتمال ذلك فلا يبعد، فإنه قد نقل من تاريخٍ متقدّمٍ ولم يثبت تاريخ يعارضه، ولا يلزم من فرضه محال، ولا يخفى على المنصف الفهم أنه إذا لم يثبت تعيين فيما اشتهر في الصدر الأول أنّ التاريخ المتقدم أقرب إلى الصِّحة، والله أعلم بحقيقة الحال.

وكذا نقل هذا الكلام أيضاً الشيخ الإمام العلاّمة برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضيا بن سباع الفزاري [1] الشّافعي في رسالته التي سمَّاها «تبيين الأمر القديم المروي في تعيين قبر الكليم»، وهو الجازم أنَّ قبر موسىٰ ﷺ في دمشق الشّام في مسجد القدم المذكور، ثم أورد الأحاديث التي ذكرناها نحنُ فيما سبق، وتكلّف وتعسّف في دلالتها على ما أراد، ومن العجائِب أنَّه نقل عن الإمام الجليل محمد بن جرير الطبري في تفسيره، وتابعه على هذا النقل أيضاً الشيخ الإمام محمد بن طولون الصالحي في رسالته التي تقدم ذكرها/حيث قال الطبري في الكلام على قوله عزّ وجلّ ﴿فإنها محرَّمة عليهم أربعين سنة﴾[2]، الآية: وافتتح قرية الجبَّارين موسىٰ وسار بهم إلى أريحا ودخلها وقتل من بها من الجبابرة الذين كانوا فيها، وأقام بها ما شاء الله أن يقيم، ثمَّ قبضَهُ الله عزَّ وجلَّ لا يعلم قبرَهُ أحدٌ من الخلائق ورجَّحَ ذلك واستدلَّ به وجعله الصواب.

٨٨/أ

وقال الثعلبي: اختلف العلماء على يد من كان الفتح، فقال قومٌ: إنمّا فتح أريحا موسىٰ بمن بقي من بني إسرائيل، وإنّه دخلها وأقام بها ما شاء الله أن يُقيم، ثم قبضهُ الله جلّ وعلا، لا يعلم قبره أحد، قال: وهذا أصحّ الأقوال، انتهىٰ. فإنّ موت موسىٰ عليه السلام في أريحا وإن لم يكن قبرُه هناك معلوماً فإنَّه يكاد أن يكون صريحاً بأنه هو القبر الموجود الآن في غور أريحا المشهور في بيت المقدس وغيرها أنَّه قبر السيّد مُوسىٰ عليه السَّلام، لا أنّ ذلك يقتضي كونَهُ في دمشق الشَّام، أو غيرها من البلاد، فإن الأصل في حقّ الميّت بأرضٍ أنه مدفونٌ فيها، ما لم يثبت أنَّهُ نُقل منها إلى غيرها من الأرض كما

(١) يعرف بابن الفركاح. توفي سنة ٧٢٩هـ. معجم المؤلفين ١/٤٣. وقد تقدمت ترجمته.
(٢) سورة المائدة/١٦.

صار ليوسف عليه السَّلام أنَّهُ مات في مصر، ثم نُقل إلى حبرون ودُفن عند إبراهيم الخليل ويعقوب وإسحاق عليهم السَّلام.

تفنيدُ أقوال المؤرخين في أن قبر موسى بدمشق

والمتبادر الذي يسبق إلىٰ الأفهام، ولا ينبغي أن يشُكَّ فيه أحدٌ من الأنام، أنَّ قبر موسىٰ عليه السَّلام هو هذا القبر الذي هو الآن مشهور في غور أريحا، كما قدَّمنا ذكرهُ علىٰ التفصيل، لا أنَّهُ الذي في دمشق الشام.

وأمّا الأثر الواردُ عن عبد الله بن سلام كما ذكرناهُ فيما سبق، وقد ذكره ابن طولون في رسالته بإسناده، وذكر من رجال الإسناد عليّ بن محمَّد الرَّبعي، بفتح الموحَّدة، المالكي، فقال الذهبي في كتابه «المغني في الضعفاء والمتروكين»[1]: علي بن محمد الرَّبعي، قال ابن عساكر كذبَ في سماعه لهواتف الجنّ، وذكر من رجال الإسناد أيضاً الوليد بن مسلم، قال الذهبي: «الوليد بن مسلم الدمشقي إمامٌ مشهور صدوق، لكنَّه يُدلِّس عن ضعفاء لا سيمّا في الأوزاعي، فإذا قال حدثنا الأوزاعي فهو حجَّةٌ»[2] وقال الذهبي في الميزان[3]، إذا قال الوليد عن ابن جريج أو عن الأوزاعي فليس بمعتمد لأنَّه يُدلِّس عن كذابين، فإذا قال حدثنا فهو حجة، انتهى، ومعناه /أنَّه إذا قال المحدِّث المشهور بالتَّدليس عن فلان، أو قال فلانٌ فهو تدليس بخلاف ما إذا قال حدثنا فلان، فليس بتدليس كما هو مفصَّل في محلِّهِ من علم المصطلح.

٨٨/ب

وقال الإمام أبو إسحٰق إبراهيم الحلبي في تعليقه في أسماء المدلِّسين، الوليد بن مسلم الدمشقي مشهور بالتدليس مكثرٌ منه.

---

(١) طبع في حلب سنة ١٩٧١ م بتحقيق نور الدين عتر. انظر الصفحة ٤٥٥ وفيها «كذب في سماعه لهواتف الجنّان» وانظر ابن عساكر المخطوط المصور ٥١٣/١٢.

(٢) المصدر السابق /٧٢٥، والمدلِّس، من يوهم أنه سمع من غيره، فإذا سئل عن ذلك قال «بلغني عنه، أو سمعتُه من فلان عنه» والتدليس نوع من أنواع الغش، انظر بحث التدليس ونماذجه في كتاب معرفة علوم الحديث للإمام الحاكم، الطبعة الثالثة/١٠٣.

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال للحافظ الذهبي ٣٤٧/٤.

وذكر[1] من رجال الإسناد أيضاً سعيد بن عبد العزيز الزهري، قال الذهبي وليس بذاك، وقد أشار حمزةُ الكتّاني إلى أنّه تعيَّن تأخُّره. وذكر من رجال الإسناد أيضاً مكحولاً الدمشقي، قال الذَّهبي: مكحول الدمشقي الفقيه، وثِّقَهُ جماعةٌ، وقال ابن سعد ضعَّفه جماعة، وفي رسالة التدليس للحلبي، قال: مكحول الدمشقي ذكرهُ بالتدليس ابن حِبَّان، ولفظه: ربّما دلَّس، وهو مشهور بالإرسال عن جماعة لم يلقهم، وقد ذكر أنّ التدليس نفسه جرح، وقال ابن الصَّلاح والحكَم بأنه لا يقبل من المدلّس حتى يُبيّن، وأما الأثرُ الوارد عن كعب الأحبار كما ذكرناهُ فيما سبق أيضاً، وذكر ابن طولون إسناده فيه، في رسالته بالإسناد الأوَّل عن كعب، وفيه ما ذكرناه من الضعفاء والمتروكين، فليس هذان الأثران بصحيحين فلا يُعتّد بهما، والحاصل أن الحق الذي تطمئن إليه القلوب، واللّهُ أعلمُ بالغيوب، أنَّ قبر موسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام، هو هذا القبر المشهور الآن في بيت المقدس في غور أريحا، خصوصاً وقد تأيَّد بنزول الملائكة الكرام، وترائي أشباحهم في ذلك المقام، وبقيَّة ما ذكرناه، فيما سبق من الكلام، فينبغي التعويل عليه بين الخاصّ والعام.

والخلاصة أن قبر موسى قرب أريحا

واتَّفق لنا من النظم في زيارته عليه الصلاة والسلام، قولنا بعون الملك القدُّوس السلام:

قصيدة النابلسي في مزار موسى بأريحا

يا نبيّ اللّهِ يا موسىٰ الكليم ... أنت ذو فضل وذو جاهٍ عظيمْ
قد أتيناك بشوقٍ زائدٍ ... وغرامٍ هو للقلب غريمْ
كم صعدنا جبلاً مُرتفعاً ... لحمى عزِّك في السَّير نهيمْ
وهبطنا وادياً من بعدِهِ ... ثم جئناك على العهد القديمْ
يا كليم الله كُنْ ملتفتاً ... لكليم القلبِ منّا يا كليمْ
واعطنا حقَّ تعنّينا إلى ... حيِّك المحروس بالفضل العميمْ
/وافتح الباب لقومي كلّهم ... باب بيت العزّ يا سرّ الكريمْ

٨٩/أ

(١) ابن طولون.

أنت حيٌّ أنت أمر الله بل أنت بالله ولله نديمْ
وبك الرحمن يُولي كَرَماً ولنا يَهدي الصراط المستقيمْ
وصلاةُ الله ربّي لم تزل مع تسليم على السرّ المقيمْ
سِرُّك المشرق في لحدك ما أسفر الصّبح عن الليل البهيمْ

ثم كتبنا هذه الأبيات في الحائط القبلي ليبقىٰ أثرها هناك.

قصّةُ المصريّ الصالح

وكان معنا رجل صالح من أهل مِصر يقال له الشيخ علي بن علي الدِّيَصْطِي، بكسر الدال المهملة، وفتح الياء المثنّاة التحتيَّة، وسكون الصَّاد المهملة بعدها طاء، قريةٌ من قُرى ريف مصر، وكان أمّياً لا يقرأ ولا يكتب، فقال اكتبوا من حفظي في هذا المكان، وهو قوله:

الخيرُ كلُّو[1] لحمَّال الأسى مجلوب وجَنَّة الخلد للّي في الرِّفق مغلوبْ
رافقتُ أنا ناس قالوا لي الأدب مطلوب امشي عِدِل يراعوا لك عيون وقلوبْ

ومعلوم أنَّ الموَّال مبنيّ على اللحن، فيريد بقوله «للي: للذي، وبقوله عِدِل بكسر العين والدّال يعني معتدلاً، ثم إنَّ ذلك الرجل دعا الله تعالى كما أخبرنا في ذلك المقام الشريف بأنَّه لا يعود إليه إلا وهو يعرف أن يقرأه بنفسه، ثم إنَّه رجع معنا إلىٰ دمشق الشَّام واشتغل في قراءة القرآن إلى أن فتح الله تعالى عليه في مدَّةٍ يسيرةٍ مقدار الأربعة أشهر، وصار يعرف القراءة، ثم اشتغل في حفظ القرآن عن ظهر قلب، وهذا ببركة دعائه هناك، في ذلك المقام المبارك وإجابة الدُّعاء في الأماكن المباركة مُحقَّقة خصوصاً عند مقامات الأنبياء الكرام عليهم السَّلام.

ووجدنا في ديوان التقيّ الصَّالح العارف بالله تعالى الشيخ محمَّد العلمي قدس الله سرَّه، قصيدة يمدح بها جناب السيد موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وهي قوله:

---

(١) يعني كلَّه.

قصيدة محمد العلمي في النبي موسى

يـا زائـريـن كليم الله ذا الـهـمـمِ ... بُشِّـرتُم بجـزيـل الخيـر والنّعمِ
وفـزتُـم بـكـرامـاتٍ مُـبـجَّـلَةٍ ... من حضرة الله مُولي الفضل والكرمِ
وكم لكم من ثـوابٍ ليس يعلمـهُ ... إلا المُهيمـن بـاري اللَّوح والـقلمِ
هـذا الذي بـالهُدى مولاه خـاطَبهُ ... بـطوره المجتبى في داجي الـظلَمِ
حـبـاه منـه بـأنـوارٍ أضـاء لـه ... منـهُ الـوجـود بحقٍ غيـر مُنْكتمِ
٨٩/ب
/أنـالَـهُ منـه فـضـلاً مـا يـؤمِّلُهُ ... من كـلِّ خيرٍ بـأنـواعٍ من الحكمِ
تُتلىٰ لـه آي تـوراةٍ لـدى صحفٍ ... من حضـرةِ الحقّ بـالتحقيق للأممِ
كـذا مـآثـر أخبـارٍ تُسـرُّ بـهـا ... أهلُ العنايـة من عُـربٍ ومن عجمِ
وسـائر الكتب جاءت عنه مُخبـرةً ... تُنبي وتُخبـر عن مجـدٍ وعن كـلمِ
وعـن مـعـاجـزَ أولاه الإلـه بـهـا ... أبـادَ فيها العـدا حقّـاً بكفـرهم
لا زال بـالعزم في قـولٍ وفي عملٍ ... للتسـع آياتٍ[1] يُبـدي عـالي الهممِ
لم يخشَ في ذاك إلا الله خـالقـهُ ... كـأنَّهم عنـده من جملة الـنعمِ
ولم يـزل داعيـاً فيـه لسبلِ هـدىٰ ... حتى أبـادهـم المـولى ببغيهمِ
وجـاءه النَّصـر من مـولىً يـؤيـده ... على الأعـادي بفضـلٍ غيـر منفصمِ
وكم لـه في سبيـل الخيـر من خَبَرٍ ... وافى به حين مسرىٰ العـالم الفهمِ
المصطفى المجتبى المختار سيدنا ... بحـر الحقـائق خيـر الخلق كلهمِ
إذ كـان يُخبـرهُ عـن ضَعف أمَّتـه ... من الصَّـلاة التي وافـت لفضلهمِ
مُـردَّداً منـه للخمسين يُنقصهـا ... حتى أعيـدتْ لخمسٍ مع ثـوابهمِ
وكـلّ ذلـك من نعـمـاء سيـدنـا ... مولى التُقى والهدىٰ والعلم والحكمِ
عـليهـمـا الله صلَّى دائـمـاً أبـداً ... والآل والصَّحب والأتبـاع والحشمِ
مُسلِّمـاً بـالـرضا والخير أجمعـه ... بفَيض فضـلٍ يُوالى في نـوالهمِ

ومن نظم ولدنا إبراهيم جلبي بن الراعي سلَّمه الله تعالى قوله:

قـد أتَيْنـا نـزور قبـر الكليم ... بـفـؤادٍ مـن الـبـعـاد كـليـمِ

(١) الآيات التسع هي: العصا، واليد، والجراد والقمَّل، والضفادع، والدم والحجر، والبحر والطور الذي نتقهُ الله على بني إسرائيل. التفسير الواضح محمد حجازي ١/٥٧٩.

قصيدةُ إبراهيم جلبي الرَّاعي

وحـظينـا بكـلّ فـضـلٍ وخيـرٍ	جـودُه فـائض كـبحـرٍ عـمـيـمِ
فـهـو قبـرٌ مُـمـجَّـدٌ فـي ارتـقـاءٍ	وارتـفـاع حـاوٍ لـسـرٍّ عـظيـمِ
وعـليـه مـهـابَـةٌ ووقـار	فيـه قـد حـار كـلّ عقـلٍ سليمِ
واشتعـال الأحجـار فيـه لـسـرٍّ	مـنْ إلـه مُـهـيـمـنٍ قيُّـومِ
فعليـه أزكىٰ الصَّـلاة تـوافـي	كـلَّ وقـت تتـرىٰ مـع التسليـمِ
مـا شـدا مُغـرمٌ فـقـال بشـوقٍ	قـد أتينـا نـزور قبـر الكـليـمِ

٩٠/أ

وقد ذهبنا عشيَّـة النهار، حين أخـذت الشمس في الاصفرار / نسيرُ في تلك الفـلاة الواسعـة، خارج مـزار السيد مـوسىٰ عليـه السـلام، بـالقـرب من حضرته الشاسعة، حتى صعدنا على صخورٍ عالية، وتلول سامية، ورأينا هنـاك محاريب في الأرض مخطوطـة في الأحجار، فكأنَّها معـابد لبعض الصَّـالحين السَّائحين الأخيار، وأشرفنا على بكرة لوط المشهورة، وهي بركةٌ واسعة كبيرة، قال الهروي في كتاب الزيارات[1]: والموضعُ الذي خسفَ بـه، يعني في قوم لـوط، هو اليـوم البحيرةُ المنتنـةُ، وقيل إنَّ الحجر الذي ضـربه مـوسىٰ عليـه السلام فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بزُغَر والله أعلم. وزُغَر بضمّ الـزاي وفتح الغين المعجمة وبالراء اسم ابنة لوط عليه السلام، وهو الآن اسم للبركة، يُقال بركة زُغَر، قال في القـاموس، وغـورها من عـلامة خروج الدجال، أو زُغَر علم للبُقعة، يعني التي سكنها قوم لوط.

بُرِكَةُ لوط

وقال الحنبـلي في تاريخه: وعلى فراسخ من حبرىٰ جبـلٌ صغير يُشـرف على بحيـرة زُغَـر، ومـوضـع قـريَّـات لـوط، وفي القـامـوس حبرى كسكـرىٰ وكزيتون، مـدينة إبـراهيم الخليل عليه السلام، انتهى، يعني بـالحاء المهملة والباء الموحَّدة.

وقال الإمام الشيـخ أبو الحسن علي بن الحسين المسعـودي في تاريخـه

(١) صفحة ٣٠.

مُروج الذهب[1] ومعادن الجوهر المنتخب: بلاد أريحا من أرض الغور، وهي أرض البحيرة المنتنةُ التي لا تقبل الغرقى، ولا يتكوَّن فيها ذو روحٍ من سمك ولا غيره، وقد ذكرها صاحب المنطق وغيره من الفلاسفة ومن تقدم وتأخَّر مِن عصره، وإليها ينتهي ماء بحيرة طبرية، وهو الأردن، يعني نهر الشريعة، وبحيرة طبرية هي بحرة المنيةِ، ويبدوّ ماء بُحيرة طبرية من بحيرة كفولي وقرعون من أرض دمشق، انتهى.

ولعلّ كفولي وقرعون[1] اسم قريةٍ أو قريتين في الزمان السَّابق من قرى بانياسٍ والحولة وتسمّى اليوم بحيرة قَدَس بفتح القاف والدال، قريةٌ من أعمال صفد تتّصل أراضيها بهذه البحيرة، وفي ذلك يقول الشيخ الإمام العارف بالله تعالى الشيخ إبراهيم ابن زقاعة في ديوانه المشهور:

٩٠/ب

قصيدة ابن زقاعة في بحيرة قَدَس

/قَدَسٌ بحيرتُها تصبُّ ماؤها ... من بانياسٍ من قريب الحولةِ
يسري إلى مستنقعٍ من أرضها ... وقريب منها بحرة الطبريَّةِ
طبريَّة، قد قيل تابوت النبي ... موسى الكليم مع العصا في البحرةِ
حمَّامُها ما فيه وَقَّادٌ ولا ... نارٌ وينبعُ من عيونٍ سخنةِ
ويصبّ في نهر الشريعة ماؤها الـ ... أردنّ والمُسْمىٰ بنهر شريعةِ
زُغَرٌ بأرض القدس فيها بحرةٌ ... تسمى يسوفٍ عندهم والمِنيةِ
وإذا رُمي رجل بها مُتكتفاً ... يطفو ويأمنُ مِنْ شرور الغرقةِ
والماء منها لم يعشْ حيوانه ... فيه لأجل سواده والنَّتْنةِ
في وسطها عينٌ تُسمّى خُمَّراً ... قِفر اليهود تجمَّدتْ كالصَّخرةِ
ترمي بها في كلّ عامٍ صخرةٌ ... سوداء تبرق مثل سيف مُصْلَتِ
قد قيل مثل الثَّور في تشكيلها ... ماءٌ تجمَّد بعد ذا بتفتُّتِ

---

(١) انظر صفحة ٥٠ من الجزء الأول. وفيه «بحيرة كفولي والقرعون» وهو الأصحّ والقرعون بحيرة صغيرة مشهورة جنوب لبنان، والعبارة الواردة في نسخة حلب ناقصة، وقد قارنّا بما ورد في مروج الذهب في الصفحة المذكورة.

نهر الأردن

وقال عند ذكر الأنهار في ديوانه المشهور:

والأردن النّهر الذي في غورها ... ومياهُهُ من بحرةِ الطَّبريَّةِ
يمشي على الأغوار يسقي أرضَها ... ويمدُّ حتى ينتهي لشريعةِ
تحت الجسور الظَّاهرية ينتهي ... ويمرُّ حتى يلتقي ببُحيرةِ
تُسمى بحيرة لوط قد سَمَّيْتُها ... مِنْ قبل ذا زُغَراً وبحرة سَوْفَةِ

والأردن[1] بالضم وشدّ النون نهر وكورةٌ بأعلى الشام، كذا في كتاب الراموز، وذكر الحنبلي في تاريخه أنس الجليل قال: الأردن بضم الهمزة وسكون الراء وضم الدال المهملة وتشديد النّون، هو نهر الشريعة المذكور في قوله تعالى ﴿إنَّ الله مبتليكم بنهر﴾[2] وقال الشيخ علي الشبرا ملسي المصري[3] رحمهُ الله في حاشيته على المواهب اللدنية نقلاً عن كتاب ترتيب المطالع: إن بحيرة طبريَّة بالشام طولها عشرة أميال، ولزمتْها الهاء، وإنّما هي تصغير بحرةٍ لا بحرٍ لأن تصغير البحر بُحير، وهي بحيرة عظيمة يخرج منها نهرٌ بينها وبين الصَّخرة ثمانية عشر ميلاً، قال البكري طولها عشرة أميال وعرضُها ستة أميال، /ونشفها علامة لخروج الدجّال، تيبسُ حتى لا يبقىٰ فيها قطرة، انتهىٰ.

بحيرة طبرية

٩١/أ

بحيرة لوط

وقال المسعوديّ في تاريخه المذكور، فإذا انتهى مصبُّ نهر الأردن إلى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى إلى وسطها متميزاً من مائها، فيغوص في وسطها وهو نهر عظيم فلا يدري أين غاص من غير أن يزيد في البحيرة ولا ينقص منها، ولهذه البحيرة، أعني المنتنة، أخبارٌ عجيبةٌ، وقد أتينا على ذلك في كتابنا أخبار الزمان عن الأمم الماضية والملوك الدّاثرة، وذكرنا أخبار الأحجار

---

(١) كثيرة هي الآراء في أصل هذه الكلمة، ولعلّ أقواها أنها مؤلفة من كلمتين: يور ومعناها نهر، ودان ومعناها كثير فيكون المعنى (Jordan) ماء كثير، ويسمى النهر بالعبرية «هايردن» باليونانية (يوردانيس)، ويسميه العرب الشريعة، وهي مورد الماء. أنظر دائرة معارف البستاني ٣/٣٦.

(٢) سورة البقرة، الآية /٢٤٩.

(٣) علي بن علي، توفي سنة ١٠٨٧هـ وله «الحاشية على نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج» في الفقه الشافعي.

التي تخرج منها على شكل البطيخ على شكلين يعرف بالحجر اليهودي، وذَكَرْتُه الفلاسفة واستعملتْه في الطب لمن به وجع الحصَاة في المثانة، وهو نوعان ذكرٌ وأنثى، فالذكر للرجال، والأنثى للأنثى[1].

ومن هذه البحيرة يخرج الشيء المعروف بالحمَّر بتشديد الميم، وليس في الدنيا، والله أعلم بحيرة لا يتكَّون فيها ذو روح من سمكٍ ولا غيره إلَّا هذه البحيرة، وبحيرة ركبتُها[2] ببلاد أذربيجان بين مدينة أرمنية ومنارة، وهي البحيرة المعروفة هناك بكَنْودَان وقد ذكر الناسُ ممن تقدَّم عذر عدم تكون الحيوان في البحيرة المنتنة، ولم يتعرَّضوا البحيرة كَنْوَدَان، وينبغي على قياس قولهم أن تكون عينهما واحدة، انتهىٰ كلامه.

والذي يقتضيه الحال أنَّ تلك الأرض معدن الحمَّر. وقد ورد الماء في هذه البركَة على ذلك المعدن، فأوجب تغيُّر الماء وخروجه عن طبعه ولهذا لا يتكوَّنُ فيها الحيوان.

غرائب بحيرة لوط

وهاتيك الأرض أحجارها تشتعل كما يشتعل الحطب للدهنيَّة التي تخالطها من الحمّر المذكور كما شهدنا ذلك، وأوقدنا الأحجار حتى إن رائحة الدخان والحجر هي رائحة الحمّر بعينه، وقد رأينا الحشيش هناك ينبت في أيام الربيع، فإذا حمي الوقت وقويت حرارة الشمس، احترق بسرعةٍ وصار هشيماً يابساً، وليس هناك شيء من الأشجار لا زيتوناً ولا غيره/ وقد أخبَرَنا الفلاحون من أهل تلك الناحية بأنَّه في زمن الشتاء يسمعون اضطراباً شديداً في تلك البركة وانشقاقاً عظيماً يشبه الرَّعد، فيعلمون أنَّ معدن الحمّر قد تشقَّق وخرج في الماء، فيذهبون ويجمعونه من تلك البركة المنتنة، والحمَّر يُسمَّى بالقفر اليهودي.

٩١/ب

---

(١) مروج الذهب ١/٥١.
(٢) يعني المسعودي.

قال الإمام الطبيب الحاذق الشيخ يوسف بن اسمعيل بن الياس الجريتي[1] المعروف بابن الكتبي البغدادي الشّافعي[2] في كتابة المسمّى «ما لا يسع الطبيب جهله» في القفر اليهودي: ويقال كفر اليهودي إمّا جعلاً للقاف كافاً أو لأنّ القفر يخرج من البحيرة، بقرب قرية كانت عامرةً تسمّىٰ كفراً فسُمِّيَ بها، وقولهم اليهودي لكونه من أراضيهم، ولأن البحيرة تعرف ببحيرة يهودا، وهي البحيرةُ المنتنةُ بقرب بيت المقدس، وهو نوعان أحدهما يوجد على السَّواحل عندما يقذفه البحر، والآخر يُحتفر عليه فيستخرج من تلك الأراضي بقرب السّاحلِ ويُصفّونه مما اختلط به من الحصا والتراب، بالماء الحارِّ والنار، كما يُصفّون الشمع من العَسل، وهذا يكون مطفيَّ اللون كمداً ليس له بصيص شديد، تقرب رائحته إلى القير العراقي وأما الذي تقذفه البحيرةُ يكون في الشتاء عند هيجان البحر فهو بصّاصٌ غير مطفيّ اللون وفي رائحته شبه النّفط وأجوده الفرفيري البصّاص الرزين القوي، وقد يُغشّ بالزفتِ ويكون لونه أسود وكذا العتيق الخالص منه فإنه يكون أسود أيضاً، والمحتفر عليه أجود من الطّافي، وهو الذي يدخل التّرياق وهما حارّان يابسان في الثالثة، وأهل بلاده يُحلُّونَهُ بالزيتِ ويطلون به الكروم لتسلم من الدُّود، وهو يلصق الجراحات الطريَّة بدمها، وهو يقوم مقام الموميا، بل بعضهم يوفّره عليه، ينفع من رضّ اللحم والكسر ضماداً، ودخانه وشمُّه صالح للأوجاع العارضة في النساء لخروج الرحم والاختناق، وينفعُ من السُّعال المزمن وضيق النَّفس ونهش الهوام وعرق النِّسا، وإذا ابتُلع منه مقدار/ خرنوبتين أو ثلاثةٌ محبَّبةٌ قطع الإسهال الرطوبي المزمن، وإذا استُنشق دخانه نفع من النزلات، وإذا وضع علىٰ السِّنّ الوجعة سكن وجعها، ودخانه يطرد الحيات والعقارب والهوام والبق

٩٢/أ

---

(١) الصواب: الخويي، كما هو آت.

(٢) يوسف بن اسماعيل «الخُوَيّي، نسبةُ إلىٰ خوي، البغدادي، فقيه وأصولي، درس بالمستنصرية ببغداد، واشتغل وصنّف ولازم الطب وتوفي سنة ٧٥٤هـ أو سنة ٧٥٥هـ. وقد ألف كتابه المذكور سنة ٧١١هـ. انظر معجم الأطباء أحمد عيسى/٥٢٤، ووفيات ابن رافع، طبعة مؤسسة الرسالة٢/ ١٧٠ ومصادره.

وغيرها ويقتل الديدان في أي موضع كان، حتى في الآبار والصَّهاريج وما فيها من العلق، انتهى، ولهذا يُستعمل مع الزيت في الكُروم لقتل الديدان كما تقدَّم، ولهذه الحكمة لا يتولَّد في البركة المذكورة ذو روحٍ كما ذكرناهُ فيما تقدم.

العودة إلى مقام موسى

ثم عدنا بعد ذلك بعد غروب الشَّمس وإقبال الليل الحالك، وقد صلَّينا المغرب بين تلك المحاريب المخطوطة علىٰ هاتيك الأرض المبسوطة ودَعَوْنا الله تعالىٰ بما تيسَّر من الدعاء، وقد تفرَّغ للإخلاص منا الوعاء، إلى مزار السيد موسىٰ عليه السلام، وبتنا في غرفةٍ عاليةٍ رفيعةِ المقام، ذات شبابيك مطلَّة على تلك الجهات، وإشراق زائد وأنوار لائحات، ثم اجتمعنا بعد صلاة العشاء الأخيرة على قراءة شيء من القرآن والذِّكر في هاتيك الحضرة المنيرة، حتى لاح الصَّباح، وقد أخذنا حظَّنا من الزيارة والاسترواح.

اليوم الثالث والعشرون

[الثلاثاء ٩ رجب ـ ١٨ نيسان/أبريل]

وكـان ذلك اليـوم يوم الثـلاثاء، وهـو الثالث والعشـرون من هذا السّفـر المبـارك الميمون، فهُيِّئت الـدواب للمسير، وتيسَّـر على الرفـاق كـل عسيـر، وركبنا فسِرنا على الطريق مـع من كان معنـا من ذلك الفـريق والرفيق، إلى أن مـررنا بقبـر الرَّاعي، في مكـان مهاب تحمـدُ إليه المسـاعي، فـوجـدنـاهُ قبـراً عظيماً، يُشابه قبر موسىٰ عليه السَّلام شهـامةً وتكـريماً، إلا أنَّـه ليس عليه قبَّـة مبنيَّة، ولا هناك بناء وهو في البـريَّة، فمن جـاءهُ قصَدهُ بنفسٍ عن الأغيـار هي البريَّة، غيـر أنَّه قبـرٌ كبير وحـولَه أحجـارٌ مصفوفـةٌ على شكل التحجيـر، حتى بلغني أن بعضَهم يقول بين الأنام، إنَّ هذا هو قبـر موسى عليـه السَّلام، ولكنَّ الأول هـو الذي عليـه المعوَّل، وإليـه يرجـع المعنى المُؤوَّل[1]، فوقفنـا هناك وقرأنا الفـاتحة ودعـونا الله تعـالى، ثم سِرنـا مُتوجهين إلى جهـة بيت المقدس مسـارعة إلى جـوار ذلك الجنـاب المـونس، فمـررنـا في الـطريق على قـريـة العيزريَّة، ودخلنا إلى ذلك المقام والأرجاء البهيَّة، ونزلنا إلى الجامع بنحوٍ من الخمس درجات، فوجدنا قبراً / عليه جلالة ومهابةٌ في نـاحية تلك الجهـات، يقال له قبـر عيزار النبي عليـه السَّلام، فـوقفنا وقـرأنا الفـاتحة بكمـال التعظيم والاحتشام، ثـم صلَّينا الظهر في ذلك الجامع المنير، إماماً بجماعتنا من صغيـر وكبير، ودعونا الله تعالى بما تيسَّر من الدعاء، فإنَّه كريمٌ لا يُخيِّبُ من سعىٰ.

قبر الرَّاعي

المؤوَّل

٩٢/ب

قبر العازر

قـال الحنبلي في تاريخـه: ومن المشهورين حـول بيت المقدس سيـدنا عازر فلعلَّه العيزار ابن هرون عليهما السَّلام، قبره بقرية العازاريَّة ظاهر القدس الشّريف من جهة الشرق، بالقرب من طور زيتا، على طريق المـار إلى سيِّدنـا موسى عليه السَّلام، وهو ظاهر بالقرية في مشهد عـظيم يقصد للزيـارة، ويُقال

[1] وردتْ المأوَّل في الأصل.

إنَّ العيزار بن هرون إنّما هو بقرية عَوَرْتا من أعمال نابلس، ويُقال إنَّه عازر الذي أحياهُ المسيح عيسىٰ بن مريم عليه الصلاة والسلام.

ثم سِرنا إلى أن أقبلنا على مدينة القدس الشريف، وتراءى لنا ذلك المنظر المُشرق المنيف، وقد خرج إلى لقائنا جماعةٌ من الإخوان، وجُملة من الطلبة والصَّالحين والأعيان، حتى وصلنا إلى مكاننا بالمدرسة السُّلطانية، ومقرّنا في هاتيك الحضرة العلية، وبتنا في أتمّ سُرور وأكمل حبور، إلى أن رفع الفجرُ جناحَ الظلام، وفتح أذان المنارة عيون النيام، فقمنا نتهيأ للصَّلاة بتعاطي أمور الطهارة، وذهبنا إلى جامع الصَّخرة لأداء الصلاة مع الجماعة ذوي الاستنارة، ثم رجعنا إلى المدرسة السلطانية ومكاننا المعهود في مقامنا المشهود.

[1] إلى

اليوم الرابع والعشرون

[الأربعاء ١٠ رجب ـ ١٩ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الرابع والعشرين من أيام هذه الرحلة التي عمَّر بها كلّ واحدٍ منّا بالمشوبات رَحْلَهُ، وحثّ للمسير رجله، قانعاً من الزاد بخبزةٍ ورجْلةٍ، فذهبنا مع جماعتنا بكرةَ النّهار، إلى ضيافة رجلٍ من الصَّالحين الأخيار، ومعنا طائفة من أفاضل البلاد، ذوي كمال واستعداد، إلى المدرسة القادريّة المتقدم ذكرها والمنتشر بين هذه الأوراق نشرُها، حتّى دخلنا منها إلى ساحةٍ فضيَّة، كأنَّها مصوغة من النور فضيَّة، وجلسنا في ذلك الجامع الذي هو الفارق للحزن الجامع، وحضر عندنا الشيخ الإمام، والعلاَّمة / الهمام الشيخ موسىٰ المغربي المتقدم ذكره، فإنَّ في هذه المدرسة غايَةُ المعمورية ووكره، ثم قدَّم لنا ما تيسّر من الزاد، وزاد، حتى بلغ المعتاد من الأجواد وجاد، وقد جرىٰ بيننا وبين الشيخ موسى حفظه الله تعالى في مسألة إباحة الدخان ما كاد أن يُخرجَ من تلك النّار الدخان، ثم ورد عليه ماء التسليم، ومزاجه من تسنيم، فقمنا وذهبنا مع الجماعة لزيارة الشيخ البسطامي في المدرسة البسطاميَّة[1]، ودخلناها فوجدنا على ذلك الضريح المبارك جلالة وافيةً وهيبَةً سنيَّة، واشتهر هناك أنَّ قبر أبي يزيد البسطامي طيفور، عليه رحمة الرب الغفور، وإنّما هو رجل كان على طريقة أبي يزيد البسطامي، كان يُربّي المريدين، فيقال له البسطامي أيضاً، وقد ذكر الحنبلي في تاريخه من هؤلاء الطائفة البسطامية جماعةً يقول في كلّ واحدٍ منهم في نسبته: البسطامي ويقول إنَّهم دُفنوا بتربة ماملّا وإنَّ لهم في ماملّا مكاناً يسمّى بحوش البسطامية، فجلسنا هناك مع الإخوان وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بما تيسَّر من الدّعاء لنا وللحاضرين ولجميع أهل الإسلام والإيمان، وتكلمنا على قوله تعالى

زيارة ثانية للمدرسة القادرية

٩٣/أ

مناقشة في موضوع الدخان

الزّاوية البسْطاميَّةُ

الطائفة البسطاميَّة

(١) هي الزاوية البسطامية وقفها الشيخ عبد الله بن علي البسطامي، في الحارة السعديَّة بالقدس اليوم، ولها وقف واسع، ووضعها العام اليوم سيِّء وتحتاج إلى ترميمات كما يذكر مؤلفو كنوز القدس في الصفحة/٢٣٦ من كتابهم القيّم المذكور.

درسٌ في ابن الفارض

﴿يحبُّهم ويحبُّونه﴾[1] بلسان الإشارة، فأطرب الحاضرين ما أبديناه من العبارة، وأن معنى قول ابن الفارض[2] رضي الله عنه:

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً ... سَكِرْنا بها من قبل أن يُخلَق الكرمُ

فقوله شربنا هو عين قوله يحبُّونه، وقوله سكرنا بها هو عين قوله يُحبُّهم، والكرم هو الكون والوجود، والشُّرب قلب الظَّاهر إلى الباطن من حضرة الجود، وقرَّرْنا هذا المقام بأفصح كلام، وتكلَّمنا على قوله تعالى ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾[3]، من جهة الإشارة الرّوحانية بالعبارة الجسمانية، وأطلْنا الكلام في ذلك بحسب فتوح الوقت.

قصة الذي عاد إليه بصره بقصيدة

٩٣/ب

وكان هناك في الزاوية البسطاميَّة رجل ساكن بأهله وعياله، اسمه الشيخ اسماعيل، وكُنيته أبو قاسم النجّار القدسي، وهو خادم ذلك المكان، وأخبرنا أنه صار له العمى مرَّةً فدعا الله تعالى وتوسّل / إليه بنبيِّه محمد ﷺ، وعمل قصيدة يمدح النبي ﷺ بها، فحصل له الشّفا ببركة ذلك، وفتح الله بصرهُ وهي قصيدة غالب أبياتها خارجة عن الوزن، وفيها تحريف من جهة العربيَّة، لكنها حيثُ قُبِلتْ في الحضرة المحمَّديَّة، وحصلت بها الإجابة في هذه القضية، نذكرها برمَّتها، كما قال ابن الفارض، رضي الله عنه:

لك البشارةُ فاخلع ما عليك فقد ... ذُكرتَ ثَمَّ على ما فيك من عِوجِ

وقد أنشَدَنَا إياها من فمه مترنّماً بها، وهو رجل من الصَّالحين الفالحين الناجحين فحصلت لنا البركة بذلك ولجميع الحاضرين، وهي مرتبة على ترتيب حروف المعجم في أول كل بيتٍ منها، وهي هذه القصيدة:

---

(١) سورة المائدة/ ٥٤.

(٢) ابن الفارض، شاعر الوقت عمر بن علي بن مرشد الحموي المصري. وصفه الذهبي بأنه صاحب الاتحاد، الذي ملأ التّائية: «نعم بالصبا قلبي صبا لأحبّتي ... فيا حبّذا ذاك الشذاحين هبّتِ» وقد توفي سنة ٦٣٢هـ، قبل ابن العربي بست سنين انظر سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٣٦٨ ومصادره.

(٣) سورة البقرة/ ١٥٨.

القصيدة التي كانت سبباً في شفاء قائلها

ألا يا رسول الله يا أكرم الورىٰ ... ويا خير مبعوثٍ إلى خير أمَّةِ
بك أستغيثُ وأستجيرُ وألتجي ... وأسأل ربّي أن يُنوِّر مُقلتي
تغشَّت بحكم الله في اللوحِ سابقاً ... كما قد قضاهُ ربُّنا بالمشيئةِ
ثناءً له إذ خصَّني ببلائِهِ ... ولكنّني مُتشوِّق للقراءةِ
جميلَك أرجو للشفاعةِ عندهُ ... يُنوِّر عيني منَّةً وبصيرتي
حليمٌ كريمٌ راحمُ الضَّعْف لم يزل ... سميعاً بصيراً مستجيباً لدعوتي
خبير بأنّي لست أقصدُ غيرهُ ... وأنت إليه يا حبيبي وسيلتي
دنوتَ إلى أن صِرتَ منه مُقرَّباً ... من قابِ قوسينِ وفزتَ برفعةِ
ذكوتَ به حتى فهمت كلامه ... ومتَّعك الرحمنُ منه برؤيةِ
رأيتَ جمالاً ما رآهُ مُقرَّبٌ ... سِواك هَنيئاً يا لها من عطيَّةِ
زيِّن بك الأكوان من قبل خلقها ... وأنت ختامُ الرُّسل خيرُ البريةِ
سألتُك بالمجد الذي منه نلتَهُ ... وبما حباك الله منه بنعمةِ
شفاعتك العظمى فأنتَ وسيلتي ... إلى الله يا هادي بقُضيان حاجتي
صلوات ربي عدَّ ما حاط عِلمُهُ ... عليك كذا للآلِ ثمّ الصحابةِ
ضمنتَ الغزالةَ، والبعير أجرتَهُ ... وخاطبه ضبٌّ والغمام أظلَّتِ
طوبىٰ لنا إذْ خصَّنا بك ربُّنا ... نبيًّا شفوقاً شافعاً في القيامةِ
/ظهرتَ بدين الله في الكون داعياً ... إلى الثقلين الإنسِ والجنّ جملةِ ٩٤/أ
علا دينك الحقّ القويم برفعةٍ ... على كل دينٍ كان قبلُ وشرعةِ
غلبتَ جيوش الكافرين وأخذلوا ... لما أضلوا عن طريق الشَّريعةِ
ففرَّقْتَهم وتشتَّتوا وتفتَّتوا ... لمَّا أُصيبوا من يديك برميةِ
قرأنا كتاباً جئتَ فيه مُبيِّناً ... بفضلك أرشَدنا إلى خير مِلَّةِ
كمالك لا يحصيهِ في الكون كاتبٌ ... ولو كتب الكتابُ جمعاً أكلَّتِ
لك المعجزات أعجزتْ كل عالمٍ ... وعن حصرها قد حيَّرتْ كل فكرةِ
مدحتُك مع عجزي عن المدح سيِّدي ... ومن أين لي أنّي أفوز بقطرةِ
نجدتُك في ضيقي، وظنّي مُحقَّقٌ ... بأنك أنت المستغاثُ لشدَّتي

هـداني إلهي لالتجائي لجـاهكمِ ... ففـرّجَ هـمّي ثُـمّ نـوّرَ مُـقلتـي
وأسـأل ربـي أن أزورك يـقـظةً ... وفي النـوم أحظىٰ من عـلاك بنظرةِ
لأنّـي فـقـيـر عـاجـزٌ ومُـقـصّـرٌ ... كثير المعاصي غـارق في خطيئتي
يـا رب فـاقبـل واعفُ عمّا جنيتُـه ... ومتّـع جميع المسلمين بـدعـوتي
وصلّي إلهي عـدَّ مـا حـاط علمـك ... على المصطفىٰ المبعوث فينا برحمةِ
كـذا الأنبيـاء والآل والصّحبُ كلُّهم ... والتّابعين لهم ليوم القيامةِ

وله قصائد أخرى من هذا القبيل في مدح النبي ﷺ وآله وأصحـابه أولي الكمال والتفضيل، وقد نظم لنا تاريخاً في أبيات مَدَحَنا بها، فلنذكرها كما هي عليه تبرُّكاً بمن هي منسُوبة إليه، وهي قوله:

قصيدة أخرى له في مَدْح الشّيخ عبد الغني

نـبـدأ بـاسم إلـه بـاريء النّسـم ... والحمـدُ لله مـوجـدنـا من العَـدمِ
ثمَّ الصّـلاة على المختار مَن نبعتْ ... من كفِّه الماء أروى الجيش حين ظمي
وبعـدُ فـالشكـر للرحمن خـالقنـا ... إذ خصّنـا بـوليّ عـالي الـهمـمِ
بحـر العلوم عَلَتْ في الكـون رفعتُـه ... وفضلُه شـائع في العـرب والعجمِ
كـنّـا نؤمـل أن نـقـصـد زيـارتَـهُ ... فجـاءنـا لـزيـارة ثـالث الحـرمِ
تشـرّفتْ بـالقـدوم القـدسُ حين أتىٰ ... يـزورهـا، فـاز بـالإنعـام والكـرمِ
نـاهيك في فضلها عمّت كـرامتهـا ... مُبـاركٌ حـولهـا في النصّ والحكمِ

٩٤/ب

/هُنّيتَ يا من سما بـالفضـل مشتهـراً ... عبـد الغني غنـاهُ اللّهُ بـالنعـمِ
بـزورةِ المسجـد الأقصى وجيـرتـه ... ثمَّ الخليـل ومن قـدْ خُصَّ بـالكلمِ
وبعـده، يُمَتِّعُ الـرحمنُ حضـرتكم ... بـبيـتـه وزيـارة أشـرف الأمـمِ
صلّى عليـه إلـه الحق مـا طلعتْ ... شمسُ النّهـار وجاء اللّيـلُ بـالظلمِ
ونـاظم الـمـدح اسمـاعيـل صنعتـه ... نجّار مفتقر في النـاس كـالعـدمِ
محبكم جاء في التـاريـخ يبسطُ را ... أهـلاً وسهـلاً ببحـر العلم والكـرمِ

ومراده أنّ هذا اللفظ الـواقع بعـد لفظة التـاريخ إذا حسب بـالجمل يبلغ

ألفاً وواحداً ومائة، وقوله يبسط را، أي رداءَهُ تواضعاً ومحبّة، فإن ذكر الحرف من الكلمةِ يُطلق على الكلمة نفسها، قال البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى «ألم» في سورة البقرة: أو إشارة إلى كلمات هي منها، اقتصر عليها اقتصار الشاعر في قوله: قلت لها قفي فقالت لي قاف، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: الألف آلاء الله، واللاَّم لطفه، والميم مُلكه، انتهى. وقال العلاَّمة الفهَّامة الشّهاب الخفاجي[1] في حاشيته عند التكلُّم على هذا البيت المذكور قوله: قلتُ لها قفي فقالت لي قاف، هذا من أبيات الكتاب، وهو من رجزٍ للوليد بن المغيرة عامل عثمان بن عفّان رضي الله عنه قاله يخاطب به عديّ بن حاتم وقد نزل مَعَهُ لما أشخصه عثمان رضي الله عنه، وقد اتُّهم بشرب الخمر في قصَّة مشهورةٍ في التَّواريخ:

مسألة الاكتفاء بيعض الكلمة

قلت لها قفي فقالت لي قاف   لا تحسبنَّا قد نسينا الإيجاف
والنَّشوات من مُعتَّقٍ صاف   وعزفُ قيناتٍ علينا عُزاف

إلى آخره، والإيجاف سُرعة سير الخيل، انتهى.

وقال شيخ الإسلام القاضي زكريا[2] رحمهُ الله تعالى في حاشيته على البيضاوي قلت لها قفي فقالت لي قاف أي وقفتُ، وفي نسخةٍ قالت قاف بصورة المسمّى، ويقرأ بصورة الاسم كما في قوله تعالى: «قٓ والقرآن المجيد»، فلا منافاة، انتهى.

وقال الإمام السُّيوطي رحمَهُ الله تعالى في كتابه الإتقان/والاكتفاءُ ببعض الكلمة مَعهودٌ في العربيَّة، قال الشاعر: ٩٥/أ

---

(١) أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، شهاب الدين الحنفي، لغوي أديبٌ مشارك، ولد بمصر وتوفي فيها سنة ١٠٦٩هـ، ومؤلفاته كثيرةٌ جداً. مُعجم المؤلفين٢/١٣٨.

(٢) زكريا بن محمد الأنصاري القاهري الأزهري، عالم مشارك ومن كتبه حاشية على تفسير البيضاوي، توفي بالقاهرة سنة ٩٢٦هـ، معجم المؤلفين ١٨٢/٤ ومصادره الكثيرة.

قلت لها قفي فقالت لي قاف، أي وقفتُ، وقال الآخر:

بالخير خيرات وإن شرٌّ فا ... ولا أريد الشرَّ إلا إنْ تا

أراد وإن شرٌّ فشرٌّ، وإلا أن تشا، وقال الآخر:

ناداهم ألا الجموا ألا تا ... قالوا جميعاً كلُّهم ألا فا

أراد ألّا تركبون ألا فاركبوا، وهذا القول اختارهُ الزجّاج وقال: العربُ تنطق بالحرف الواحد تدلّ به على الكلمة التي هو منها، انتهى.

وقد بشَّرَنا الشيخ اسمٰعيل المذكور في هذه الأبيات الميميَّة بزيارة قبر الخليل عليه السَّلام وبقيَّة الذريَّة، وبزيارة النبي عليه الصلاة والسلام وهاتيك البلاد الحجازيَّة، وقد حصلت لنا زيارةُ الخليل عليه الصلاة والسَّلام على الفور من بشارته، بحكم إشارته، ونحن منتظرون البشارة الثانية، وهِمَّتُنا لِعِنانِ العزم إلى ذلك ثانيةً.

التكيَّةُ المولويَّةُ في القدس

ثم توجَّهنا إلى جهة التكيَّة المولويَّة[1]، ذات الحضرة العلية والسدَّة السنيَّة حتى وصلنا إليها مع الإخوان، وأقبلنا على هاتيك الأرجاء الحسان وصعدنا في الدَّرج وشممنا عرف ذاك الأرج، فدخلنا إلى الطبقة الأولى، فإذا هي ساحة واسعةٌ، جوانبها مرفوعةٌ شاسعة، وصعدنا في الدَّرج الثاني إلى سَاحةٍ أخرى أصغر من الأولىٰ، ولها في البهجة والإشراق اليدُ الطُولى، حتى صعدنا في الدَّرج الثالث، إلى ساحةٍ أيضاً أصغر منهما، وقد كدنا في العلوّ أن نشارف السّما، وجميع ذلك مبنيٌ بالأحجار والعقود المتينة من الصخور الكبار، فدخلنا إلى ديوانٍ واسع الأطراف مفروش بالدفوف المنحوتة اللطاف، وحوله الرّواقات المصنوعة للجلوس، والسدَّة العالية التي تُرفع إليها الرؤوس؛ وهناك الفستقيَّة الصغيرة من الرخام الأبيض المنحوت، وقد جرى فيها الماء

---

(١) هي جامع المولوية، أنشأه حاكم القدس العثماني «خداوندكار» بك سنة ٩٩٥هـ، وكان من قبل خانقاهاً، والوضع العام للمبنى اليوم جيد. كنوز القدس/٣٦٧.

المجموع للجريان كسبايك اللؤلؤ والياقوت، وجميع ذلك الديوان، مسقوف بالقبو المعقود من الأحجار، نزهةً للأبصار، وحولَهُ/ شبابيك مطلَّة على جميع البلاد القدسيَّة، وهاتيك الجهات الأنسية، فتلقَّانا شيخها الدرويش الصَّالح مع بقية إخوانه من كلّ ذكيّ فالح، حتى جلسنا في صدر ذلك الديوان، وعملوا لنا السَّماع الشريف ببدائع الألحان، حتى حصل لنا غاية الطرب، ولجميع من كان معنا من الإخوان، والسَّادة الأماجد الأعيان، وقد نظمنا في ذلك قولنا:

٩٥/ب

قصيدةُ النّابلسيّ في التكيَّة

ويوم المولويَّة خير يومٍ	نعمنا فيه معْ أشراف قومٍ
وأحبابٍ كرامٍ في البرايا	لهم صفْوُ الوداد بغير لومٍ
مكان في ذرا العلياء عالٍ	على كوم هناك أجلّ كومٍ
وقصر ذو شبابيكٍ مطلٌّ	على القدس الشريف رفيع سَوْمٍ
سَمِعْنا فيه أنواع الأغاني	برنَّاتٍ تُزكّي أهل صومٍ
وقدْ جذبتْ معانيها قُلوباً	لنا حامتْ عليها أيّ حومٍ
ونايات هنالك معْ دفوفٍ	تُنبّهُ سامعاً من كلّ نوْمٍ
وكان شهودُنا وجهاً تجلّى	يُعوِّض عن فناغير بدومٍ
إلى أن حيعل الدّاعي وقُمنا	نعومُ ببحر ذلك أيّ عومٍ
وننشد قائلين لمن وجدنا	ويوم المولويَّة خير يومٍ

ثم قُمنا لنخرج من ذلك المكان، مع من كان معنا من الإخوان، فسَمعْنا أصوات نساءٍ يصُحن بالزّغاليت لاجتماعهنّ في عرسٍ بتلك المحلّة لأجل المبيت، فتفاءلنا بكمال الطرب في ذلك اليوم، ببركة زيارتنا لزوايا الصَّالحين من فقراء القوم.

ثم مَرَرْنا بالسُّوق مع الإخوان، فوجدنا فيه بيت القهوة ملآن، وهم يُعلنون بأنواع الأغاني والألحان، فكمل لنا السَّماع، وانطربتْ منّا الأسماع، ولقد كنّا أنشَدْنا بعض الإخوان قولنا في بيان الحكم الشرعي للسَّماع من الأبيات الحسان:

قصيدة النابلسي في حلّ السّماع والطرب

إنَّ السَّماع سَماع النّاي والوَتَر ... يسقي أراضي نفوسِ النّاس كالمطرِ
فإنْ يكن في النفوس الخبث أنْبَتَهُ ... وفي الشقاء له نوعٌ من الثَّمرِ
وإنْ يكن في النفوس الطيب فاح له ... بين البريَّة ريَّا عَنْبَرٍ عطِرِ
فاكشف بعقلك عمّا أنت فيه وكُنْ ... من التباس أمور النَّفس في حذرِ

٩٦/أ

/وكلُّ من قال بالتحريم مقصِدُه ... تحذير ذي الخبث من مستحكم الشَّررِ
ومَنْ يقل فيه بالتحليل فهو على ... إرشاد ذي الطيب للتذكار والفكَرِ
ومقصدُ الكلّ في الإسلام منفعَةٌ ... حاشا بأن يقصدوا للناس من ضررِ
ولا تُسِئْ في الورى ظناً بجهلك مَن ... حاز الكمال وعنهُ كنتَ في قِصرِ
أقم على نفسك الميزان معترفاً ... بالجهل عن كلّ من لم تدرِ في البشرِ
فإنَّ للهِ في طيّ الوجود على ... مرّ الزَّمان زكيَّاتٍ من الفطرِ

الزاوية الأدهمية

ثم توجَّهنا إلى جهة الزَّاوية الأدهمية[١] بقصد زيارتها والتبرّك بمن فيها من الفقراء أصحاب الطريقة المرضيَّة، ثم خرجنا من باب المدينة، باب العمود مع من كان من الإخوان القائمين على حفظ العهود، حتَّى دخلنا بين رياضٍ وبساتين، وأقبلنا على مغارةٍ عظيمةٍ غير مبنيَّةٍ بأحجار ولاطين، بل هي قطعة واحدة منحوتة في الصُّخور، وقد حطَّم بعض جوانبها مرُّ الليالي وتكرار الدهور، كما قال الشاعر القويُّ المشاعر:

ميَّزَ عنه قُنْزُعاً عن قُنْزُعِ[٢] ... جذبُ الليالي أبطئي أو أسرعي
أفناه قيلُ الله للشمس اطلعي

فولجنا ذلك الفناء الرحب، وتفيَّأنا بسرحةِ هاتيك الصخور مع الصَّحْب،

---

(١) بناها الأمير يوسف الدين منجك الكبير نائب دمشق سنة ٧٦٢هـ، بين باب العمود وباب السّاهرة خارج السُّور وجعل لها أوقافاً غنية، وفيها قبور عدد من الصالحين، وفيها ضريح يزعمون أنه لسلطان العارفين إبراهيم بن الأدهم ولا صحة لذلك ولا بأس بوضعها اليوم. كنوز/٢٢٦.

(٢) القُنْزُعة: شعر الرأس.

ووقفنا في ذلك الجناب السّامي، مع إخواننا من القدسّي والشّامي، وزرنا ذلك القبر الذي هناك يقال له الشيخ بدر، فإنه بدر التّمام، ومقام نبيّ الله العُزَيْر عليه السلام، وهاتيك التّربة هناك، المشتملة على قُبور الصّالحين الكرام، عليه رحمةُ الملك العلاّم، ودعونا الله تعالىٰ بأنواع الدعا، وملأنا من المثوبات الوعا، وفازَ كلّ من حضرو من وعا، ثم جلسنا على صُفَّةٍ عند الباب مع الإخوان والأحباب، وفقراء السادة الأدهمية تطوف بنا بهاتيك القباع شكل القباب، فورد علينا في ذلك الحين، سؤال مكتوب في قرطاسٍ من بعض المحبّين وصورته: «الحمد لله والصلاةُ والسّلام على سيدنا رسول الله، قولُ بعض السّادة أهل التحقيق والإفادة/: إذا صحَّ الفقر، كان هو الله تفضّلوا علينا برفع هذا الحجاب عن كلام هؤلاء الكرام أهل الحقّ والصّواب، جزاكم الله تعالى خيراً وأجزل لكم الثّواب»... فكتبنا له الجواب عن ذلك بحسب الفتوح من القدير المالك فقلنا:

إذا صحَّ الفقرُ — كان هو الله

٩٦/ب

إذا صحَّ الفقر أي تمَّ تحقُّقُ العبدِ بالفناء الصِّرف، انقلب فقرُه غِنًى صرفاً ووجوداً محضاً كما أنّه إذا تمّ الليل، كان النهار وظهور النور، واختفىٰ الظّلام، وكان هو الله لأنَّ الله تعالىٰ نور السمٰوات والأرض، والسموات والأرض ظلام، فإذا ظهر النُّور بطل الظلام، ألا كلّ شيء ما خلا الله باطلُ، وقال تعالىٰ ﴿**وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل زهوقا**﴾[1] وإذا لم يصحَّ الفقر، أي لم يتمّ تحقُّقُ العبد به، لا يكون هو الله بل هو العبد حينئذٍ لأن الله منّزهٌ عن العالمين، والله أعلم وهو القويّ المتين.

مقبرة السّاهرة

ثم ذهبنا فزرنا مقبرَة السّاهرة[2] التي هي فوق الزاوية الأدهمية المذكّرة بالآخرة، ومن المشهور، في حقّ ذلك الأمر المذكور، أن الأموات فوق الأحياء، وهو أمرٌ مشهورٌ ظاهر من غير إخفاء، قال الحنبلي في تاريخه:

---

(١) سورة الإسراء/٨١.

(٢) المقبرة الثالثة الكبرى في القدس، انظر: أجدادنا في ثرى القدس/١٤٢.

السَّاهرةُ البقيع الذي إلى جانب طور زيتا من جهةِ الغرب، وعن إبراهيم بن أبي عبلة في قوله تعالى: ﴿فإذا هم بالسَّاهرة﴾ قال: البقيع الذي إلى جانب طور زيتا، قريب من مصلّى عمر رضي الله عنه، معروف بالسَّاهرة، وفي حديث ابن عمر أن أرض المحشر تسمّىٰ السَّاهرة، وأصْلُ السَّاهرة الفلاةُ ووجه الأرض، وقيل الأرض العريضة البسيطة، والسَّاهرة عند العرب الأرض التي تبعثُ سالكها علىٰ السَّرْي فيها لينجو منها، ومعنى السَّاهرة أرضٌ لا ينامون عليها، ويسهرون، وهذا البقيع المعروف بالسَّاهرة ظاهر مدينة القدس الشريف من جهة الشَّمال وبه مقبرةٌ يُدْفن بها المسلمون، وبها قبور جماعةٍ من الصَّالحين، والمقبرةُ مرتفعة علىٰ جبل عالٍ، وسفل هذا الجبل الزاوية الأدهمية وهي كهف من العجايب، وهو زاوية للفقراء الأدهمية/ داخل تحت هذا الجبل في صخرةٍ عظيمةٍ، وتسمّىٰ مغارة الكتّان، والمقبرةُ التي هي السَّاهرة، على سعة هذه المغارة بحيث لو أمكن حفر القبر من سفلها لنفذ إلى الكهف الذي هو زاوية الأدهمية، ولكنّ المسافة بعيدة، فإنَّ الصَّخرةَ سميكةٌ ضخمةٌ جدّاً، ويُلغز في هذا ويُقال: أحياءٌ تحت أموات، وهذا أمرٌ معايَن مشاهد.

٩٧/أ

مغارة الكتّان

وقد عمَّر هذه الزاوية الأمير منجك نائبُ الشام(١)، وعليها الأنسُ والوقار، ويقابل السَّاهرة من جهة القبلة، تحت سور المدينة الشمالي، مغارة كبيرةٌ مستطيلة تسمى مغارة الكتّان أيضاً، يقال إنّها تتّصل إلى تحت الصخرة الشريفة، ودَخَلها جماعةٌ وحكوا عنها أشياء من الأمور المهولة، ثم دخلنا إلى المدينة من جهة الغرب، من الباب الصغير الذي بلصق دير الأرمن، فمررنا في الطريق على قبر الشيخ أبي شوشة فوقفنا عنده وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالى، وسِرْنا فمررنا أيضاً على قبر الشيخ حسن بن الشيخ علي بن عُليل، فوقفنا عندهُ حصَّةً من الزّمان، وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالىٰ بتسهيل المقاصد

---

(١) رأس أسرة منجك بدمشق وجد الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم، الذي بنىٰ جامع منجك بالميدان ومسجد الأقصاب والمدرسة العمرية وتوفي الأمير سيف الدين منجك بالقاهرة سنة ٧٧٦هـ، انظر كتابنا خطط دمشق، فصل المساجد الجامعة، جامع منجك.

لجميع الإخوان ثم ذهبنا إلى مكاننا بالمدرسة السلطانية، وبتنا في أكمل سرورٍ وحالةٍ سنيَّة.

وقد عزمْنا في تلك الليلة علىٰ الذهاب إلى بلاد الخليل، بمعونة الربّ الجليل، وقَصَدَ السَّفرَ معنا أيضاً، جماعةٌ من أهل بيت المقدس وهاتيك الأصحاب، السَّادة الأخلَّاء الأحباب.



اليوم الخامس والعشرون

[الخميس ١١ رجب - ٢٠ نيسان/أبريل]

فلمّا أصبحنا في يوم الخميس، الخامس والعشرين من أيّام هذه الرحلة السّعيدة والسَّفرةِ الحميدة، عزمنا على التّرحال، وتَهيَّأنا للسّفر مع أولئك الرِّجال، وقد تعيَّنَتْ معنا جماعة من السباهية، ليذهبوا معنا إلى تلك الحضرة الخليلية، فركبنا باسم الله العظيم، وسرنا على ذلك الطريق المستقيم، وذهب معنا جماعةٌ من الأحباب للوداع، ورغبةً في استطالة الاجتماع، حتى خرجنا من باب المدينة المسّمىٰ بباب المحراب المعروف الآن بباب الخليل من غير ارتياب، ومررنا في الطريق/على قبر الشيخ أحمد أبي ثور، فوقفنا وقرأنا له الفاتحة، ودعونا الله تعالىٰ بحصول العدل ودفع الظلم والجور.

الطريق إلى الخليل

٩٧/ب

الشيخ أبو ثور

قال الحنبلي في التاريخ: الشّيخ الإمام العابد الزّاهد المجاهدُ شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن جمال الدين عبد الله بن عبد الجبّار المعروف بالقرشي والشهير بأبي ثور[١]، كان من عباد الله الصالحين، وسبب تكنيته بأبي ثور أنّه حضر فتح بيتِ المقدس وكان يركب ثوراً ويقاتل عليه في الغزاة فسُمّي بذلك، وقد وقف عليه الملكُ العزيز أبو الفتح عثمان[٢] بن الملك صلاح الدين يوسف بن أيُوب القريةَ التي بالقرب من باب الخليل، أحد أبواب مدينة القدس، وهي قريةٌ صغيرةٌ بها ديرٌ من بناء الروم يُعرف قديماً بدير مارقوص، ويُعرف الآن بدير أبي ثور، نسبة إليه، ولمّا توفي دُفن بالقرية المذكورة، وقبره بها ظاهر يزار وله ذريَّة وهم مُقيمون هناك، وممّا يحكى عنه أنّه كان مُقيماً بالقرية المذكورة، وإذا قصد ابتياع شيء من المأكول كتبَ ورقةً بما يُريد

من كراماته

(١) انظر الأنس ٢/٦٠.

(٢) من السّلاطين العظام، كان أبوه أعدَّه ليخلفه. ولكن القدر لم يمهله فمات سنة ٥٩٦هـ إثر سقوطه عن فرسه، ودفن بالقاهرة وكان يومها في السابعة والعشرين من عمره. انظر ذيل الروضتين لأبي شامة/١٦.

ووضعها في رقبة ثوره ويُسيِّرهْ فيَحضُرُ الثور إلى القدس إلى أن يأتي إلى حانوت رجلٍ بالقدس، كان يتعاطىٰ حوائج الشيخ فيقف الشيخُ عندَهُ فيأخذ ذلك الرجلُ الورقة ويقرأها ويأخذ للشيخ ما طلب فيها ويحمله الثور إلى الشيخ بمكانه، وهي من جملة كراماته رضي الله عنه.

ثمَّ لم نزل سائرين، ولمن معنا من الرفقة مُسايرين، وكان الزمان معتدلاً، ووجه الربيع بالأطايب من النبات مقتبلاً، والأرض غب السما فأينما توجَّهْنا وجدنا الماء حتى فقدنا من العطش الما، وكيف والحمَّال يمشي قدَّامنا بحسن كيزانه العذبة اللّمى، وهو الدرويش جمال الدين، الذي هو بحسن تجرُّدِهِ في الطريق جمال الدين.

قبة راحيل

فمررنا على قبة راحيل، بالراء والألف والحاء المهملة والياء التحتية واللام، وهي أم يوسف الصديق عليه السلام[1]، فوقفنا عند ذلك القبر العظيم وقابلناه بالإجلال والاحترام/ والتكريم، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالىٰ بما تيسَّر لنا من الدُّعاء والله بصير بسعي من سعىٰ.

٩٨/أ

قال الحنبلي في تاريخه: قبة راحيل بجانب الطريق بين بيت لحم وبيت جالا في قبَّةٍ موجَّهةٍ إلى جهةِ الصّخرة، وهي مشهورةٌ تُزار، ومررنا بالقرب من مقام الخضر أبي العباس، وتبرَّكْنا بما هنالك من كمال الإيناس، ثم تراءتْ لنا أنوار الخليل وأولاده الكرام عليهم الصّلاة والسَّلام، ولمعت بوارقُ القُرب وطاب الاستمداد من تلك المناهل العذبة والشرب، ومررنا بجانب السبيل، على ماءٍ موضوعٍ هناك للسبيل، وهو ماءٌ على يسار السَّاري، يأتي من عين تسمى عين حلحولٍ[2]، قرية بها قبر يونس النّبي عليه السَّلام، سنذكرها في أثناء هذه

عين حلحول

---

(١) راحيل: اسم عبري معناه الشّاة، وهي ابنة لابان الصغرى، اقترن بها يعقوب عليه السلام بعد أن خدم أباها سبع سنين، وقد ماتت عند ولادة ابنها بنيامين وأخبارها في سفر أرميا (٣١: ١٥). انظر قاموس الكتاب المقدس/٣٨٩.

(٢) الموسُوعَةُ الفلسطينيَّة ٢/٢٧١.

الفصول، فوقفنا وشربنا من ذلك العذب الزُّلال، وكأنَّه كان على ذلك الماء سابقاً بناءٌ متهدِّم بمرور الأيام والليال، ثم سِرنا فمررنا في وسط ذلك الوادي بين هاتيك الكروم على حافَّة ذلك الطريق عند الخصوص والعموم، فإذا على اليمين ماء أيضاً يُسَّمىٰ عين سارة نضَّاحة بالماء المعين، وقد أشار إلى ذلك العارف الشيخ إبراهيم بن زقاعة، قدَّس الله سِرَّهُ، بقوله من جملة قصيدة في ديوانه المشهور:

عَيْنُ سارة

يا حبَّذا جبلٌ فيه الخليل ويا ... ما أطيب العيش فيه تحت زيتونِ
وعين سارة لا أنسىٰ مواردها ... وعَيْنُ حلحولَ أعني عين ذا النُّونِ

وحُقَّ لنا أن ننظم في ذلك الفريق، ونحن سائرون مع الرفيق الرفيق، على جادة ذلك الطريق من البديهةِ ما يُغني عن كؤوس الرحيق، ويُثلج فؤاد المحبِّ من نار الغرام ذا الحريق، قولنا:

قصيدة النّابلسي في مدح الخليل

بَدَتْ للعين أنوار الخليلِ ... وعمَّتْ رحمةُ الربِّ الجليلِ
وناجتْنا الحقيقةُ فابتهجنا ... بكشف ستائر الرسم المحيلِ
وأقبلنا على تلك النَّواحي ... نواحي ذلك الشرف الفضيلِ
وتابعنا الطريق على كرومٍ ... كريماتٍ نفتْ ملك البخيلِ
/وأشجارٍ هنالك مُزهراتٍ ... تروقك بالصَّباح وبالأصيلِ
وإنَّ بعين حلحولٍ عُيوناً ... لنا قرَّتْ لدى ذاك السبيلِ
وجئْنا عينَ سارة فاستقينا ... جميعاً من زلالٍ سَلْسبيلِ
وشارفنا مشارفَ دِيْر مُجَّا ... على بعدٍ من الفرعِ الأصيلِ
وهِمْنا بالديوك كما عَهْدنا ... وبالنغماتِ في الشِّعر الطويلِ
وسِرنا فالتفتْنا عن يسارٍ ... نؤمُّ منارةَ البكَّا النزيلِ
نزيلُ القوم بوَّاب العوالي ... من الأشراف في ظلٍّ ظليلِ
وقفنا نستجيزُ السَّيرَ منهُ ... إليه، ونستجير من الغليلِ
فهبَّتْ من رُبا حبرون فينا ... نُسيماتُ القبول على العليلِ

٩٨/ب

عليل الشَّوق من أضناهُ وجدٌ ... كثير منه مع صبرٍ قليلِ
أبو الضيفان إبراهيم قصدي ... خليل الله ذو المجد الأثيلِ
جميعُ الأنبياء إليه تنمىٰ ... ويفخر فيه جيلٌ بعد جيلِ
دعا فأتىٰ بخير الخلق طٰه ... إلى الثّقلين ذي الباعِ الطَّويلِ
وسمَّانا كما قد قال ربّي ... لنا بالمسلمين، أجلّ قيلِ
عظيم القدر أوّاهٌ حليمٌ ... وثيقُ القلب بالربِّ الوكيلِ
له قد أورد النمرود ناراً ... تلظّى، ما إليها من سبيلِ
ومدَّ المنجنيقَ له سريعاً ... ولم ينقص من الصّبر الجميلِ
وألقاهُ فعادت منه نوراً ... ولم تحرقْه باللهبِ المهيلِ
وجاء الوحي في الرؤيا إليه ... بذبح ابن له شهم نبيلِ
فأتكاهُ ليذبحه امتثالاً ... لأمر المالك الحق الكفيلِ
ولم تقطع به السكّين حتّى ... فداه الله بالكبشِ الجليلِ
دخلنا بالتذلُّلِ في حماهُ ... عسىٰ يحنو العزيز على الذليلِ
وزرناه بفقرٍ وانكسارٍ ... وإتعابٍ لذا الجسد النحيلِ
وشرَّفنا الإله بوطْءِ أرضٍ ... إليها ساقنا فرض الرحيلِ
ونلنا القربَ من حرمٍ أمينٍ ... مُشيق القلب للذكرى مُميلِ
/وصلَّينا وسلَّمنا وفُزنا ... بأهل الغار ذيَّاك الرعيلِ ... ٩٩/أ
واسحٰق الغيُور هُناك ثاوٍ ... كليث الغابِ في جنباتِ غيلِ
ويعقوبٌ نبيُّ الله وابن ... له سُمّي بيوسفٍ الجميلِ
وأنوار تلوح مُشعشعاتٌ ... لقد جلّتْ عن الطرف الكليلِ
وأسرار الخليل هناك لاحتْ ... فأذهلت الخليلَ عن الخليلِ
وهيبةُ ذلك القبر احتوتْني ... وألقتْني لديها كالقتيلِ
وإنّي شاربٌ في الكأس صِرفاً ... كأنَّ مزاجها من زنجبيلِ
أبا إسحٰق جئتُكَ مستمداً ... من المدد الإلهي الجزيلِ
أبا إسحٰق كُنْ لغريب دارٍ ... مُنيلاً من تجلّيك المنيلِ

أبـا إسـحٰـق إنـك بـحـر جـودٍ وفي الإكـرام مـالـك من مثيـلِ
فخـرت بنجـل نجلك من قُـريشٍ ولادتـه أتَـتْ فـي عـام فـيـلِ
حبـيـبُ الله أحـمـد مـن أتـانـا بـإيضـاحِ الشـريعـة والـدليـلِ
عليـك مـدى الـورى وعليـه أزكىٰ سـلامٌ مـن إلٰـهـي مسـتـطيـلِ
وآلـكمـا وصحبـكمـا جميـعـاً بـلا نـافٍ لـذاك ولا مُـزيـلِ
على طـول المدىٰ مـا هبَّ ريـحٌ وغـرَّدت الـحمـائم بـالهـذيـلِ
ومـا عبد الـغـنـي أُهيج لـمَّـا بـدتْ لـلعيـن أنـوار الـخـليـلِ

زاوية الشيخ علي البكّا

ثم أقبلنا علىٰ بلدة حبرون[1] وقرَّتْ منّا بهاتيك الهضاب العيون، ولاحت لنا منارة الشيخ علي[2] البكا، بوّاب هاتيك الحضرة، والمخصوص مزاره من بعيدٍ بأوَّل نظرة، ثمَّ لمّا دنونا من جامعه المعمور، الذي هو بالخير والبركات مغمور، وقفنا وقرأنا الفاتحة له ولمن جاوره من تلك الأرواح الطَّاهرة، والأسرار الخفيَّة الظاهرة ودعونا الله تعالىٰ بما تيسَّر لنا من الدعاء، واستقينا من تلك المناهل العذبة ولم نقل حتى يُصدر الرِّعاء.

قصيدة إبراهيم ابن زقاعة في الخليل

قال الشيخ العارفُ بالله تعالىٰ إبراهيم بن زُقاعة في ديوانه من قصيدة طويلة ذكر فيها الأنبياء عليهم السلام:

والسَّفحُ من حبرون فيـه مغَـارةٌ فيهـا الخليـل وأهلُه في الـتُّـربَـةِ
/وكـذاك يـعقـوب واسحق الـنبّـي مَـع يـوسفٍ أكْـرِم بهم مِنْ فِتْيَـةِ
وعـليُّ الـبـكـاء فـي أذيـالـه وكـأنَّـه بـوّاب تـلك الـحضـرةِ

٩٩/ب

قصيدة أخرى له

وقال أيضاً مِنْ قصيدةٍ أخرىٰ:

وفـي مقـام علـي البـكـا منـارتـه يضيء منهـا السَّنـا في قفّ لقُّـونِ
وقـيـل داود فـي لـقّـون مـنـدفـنٌ وأربـعـون نـبيـاً مـع ثـلاثـيـنِ

---

(١) حبرون هو الاسم الكنعاني لمدينة الخليل، وقد نزلها إبراهيم الخليل عليه السَّلام في حدود سنة ١٨٠٠ق. م فعرفت به ويقدر سكانها اليوم بحوالي ٥٥,٠٠٠ نسمة الموسوعة ٢/٣٥٤.

(٢) أنشأها في القرن السابع الولي المجاهد عليّ البكّا المتوفىٰ سنة ٦٧٠هـ ووسّعها الأمير سيف الدين سلار، نائب السَّلطنة سنة ٧٠٢هـ، وما تزال إلى اليوم. الموسوعة ٣/٣٨٠.

الشيخ علي البكّاء

ولعلّ لقّون، المحلة التي فيها زاويةُ البكا رضي الله عنه.

وقال الحنبلي في تاريخه عند ذكر ترجمة الشيخ علي البكا، صاحب الزاوية بمدينة سيّدنا الخليل عليه الصّلاة والسّلام: كان مشهوراً بالصّلاح والعبادة وإطعام مَنْ يجتاز من المارّةِ والزوّار، وبنىٰ عليه الملك المنصور زاوية ومنارةً، ويذكر أنه اجتمع به وهو أمير وأنّه كاشفَهُ في أشياء وقعتْ له، توفي في جمادى الآخرة سنة سبعين وستمائة، ودُفن بزاويته المشهورة، وهي بحارةٍ منفَصِلةٍ عن مدينة سيدنا الخليل عليه السّلام من جهة الشّمال، وسبب بكائه أنّه صحب رَجلاً كانت لهُ أحوال وخرج معه من بغداد فوصلا في ساعةٍ واحدةٍ إلى بلدةٍ بينها وبين بغداد مسيرة سنة، فقال له ذلك الرجل إني سأموت في الوقت الفلاني فاشهدني، فلما كان ذلك الوقت، حَضر وهو في السِّياقِ وقد استدار على الشّرق، فحوّلَهُ الشيخُ علي البكا على القبلة، فقال له: لا تتعبْ فإني لا أموت إلّا على هذا الوجه، وجعل يتكلّم بكلام الرهبان حتّى مات، فحمله الشيخ وجاء به إلى دير هناك، فوجد أهل الدير في حزنٍ عظيم فقال ما شأنُكمْ فقالوا عندنا شيخ كبير، ابن مائة سنة، فلمّا كان اليوم مات على الإسلام، فقال الشيخ خذوا هذا بدله، وسلّموه إليه فوليهُ وصلّى عليه ودفنه، انتهىٰ.

قصّتُهُ مع النصراني والراهب

ومررنا بعد ذلك بالقرب من هاتيك المقابر الشريفةِ، والأنوار المشرقة التي بتلك الجوانب مطيفة، وكان ذلك اليومُ اليومَ الذي يُسمىٰ بخميس الأموات، وقد خرجت نساءُ تلك البلاد بأولادها إلى زيارة المقابر على حسب العادات، فحمدنا الله تعالىٰ على موافقتنا الزيارة الخليلية في ذلك اليوم المعدّ للزيارة/ واستنارت قلوبنا بأسرار الخشوع أكمل استنارة، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالىٰ بالقرب من تلك الجبّانة المباركة، وسِرنا على أكمل حضور، كأنّا سائرون على أجنحةِ الملائكة، ثمَّ دخلنا بين هاتيك الشِّعاب نمرُّ على بيوتٍ ذات طاقاتٍ وأبواب، إلى أن صعدنا في زقاقٍ عالي، كوكب سمائه متلالي،

خميس الأموات

١٠٠/أ

فإذا في أعلاه على اليمين حوضٌ من الماء يتدفق بالعذب الزلال المعين، وعلى اليسار درجٌ عريضٍ متناسق الجوانب كتناسق القريض، يحتوي على البلاط الكبار، بحيث تبلغُ كلُّ واحدةٍ منها الثلاثة أربعة أشبار، وهو يزيد على العشرين درجة، وقد نَشَر نشره البديع وأَرَجَهُ، وعلى يمين الصَّاعد في ذلك الدرج بابٌ فيه المطبخ الذي يطبخ فيه الطعام الذي يُفرَّق علىٰ المجاورين والواردين، وهو سماط السيِّد الخليل عليه السلام، المسمّى بالدشيشة، وعلىٰ باب المطبخ تدقّ الطبل خانة في كل يوم بعد صلاة العصر عند تفرقة السماط الكريم، وهذا السماط كما قاله الحنبلي في تاريخه من عجايب الدنيا، يأكُل منه أهل البلد والمجاورون، وهو خبزٌ يُعمل كلّ يومٍ ويفرَّق في ثلاثة أوقاتٍ: بكرة النهار، وبعد الظُّهر لأهل المدينة، وبعد العصر تفرقة عامَّة لأهل البلد والواردين، ومقدار ما يُعمل من الخبز في كل يوم أربعة عشر ألف رغيف، ويبلغ إلى خمسة عشر ألف رغيفٍ في بعض الأوقاتِ، وأمَّا سعة وقفه فلا يكاد ينضبط ولا يمنع من سماطه الكريم أحدٌ لا من الأغنياء ولا من الفقراء[1].

تكيّةُ الخليل

وأما السبب في دقّ الطبل فإنّه في كل يوم عند تفرقة الطعام بعد العصر فيُقال إنَّ السبب في ذلك أنّ سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، كان لمّا تأتي إليه الضيوف ويضع لهم ما يأكلونه ويطوفون جماعة مُتفرِّقين في المنازل التي أنزلهم بها، فإذا قصَدَ إطعامهم دقّ الطبل لإعلامهم في أنّه هيّأ لهم ما يأكلونه ليجتمعوا، فإذا سمعوه بادروا واجتمعوا لأكل سماطه الكريم، فصارتْ سنّةً تُعمل كلَّ يومٍ عند تفرقةِ السّماط بحضرته الشريفة ﷺ، وعلى باب المسجد الذي تُدقُّ الطّبل خانه / عنده، المكان الذي يُصنع فيه الخبز للسماط، من الأفران والطواحين، وهو مكانٌ متسعٌ يشتمل على ثلاثة أفران وستة أحجار للطحن، وعلى هذا المكان، الحواصل التي يوضع بها القمح والشعير، ورؤية هذا المكان علوّاً وسفلاً من العجائب، فإنه يدخل إليه القمح، فلا يخرج إلا وقد صار خُبزاً.

السّماط الكبير

١٠٠/ب

(١) لا أثر لهذا المكان اليوم، بعد أن هدم بكامله. الموسوعة ٢/٣٦٦.

العاملون في السماط

وأمّا الاهتمام بعمل السّماط مِن كثرةِ الرجال في تعاطي أسبابه من طحن القمح وعجنه وخبزه وتجهيز الآلة من الحطب وغيره والاعتناء بأمره فمن العجائب، لا يكاد يوجد عند ملوك الأرض، ولا يُستكثر مثل ذلك في معجزات هذا النبي الكريم، عليهِ من الله أفضل الصّلاة وأتمُّ التسليم، وفي أعلى ذلك الدَّرج، قبالة وجه الراقي، باب كبير مفتوح للاجتماع والتلاقي، يُدخل منه إلى ساحةٍ مسقُوفة بالعقد من الأحجار، مفروشة بالبلاط المنحوت الكبار، وعلى يمين الداخل شعيرةٌ محبوكةٌ جميعها من النحاس، ووراءها ساحةٌ واسعة مسقوفة بالقبو المعقود على الأعمدة والأساس، مهجورة لا تدخلها الناس، وهو مسجد يعرف بالجاولية نسبة إلى أبي سعيد سنجر الجاولي ناظر الحرمين ونائب السلطنة[1]، فإنه الذي عمر هذا المسجد والدهليز الذي بين هذا المسجد ومسجد الخليل عليه السَّلام، وهذا المسجد الجاولي كما قال الحنبلي في تاريخه، من العجايب، قطع في جبل، ويقال إنه كان مقبرة يهود على جبل فقطعه الجاولي وجوَّفه وبنى السقف عليه والقبة، وهو مرتفع على اثني عشر سارية قائمة في وسطه، وفرش أرض المسجد حيطانه وسواريه بالرخام وعمل شبابيك على آخره من جهة الغرب، وهذا المسجد طوله قبلةً بشامٍ أي من قبلته إلى شماله ثلاثة وأربعون ذراعاً، وعرضه شرقاً بغرب خمسةٌ وعشرون ذراعاً، وكان الابتداء في عمارة هذا المسجد في ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وسبعمائة، وانتهت العمارة في ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة في دولةِ الملك الناصر محمد بن قلاوون، ومكتوب على حايطه أنّ سنجر عمّر ذلك من خالص ماله، لم ينفق عليه من مال الحرمين الشريفين شيئاً، رحمه الله تعالى.

مسجد جاولي

وعلىٰ يسار الدَّاخل من ذلك الباب الكبير المفتوح للاجتماع والتلاقي باب يُتوصَّل منه إلى الجامع/ الذي هو لأنواعِ الكمال جامع، وبرقه في أفق

١٠١/أ

(١) بُني سنة ٧٢١هـ. وجُدِّد سنة ٨٠٠هـ. ولا يزال إلى اليوم. الموسوعة ٢/٩١، وأما سنجر الجاولي فهو من كبار أمراء الناصر محمد بن قلاوون وكان محبّاً للعمران توفي سنة ٧٤٥ هـ. وقد ناهز المائة. انظر: الدرر الكامنة ٢/١٧٠.

تُربةُ الخليل

الجمال لامع، وفي وسط ذلك الجامع تربةُ الخليل عبد السَّلام في بيتٍ مستقل، وتربة كل واحدٍ من أولاده كذلك في أشرف مقام، وهم كلهم مدفونون في غار تحت تلك المقامات، وعلى محاذاتهم موضوعة هاتيك العلامات، وأصل ذلك ما ذكره الحنبلي في تاريخه حيث قال عن كعب الأحبار أنَّهُ قال: أول من مات ودُفن في حبرىٰ سارةُ، وذلك أنَّها لما ماتت خرج الخليل عليه السلام يطلب موضعاً ليقبرها فيه، ورجا أن يجد بقرب حبرىٰ موضعاً، فمضىٰ إلى عفرون وكان ملك الموضع، وكان مسكنه ممرىٰ[1] فقال له إبراهيم عليه السَّلام: بِعْني موضعاً أقبر فيه مَن مات من أهلي، فقال له عفرون الملك قد أبحتُكَ ادفن حيث شئت من أرضي، فقال إني لا أُحبّ إلا بالثمن، فقال له: أيُّها الشيخ الصَّالح ادفن حيث شئت، فأبىٰ عليه وطلب منه المغارةَ فقال له أبيعكها بأربعمائة درهم، كل درهم وزن خمسة دراهم، كل مائة درهم ضربُ ملك، وأراد بذلك التشديد عليه كي لا يجد شيئاً فيرجع إلى قوله، وخرج من عنده، فإذا جبريل عليه السلام، فقال له إن الله تعالى سمعَ مقالة الجبّار لك، وهذه الدراهم أدفعها إليه، فأخذها إبراهيم عليه السلام ودفعها إلى الجبار، فقال له من أين لك هذه الدراهم فقال له من عند إلهي وخالقي ورازقي، فأخذها منه وحمل إبراهيمُ سارةَ عليها السَّلام ودفنها في المغارة، فكانتْ أول من دفن فيها، ثم لمَّا مات الخليل دُفن فيها بحذائها من جهة الغرب، ثم لمّا تُوفيت ربقةُ (أو رفقة) زوجة إسحق فدفنت فيها بحذائهما من جهة القبلة، ثم لمّا توفي إسحق دُفن بحذاء زوجته من جهة الغرب، ثم لما توفي يعقوب دُفن عند باب المغارة وهو بحذاء قبر الخليل، من جهة القبلة، ثم لمّا توفيت «ليقا» زوجته، دفنت بحذائه من جهة الغرب، فاجتمع أولاد يعقوب والعيص وإخوته وقالوا ندع باب المغارة مفتوحاً وكل من مات منّا دفنّاهُ فيها، فتشاجروا، فرفع أحد إخوة أولاد يعقوب يده، ولطم العيص/لطمةً فسقط رأسُه في المغارة، فحملوا جثته، ودفن بغير رأسٍ وبقي الرأسُ في المغارة، وحوّطوا عليها حائطاً وعملوا فيها علامات

قبور إبراهيم وأولاده وأزواجهم

١٠١/ب

(١) اسم مكان في نابلس، انظر فيما يلي.

القبور في كلّ موضع وكتبوا عليه اسم كل شخص وخرجوا وطبقوا بابه فكلّ من جاء إليه يطوف به ولا يصل إليه أحدٌ حتى جاءت الروم بعد ذلك ففتحوا له باباً، ودخلوا إليه وبنوا فيه كنيسة، ثم أظهر الله الإسلام بعد ذلك وملك المسلمون تلك الديار، وهدموا الكنيسة.

ما رآه وهب بن منبه مكتوباً

ورُوي عن وهب بن منبه قال: أصبتُ على قبر إبراهيم عليه السَّلام مكتوباً في حجر مُرجَّزاً:

لا غرَّ جهولاً أمَلُهْ يموت من جا أجَلُهْ
لم تُغْنِ عنْهُ حِيَلُهْ
والمرءُ لا يصحبُهُ في القبرِ إلّا عَمَلُهْ

وحدَّث محمد بن أبي بكر أنَّ محمداً خطيب مسجد الخليل عليه السَّلام قال: سمعتُ محمد بن إسحق النحوي يقول، خرجتُ مع القاضي أبي عمرو عُثمان بن جعفر بن شاوان إلى قبر إبراهيم عليه السَّلام، فأقمنا ثلاثة أيَّامٍ، فلمّا كان في اليوم الرابع، جاء إلى النقش المقابل لربقة زوجة إسحق عليه السّلام، فأمر بغسله حتى كتابتُه وتقدَّم إليَّ بأن أنقُل ما هو مكتوب في الحجرِ إلى دُرْجٍ كان معنا على التمثيل، فنقلته ورجعنا إلى الرملةِ، فأُحْضِر أهل كلِّ لسانٍ ليقرأوه عليهِ فلم يكن فيهم أحد يقرأه، ولكنهم أجمعُوا على أنَّ هذا بلسان اليوناني القديم وأنَّهم لا يعلمون أحداً يقرؤه غير شيخ بحلب فعمد إلى إحضاره، فلمّا أحضره عنده أحضرني، فإذا هو شيخ كبير، فأملى عليّ الشيخ المُحضَر من حلب ما نقلته في الدرج على التمثيل:

نقوش التربة

باسم إلهي وإله العرشِ القاهر الهادي الشديد البطشِ

العلم الذي بحذاء هذا، قبرُ ربقة زوجة إسحٰق، والذي يوازيه قبر إسحق، والعلم الأعظم الذي يُوازيه قبر إبراهيم الخليل، والعلم الذي بحذائه من الشَّرق قبر زوجته سارة، والعلم الأقصىٰ الموازي لقبر إبراهيم الخليل، قبر يعقوب والعلم الذي يليه من الشرق قبر زوجته ليقا، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكتبه العيص بخطِّه.

١٠٢/أ

قال ابن عساكر/ قرأتُ في بعض الكتب من الحديث ونقلت منها، قال، قال محمد بن أبي بكر أن محمَّداً خطيب مسجد إبراهيم عليه السَّلام، وكان قاضياً في أيام الراضي بالله في سنة نيفٍ وعشرين وثلاثمائة وما بعدها، وله روايةٌ في الحديث، سمع جماعةً من أهل العلم قال سمعتُ أبا بكر الإسكافي يقول: صحَّ عندي أن قبر إبراهيم عليه السَّلام في الموضع الذي هو الآن فيه كما رأيتُ وعاينت، وذلك أنّي وقفت على الخَدَمَةَ وعلى الموضع أوقافاً كثيرةً تقربُ من نحو أربعة آلاف دينار رجاء ثواب الله تعالى، وطلبتُ أن أعلم صِحَّةَ ذلك حتّى ملكتُ قلوبهم بما كنت أعمل معهم من الجميل والكرامة والملاطفة والإحسان إليهم وأطلب بذلك أن أصل إلىٰ ما يصحُّ، وحاك في صدري فقلتُ لهم يوماً من الأيّام وقد جمعتُهم عندي بأجمعهم: أسألُكم أنْ توصلوني إلى باب المغارة كي أنزل إلى الأنبياء صلوات الله وسلامُهُ عليهم وأشاهدهم، فقالوا قد أجبناك إلى ذلك لأن لك علينا حقّاً واجباً، ولكن ما يُمكن في هذا الوقت لأن الطارقَ علينا كثير، ولكن حتّى يدخل الشتاء فلما دخل كانون الثاني خرجت إليهم فقالوا أقم عندنا حتى يقع الثلج، فأقمتُ عندهم حتى وقعَ الثلجُ وانقطع الطارقُ عنهم، فجاؤوا إلى صخرةٍ ما بين قبر إبراهيم الخليل واسحق عليهما السَّلام، فقلعوا البلاطة ونزل رجلٌ منهم يُقال له صعلوك، وكان رجلاً صالحاً فيه خير ودين ونزلتُ معه، ومشىٰ وأنا من ورائه، فنزلنا اثنتين وأربعين درجة فإذا عن يميني دكان عظيمةٌ من حجر أسود وإذا عليه شيخ خفيف العارضين طويل اللحيين طويل اللحية، مُلقىٰ على ظهره وعليه ثوب أخضر فقال لي صعلوك: هذا إسحق عليه السلام، ثمَّ سِرْنا غير بعيد وإذا دكان أكبر من الأولىٰ وعليها شيخٌ ملقىٰ على ظهره، له شيبةٌ قد أخذت ما بين منكبه، أبيض الرأس واللحية والحاجبين وأشفار العينين، وتحت شيبته ثوب أخضر قد جلَّلَ بدنه، والرياح تلعب بشيبته يميناً/وشمالاً فقال لي صعلوك هذا إبراهيم الخليل فسقطت على وجهي ودعوتُ الله تعالى بما فتح عليّ، ثم سِرْنا وإذا دكان لطيفة وعليها شيخ أدم شديد الأدمة كثيف اللحية،

رواية لابن عساكر عن مقام الخليل

رؤية إبراهيم إسحق ويعقوب في المغارة

١٠٢/ب

وتحت منكبه ثوبٌ أخضر قد جلله، فقال لي صعلوك هذا يعقوب، ثم إنّا عُدنا يَساراً لننظر إلى الحُرَم، فحلف أبو بكر الإسكاف أن تممتُ الحديث.

قال فقمتُ من عنده في الوقتِ الذي حدَّثني فيه إلى مسجد إبراهيم عليه السَّلام، فلمّا وصلتُ إلى المسجد سألتُ عن صعلوك فقيل لي: السَّاعةَ يحضر، فلمّا جاء قمتُ إليه وجلست عنده وطارحتُه بعض الحديث فنظر إليّ بعينِ مُنكرٍ للحديث الذي سمع، فأومأتُ إليه بلطفٍ تخلّصتُ له من الإثم، ثم قلْتَ له إنّ أبا بكر الإسكاف عميّ فأنس عند ذلك، فقلت يا صعلوك بالله لمّا عُدتم إلى الحُرَم ماذا كان وما الذي رأيتُما، فقال ما حدَّثك أبو بكر، فقلت أريدُ أن أسمعه منك أيضاً، فقال سمعنا من نحو الحُرَم صائحاً يصيح: تجنّبوا الحرم رحمكما الله، فوقعنا مغشياً علينا، ثم إنّا بعد وقتٍ أفقْنا وقد أيسنا من الحياة وأيست الجماعة منّا.

قال محمد بن أبي بكر: فقال لي الشيخ محمد خطيب المسجد: فعاش أبو بكر الإسكاف أياماً يسيرةً بعدما حدثني ومات وكذلك صعلوك رحمهما الله تعالى.

رواية الهروي للرؤية

وقال الهروي، رحمه الله تعالى في كتابه الزيارات: مدينة الخليل عليه السَّلام بها مغارةٌ بها قبر إبراهيم واسحٰق ويعقوب وسارة عليهم السَّلام، والمغارة تحت هذه المغارة التي تُزار الآن.

وسمعْتُ على الشيخ أبي طاهر أحمد بن محمَّد السِّلفي الحافظي بثغر الإسكندرية سنة سبعين وخمسمائة جزءاً يرفعه إلى فلان الآدمي، شذّ عني اسمه الآن، ذكر في ذلك الجزء أنّ الآدميّ قصد زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام، وصادف القيِّم بالموضع، وكان القيِّمُ روميّاً، وتقرّب إليه بهديّةٍ وطلب النزول إلى المغارة فوعده عند انقطاع الزوّار في زمان الثلج، فلما انقطع الناس أتىٰ به إلىٰ بلاطةٍ فقلعها وأخذ ما يستضيء به، ونزلا في درجٍ مقدار سبعين درجة/ وانتهيا إلى مغارةٍ واسعةٍ كبيرةٍ، والهواء يخترق فيها، وبها دكّةٌ عليها إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ملقى وعليه ثوب

١٠٣/أ

أخضر وشيبتُه يلعبُ الهواء بها، وإلى جانبه إسحٰق ويعقوب عليهما السَّلام، ثم أتىٰ إلى حائط في المغارة فقال له إن سارةَ خلف هذا الحائط فهمَّ الرجلُ أن ينظر ما وراء الحائط وإذا بصوت يقول: إياكم والحُرَم، فعادا من حيث نزلا، والله أعلم.

وقرأت في التوراة، أن ضَيْعَةَ الخليل وهذه المغارة ابتاعهما الخليل إبراهيم عليه السَّلام من عفرون بن صوحار الملك، بأربعمائة درهم فضّة، ودفن سارة فيها، هذا لفظ التّوراة، والله أعلم[1].

وبالخليل قبر يوسف الصّديق عليه السلام خارجَ المغارة، يقول مؤلف هذا الكتاب، يعني كتاب الزيارات للهروي الذي نقلنا منه العبارات المذكورة، عليُّ بن أبي بكر الهرويّ غفر الله له ولجميع المسلمين: دخلتُ القدس سنة تسع وستّين وخمسمائة، واجتمعتُ فيه وفي مدينة الخليل عليه السَّلام بمشايخ حدَّثوني أنه لما كان في زمان الملك برذويل، انخسف مكان في هذه المغارة، فدخل جماعةٌ من الفرنج إليها، بإذن الملك، فوجدوا فيها إبراهيم وإسحٰق ويعقوب عليهم السَّلام، وقد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى حائط، وعلى رؤوسهم قناديل، ورؤوسهم مكشوفة، فجدد الملك أكفانهم ثم سدّ ذلك الموضع وذلك في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة للهجرة النبويّة، وحدَّثني الفارس «بيرن» وكان مُقيماً في بيت لحم، معروفاً عند الفرنج لرحلته وكبر سنه، أنَّه دخل مع أبيه إلى هذه المغارة، ورأى إبراهيم الخليل وإسحٰق ويعقوب، رؤوسهم مكشوفةٌ، فجدَّد الملك أكفانهم، فقلت له كم كان عمرك؟ فقال ثلاث عشرة سنة، وقال لي إن الفارس، «جفري بن جرج» كان ممن تقدَّم إليه الملكُ ليجدِّد أكفانهم، ويعمر ما انخسف من المغارة، وهو في الحياة، فسألتُ عنه فقيل لي، مات منذ أيَّام، يقول مؤلف هذا الكتاب، إنْ

---

(١) سفر التكوين الاصحاح ٢٤ بتمامه ومما ورد فيه: أرضٌ بأربع مئة شاقل فِضَّةٍ ما هي بيني وبينك فادفن ميتك... فوجب حقل عفرون الذي في المكْفيلة التي أمام محرا، الحقل والمغارة التي فيه... وبعد ذلك دفن إبراهيمُ سارةَ امرأته في مغارةِ حقل المكفيلة....

صحَّ ذلك فقد رأيتُ من رأى إبراهيم وإسحٰق/ويعقوب عليهم السَّلام يقـظةً لا ١٠٣/ب
مناماً، انتهى.

حبرىٰ

وقـال أبو عبـد الله محمد بن أحمـد بن أبي بكر المقـدسي[1] في كتابـه البديع في تفضيل مملكة الإسـلام: وحبرىٰ قـرية إبـراهيم عليه السّـلام، فيها حصن عظيمٌ يزعمون أنَّه من بناء الجنّ، من حجارة عظيمة منقـوشة، ووسـطهُ قُبَّةٌ من حجارة إسـلامية على قبـر إبراهيم عليـه السلام، وقبـرُ إسحٰق قدَّام في المغطّى، وقبر يعقـوب في المؤخَّر حـذاء كل نبي امـرأته، وقـد جعل بحبـرىٰ مسجداً وبنىٰ حولَه دور المجاورين له، واتَّصلتْ به العمارةُ من كلّ جانب.

البناءُ على قبْر الخليل

رُوي أنَّ سُليمان عليه السَّلام، لمّا فـرغ من بناء بيت المقـدس، أَوْحَىٰ الله تعالى إليه يا ابن داود، ابنِ على قبر خليلي حَيِّزاً حتى يكون لمن يـأتي من بعدك، لكي يعرف، فخرج سُليمان وبنو إسرائيـل من بيت المقدس حتى قـدم أرض كنعان وطاف فلم يُصبـه، ورجع إلى بيت المقـدس، فأوحىٰ الله تعـالى إليه يا سُليمان خالفتَ أمري، قال يا ربِّ قد غـاب عنّي الموضـع، فأوحى الله تعالى إليه امـضِ فإنك ترىٰ نوراً ممتدّاً من السماء إلى الأرض، فهو موضع قبر خليلي إبراهيم، فخرج سُليمان ثانيةً، فنظر وأمر الجنَّ فبنوا في الموضع الذي يُقال له الرَّامة، وهو بالقرب من مدينـة سيدنـا الخليل من جهـة الشمال، قبلي قرية حلحول التي بها قبر يونس عليه السلام، فأوحى الله تعـالى إليه أن هـذا ليس هو الموضع، ولكن انظر إلى النورِ المتدلّي من السّماء إلى الأرض فابْنِ، فخرج سُليمان عليه السَّلام فنظر فإذا النُّـور على بقعةٍ من بقـاع حبرون، فعلم أن ذلك هو المقصود.

وقال الجوهـريُّ في الصّحاح في بـاب الزاي في فصـل الحاء المهملة: والحيِّز بالتشديد ما انضمّ إلى الدار من مرافقها، وكـل ناحيـة حيِّز، وأصلُهُ من

(١) مقدسي الأصل، صاحب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، والكتاب معـروف وقد طبـع في مكتبة خياط في بيـروت، والكلام المـذكور عن حبرى في الصفحة١٧٣ وانظر معجم المؤلفين ٢٣٨/٨.

الـواو، والحيـز تخفيف الحيِّـز، مثـل هيِّن وهيْن وليِّن وليْن، والجمـع أحيـاز، والحوزة الناحية، انتهى.

وصفُ جامع الخليل

وأمّا ذرعُ جامع الخليل عليه السّلام بحسب الـطول والعرض، فقـد ذكر الحنبلي في تاريخه ذلـك فقال: طـوله قبلةً بشـام، من صدر المحـراب الذي عند المنبر إلى صدر المشهد الذي به ضريح سيـدنا يعقـوب عليه السـلام نحو ثمانين ذراعاً بـذراع العمل، وعـرضه شـرقاً بغـرب، من السُّور الـذي به بـاب الدّخول إلى / صـدر الرّواق الغـربي الذي بـه شبّاك يُتوصَّل منه إلى ضريـح سيدنا يوسف عليه السلام، أحدٌ وأربعون ذراعاً تقريباً، وهـو مُشتملٌ على بنـاء مَعقُود من داخل السُّور، على نحو النصف من جهـة القبلة إلى جهة الشمـال، وهو ثلاثـة أكوار: الأوسط منهـا مُرتفـع عن الكورين المـلاصقين له من جهتي المشرق والمغرب، والسقف مُرتفع على أربـع سواري مُحكمـةالبناء، ومعقـود تحت الكور الأعلى المحراب، وإلى جانبه المنبـر، وهو من الخشب في غـاية الإتقان والحُسن، ويُقابـل ذلك سـدَّة المؤذنين على عُمُدٍ من الـرُّخام في غـاية الحسن، والرّخام مستدير على حيطان المسجد من الجهات الأربع.

١٠٤/أ

زيارة ضريح الخليل

ثم مشينـا في ذلك الجـامع المعمـور، واجتلينا أشعّـة ذلك النُّـور حيثما تـوجهنا نـزور، فركعنـا ركعتين قبالـة المحراب تحيـة المسجد، ثم دعـونا الله تعالى، وتوجّهنا إلى زيارة أبينا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسَّلام، ففُتـح لنا ذلـك الباب المقفـل، ودخلنا إلى حضـرته بسـلام، ووقفنا بـالقـرب من ذلـك الشبَّـاك مـوقف العبَّـاد والنُّسَّـاك، وشهِـدْنـا ذلـك الضـريـح المُشـرق، والنّـور المتَشَعْشِع، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى لكل من حضر من الإخوان، ولمن خطر في بالنا من الأصدقاء والخلّان، وعمَّمنا الدُّعاء لجميع المسلمين في كل وقتٍ وحين، وبقية رفاقنـا حولنـا واقفون، وبـالدُّعـاء والتَّأمين مُتضـرِّعون، ثم خرجنا من الباب، واستقبلنا باب مزار سارة زوجة إبراهيم عليه السَّلام، ووقفنا هناك، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى لجميع المسلمين بطريق الاشتـراك، ثم

زيارة إسحق

توجَّهنا إلى زيارة مزار إسحٰق عليه السلام، وفُتح لنا ذلك الباب، ودخلنا بكمال الإذعان والاحتشام، فوجدنا من الهيبة الشديدة ما أوجب عندنا كمال الإحجام، فوقفنا في الباب ولم نجسر على مُفارقة الأعتاب، وقرأنا الفاتحة ودعَوْنا الله تعالى لجميع المسلمين ولسائر الأحباب، ثم التفتنا إلى مزار زوجة إسحٰق عليه السَّلام، واسمها ربقة، فوقفنا عند باب المزار وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى مع من كان معنا من الإخوان والزّوار، ثُمَّ خرجنا إلى الصحن المكشوف، من ذلك الجامع الموصوف، ومشينا على جهة الشمال، حتى دخلنا إلى مزار / يعقوب عليه الصلاة والسلام، مع من كان معنا من الرجال، فوجدنا ذلك القبر الشريف، الحريّ بكمال التعظيم والتشريف، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى أن يُنقذ الناس من كل أمرٍ مخيف، ثم توجَّهنا قبالة ذلك إلى مزار زوجة يعقوب عليه السلام، واسمها ليقا، فوقفنا وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بإنجاح المقصود والمرام، وتعجيل النصرة لأهل الإسلام، ثم خرجنا إلى صحن ذلك الجامع، وذهبنا إلى الرواق الغربيّ، وقد فُتح لنا الباب، فدخلنا إلى مزار يوسف الصدّيق بن يعقوب عليهما الصَّلاة والسَّلام، وتبرَّكنا بذلك الجناب، ووقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى المنجي من الهلاك والمخلِّص من كل اشتباك، ثم خرجنا من مقام ذلك الحسن اللامع، فدخلنا إلى داخل الجامع، وجئنا إلى عند فم الغار، وهو لصيق حائط المزار المنسوب لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسَّلام، بينه وبين مزار إسحٰق عليه السَّلام، وفوق فم ذلك الغار، قبة معقودةٌ من الرّخام على أربعة أعمدة، والقناديل المدلّاة في ذلك الغار مشعولةٌ ليلاً ونهاراً، فوقفنا هناك ودعونا الله تعالى وتبرّكنا بذلك المكان مع من كان معنا من الإخوان.

١٠٤/ب

مقام النبي يعقوب

يوسف

فم الغار

السرداب

قال الحنبلي: وبجوار قبر الخليل عليه السَّلام من داخل البناء المعقود أسفل الأرض مغارة، وتُعرف بالسرداب، بداخلها باب لطيف ينتهي إلى المنبر، وقد نزل إليه بعضُ الخدام من مدَّةٍ قريبةٍ نحو السنة، بسببٍ أوجب ذلك، وهو أن شخصاً معتوهاً من الفقراء سقط فيه، فنزل إليه جَماعةٌ من

الخدّام ودخلوا من هذاالباب، فانتهى بهم الحال إلى المنبر الذي تحت القبَّة التي على عُمُدٍ من رخام بجوار بيت الخطابة، وأخبرني من نزل هناك أنَّه عاين سُلَّماً من حجرٍ عدَّته خمس عشرة درجة مبنيٌّ عند آخر هذا المجَاز من جهة القبلة، وقد سُدَّ بالبناء من آخره، والظاهر أنَّ هذا باب كان عند باب المنبر، يُتوصَّل منه إلى السرداب. ثم خرجنا إلى صحن الجامع، وجلسنا في مكان هناك، وجاؤوا لنا بالخبز والطعام من مطبخ الخليل عليه السَّلام، وهو طعام العدس / المبارك، فأكلنا منه بقصد البركة مع إخواننا حفظهم الله تعالى وتبارك.

١٠٥/أ

ثُمَّ قُمنا وخرجنا من ذلك الجامع من الباب الذي دخلنا منه، وقد كنّا وضعنا نعالنا عند رجلٍ هناك في الباب، وظيفته حفظ النعال للزائرين من النساء والرجال، فوضع لنا النّعال ولبسناها ونزلنا في الدَّرج، حتى وصلنا إلى مزار يوسف النجّار[١]، وشممنا طيب ذلك الأرج، فدخلنا إلى مزاره وانطرح كلٌّ منّا عن أثقاله وأوزاره، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بقرب الفرج من كل ضيقٍ وحَرَج.

مزار يوسف النجار

قال الإمام ابن كثير في التاريخ[٢]، في ذكر مولد عيسى عليه السَّلام، إنَّه ولد ببيت لحم، وزعم وهب بن منبه أنَّه ولد بمصر وأنَّ مريم سافرت هي ويوسف بن يعقوب النجَّار وهي راكبةٌ على حمار ليس بينها وبين الإكاف شيء، وفي تاريخ الحنبلي عند ذكر مريم عليها السلام قال: ثم إنَّها أخذت عيسى وسارت به إلى مصر، وسار معها ابن عمِّها يوسف بن يعقوب بن ماثان النجار وكان حكيماً، ويزعم بعضهُم أنَّ يوسف المذكور قد تزوَّج بمريم لكنَّه لم يقربْها، وهو أوَّل من أنكر حملها، ثم علم وتحقق براءتها وسار معها إلى

مولد عيسى عليه السلام

---

(١) زوج، أو خطيب السيِّدة مريم، ويوسف اسم عبري معناه «يزيدُه» وقد كان باراً تقيّاً محافظاً على واجباته الدينية وهو أصلاً يهودي، توفي في السنوات الأولى من الميلاد في حدود سنة ٢٠ ـ ٢٥م والله أعلم. قاموس الكتاب المقدس صفحة ١١١٧.

(٢) البداية والنهاية ٢/٦٤.

مصر وأقام هناك اثنتي عشرة سنة إلى آخر ما ذكر، فيوسف هذا غير يوسف الصدّيق، وسمعنا بعض أهل الخليل يقول إنَّ المراد في قوله تعالى ﴿**ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات**﴾[1] الآية أنه يوسف النجّار هذا وهو غير صحيح لقول البيضاوي وهو يوسف بن يعقوب، على أنَّ فرعونه فِرعون موسىٰ، أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد، أو سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف، انتهى. ولأنّا نقول إن يوسف النجّار كان في زمن مريم عليها السلام، والآية حكاية قول الذي آمن في الآية قبله[2]، وكان في زمن موسى عليه السَّلام، وبين موسى ومريم مدَّة طويلة، وعلى هذا، فيوسف ثلاثة[3].

يوسف الصديق ويوسف النجّار

ثم خرجنا فذهبنا إلى زيارة يوسف النبي عليه السَّلام في مزاره الأصلي تحت ذلك المزار المذكور على شكل قبر الشيخ العارف بالله تعالى مُحيي الدين بن العربي قدَّس الله سِرَّه / في دمشق الشّام، بلادنا المعمورة، فإن له ضريحين، ضريح يُنزل إليه بدرجٍ من صحن الجامع الكائن بصالحية دمشق الشّام، والثاني يدخل إليه من داخل الجامع المذكور، وكلٌّ منهما عليه الهيبة والاحتشام، حتى لقد صنفنا سابقاً رسالةً في حكمة ذلك، هديَّةً أتحفْنا بها كلَّ سالك، وقد سميناها «السرّ المختبي في ضريح ابن العربي».

مقام يوسف

١٠٥/ب

ووجدْنا ضريح يوسف عليه السَّلام في بلاد الخليل على أسلوب ذلك في تثنية المقام، ولهذا سرٌّ نفيسٌ تقصُرُ عنه أفهامُ العوام.

قال الحنبلي في تاريخه: وعن إبراهيم بن أحمد الخلنجي، أنَّه لما سألَتْهُ جارية المقتدر، وكانت مقيمة ببيت المقدس، الخروج إلى الموضع الذي يُروىٰ أنّ قبر يوسف عليه السلام فيه، وإظهاره والبناء عليه، قال:

---

(١) سورة غافر/٢٤.

(٢) «وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد» سورة غافر/٢٣.

(٣) عبارة المؤلف يختلط فيها كلامه مع كلام الحنبلي، ولذا فهي مشوشة، خلاصتها أن ثمة ثلاثة باسم يوسف هم: يوسف بن يعقوب، ويوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب، ويوسف النجّار هذا.

فخرجتُ والعمال معي نكشف البقيع الذي رُوِيَ أنَّه فيه خارج الحيِّز، حِذاء قبر أبيه يعقوب عليهما السلام، وتقدَّم تفسير الحيِّز، قال: فاشترى البقيع من صاحبه وأخذ في كشفه، فخرج في الموضع الذي رُوي أنه فيه حجرٌ عظيم، فأَمَرَ بكسره، فكسر منه قطعة، قال: وكنتُ معهم في الحيِّز، فلما شالوا القطعة من الحجر فإذا هو يوسف عليه السَّلام، على الصفة من الحسن والجمال، وصار روائح الموضع مِسْكاً، ثمّ جاء ريحٌ عظيم، فأطبق العمَّال الحجر على ما كان عليه، وبنى القبَّة التي هي عليه الآن، على صحَّةٍ من رؤيته ﷺ.

وهُو[1] خارج السُّور السُّليماني من جهة الغرب بداخل المدرسة المنسوبة للسُّلطان الملك النَّاصر حسن[2]، وتُسمَّى الآن بالقلعة، ويُدخل إليه من عند باب المسجد الذي عند السُّوق تجاه عين الطواشي، وهو موضعٌ مأنوس وفيه الضريحُ.

ثم إنَّ بعض النّظار على مسجد الخليل عليه السَّلام، وهو شهابُ الدين أحمد اليغمُوري فَتَح باباً في السُّور السليمانيّ من جهة الغرب بحذاء القبر المنسوب لسيدنا يوسف عليه السلام، وجعل فوق القبر السفلي إشارة تدل عليه، كبقية الأضرحة الكائنة بمسجد الخليل عليه السلام، وذلك في سلطنة الظاهر برقوق.[3]

١٠٦/أ وَرُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله صلَّى / الله عليه وسلم: إنَّ الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن

---

(١) يعني قبر يوسف.

(٢) من خيار سلاطين المماليك، تولّى الملك مرَّتين وقتل سنة ٧٦٢هـ ومن أعظم آثاره العمرانية جامع السلطان حسن بالقاهرة، مقابل جامع الرفاعي بالقلعة، عمَّره في مدَّة وجيزة وجعله مدرسة انظر: الجوهر الثمين لابن دقماق ٢/٢١٥ والنجوم الزاهرة ١٠/١٨٧.

(٣) السلطان الخامس والعشرون من سلاطين المماليك حكم بين سنة ٧٨٤ هـ وسنة ٨٠١ هـ مع فترة عزل قصيرة، وهو الثاني من ملوك الجراكسة بعد بيبرس الجاشنكير، الجوهر الثمين ٢/٢٦١.

يعقوب بن إسحٰق بن إبراهيم، لو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف ثم جاء الدّاعي لأجبته، وسئل رسول الله ﷺ. من أكرم الناس على الله؟ قال أتقاهم لله، قالوا ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم النّاس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله وخليله[1]، فهؤلاء الأنبياء الأربعة وهم إبراهيم الخليل وولده إسحٰق وولده يعقوب وولده يوسف عليهم الصلاة والسلام، قبورهم في محلٍّ واحدٍ، وعليهم من الوقار والجلالة ما لا يكاد يوصف، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، انتهى.

الكريم ابن الكريم

وهذا المكان الواحد هو الجامعُ المتقدم ذكره، وقد ورد في الفضائل كما ذكره الحنبلي في تاريخه، والشيخ إبراهيم السيوطي في كتابه «الأخصّا»، وإن كانت أخباراً ضعيفة فلا بأس بذكرها تنشيطاً للسّامعين وترغيباً للراغبين، وهي ما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى بيت المقدس، مرَّ بي جبريل عليه السَّلام إلى قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، قال انزل فصلِّ ها هنا ركعتين، فإن هاهنا قبر أبيك إبراهيم عليه السلام، إلى آخر الحديث.

أحاديث ضعيفة عن قبور إبراهيم وبنيه

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ، مَنْ لم تمكنه زيارتي فليزر قبر إبراهيم الخليل عليه السلام. وعن كعب الأحبار قال: أكثروا من الزيارة إلى قبر رسول الله ﷺ، وأظهروا الصلاة عليه وعلى صاحبيه أبي بكر وعُمر، رضوان الله عليهما قبل أن تُمنعوا ذلك، ويحال بينكم وبين ذلك الفتن وفساد السبيل، فمن مُنع ذلك، أو حيل بينه وبين الزيارة إلى قبر رسول الله ﷺ فليجعل رحلته وإتيانه إلى قبر إبراهيم عليه السلام، وليُظهر الصلاة عليه، وليكثر الدعاء عنده، فإن الدعاء عنده مُستجاب، ولن يتوسّل به أحَدٌ إلى الله عزّ وجلّ ثناؤه في شيء إلا لم يبرح حتى يرى الإجابة في ذلك عاجلاً أو آجلاً.

---

(١) فتح الباري ٣٦٢/٨.

قال الحنبلي بعد إيراده هذا الأثر، قلتُ وهذا مما لا شك فيه فإنّي جرَّبتُه/بأمرٍ وقع لي من أمور الدنيا، فكنتُ أتوقَّع الهلاك منه، فتوجَّهت من بيت المقدس إلى بلد سيدنا الخليل عليه السلام، في ضرورةٍ اقتضت سفرتي، فلما دخلتُ مسجدهُ عليه الصلاة والسلام، دخلتُ إلى الضريح المشهور أنَّه قبر إبراهيم، وتعلَّقت بأستاره، ودعوت الله تعالى، فما كان بأسرع من أن فرَّج الله كربتي ولطف بي وأزال عني كُلَّ ما أزعجني، فله الفضل سبحانَهُ وتعالى.

١٠٦/ب

قصتان عن الدعاء المستجاب في الحرم الإبراهيمي

وحُكي عن رجلٍ من أهل بعلبك أنَّه قال: زرنا قبر إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان معنا رجلٌ مغفَّلٌ من أهل بعلبك، فسمعناهُ وقد زار القبر وهو يبكي ويقول: حبيبي إبراهيم، سل ربك يكفيني فلاناً وفلاناً وفلاناً، فإنَّهم يؤذونني، ونحن نضحك منه ونتعجَّب منه، ثم رجعنا بعد مدَّة إلى يافا، فوصل قاربٌ من بيروت وفيه رجلٌ من أهل بعلبك، فحدَّثنا أنَّ الثلاثة الذين سمَّاهم ماتوا.

أخبار ضعيفة في فضل الخليل

وروىٰ علي أبو الحسن بن جماعة بسنده إلى وهب بن منبه أنَّه قال: طوبىٰ لمن زار قبر إبراهيم عليه السلام في عمره مرَّة، لا يعنيه إلا ذلك، حُشر يوم القيٰمة آمناً من الفزع الأكبر، ووقِي فتَّاني القبر وكان حقاً على الله أن يجمع بينه وبين إبراهيم في دار السلام.

وعن وهب بن منبه، عن كعب قال من زار بيت المقدس وقصَدَ قبر إبراهيم عليه السَّلام، وصلَّى فيه خمس صلوات، ثم سأل الله عزَّ وجلَّ شيئاً أعطاهُ إياه وغفر ذنوبه كلَّها، ومن زار قبر إبراهيم وإسحٰق ويعقوب وسارة وربقة وليقا، أُعطي بتلك الزيارة الكرامة الدائمة والرزق الواسع في دنياه، وبلَّغه الله بذلك منازل الأبرار، ولا يرجع إلى منزله إلا وقد غفر له ذنوبه كلَّها، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى إبراهيم الخليل عليه السلام، فيُبشره أن الله غفر له، ثم قال الشيخ إبراهيم السُّيوطي رحمه الله بعد إيراده لهذه الآثار: وكلَّما ذكره أهل

العلم السَّابقين والمتأخرين في مناسكهم من آداب الزيارة في حقّ سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، فهو سائغ في حقّ هذا النبي الكريم خليل الله إبراهيم من غير تردّد ولا تقصير / ولا إخلال بشيء، فمن أهمل شيئاً من ذلك فلجهله وحرمانه، ومن تحلّى بما أدَّبه الله به من الدخول في سلك أوليائه وأهل طاعته بقصد المعالي من الأمور الموجبة للارتقاء إلى المنازل العليّة كان من الفائزين المقرَّبين، انتهى.

١٠٧/أ

قصيدة النابلسي في مدح إبراهيم وآله.

ومما اتفق لنا من النظام في ذلك المقام، قولنا هذه القصيدة في مدح الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، وهي:

يا خليل المهيمن الرحمنِ	يا أبا الأنبياء والضيفانِ
أنت بحر العطا وبرُّ المزايا	وكمال الهدىٰ ونور العيانِ
قد أتينا إليك من عقباتٍ	ساميات الذُّرا ومن كُثبانِ
وقطعنا الفلاة أرضاً فأرضاً	للحمىٰ بالمشاة والركبانِ
منك نرجو نيل القبول ونخشى	من دواعي الصَّدّ والهجرانِ
حرمٌ آمنٌ أتينا إليه	من أتاه ينال كلَّ الأماني
ودخلنا لجامعٍ ورواقٍ	ظاهر النّور باهر اللمعانِ
وبقبر الخليل فرْطُ جلالٍ	وجمالٍ وهيبةٍ وتداني
وسناً يملأُ الرحاب ويهدي	من رآه لسَاحة الامتنانِ
قُبَّةٌ أشرقت بحبرون تحكي	شمس أفقٍ مُنيرة الأركانِ
فسقىٰ الغار والذين حواهم	ذلك الغار من قديم الزمانِ
سادة الجود والمكارم كانوا	كشموسٍ تضيء في البلدانِ
وبقبر الغيور إسحٰق سيفٌ	مُصْلَتٌ في يد الإله يماني
كلَّما هزَّهُ التوسُّل أفرى	في نفوس العدا بغير تواني
وهْوَ سور البلاد طبق مقالٍ	في منامٍ لقاصِدِ البنيانِ
وليعقوب هيبةٌ ووقارٌ	للَّذي جاء زائراً مُبْهرانِ

ثمَّ كـلٌّ يقـابـل الأهـل منـه	في رواقٍ وبـهـجـةٍ وتـهـانـي
وكـذا يـوسف الجميـل عليـهِ	رونقُ الحسنِ في أجـلِّ مكـانِ
مسجـدٌ نـوره المشعشـع بـادٍ	جـلَّ عن خِفيـةٍ وعن كـتمـانِ.
وقبـاب الجميـع تُشرق نـوراً	فـتـذوب النفـوس بـالإذعـانِ
/هيبةٌ تـمـلأ الـرحـاب وسـرٌّ	منـه كـلُّ القلوب في خـفقـانِ
وخشـوعٌ لـلزائـريـن كـثيـرٌ	فـتـراهـم نـواكس الأذقـانِ
يـا بني السيد الخليـل ويـا من	فضلهم شـاع بين قـاصٍ ودانيِ
يـا من العزّ وصفهم في البـرايا	كـلَّ حين يـرىٰ مـن الأحيـانِ
جئت أسعى إلى حمـاكم لأحظى	بـالأمـاني من فضلكم والأمـانِ
يـا أبـا السَّادة الكـرام يـا مَنْ	مـدحه المستفيض في القـرآنِ
يـا خليـل الله المفضَّـلِ إبـرا	هيم يـا مَن نجَـا مـن النيـرانِ
إنني أرتـجي الإفـاضـة منكـم	في طـريق الكمـال والعـرفـانِ
وبكم أستمـدُّ في كـلِّ طـورٍ	شـاكيـاً من طـوارق الحـدثـانِ
هـا هنـا مغـرمٌ بكم يـتمنىٰ	من نـداكم سـوابـغ الإحسـانِ
قـذَفَتْـه البـلادُ حتى أتـاكـم	بـعـد كـدٍّ وفـاقـةٍ وامتـهـانِ
بـجـوادٍ بَـرَتْ حـوافـره فـي	سيـرهِ كـل صخـرةٍ صـوَّانِ
وتـسـامـتْ بـه رؤوسُ جـبـالٍ	حيث أضحىٰ والنجم في الاقترانِ
وبـطونُ الـوهـاد قـد كَتَمَـتْـه	فهـو فيهـا مُستبعـد الإعـلانِ
قـصـدُه منـك التبـرُّك يـومـاً	وحصُـول الثـواب والـغفـرانِ
فعسى أن يكـون نـالَ قبـولاً	ودُنـوّاً مـنكـم ورفعـة شـانِ
وصـلاة الإلـه بـعـد سَـلامٍ	منـه ينمو بسـاحة الـرِّضـوانِ
يـا ليـوث الحمىٰ عليكم جميعـاً	دائمـاً يـا ذوي الـوجـوه الحسـانِ
وعلى الآل والصّحـاب لـديكم	وعـلى التـابعين والـجيـرانِ
أبـدَ الـدهـر مـا تثنَّتْ غصـونٌ	وتـغنّى الـحـمـام بـالألـحـانِ

١٠٧/ب

وقد وجدنا في ديوان الإمام العارف بالله تعالى الشيخ إبراهيم بن زقاعة الخليلي، رحمه الله تعالى، أبياتاً من قصائد يمدح بها حضرة الخليل عليه السَّلام، وأولاده الكرام، فمن قصيدته النونية قوله:

قصيدةٌ ثانية لإبراهيم بنُ زقاعة

يـامـا ألـذَّ أويقـاتٍ لنـا سَلَفَتْ ... عند المشاهد من غربيّ قيطونِ

وحضـرة لخليـل الله بُقْعَتُهـا ... من رحمـة الله مـأوى للمساكينِ

/فيها الخليل ويعقوب ويوسفهم ... وقبر إسحٰق ذبَّاح القرابينِ

١٠٨/أ

وآل بيتٍ صلاةُ الله تشملهم ... أولي النُّهى والتُّقى والوحي والدِّينِ

ومَدحُهم في المثاني قد أتى سوراً ... بين المحاريب يُتلىٰ للمصلينِ

هم الكرام فلا يخشون مفقرةً ... أنّى، وكافلهم ربّ السَّلاطينِ

وليلة العيد ناداني مؤذّنُهم ... فقلتُ لبيك من داعٍ يناديني

شددتُ مِئْزَرَ إحرامي على عجلٍ ... وسرت بين جماعات الملبّينِ

مع فتيةٍ لو سَرَوا في ظلمة لأضَتْ ... ناديتُهم وفؤادي غير محزونِ

وآخر الليل عرَّسنا بمنزلةٍ ... تلوح منها روابي طورِ سينينِ

وطاف محبوبنا بالكأس في غسقٍ ... على الندامى فيسقيهم ويسقيني

مدامة بكر راحٍ ليس يُشبهها ... خمرٌ إذا متُّ في الحانات تُحييني

تشعشعَ الكأسُ في الظلماءِ من يدِهِ ... فأشرق الغور والبحر الفلسطيني

لولا تلطُّف ساقينا بنا خُطِفَتْ ... أبصارنا وبقينا كالمجانينِ

كأنَّ ألحاظ من أهواه تمزجها ... وكلّما غبتُ عن حُبّي تُناجيني

وكلَّما رمتُ أدنو نحوها لحظَتْ ... قلبي فيلمحها طرفي فيرميني

دبَّتْ كمثل دبيب الروح في جسدي ... وفي مجاري عروقي والشرايينِ

حتّى انتهتْ موضع الأسرار قلتُ قفي ... لا ينظر النّدما سرّي فيدروني

إلى آخر ما ذكر في هذه القصيدة من مدح النبي ﷺ تسليماً.

قصيدةٌ ثالثةٌ له

ومن قصيدته الرائيَّة قوله:

ولم أنسَ الطّلُولُ ودير مجًّا ... وأعلاماً بدتْ من عين سارا

وطيفاً زارني في جنح لَيْلٍ فأنعشني وأحيا حين زارا
فرشتُ لنعله بصري وخدّي كأنّي قد بسطتُ له إزارا
أشار وقال مُتْ في الحبّ طوعاً فمتُّ وعشتُ لمّا أن أشارا
وغاراً كم أغار على فؤادي فضوّع نشره ندّاً وغارا
وسرداباً وقنديلاً تبدّى ومن نيران أحشائي استنارا
يطوف بغارهم حرمٌ شريفٌ وكم طاف المحبُّ به ودارا
وفتيانٍ أقاموا في مقامٍ على قدم الوَفا لمن استجارا

١٠٨/ب

/ويوفون النذور ويقبلوها ويحمون المحارمَ والدّيارا
وأنوار الخليل تلوحُ فيه وإسحق المفدّى ثمّ سارا
ويعقُوب ويوسف في الحواشي وقيل العيصُ جاورهم جوارا
وبرقٌ لاح من حبرون وهْناً كمثل النار يستعر استعارا
كأنّ زناده مقداحُ نارٍ ففي وجه العدا يرمي شرارا
وسلَّ على مشارقه سيوفاً وأضرم في المغارب منه نارا
رأى قلبي يطوف فجاء يسعى فأرمى في مشاعِره جمارا
ولولا صاحب السرداب نادى توارى عنه في ظلّي توارى
لكان الصبُّ دَندنَ مثلَ عودٍ وزمَّر في هواهُ ثمّ طارا

قصيدة رابعة لابن زقاعة

ومن قصيدته البائيّة قوله:

نغماتُ الدُّيوك من دير مجّا آخر الليل هيَّجتْ أطرابي
وخرير المياه أشهى لسمعي في رباها من صوتِ كلِّ ربابِ
كم شمَمْتُ النسيم من جانبيها وشهدتُ الخليل في المحرابِ
سادة حبُّهم ألمَّ بقلبي من زمان الصِّبا وعهد التصابي
ليت عيني قبل الممات تراهم عند حبرون بين تلك الهضابِ
وأرى النور حَوْلَها كخيامٍ عالياتٍ ممدودة الأطنابِ
ومنارتُها تُشير إلينا أنّ آل الخليل في السردابِ
في محاريبهم جعلْتُ سُجُودي حين نادى مؤذّنٌ باقترابِ

ولكم طفتُ بالمقام ودمعي ... سابحٌ سائحٌ على الأعتابِ
فتراني سبعين عاماً مُقيماً ... من صبائي ملقىً على الأبوابِ
صِرتُ شيخاً وما تغيَّر حالي ... عن هواهم وهمّتي كالشَّبابِ
وإذا ما أموت متُّ شهيداً ... وسطُور الغرامِ رقم كتابي
كلّ من مات في هواهم غراماً ... فله جنَّةٌ بغير حسابِ

إلى آخر ما ذكر في هذه القصيدة من مدح الخليل والحبيب صلّى عليهما وسلّم تسليماً.

وقد ظفرنا بهذه الأبيات للشيخ العارف بالله تعالى، محمد البكري /الصديقي[1] رحمه الله تعالى يمدح بها الخليل وأولاده عليهم السَّلام، وهي قوله:

١٠٩/أ

قصيدة خامسة لمحمّد البكري الصدّيقي

أيا سادةً حول الخليل قبورهم ... ومَنْ لهُم فوق السّماكين مَعْلمُ
ويا أنبياء الله يا مَنْ مقامُهم ... أجلُّ وأبهىٰ من سواه وأفخمُ
إذا شِئْتمونا كان فضلاً ومِنَّةً ... علينا وأنتم بالمساكين أرحمُ
وهل نحن إلا أعبدٌ في جنابكم ... وإنكمُ والله بالحال أعلمُ
فيا من أفاضَ الله غيث عطائهم ... على الناس طُرّاً إنّما الناسُ أنتمُ
بكم يستجير الخائف الوجلُ الذي ... أصَاب الذُّنوب الموبقات، فيَسلمُ
بكم يستغيث العبدُ فيما ينوبُه ... فيظفر بالمقصود منكُم ويغنمُ
أما فيكمُ ذاكَ الخليل الذي لَهُ ... مقام جليل دونه النجم يَحْجُمُ
أمَا هو، بعد المصطفى، أكمل الورى ... وأرفعهم قدراً وأعلى وأعظمُ
أمَا هو شيخ الأنبياء وتاجُهم ... أما هو طرزٌ للسيادة مَعْلَمُ
وهل فوقه إلا الحبيب وشأنُهُ ... أعزّ وأسمىٰ في الكمالِ واكرمُ
على كلِّهم صلّى وسلّم ربُّنا ... فكلكمُ صلُّوا عليه وسلِّموا

(١) محمد بن زين العابدين... الشمس البكري الصديقي المصري «بركة الدنيا وسرّ الوجود» كما يقول المحبي، توفي بالقاهرة سنة ١٠٨٧هـ، وكان في عصره يعادل الشيخ عبد الغني النابلسي .أنظر خلاصة الأثر ٣/٤٦٥.

القصيدة السادسة قصيدةُ الشيخ محمَّد العلمي

وقد وجدنا في ديوان الإمام الهُمام العارف بالله تعالى الشيخ محمَّد العلمي المقدسي، قُدِّس سِرُّه، قصيدة يمدحُ بها حضرة خليل الرحمن عليه السلام وأولاده الكرام، وهي قولُه:

يا حبَّذا حضرةٌ للأنبياء حوتْ ... للعلم والحلم والآداب والحكمِ
أنوارهم أشرقتْ من كلّ ناحيةٍ ... تُحيي قلوبَ أولي الألباب والهممِ
فيها الهدىٰ والنّدى والفضل أجمعُهُ ... وكُلُّ ما عُدَّ من خيرٍ لمغتنمِ
وكلُّ ما يبتغيه المرءُ يُدرِكُه ... من العنايات والأفضالِ والنعمِ
بُشرى لساكنها بشرىٰ لزائرها ... بشرىٰ لناظرها لو كان في الحلمِ
ذاك الذي ربُّه بالخير خصَّصَهُ ... بنور أهلِ الهدىٰ والمجد والهممِ
طوبى لها بقعة بالنور قد مُلئتْ ... برحمةٍ بولاءٍ غير منفصمِ
والزاد ما زال بالأنعام مُبتذلاً ... على الدَّوام بأودٍ غير مُنصرمِ
فيها الجليل خليل الله سيدنا ... أبو النبيّين ذو الآيات والحِكمِ
مَنْ لم يزل دائماً بالله محتسباً ... مُنعَّماً بالرضا في الخير والألمِ
/ولم يَزَل راقياً حقّاً لكلّ تُقىً ... بذلك الكتب تبديه لمفتهمِ

١٠٩/ب

أخبارهُ لجميع الخلق قد شُهرتْ ... فاقصد نداهُ ولا تخشىٰ من العدمِ
حاوي الكمال لدين الحقّ معتصم ... ومَدْحُه شاعَ في عُربٍ وفي عجمِ
داعٍ وهادٍ لإرشادٍ ومعرفةٍ ... بملَّةٍ سطعت كالشَّمس في عَلَمِ
صلّى عليه إله العرش سيدُنا ... برحمةٍ شملتْ للآل والرحمِ
ولم تزل بركاتُ الله تشملهم ... مدى الزمان بفضلٍ غير منصرمِ
لا سيّما إسحٰق مولى الفضل سيدنا ... أبو العزائم والهمَّات والكرمِ
السيّد السَّنَدُ المدعو لمبتهلٍ ... يرجو النجاة من الأسواء والسَّقمِ
وثمَّ يعقوب إسرائيل، سيدنا ... أبو النبيّين حاوي أحسن الشّيمِ
كذلك السيد الصّديق يوسفهم ... حاوي العلوم، بحفظ الله في القدمِ
وآلهم صلوات الله تشملهم ... برحمةٍ لم تزل تنهلُّ كالدِّيمِ
وسائر الأنبيا حقّاً تزورهمُ ... بعد الحبيب، خيار الخلق كلّهمِ

السّيـد المجتبىٰ للمجـد أجمعـه ... ومن حبـوا كلهم منـه بمـجـدهـمِ
عليـه أزكىٰ صلاة والسَّـلام كـذا ... لآلِـهِ الغـرّ والأصحـاب والشّيـمِ
عبيـدُكم سـادتي مـا زال مفتقـراً ... يـرجـو مكـارمكم في البؤس والنعمِ
العـاجـز العلميّ بـالـذلّ مُنكسـراً ... ممَّـا جنـاهُ من الأسـواءِ والجَـرمِ
وقـد أتى سـائـلاً يـرجـو مـراحمكم ... كـذا لأحبـابـه والـولد والـرحـمِ
وكـلّ خـلٍّ غـدا يسعى لصحبتـه ... يحظى بنيلكم في الحلّ والحـرَمِ
لا زلتم منهـلاً يـا سـادتي أبـداً ... تُـولوا النـدىٰ لجيمع الخلق والأممِ

القصيدة السابعة لأحمد بن سالم الخلوتي الدمشقي

وقد وجدنا من نظم الإمام الصَّالح الشيخ أحمد بن سالم، شيخ الخلوتية بـدمشق قصيدة يمـدح بهـا حضـرة نبيِّ الله الخليـل، ومن جـاوره من الأنبيـاء الكرام، وهي قوله:

على الرأس مسعاي أتيتُ مع الرّكب ... أُريـد كرامَ الحيِّ من نـورهم حسبي
ألا يـا أبـا إسحٰق جئنـاك بـالحبّ ... فحقق لنـا مـولاي جـائـزة القـربِ
أتينـا الحمىٰ شُعثـاً وغُبـراً وإنّنـا ... فـراحٌ برفـع الحوب والجرمِ والذنبِ
فـصـادفَنَـا مـنكـم قبـولٌ وراحَـةٌ ... وفـزنـا بـسـرٍّ لا يـفـارق لـلقلبِ
/فحـاشـاكم أن تغفلوا عن مُحبّكم ... وحـاشـا مُحبّـاً أن ينام عن الحبِّ ١١٠/أ
وإنّـي كـتـومٌ لا أبـوحُ بـسـرّكـم ... فـرفقـاً رسـول الله والعفـو للصبِّ
فَعبـدُك محسـوبٌ عـليـكَ وإننـي ... بنسبتكم أزهـو على العُجم والعُـربِ
فكُن يـا خليـل الله سـاتـر جمعِنـا ... وعـامـل بلطفٍ كي يفـارقني كـربي
مسـاكين جـاؤوا من بـلادٍ بعيـدةٍ ... يُـريدون قُـرباً منـك، خادمهم مَسبي
هـو السّـالمي الأصـلِ عبـدٌ لعبدكم ... وملقىً على الأبواب لم يخش من عتبِ
فـإن عـاملوا بـالفضـل هم ذاك أهلُه ... وإن عاملوا بالعدل، قد بان لي غُلبي
فيـا آل إبـراهيم جـودوا لعبـدكم ... ذليـل كسيـر يستجيـر بـذي لبِّ
ألا يـا أبـا يعقـوب عبدكَ خـائف ... وأنت غيور فاجعـل الرفق من كسبي
ويـا سيدي يعقـوب ضيفـك مُفلسٌ ... يُـريد مـداداً منك عوناً على الدَّرْبِ
ويـا أيهـا الصدّيق جئتـك صـادقـاً ... تصـدَّق على عبدٍ يخـاف من السَّلْبِ

ويا ساكني السّرداب مزّقني القِلىٰ ... وقد صِرتُ ملقىً في المزابل والتُّربِ
ويا أهل حبرون جبرتم فكمِّلوا ... فإنَّ تمام الأمر توفون بالشّربِ
ليُجْبَرَ مكسورٌ رأى الدنَّ طافحاً ... ويحرسُه سِربٌ، فناهيك من سِربِ
ألا يا خليل الله كمِّلْ ضيافتي ... بشربةِ كاسٍ كي يطيب بها قلبي
عليك صلاةُ الله ثم سلامُه ... وآلٍ وأتباعٍ وأزواجك النخبِ
وألف صلاةٍ ثم ألف تحيَّةٍ ... على المصطفى المبعوث للعجم والعربِ
وآلٍ وأصهارٍ كذا، وقرابةٍ ... تعمُّ جميع القوم والآل والصَّحْبِ
فعوناً لمسكينٍ يُحاولُ فضلكم ... فجودكم فاق الهتون من السّحبِ

القصيدة الثامنة لمحمَّد الدكدكجي

ومن نظم ولدنا الروحاني محمد بن المرحوم الحاج إبراهيم الدكدكجي، هذه القصيدة يمدح بها حضرة نبيّ الله الخليل عليه السّلام، ومن سكن عنده من الأنبياء الكرام، وهي قوله:

يا مقاماً به أقام الخليلُ ... لك في القلب عندنا تبجيلُ
زادك الله رفعةً وبهاءً ... إذ غدا في حماك، يُكفىٰ النّزيلُ
وأقام الغيور إسحٰق فيه ... قد كسَاهُ الوقَار والتبجيلُ
وكذا قد أقام يعقوبُ فيه ... مع زوجاتهم لهم تكميلُ
/وابن يعقوب يوسف الحسن أيضاً ... سكنَ الغارَ حيث طابَ المقيلُ

١١٠/ب

سادةُ الناس ملجأ للذي قد ... أوثقَتْهُ الذنوبُ وهو عليلُ
ليس يَخشى مَن التجا لحماهم ... قطّ ضيماً ولا يخاف الدَّخيلُ
قد دخلْنا مقامَهم وشَهِدْنا ... نور حقٍّ لديه تُسبىٰ العقولُ
ورأينا الأنوار لاحتْ جهاراً ... فاعترانا من الجمالِ الذُّهولُ
جامعٌ، جامعٌ لفرط جلالٍ ... ووقار إليه تعنو الفُعُولُ
يا أهَيْلَ السرداب جودوا لصبٍّ ... عنْ هواكم وعهدكم لا يميلُ
قد ملكتُم قلبي وأوثقتموه ... بقيود الهوىٰ، فصبرٌ جميلُ
يا رعى الله سادةً هم مقيمو ... نَ بحبرون نِعْمَ قومٌ نزولُ
كيف أسلو هواهم طول عمري ... وهو ديني وملَّتي لا أحولُ

يا خليل الإله إني ضعيفٌ ... يا خليل الإله صبري قليلُ

جئتكم زائراً بحبٍّ وشوقٍ ... فعساكم لعثرتي أن تُقيلوا

ولزمتُ الأعتاب صدقاً بذلٍّ ... ألثمُ البابَ علّ يُشفى الغليلُ

سادتي سادتي فبالقُرب جودوا ... واسمحوا لي عسىٰ يكون القبولُ

كيف لا أُرزقُ القبول وأحظىٰ ... بالأماني، وينجح المسؤولُ

وشفيعي لديكم من أتينا ... في حماه عنّا الهمومَ يُزيلُ

مديح عبد الغني النابلسي

سيّدٌ ساد قدره وتسامىٰ ... واسع الصَّدْر لي إليكم رسولُ

صاحب الوقت مفرداً في المزايا ... كنز بَحْرٍ ما أنْ إليه وصولُ

كامل الذّاتِ والصّفاتِ جميعاً ... شمسُ هذا الوجود قطب جليلُ

كعبة العارفين حجّتْ إليه ... ثم طافَتْ وفي حماهُ تجولُ

مَنْ له المجدُ والفخار على النا ... سِ جميعاً والعزُّ والتفضيلُ

حاز في حلبةِ العلوم ذُرا السَّبـ ... ـقِ ونال المنى، فأينَ العديلُ

فردُ هذا الزمان عبدُ الغنيّ الـ ... ـكاملُ البحرُ وردُهُ السلسبيلُ

صاحب الحلم[1] والكمالات طُرّاً ... وهو سيفٌ على الأعادي صقيلُ

قد زهتْ جلّقٌ به وتباهتْ ... حيثُ فيها قد حلّ هذا الأصيلُ

/ فهلمّوا إلى حِماهُ وجدُّوا ... يا أخلّايَ فهو نعم الدّليلُ

١١١/أ

وإلى قدس ذاته فتعالوا ... والزموا الصِّدْق، يحصل المأمولُ

وأميطوا ثوب التكبّر عنكم ... واسبحوا في بحاره ثم جُولوا

وبصافي زلالهِ فتملّوا ... من علومٍ أتى بها التنزيلُ

واسمعوا قول ربكم من قريبٍ ... فمنادي الفلاح فيكم يقُولُ

ليس تلقَوْن مُرشداً في البرايا ... غيرهُ كأسُهُ هو المعسُولُ

قدَّس الله سرَّهُ من إمامٍ ... هو فينا حماهُ ظلٌّ ظليلُ

أمَدَ الدّهرِ ما هفتْ نسماتٌ ... وبدا الغُصْن في الرّياض يميلُ

---

(١) في النسخة الثالثة: العلم.

ثمَّ ذهبنا إلى المنزل الذي كان نزولنا فيه، وكنّا نكادُ أن نسمع بالأشواق نطقَ فيه، فجلسنا مع إخواننا الحاضرين لاستقبال الواردين علينا من أهل بلاد الخليل والزائرين، فحضر عندنا لزيارتنا مفخر الأفاضل المعتبرين وزبدة العلماء العاملين الشيخ أحمد بن الشيخ أبي الوفا، الخطيب يومئذ بجامع الخليل، التميميّ، نسبةً إلى تميم الداري الصَّحابي المشهور الذي أقطعهُ النبي ﷺ هاتيك الأراضي ولذرّيته بعدَهُ، والبلاد يومئذٍ في أيدي الكفّار، بناءً على تحقُّق دخول تلك البلاد في يد المسلمين، وصورة ذلك الإقطاع بخط الإمام عليّ رضي الله عنه، كانت موجودةً في يدهم حتّى أخذها منهم بعض الملوك العثمانية لأجل التبرُّك بذلك، كما أخبرنا هو عن ذلك، واستنسخوا من ذلك صورةً هي عندهم اليوم.

إقطاع تميم الدّاري وذريته

وقد ذكر ذلك الحنبلي في تاريخه وعبارته: ذِكرُ إقطاع النبي ﷺ سيدنا تميم الداري، الأراضي التي بها بلد سيدنا الخليل عليه السَّلام، وما حَوْلها من الأرض، وكتب له في قطعةِ أديم من خف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد حكىٰ المؤرخون لفظ (الإنطا) على وجوهٍ مختلفة، وقد رأيتُ عند المتكلّم على الإقطاع المشار إليه القطعة الأديم التي يقال إنّها من خف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد صارتْ رثَّةً، وفيها بعض أثر الكتابة، ورأيتُ[1] معها ورقة/ مكتوبةً في الصندوق الذي فيه قطعة الأديم، منسوب خطّ هذه الورقة إلى أمير المؤمنين المستنجد بالله العبَّاسي تغمَّده الله برحمته، كتب منها نسخة الإنطا، وصورة ما كتبه المستنجد بخطه:

١١١/ب

صورة الإقطاع

الحمدُ لله، نسختُ كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لتميم الداري وإخوته في سنة تسع للهجرة الشريفة بعد منصرفه من غزوة تبوك، في قطعة أديمٍ من خفّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وبخطّه نسخت كهيئته:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنطا رسولُ الله ﷺ لتميم الداري

(١) يعني الحنبلي، لا النابلسي.

وإخـوته، حبـرون والمرطـون وبيت عينون، وبيت إبـراهيم وما فيهنّ، نطيَّةً بتٍّ بـذمتّهم، ونفَّذتُ وسلَّمتُ ذلـك لهم ولأعقابهم، فمن آذاهم آذاهُ الله، فمن آذاهم لعنه الله، وأشهدتُ عتيقَ بن أبي قحافة وعمر بن الخـطّاب وعثمـان بن عفّـان، وكتبه علي بن أبي طـالب، وشهِـد مِنْ بعدهم، وقد نسخت ذلك من خط المستنجد بالله كهيئته، ولعـلَّ هذا أصحّ ما قيل فيه والله أعلم.

واستمَّر هذا الإقطاع بيد ذريَّة تميم يأكلونه إلى يومنا هذا، وهم مقيمون ببلد سيدنا الخليـل عليه السَّـلام، وهم طائفـةٌ كثيرةٌ يُقـال لهم الداريـة، وهذا ببركة النبي ﷺ.

الوالي الذي حاول إلغاء الإقطاع

وقـد اعترض بعضُ الولاة على آل تميم وأراد انتـزاع الأرض منهم ورفـع أمرهم إلى القاضي أبي حامد الهُروي الحنفي قاضي القدس الشريف، فاحتجّ الدّاريون بالكتابة فقال القاضي: هذا الكتاب ليس بلازم، لأنَّ النبي ﷺ أقـطع تميماً ما لـم يملك، فاستفتى الوالي الفقهاء، وكان الإمـام أبو حـامد الغـزالي رضي الله عنـه حينئذٍ ببيت المقـدس قبل استيلاء الفـرنج عليه فقـال: هـذا القاضي كافر، فإنّ النبي ﷺ قال زُويت لي الأرض كلها، وكان يقطع في الجنَّة، فيقُـول قصر كـذا لفـلان، فـوعْدُه صِـدْقٌ وقولـه حقٌّ، فخزي القـاضي والوالي وبقي آل تميم على ما بأيديهم.

وقـال الشّيخ إبـراهيم الأسيوطي في إتحـاف الأخصَّا عنـد ذكـره إقـطاع النبي ﷺ لتميم الـداري نقـلاً عن صـاحب كتـاب «بـاعث النفـوس إلى زيـارة القـدس المحروس»، رُويَ عن أبي هنـد/ الداري قـال: قـدمنـا على رسـول الله ﷺ ونحن ستـة نفر من تميم: ابن أوس وأخـوه نعيم، ويزيـد بن قيس وأبو عبد الله بن عبد الله، وهو صاحب الحديث وأخوه الـطيب بن عبد الله، فسمَّـاه رسُول الله ﷺ عبد الرحمن، فأسلمنا، وسألْنا رسول الله ﷺ أن يُقطعنا أرضاً من أرض الشّام، فقال رسـول الله ﷺ حيث شئتم، قال أبـو هند الداري: فنهضنا

١١٢/أ

من عند رسول الله ﷺ إلى موضع نتشاور فيه أين نسْأل فقال تميم: أرىٰ أن نسأله في بيت المقدس، وكورتها، فقال أبو هند: رأيتُ مُلْكَ العجم اليوم أليس هو بيت المقدس؟ قال تميم نعم، فقال أبو هند فكذلك يكون فيه ملك العرب وأخاف أن لا يتمّ لنا هذا، قال تميم فنسأله بيت جبريل، فقال أبو هند هذا أكبر وأكثر، فقال تميم: فأين ترىٰ أن نسْأله؟ قال أرىٰ أن نسأله القرىٰ التي تُصنع فيها حُصُرُنا مع ما فيها من آثار إبراهيم عليه السلام، فقال تميم أَصَبْتَ ووفقْتَ، قال: فنهضنا إلى رسول الله ﷺ فقال: يا تميم: أتحبُّ أن تخبرني بما كنتم فيه أو أُخبرك؟ فقال تميم: بل تخبرنا يا رسول الله فنزداد إيماناً: فقال رسول الله ﷺ: أردتَ يا تميم أمراً وأراد هذا غيره، ونعمَ الرأي رأي هند، قال: فدعا، رسول الله ﷺ بقطعة من أدم وكتب لنا فيها كتاباً نسخته:

نسخة الإقطاع المكّية

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ ذُكر فيه ما وهَبَ محمد رسول الله ﷺ للداريين، إذا أعطاه الله الأرض، وهب لهم بيتَ عيتون وحبرون والمرطون وبيت إبراهيم ومَن فيهم إلى أبد الأبد. شهد عباس بن عبد المطلب، وجهْم بن قيس، وشُرحبيل بن حسنة وكَتب».

قال: ثم دخل بالكتاب إلى منزله فعالج في زاوية الرُّقعة بشيء لا يُعرف، وعَقَدهُ من خارج الرقعة بسَيْر عقدتين وخرج إلينا به مطوياً وهويقول: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للّذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا، والله ولي المؤمنين﴾[1]، ثم قال انصرفوا حتى تسمعوا أنّي هاجرتُ، قال أبو هند فانصرفنا، فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة قدمنا عليه وسألناهُ أن يُجدِّدَ لنا كتاباً آخر، فكتب لنا كتاباً نُسخَتُهُ:

١١٢/ب
نسخة الإقطاع المدنية

/«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنطا محمَّدٌ رسول الله، لتميم الدّاري وأصحابه أني أنطيتكم بيت عيتون وحبرون والمرطون وبيت

(١) سورة آل عمران/٦٨.

إبراهيم بذمَّتهم وجميع ما فيهم نـطيَّةَ بتٌّ، ونفـذت وسلَّمتُ ذلك لهم ولأعقابهم من بعدهم أبد الآبدين، فمن آذاهم فيه آذاه الله، شهد أبـو بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّـان وعليّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان».

فلمّا قُبـضَ رسولُ الله ﷺ واستخلف أبو بكر وجنّـد الجنود إلى الشّـام، كتب لنا كتاباً نسخته:

نسخة كتاب أبي بكر للدّاريين

بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر الصديق إلى عبيـدة بن الجّراح سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلاّ هو، أما بعد: فأمنـعْ من كان يُؤمن بالله، واليوم الآخر من الفسـاد في قرىٰ الـدّاريين، وإنْ كان أهلُها قد جلوا عنها، وأراد الداريون يزرعـونها فليـزرعوهـا، وإذا رجع إليها أهلُها فهي لهم وأحقُّ بهم والسَّلام عليك، انتهى[1].

الشيخ أحمد التميميّ

والشيـخ أحمـد التميمي المذكور هـو ممَّن حوىٰ الشَّجاعـة مع العلم والفضل وله وقائع كثيرةٌ في زمان شبابه، حتى إن الله تعالىٰ أعطاهُ من القُوَّة أنه كـان بحيث إذا مسـك السَّفرجلَةَ وهي على الشجـرة وطبق يـدهُ على نصفهـا يقطعها نصفين، فيـأخذ في يـده نصفها، والنصف الآخـر يبقىٰ على الشجرة، وأنه مرَّةً خرج عليه جماعةٌ من قُـطَّاع الطريق، وكـان راكباً على حمـارةٍ وعليها خـرجٌ له فيـه أسباب وأمتعـةٌ، وكان وحـدهُ فلمّا رآهم نـزل عن حماره وحمـل الحمار والخرج على ظهره وصعد به على ظهر صخرةٍ، ثم جمع من الأحجـار

حكايات عن قوّته

شيئاً عنده وكـان يرمي وجـوه القوم بتلك الأحجَـار حتّى ذهبوا عنـه خائبين ولم يقدروا عليه، وأخبَرَنا أنَّهُ مرَّةً جـاء وحده إلى بيت المقـدس ليأخـذ الصرَّةَ التي هي علايف أهل الخليل، فأخذها وأراد الذَّهاب إلى الخليل، فبلغه أن جماعةً

---

(١) ذكر الذهبي أن تميماً قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله إنّ الله مـظهرك على الأرض كلِّهـا، فهب لي قريتي من بيت لحم قال: هي لك وكتب له بها فجاء بالكتاب إلى عمر فقال أنا شاهـد ذلك فأمضاه وذكر الليثُ أن النبي ﷺ قال له: ليس لك أن تبيع. انظر سير أعلام النبلاء ٢/٤٤٢.

من العرب والفلّاحين علموا بذلك، فوقفوا له في الطريق ليأخذوا منه المال، فلقي في بيت المقدس جماعةً من العرب يبيعون السَّمن في ظروف صغيرةٍ، فتساومَ امرأةً منهم على ظرفٍ صغير من السمن، وفتح فم الظرف لينظر إلى السّمن، فرمىٰ فيه صرَّةَ المال، بحيث لم يشعر به أحد، وربط فم الظرف /وقد اشتراها منها بشرط أن تحملها له إلى بلاد الخليل، ثم ذهب وحدَهُ فبينما هو في الطريق، خرج عليه القوم الذين كانوا ينتظرونه ليأخذوا منه المال ففتّشوه ليأخذوا منه المال، فلم يجدوا معه، فتعجبوا من ذلك لكونه ما جاء إلّا ليأتي لأهل الخليل بصُرَّتهم، فلما وصل إلى الخليل سألوه عن مال الوظائف، فقال لهم، يأتيكم في غدٍ إن شاء الله تعالىٰ، فلمّا كان ثاني يوم، جاءت المرأةُ ومعها الظرف، فأعطتْهُ إيَّاه وأفرغه وهي ترى ذلك، فخرجت الصُّرَّةُ من وسط السَّمن، فقالت له ما هذا، فقال هذا مال وظائف أهل الخليل، فندمت المرأةُ لكونها لم تأخذه، وسلَّمه الله تعالى من قطاع الطريق ببركةِ تقواه وديانته.

١١٣/أ

وكان من قوَّته وشدته، لطف الله تعالى به، كما حدثنا بذلك أنَّه كان يذهبُ يوم الجمعة من بلاد الخليل إلى الرملة، ويدركُ صلاة الجمعة بها، ثمَّ يعود للخليل، وفي مرَّةٍ صلّى الصُّبح ببيتِ المقدس، وجاء إلى الخليل ولم يكن أهلُ الخليل قاموا بعد من النَّوم، وقد أخْبَرَنَا عن أكلهِ الكثير أشياء كثيرة، وهو رجلٌ من الصَّالحين والعلماء والعاملين، وقد حدَّثنا بذلك عن نفسه، وهو الآن كبير السنّ، ينوف عمره على الثمانين سنة، فاجتمعنا به وتبرَّكنا بمجالسته وتكلَّمنا معه في مسائل من العلم شتى، وهو حنفي المذهب إمام الحنفية بجامع الخليل عليه السَّلام، وكان يُصلّي المغرب والعشاء في صحن الجامع بالقرب من شباك الخليل، على البلاطة الجعبريَّة، وهي بلاطةٌ كبيرة بقدر السجَّادة الكبيرة في أرض الجامع، من جملة بلاطةٍ منسوبةٍ إلى الشَّيخ الجعبريّ، أحد الجعابرة المشهورين بالعلم والدّين والصَّلاح والتَّصوُّف من أعيان أهل بلاد الخليل، وقد دعانا مرَّةٍ إلى الصلاة بالجماعة في صلاة

المغرب، وقال لنا: حتى تحصل لكم البركة في صلاتكم على البلاطة الجعبريَّة فصلينا بقصد التبرُّك.

الأخوان المروانيان

ومِمَّن حضر عندنا أيضاً للزيارة، الشيخان الفاضلان الأصيلان الكاملان الأخوان الشيخ أحمد وأخوهُ الشيخ عمر المروانيان من بني مروان، الذين هم من بني أميَّة، لهم نسبٌ ذكروه لنا بالتفصيل/ ولم يحضرنا الآن بيانُه، وهما الآن من أعيان البلاد الخليلية وأكابرها، ولهم هناك مشيخةُ الطريقة القادريَّة، يجعلون الذكر في كلّ يوم جُمُعَة بعد الصَّلاة إلى العصر، في داخل حرم الخليل في الجهة الغربية منه، خلف المنبر لصيق الحائط القبلّي، وقد حضرنا عندهم بعد صلاة الجمعة وحصلت لنا البركَةُ بذكرهم وتواجدهم على الطريقة المعهودة

١١٣/ب

الشيخ بدران الخليلي

وممن حضر عندنا أيضاً للزيارة، الإمام العالم الفاضل، جامع الفضائل الشيخ بدران الخليلي، وهو رجل من أهل العلم والفضل، وقد أخبرنا أنه نظم السنوسيَّة أمّ البراهين[1]، وطلب منّا أن نشرح ذلك النظم له، فلم يتيسَّر لنا لكثرة الاشتغال بمهمَّات السفر، ثم لمّا اطلعنا على نظمه المذكور كتبنا عليه هذه الأبيات، التي هي قولنا:

بدران وافى ببدر العلم والدِّين	وبرّ في نظمه أمّ البراهينِ
وفاح عرف الهُدىٰ من زهر روضَته	وصاح طير الهنا زاهي التَّلاحينِ
وزاده الله فضلاً ما سرت سَحَراً	ريحُ الصَّبا بينَ أزهار الرياحينِ
ونال عبدُ الغني من نسل نابلسٍ	من المنىٰ فوق ما يرجوه في الحينِ
وبالزيارة في القدس الشريف حوىٰ	وفي الخليل هدى شمّ العرانينِ

الشيخ حسين الغزالي

ومِمَّن اجتمعنا به أيضاً عندنا الإمام الصَّالح والفالح الناجح الشيخ حُسين الغزالي وهو من ذريَّة الإمام حجَّة الإسلام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه، وقد سألَنا مسائل في قضية إيمان فرعون وغيرها، وأجبناهُ بأجوبةٍ كثيرةٍ،

(١) هي متن في العقائد الأشعرية، ألفها محمد السنوسي المغربي وله مؤلفات كثيرة أخرى، وقد توفي بتلمسان سنة ٨٩٥ هـ، معجم المؤلفين ١٢/١٣٢.

فَسُرَّ بها سروراً كثيراً ودعا لنا، وهو رجل صالحٌ من المعتقدين في تلك الأراضي.

الحسيب النسيب أحمد

وممَّن اجتمعنا به أيضاً الشابّ الصَّالح الشريف الحسيب النسيب السيّد أحمد بن السّيد شرف الدين، المتَّفَقُ علىٰ صِحَّةِ نسبهِ، الزعتريّ الجلوسي، وإنَّما لُقِّب بذلك لأنَّهُ كثيراً ما يقول اجلسْ بالصلاة على محمد، وله قصص وكراماتٌ مشهُورة ومناقب مأثورة، منها أنَّه كان مرَّةً مع أبيه في الحصَاد وكان يوم الجمعة، فكان وقت الصَّلاة، وطلب من أبيه أن يأذن له في الذهاب/ إلى صلاة الجمعة، فمنعه من ذلك وأراد ضربَهُ ثُمَّ إنَّه التفت فرأىٰ ذلك الزرع الذي يُريدُ حصادهُ قد احترق.

١١٤/أ

ويعتقِدُه الناسُ ويحبُّونَه وكان يلازمنا كثيراً، وهو رجل صغير الجثَّة خفيف الروح كثير الضحك والتبسُّم، كثير التواضع، يلازم زيارة الأنبياء والأولياء ماشياً سواء كان بعيداً أو قريباً.

نور الدين الخليلي

وممَّن حضر عندنا أيضاً، الحسيب النسيب الفاضل الكامل السيد نور الدين الخليلي، وقد قدم إلى عندنا إلى دمشق الشام سابقاً، وقرأ علينا، وحضر عندنا غيرهم من الأفاضل والطَّلبةِ والأعيان.

ثم ذهبنا لَمّا صارت العشيَّة إلى الحرم الشريف الخليليّ مع جماعتنا بهمَّةٍ عَلِيَّةٍ، وجلسنا في الجامع المذكور حتى صلينا المغرب والعشاء، وكان عندنا جماعةٌ من أهل الخليل نتذاكر معهم في المسائل العلميَّة ما يُثلج الحشا.

الحجَرُ الذي عليه أسماء قبور الأنبياء

وزرنا في داخل الجَامع المذكور في الحائط الشَّرقي، خلف مزار ربقة زوجة إسحٰق عليه السَّلام المتقدم ذكرهُ، مكاناً فيه الحجر الذي سبق ذكره، المكتوب عليه بالخط اليوناني القديم أسماء قبور الأنبياء التي هناك، وقد ذكروا لنا أن تحته قبر آدم أبي البشر عليه السَّلام.

قبر آدم

قال الحنبلي في التاريخ بعد نقله قصَّة الحجر التي ذكرناها عنه فيما سبق: وهذا الحجر المنقوشُ موجودٌ إلى يومنا، وقد اشتهر عند الناس مكانه

بمقام آدم، ويُقال إنّ عنده رأس آدم عليه السَّلام، وذكر الحنبلي في موضعٍ آخر عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنَّه قال إن آدم عليه السَّلام، رأسُهُ عند الصَّخرةِ ورجلاه عند مسجد الخليل وفي رواية أنّ قبرهُ في مغارةٍ بين بيت المقدس ومسجد إبراهيم، رجْلاهُ عند الصَّخرةِ ورأسه عند مسجد إبراهيم عليه السَّلام، وقال الحنبلي عند ذكر آدم: وقد اختُلف في دفن آدم، فقيل إن قبره بمغارةٍ بين بيت المقدس ومسجد إبراهيم، رجلاهُ عند الصَّخرةِ، ورأسه عند مسجد إبراهيم عليه السَّلام، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال إن آدم عليه السَّلام عند الصَّخرةِ، ورجْلاهُ عند مسجد إبراهيم الخليل وفي ذلك خلافٌ كثير، انتهى، وقال الهروي في زياراته: وقيل إنّ قبر آدم ونوح وسام في هذه المغارة، يعني مغارة الخليل عليه/ السلام، انتهىٰ، والله أعلم بحقيقة الحال، والزائر له صدق نيته وصحّة عقيدته، فوقفنا وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالىٰ، ثم ذهبنا إلىٰ المنزل لأجل المبيت مع الإخوان، وكانت ليلتنا تلك ليلة الجُمُعة زائدة الإشراق واللمعان، وقد حضر عندنا أيضاً بعد العشاء، جماعات من العلماء والصَّالحين، أهل الصَّلاح والدِّين، من أعيان البلاد، وخواصّ العباد، وجرىٰ بيننا وبينهم أبحاثٌ علميَّةٌ، وكمالاتٌ أدبيَّةٌ حتى قال بعضهم لبعض، قد أكثرنا على الشيخ، وأطلْنا الجلوس عنده، فربما أنه سئم مناووجد الثقل والشدَّة، ثم إنهم ذهبوا وقد بتنا في أرغدِ عيشٍ، على فُرُشِ الوقار والحشمة لا الطيش، حتّى طلع نجم الصَّباح، ونجم طلوع الاصطباح، وهبّت نَسمات الصّبا، وتذكّر بنشاطه الشيخُ زمان الصِّبا، وحيعل فينا المؤذّن يُعلن بالصلاة ويؤذن.

١١٤/ب

اليوم السادس والعشرون

[الجُمعة ١٢ رجب ـ ٢١ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم الجمعة المبارك السادس والعشرون من أيَّام هذه الرِّحلة اللطيفة، والسفرة القدسيَّة الشريفة، فتوجَّهنا إلى صلاة الفجر بالجماعة في جامع الخليل عليه السلام، حتَّى وصلنا في تلك السَّاعة وقد امتلأ الجَامعُ بالناس من أهل المدينة السَّادة الأكياس، فوجدنا الجماعات تتكرر هناك، ولا يكاد يفرغ الجامعُ من العبَّاد والنُّساك، واجتمعنا بعد الصَّلاة بجماعةٍ من الإخوان، وعزمنا على الذهاب إلى زيارة لوطٍ عليه السَّلام، في ذلك المكان، وقد هُيِّئَتْ لنا الخيل فركبنا وسرنا مثل السَّيل، وقد ركب مَعَنا من أهل المدينة جماعات، وكان لنا معهم في الطريق مكالمات ومباحثات، حتَّى وصلنا إلى مسجد اليقين بعد أن قطعنا مفازاتٍ وجبال شامخات فدخلنا إلى المسجد المبارك المتقدِّم، والأثر العتيق المتهدِّم ونظرنا إلى أثر قدم إبراهيم الخليل في صخرةٍ داخل ذلك المسجد، فوقفنا ندعونا الله تعالىٰ، وتبرَّكنا بالحضور في ذلك المكان مع من كان معنا من الإخوان، والظاهر أنَّه كان هناك قرية تسمَّىٰ ياقين.

زيارة النبي لوط

قرية ياقين

قال الهروي في زياراته: ياقين قريَةٌ بها مقام لوطٍ عليه السَّلام، وبها كان يسكن بعد رحيله من زُغَر، وسُمِّيتْ ياقين لأنَّه لما سار/ورأى العذاب قد نزل بقومه سجد في هذا الموضع وقال: أيقنتُ أنَّ وعد الله حق.

١١٥/أ

وقال الحنبلي في تاريخه: وثَمَّ مسجد بناه أبو بكر محمَّد بن اسماعيل الصَّباحي فيه قدم أو مرقد إبراهيم عليه السَّلام لمَّا رأى قريَّات لوط في الهوىٰ وقف أو رقد هناك ثم قال: أشهدُ أنَّ هذا لهو الحقّ اليقين، فلذلك سُمِّي ذلك المسجد مسجد اليقين، وكان بناء ذلك المسجد في شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وفي ذلك يقول الشيخُ إبراهيم بن زقَّاعة العارف بالله تعالىٰ في ديوانه:

مسجد اليقين

آل ياقين في مقابر لوطٍ ... حَوْلَهُ زمرةٌ من الأصحابِ
عمٌّ هذا، وخال هذا خليلٌ ... فلذا صار مجمع الأحبابِ

كتاب اليقين للشيخ محي الدين

وقد وقفنا على رسالةٍ لطيفة مقدار الكرّاسة، تصنيف الشيخ الإمام العارف بالله تعالىٰ الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي رضي الله تعالىٰ عنه سمّاها كتاب اليقين قال في أثنائها: فَلْيَكْفِ هذا القدر، فإنّ الورق عندي معدوم في هذا الوقت، ثم قال في آخرها أيضاً، وقد ضايقنا الوقتُ وعَدَمُ الوَرَقِ، فاختصرنا جهدنا والحمد لله رب العالمين، ثم قال رضي الله عنه: كان السبب في إنشائي لهذا الكتاب، أني زرتُ الخليل عليه السلام ثم خرجتُ من عنده قاصداً إلى زيارة لوطٍ عليه السَّلام، أنا وصاحبيّ الشيخ العارف الصُّوفي ضياء الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرق المرّي، وعفيف الدين أبو مروان عبد الملك بن محمّد بن حفاظ القيسي، فمررنا في طريقنا بمسجد اليقين موضع إبراهيم عليه السلام، فأقام اللهُ في خاطري أن أضع جزءاً في اليقين في هذا المسجد المعروف باليقين، فاستخرتُ الله وقيَّدتُ هذا الجزء بالموضع المذكور في يوم الزيارة، وذلك يوم الأربعاء الرابع عشر من شوّال سنة اثنتين وستمائة، وأسمعته صاحبيَّ بقراءتي وصلّينا الظهر في ذلك الموضع وانصرفنا إلى لوط عليه السَّلام، نفعنا الله وإياهما وجميع المسلمين بالعلم آمين بعزّته.

وكان السَّبب الذي سميّ هذا الموضع مسجد اليقين، أنّ الخليل إبراهيم عليه السَّلام، كانت الملائكة التي بَشَّرتْه بإسحٰق عليه السلام قد نزلت بذلك الموضع وأخبَرَتْه أنّها تسير إلى لوطٍ بإهلاك قومه، وأمَروهُ بلزوم ذلك الموضع / حتى يأتي إليه لوط، عليه السلام، فلم يزل بذلك الموضع حتّى أبصر مدائن قوم لوطٍ في الهواء، وسمع ضجيجهم، وهو قوله تعالى ﴿**فجعلنا عاليها سافِلها**﴾[1]، فعندما أبصر ذلك سجد لله في هذا الموضع، وأثّر نزوله

١١٥/ب

(١) سورة الحجر/٧٤.

في القفر، وقال أشهدُ أن هذا هو الحقّ اليقين، وفي موضع سجودي أنشأتُ هذا الكتاب، ولهذا سمّيناه بهذه الاسميّة، ورأينا أن نتكلّم فيه على اليقين، دون غيره من المقامات، للمناسبة التي أعطاها الموضع. انتهى كلام الشيخ رضي الله عنه.

ولعلّ هذا الموضع في زمان الخليل عليه السّلام لم يكن عليه شيء من البناء، وكان مكاناً قفراً أي خالياً من الماء والكلأ، ولكن اسمه مسجد اليقين لأنّه موضع سجود إبراهيم عليه السلام، ثم بُنِيَ هذا البناء عليه كما تقدم في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، ودَخَله الشيخ رضي الله عنه وهو مبنيٌّ، ثم خرجنا من ذلك المسجد إلى مغارةٍ هناك، يُقال إن فيها بنات لوطٍ عليه السلام اللاتي قال الله تعالى في حقّهن حكاية عنه عليه السّلام ﴿**هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم**﴾[1] الآية، فوقفنا وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى.

مقام بنات لوط

قال الحنبلي في تاريخه: وبظاهر المسجد مغارةٌ بها قبر فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وعند قبرها مكتوب على رُخامةٍ بالكوفي:

أسكنتُ من كان في الأحشاء مسكنه	بالرَّغم منّي بين الترب والحجرِ
أفديكِ فاطمةً بنتَ بنِ فاطمةٍ	بنتَ الأئمةِ بنت الأنجمِ الزّهْرِ

ثم ذهبنا إلى زيارة نبي الله لوط عليه السّلام في قرية يقال لها كَفْر البريك بفتح الكاف وسكون الفاء وفتح الباء الموحَّدة بعدها راءٌ مكسورةٌ ثم ياءٌ مثنّاة تحتية آخره كاف، والآن يقال لها قرية بني نُعيم[2] بالتصغير، فدخلنا إلى الجامع الذي هناك وفيه قبر لوط عليه السلام، قبالة الشباك، فوقفنا وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالى على وجه الاشتراك.

قريةُ بني نعيم
أو
كفر البريك

(١) سورة هود/٧٨.

(٢) بلدة عربيّة على بُعد ثمانية كيلو مترات من شرق الخليل، وسكانها اليوم بحدود. خمسة آلاف نسمة تقريباً. الموسُوعة ١/٤٢٨.

قال الشيخ إبراهيم الأسيوطي رحمَهُ الله في إتحاف الأخصّا: ولوط عليه السلام ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السَّلام، قال الثعلبي، وإنما سُمِّي لوطاً لأنَّ حبَّه ليط بقلب إبراهيم، أي تعلَّق ولصَق، وكان إبراهيم عليه السلام يحبُّه حباً شديداً[1]، انتهى.

ثم خرجنا إلى صحن ذلك المسجد، وذهبنا في غربيِّه تحت الرواق إلى مغارة مفتوحٍ فمها، يقال إن فيها / أربعين نبياً مرسلاً، فوقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودَعَوْنا الله تعالى.

١١٦/أ

قبر لوط

قال الهروي في زياراته: كَفْرُ البريك، قريةٌ بها قبر لوط عليه السلام وقبر إبراهيم ابن أدهم، والصحيح أن إبراهيم بجبلة على ساحل البحر، انتهى.

وقد بشَّرَنا بعض المجاذيب ونحن في دمشق قبل سفرنا إلى زيارة بيت المقدس، بأننا نزور إبراهيم بن الأدهم قدَّس الله سِرَّهُ، وكان مرادنا الذهاب إلى جبلة واللاذقية لزيارته، فلم يتيسَّر لنا ذلك، فزرناه في هذه القرية على ما قيل، لعلَّه هو الصحيح الذي كوشِف به ذلك المجذوب، وقد حصلت لنا بشارتُه والحمد لله تعالى.

وقال الحنبلي في تاريخه: وأمّا قبر لوطٍ عليه السَّلام فهو في قريةٍ تُسمّى كفر البريك، عن مسجد الخليل عليه السلام نحواً من فرسخ، ونَقل أنَّ في المغارة الغربية تحت المسجد العتيق ستين نبياً، منهم عشرون مرسلة. وصار هذا المكان مشهوراً يُقصد ويُزار.

وقال الأسيوطي رحمَهُ اللَّهُ تعالى، بعد ذكره هذه العبارة: وقد كان قبر لوطٍ عليه السَّلام يُزار ويُقصدُ من قديم الزمان، بنقْل الخلف عن السَّلف،

---

(١) لوط بن حاران أخي إبراهيم، سافر معه من بلاد الرافدين إلى أرض كنعان انظر قاموس الكتاب المقدس/٨٢١

أبيات لابن زقاعة في قبر لوط وآله

انتهى. وفي ذلك يقول الإمام العارف بالله تعالى الشيخ إبراهيم بن زقاعة الخليلي في ديوانه:

وبكَفْر البريك بُورك فيها ... قبر لوط النبيّ بغير ارتياب
في مقام وجامع ورواق ... نوره ساطعٌ بتلك الرحَاب

وقال أيضاً:

ومشهدٌ فيه لوط زرتُه فبدتْ ... أنوارهُ بيقين عند ياقين

وقال أيضاً في قصيدته التائيَّة:

والرأسُ من قيطون يمشي حَدُّهُ ... للأربعين إلى أراضي اللوزةِ[1]
والأرمنيُّ رفيقه ورسيلهُ ... جبل اليقين مع الجنان بجملةِ
وبنات لوطٍ قد قُبِرْنَ برأسِهِ ... وضريح لوطٍ شرقُه ببريكةِ
كَفْرُ البريك وفيه حصن جامعٌ ... فيه المزار فيا هنا الزوَّارةِ

وقد قُلنا نحن من النظام، في هذا المقام:

قصيدة النابلسي في قبر لوطٍ وآلِهِ

مقامُ لوطٍ نبيّ الله معمورُ ... في أرض حبرون بالخيرات مغمورُ
/وشرَّف اللَّهُ هاتيك البقاع به ... فمن أتاه بصْدق فهو مأجُورُ

١١٦/ب

وقبرُه سِرُّه كالشَّمس ظاهرةٌ ... وفوقَه عَلَمٌ للقُرب منشورُ
في قريةٍ سُمِّيت كفر البريك سَمَتْ ... بمن بها مع من داناهُ مقبورُ
واليوم فيها جماعات يُقال لهُمْ ... بنو نعيم كما قد قال جمهورُ
في الصيف عنها تراهم يذهبون وفي ... فصلُ الشتاء إليها الكلّ محشورُ
ومَسْجِدٌ، أُنْسُهُ يبدو لزائرهِ ... إذا بدا نورهُ لم يبْقَ دَيْجُورُ
ورفرفٌ ورواقٌ عن مدائحه ... منّا، يُقصِّرُ منظومٌ ومنثورُ
جئنا إليه نرى الإمداد مِنْهُ لَنا ... فيما نُحاول، والتقصيرُ مغفورُ
والأربعون نبيّاً في مغارتهم ... موسَّدون إلى أن ينفخ الصُّورُ
زرنا فم الغار منهم وهو مشتملٌ ... بهم على مثل ما قد حازهُ الطورُ

---

(١) في النسخة الثالثة: اللؤلؤة.

بنـــات سيدنـــا لـــوط هنـــاك وقـــد زرنـــا لهم مشهـداً من دونـــه ســـورُ
وللخليـــل رأينـــا في الصَّفَا قَــدَمـــاً قد غاص، وهو له في الناس مشهورُ
هم آل يـــاقين لا زالت فـضـــائلهـم تسمـــو، ومنهم علينـــا يُشـــرق النُّورُ
وبـــاليقين تُسمِّي النـــاس مسجـــدهم من زارهم فـهـــو بـــالأنـــوار مسرورُ
لا زال فضـــلٌ من الـرحمن يشملهم ورحمـــةٌ روضُهـــا بـــالغيث ممـــطورُ
مـــا أشرقت في دجىٰ أفقٍ كـــواكبُه ومـــا تغنّى على العيـــدان شحـــرورُ

قرية سيعير

ثم لمّا فرغنا من الزيارة، وحطّ كلٌّ منا في ذلك المقام أوزاره، توجّهنا راجعين إلى بلاد الخليل من غير ذلك الطريق الأول وذلك السبيل، فعزمنا على زيارة العيص بن إسحٰق بن إبراهيم عليهم الصَّلاة والسَّلام، في قرية تُسمّى سيعير[1]، وهي الفاصلة بين بلاد الخليل والقدس، ثم خِفْنا أن تفوتنا صلاة الجمعة في جامع الخليل فأعرضنا عن ذلك، ووقفنا نحاذي تلك القرية، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بنيَّة الزيارة لما هنالك.

قال الحنبلي في تاريخه: وبالقرب من مدينة سيدنا الخليل عليه السلام قرية تُسمّى سيعير، وهي الفاصلةُ بين عمل القدس والخليل، بها قبرٌ بداخل / مسجدها، يُقال إنه قبر العيص عليه السَّلام، وقد اشتهر ذلك عند الناس وصار يُقصد للزيارة والله أعلم، والعيص أخو يعقوب، وهما ولدا إسحٰق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام.

١١٧/أ

يعقوبُ

قال الحنبلي في ترجمته ليعقوب: سُمِّي يعقوباً لأنه كان هو والعيص تَوْءَمَيْن فخرج من بطن أمّه آخذاً بعقب أخيه العيص، قيل وفيه نظر، لأن هذا اشتقاق عربيّ ويعقوب اسم أعجمي[2]، انتهى.

الشيخ إبراهيم الهذْمة

ثم أُخبرنا أنّ بالقرب من قرية سيعير المذكورة قبر الشيخ إبراهيم الهذْمة[3] رحمةُ

---

(١) في الموسوعة الفلسطينية ٥٥٣/٢: سَعير: على بعد ٣ كم من شرقي حلحول. وسكانها اليوم يتجاوزون خمسة آلاف.

(٢) يعقوب اسم عبري معناه. يعقب، يمسك العقب، يحلّ محلّ، وقد اشتق اسمُهُ لأنه كان ممسكاً بعقب أخيه البكر عيسو. أو العيص. قاموس الكتاب المقدس/١٠٧٣.

(٣) انظر: جامع كرامات الأولياء ٤٠٢/١، والأنس الجليل ١٥٣/٢.

الله تعالى وهو رجل من الأولياء الصَّالحين المشهورين، أصحاب الكمالات واليقين، فوقفنا حين حاذينا ذلك، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى.

قال الحنبلي في تاريخه: الشيخ إبراهيم الهدمة، أصلُه كرديّ من بلاد الشَّرق قدم الشَّام، وأقام بين القدس والخليل، في أرض اختارها وعُيِّنَ بها وزرع فيها، وكان يقصد للزيارة، وظهرت له كرامات، وقد بلغ من العمر مائة سنة، وتزوَّج في آخر عمره ورُزق أولاداً صالحين، وحُكي أنَّه كان يُصرفُ له من سماط الخليل عليه السلام في كل يومٍ عشرة أرغفة، وكانت تُجمع له من أوَّل الأسبوع إلى آخره، فيحضر في آخر يومٍ من الأسبوع، فيوضع له الخبز عن جميع ذلك الأسبوع، ويفتُّه في وعاء ويضع عليه الحشيشة من السّماط الكريم فيأكله جميعه، ويستمرُّ بقية الأسبوع لا يأكل شيئاً، توفي في جمادى الآخر سنة ثلاثين وسبعمائة، ودُفن بالقرب من قرية سيعير بين القدس والخليل، انتهى.

ثم سِرْنا إلى جهة بلاد الخليل رغبةً في صلاة الجُمُعة في ذلك الجامع الجليل، فوصلنا في وقت الجمعة، ودخلنا الجامع مع الإخوان فصلينا بلا رياء ولا سُمعة، وأدركنا ذلك الجمع العظيم في ذلك المقام الكريم، ثم لمّا قُضيت الصلاة وأردنا الانتشار في الأرض، والمسير بقصد الزيارة في طولها والعرض، فدعانا صديقنا الأجلّ الشيخ أحمد المرواني المتقدم ذكره إلى الحضور معه في حلقة الذكر على طريقة القادرية، فحصل لنا التبرّك بذلك مع إخواننا، وإنّما / الأعمال بالنيَّةِ، فتواجدت الأقوام، وتراسلت هاتيك الخواصّ والعوامّ، بالقرب من مزار إسحٰق الغيور عليه الصّلاة والسَّلام، حتى أذَّن العصرُ، وحصل للمؤمن على شيطانه الغلبة بذكر الله والنصر، فصلَّينا تلك الصَّلاة مع الجماعة، وربحنا في أشرف تجارةٍ وبضاعةٍ، ثمّ دعونا الله تعالى، وقرأنا الفاتحة لتلك الأنبياء السّاكنين في ذلك الجامع، وتملَّينا بنورهم ذلك السَّاطع اللأمع، ثم ذكر لنا مجذوبٌ هناك، قاطن في مسجد وليّ الله الشيخ أحمد بن عثمان التميمي، واسم ذلك المجذوب الشيخ عبد الله زيتون، فقصدنا زيارتَهُ في ذلك المسجد المذكور مع إخواننا لتحصيل المثوبات والأُجور، وعزمنا بعد زيارته على زيارة مغارة الأربعين، المشهورة هناك بين أهل الصَّلاح والدّين، فلمّا دخلنا على ذلك

حلقة ذكر قادريَّة

١١٧/ب

زيارة مجذوب

المجذوب، وهو من أهل الأحوال وسلامة القلوب، سلّمنا عليه فترحّب بنا، وضحك لنا، ثم قال كلاماً معناه أنتم تريدون زيارة الأربعين في هذا الوقت وهو آخر النهار، فلو زرتُموه في الصَّباح كان أسهل عليكم، ولكن هذا تيسَّر، فنعم الزيارة ونعم المزار، وظهر لنا منه بعض إشارات، بخفيِّ العبارات وهو رجلٌ مُهاب، لأهل تلك البلاد فيه اعتقاد وهو الصَّواب، وإذا رأيتَهُ حسبتَ ثيابَهُ ثياب زيّات، فكلما ألبسوه ثياباً جديدةً يجدونها ملطَّخةً بالزيت كلما أصبح وبات، ويلقبونه بالشَّعال لأنّ بعضهم وجده يُشْعِلُ القناديل في جامع النبي ﷺ في المدينة المنوَّرة وهو لم يخرج من بلاد الخليل عليه السَّلام أصلاً، وهو قاطنٌ في ذلك المسجد منذ سنين لا يخرج مِنْهُ، ولم يرهُ أحدٌ ذهب إلى جامع الخليل، لا ليلاً ولا نهاراً، فطلبنا منه قراءة الفاتحة والدعاء، فقرأنا معه الفاتحة ودَعَوْنا الله تعالىٰ نحن وإخواننا الحاضرون، ثم توجَّهنا إلى ما كنّا قصدناهُ من زيارة الأربعين، ومعنا جماعة من تلك البلاد التي اسمها حبرون، فركبنا متن ذلك الطريق، وصعدنا تلك العقبة الكؤود وذلك / الفج المضيق، حتى وصلنا منه إلى شجرةٍ كبيرةٍ جدّاً، وقد عمَّروا حولها مصطبةً كبيرةً بالحجر والكلس، وتحتها عين من الماء يُنزل إليها بدرج، وقد قيل إنَّ بعض الناس وجدَ الأربعين من رجال الغيب جالسين تحتها، ثم صعدنا إلى تلك المغارة المشهورة بمغارة الأربعين، وهي في داخل مسجد لطيف جامع للصَّالحين أهل الكمال والتشريف وهناك خادم يسكنها بأهله وعياله، ويُقال إنَّ هذه المغارة متصلة بمغارة الخليل عليه السَّلام، فجلسنا هناك في ذلك المسجد عند فم المغارة نحن والإخوان، وأضافنا الخادم بما تيسَّر من جملة ألوان، ثمَّ قرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى، وتوجهنا إلى زيارة الشيخ الإمام العالم العلاَّمة الهُمام الشيخ محمد سَعيد الخليلي، فلمّا دخلنا عليه وقفنا قبالة مزار الشيخ يحيىٰ المدفون هناك في ذلك البيت، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى بجزم المسألة ولم نقُلْ لعلّ ولا لَيْت.

١١٨/أ

مغارة الأربعين

الشيخ محمد سعيد الخليلي

ثم أقبلنا على الشيخ محمد المذكور فتلَّقانا بكمال المسرَّة والحبور، وجلسنا معه في ذلك المكان، وأضافنا بما تيسَّر على حسب الإمكان، ثم قرأنا الفاتحة معه ودعونا الله تعالى في السرّ الإعلان، ثم خَرجنا وقابلنا مزار الشيخ علي البكّا المتقدم ذكرهُ،

فقرأنا معه الفاتحة ودعونا الله تعالىٰ، ثم مشينا فزرنا الشيخ أحمد الزّاهد، ثم زرنا الشيخ الإمام العارف بالله تعالىٰ أبا بكر الشبلي على حسب ما يُقال إنه هناك، وزرنا الشيخ الإمام برهان الدين الجعبري، شارح الشاطبية وصاحب الديوان المشهور[1]، وبقية الجعابرة المدفونين هناك في تلك التربة، وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالىٰ، ثم زرنا الشيخ أحمد عُوَيْصي، بضم العين المهملة وفتح الواو وسكون الياء التحتية ثم صاد مهملة ،بعدها مثّناة،وزرنا أيضاً الشيخ محمد كنفوش العجمي بفتح الكاف والنون وضمّ الفاء وسكون الواو وبالشّين آخره، وبعضُهم يقوله بالعين المهملة مكان الفاء ،ومزاره بالقـرب من البركَةَ التي هناك، ثم زرنا الشيخ عبد الرحمن الهواري، وزُرنا الشيخ حسن بن الشيخ أحمد الجنيد، وزرنا الشيخ / ريحان والشيخ سُمّاق، وزرنا في مقابلته الشّيخ مكحِّل والشّيخ شُنيط بالشين المعجمة مصّغراً والشيخ النارنجي، كل واحد في مكانه المخصوص به، وهم أولياء معروفون عند أهل الخليل يقصدونهم للزّيارة ويتبرّكون بهم، ثم زرنا الشيخ عمر المجرّد بفتح الرّاء، وكسرها، في زاويته المشهورة، ووقفنا عنده وقرأنا الفاتحة ودَعَوْنا الله تعالىٰ.

زيارة مجموعة من الصالحين

١١٨/ب

قال الحنبلي في تاريخه: الشَّيخ القدوة أبو حفص عمر بن نجم الدّين بن يعقوب البغدادي ثم المقدسي المعروف بالمجرَّد، أقام ببلد سيدنا الخليل عليه السّلام في سنة خمس وسبعين وسبعمائة، وبنى زاويةً في غاية الحسن بناءً ومنظراً، وكان شيخاً خيِّراً يلبس على رأسه قبْعاً من غير عمامة، توفي في ذي الحجة في سنة خمس وتسعين وسبعمائة ودفن بزاويته بمدينة سيدنا الخليل عليه السلام.

الشيخ عمر بن نجم الدين يعقوب

ثم جئنـا إلى منزلنـا المـذكـور، وبتنـا مـع الإخـوان في أكمـل سـرور، وحضـرتْ عنـدنـا أهـالي تلك البـلاد، ونحن في المـذاكـرة العلميَّـة ولـطائف الإنشاد، إلى أن طلع الصباح، وأشرقت تلك النواحي بوجوهها الصِّباح.

---

(١) عبد الكريم الجعبري، توفي سنة ٩٢٣هـ في دمشق وله شرح الشاطبية في القراءات، معجم المؤلفين ٥/٣١٧.

اليوم السابع والعشرون

[السبت ١٣ رجب ـ ٢٢ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم السَّبت المبارك السابع والعشرين من أيام هذه الرّحلة التي كنّا في سفرها نتشارك، فذهبنا إلى جامع الخليل، وصلينا هناك الفجر وحصلنا على الثواب الجزيل، وودّعْنا هاتيك المشاهد الشريفة والحضرات اللطيفة، والمزارات العظيمة، والآثار القديمة، وقرأنا الفاتحة عموماً وخصوصاً، والتمسنا البركات أدلَّةً ونصوصاً، ثم خرجنا من ذلك الجامع بقلبٍ موجع وجفنٍ دامع، وركبنا مع الإخوان، وسار معنا لوداعنا بعض الأصدقاء والخلاَّن، ثم وقفنا قبالة زاوية الشيخ علي البكّا، وقرأنا الفاتحة لعموم المزارات، ودعونا الله تعالى بأنواع الدعوات، ثم فارقنا بعض من كان معنا، وزاد البعض على ذلك، فوصل معنا إلى الأبعد من هاتيك المسالك، ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى قرية حلحول، لزيارة نبي الله يونس بن متى الرسول، فدخلنا إلى قريةٍ ليس فيها أحد / من الناس، لأنَّهم خرجوا منها إلى بيوت من الشَّعر غير محتاجة إلى الأساس، وتلك عادتُهم أنَّهم يأتون للقرية في أيام الصيف لجمع الغلَّة، ويذهبون في أيام الشتاء إلى الغور لدفع ألم البرد والعِلّة، فرأينا ذلك الجَامع، وتلك المنارة، وشهدنا ذلك النّور اللامع، وفهمنا تلك الإشارة، ودخلنا فزرنا ذلك الضريح، والتمسنا البركة من ذلك النور المحض الصَّريح، ووقفنا على الأقدام، وقرأنا الفاتحة بكمال الإقبال والإقدام، ودعونا الله تعالى لجميع الإخوان في السرِّ والإعلان.

قرية حلحول

١١٩/أ

قال الحنبلي في تاريخه: وقبر سيدنا يونس في قريةٍ بالقرب من بلد سيدنا الخليل، عليهما الصَّلاة والسَّلام، على مسافة قريبة، تسمى حلحول، وهي على طريق بيت المقدس، وصار على قبره مسجد ومنارة، وقد اشتُهر أمرهُ أيضاً وصارَ يُقصد للزيارة.

قبر يونس بن متى

وقال الهرويُّ في الزيارات: حَلحُول قريةٌ بها قبر يونس عليه السلام، وقد زرناه في مواضع أُخَرْ، انتهى.

وقد اشتهر قبر يونس عليه السلام في بلاد الموصل، وقال ابن زقاعة رضي الله عنه في ديوانه من قصيدة:

أبيات لابن زقاعة

ويونُس في حمىٰ حلحول حلّ بها ... وفي المزامير قد تسمّى بِهَلْهُونِ

يعني حلحول تُسمى في مزامير داود عليه السلام هلهون بالهاء، مكان الحاء المهملة، وقال أيضاً من قصيدة أخرى:

وضريح يونس عند حلحول ومِنْ ... شرقيّه في الراسِ قبر الهِدْمةِ

وهو الشيخ إبراهيم بن الهدمة الذي ذكرناه فيما تقدَّم.

مواليا للشيخ النابلسي

ولنا في زيارتنا لنبيّ الله يونس عليه السّلام من المواليا قولنا:

إنْ أوحشت غربة، لي زورة تونس ... لمن أحبّ ولو قد كان في تونُسْ
بالصّالحين التبرُّك مُذْ لنا يونس ... أرض الخليل بها زُرنا النبي يُونُسْ

يونس بن متّى

وقال الحنبلي في تاريخه: يونس بن متّى، قيل متّى أبوه وقيل أمُّهُ، والذي عليه أكثر العلماء أنّه أبوه، ونقل الملكُ المؤيد[1] صاحب حماة في تاريخه أن متّى أمّه، قال ولم يشتهر نبيٌّ بأمّه غير عيسىٰ / ويونس عليهما السّلام، ومتّى مدفون بقريةٍ يقال لها بيت آمر، وكان رجلاً صالحاً من أهل بيت النبوَّة، انتهى.

١١٩/ب

البُرك الثلاث

ثم لم نزل سائرين، ولجماعتنا في الطريق مسايرين، حتى أشرفنا على البرك التي يجتمع فيها الماء، ويجري إلى مدينة القدس[2]، فنزلنا هناك،

---

(١) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن علي... بن نجم الدين أيوب، من سلالة ملوك بني أيوب في حماه، توفي سنة ٧٣٢ هـ، وقد طبع كتابه أكثر من مرّة، والكلام المذكور في النص منقول من الصفحة الخامسة والأربعين من الجزء الأول، طبعة دار الكتاب اللبناني.

(٢) هي عيون سلوان، وكانت المصدر الوحيد لتموين القدس بالمياه، وقد حفر اليبوسيون نفقاً لجرّ هذه المياه إلى يبوس وبقي بعدهم طويلاً، الموسوعة ٢/ ٥٨٠.

وأرحْنا الرَّواحل والرَّماك، وهي ثلاث برك، كلُّ واحدة أعلى من الأخرى، ملآنة من الماء المجتمع من الأمطار والسُّيُول، ومن عينٍ هناك لطيفة المجرى، ومقدار كل بركة منها نحو المائة ذراع في الطول، وقريب من ذلك في العرض، والعمق لم نعلمهُ لامتلائه بالماء، وظننا أنَّه نحو العشرة أذرع في الأرض، وهناك قلعة مبنية بالأحجار، مؤسسة على الصخور الكبار، وفيها رجل من الفلاحين يسكنها بأهله وأولاده وأعوانه وأجناده، لأجل حراسَةِ تلك البرك من الإفساد، ومع ذلك يتعدَّى بعض العرب والفلاحين على مجرى الماء منها إلى المدينة، فيخربه من فرط العتوّ والعناد، حتى يحتاجوا إلى إصلاحه، وتسوية ما انكسر من جناحه، ثم لمّا أخذنا حظّنا من النزول، وكنّا سِرْنا من بلاد الخليل بعد طلوع الشمس بأكثر من ساعة رملية، ومكثنا حصَّة في قرية حلحول، ثم ركبنا وسِرنا على ظهور رواحلنا والخيول، وكان ذلك قُبيل وقت الظهر، فجاوزنا البركَ قليلاً، فصادفْنا صديقاً خرج من مدينة القدس إلى ملاقاتنا وخليلاً، ثم سِرْنا حصَّة من الزّمان، فعرض لنا أن نزور قرية بيت لحم، لأجل ما اشتملت عليه من المزارات الرفيعة الشّان.

بيت لحم

قال الهروي في زياراته: بيت لحم بلدةٌ[1] بها مولد عيسىٰ عليه السلام، ويقال إن داود وسليمان قبراهما فيه، وبهذه الكنيسة آثار وعمارة عجيبةٌ من الرخام والفصّ المذّهب والعُمُد، وتاريخ عمارتها يزيد على ألفٍ ومائتي سنة[2]، منقور في حجر لم يتغيَّر إلى زماننا هذا، وبه محراب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم تغيِّرهُ الفرنج إلى الآن، وذكر قبل ذلك في

(١) مدينة قديمة منذ ٢٠٠٠ ق.م وكانت تسمى (بيت إيلو لاهاما) أي الإله لاحاما، وهو اسم كنعاني، وفيها ولد داود والسيد المسيح عليهما السّلام، انظر الدراسة الموسعة عنها في الموسوعة الفلسطينية ١/٤٥٧ وما بعد.

(٢) بنتها الأمبراطورة هيلين أم قسطنطين سنة ٣٣٠ م، ثم هُدمت فأعاد بناءها الأمبراطور جستنيان في القرن السادس وسميت كنيسة المهد، وهي ليست أقدم كنيسة في العالم لأن أقدم كنيسة في العالم هي كنيسة وجدت في دورا أوروبس وتعود لسنة ٢٣٢ م انظر قاموس الكتاب المقدس/٢٠٦ وتاريخ سورية ولبنان لفيليب حتي ١/٤٠٥.

١٢٠/أ زيارات / طبريَّة وأعمالها، قال: من شرقي بحيرتها قبر سُليمان بن داود عليهما السلام، والصَّحيحُ أن سُليمان دُفن إلى جانب أبيه داود عليهما السلام في بيت لحم، وهما في المغارة التي فيها مولد عيسىٰ عليه السَّلام، انتهى.

وقال الإمام العلاَّمة شهاب الدين الخفاجي في حواشيه على القاضي البيضاوي الذي في اللغة والتاريخ: إن عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام وُلد في سنة أربع وثلاثمائة لغلبةِ الاسكندر[1]، في بيت لحم من القدس، ثم سارت به أمُّه إلى مصر، ولمّا بلغ ثنتي عشرة سنة عادت به إلى الشَّام، إلى آخر عبارته.

أحاديث الإسراء

وقال الشيخ شهاب الدين أحمد بن سرور المقدسي في كتابه مثير الغرام: روينا في سنن النسائي من طريق يزيد بن أبي مالك قال: حدثنا أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: أُتيتُ بدابَّةٍ دون البغل وفوق الحمار، خطوها عند منتهى طرفها، فركبتُ ومعي جبريل فسِرتُ، قال: فصلِّ، ففعلتُ، فقال أتدري أين صلّيتَ، صلَّيتَ بطور سيناء حيثُ كلَّم الله موسىٰ، ثم قال انزل فصلِّ، فنزلتُ فصلَّيتُ فقال أتدري أين صلَّيتَ، صلَّيت ببيت لحم حيث ولد عيسى، ثم دخلتُ بيت المقدس فجُمعت الأنبياء فقدَّمني جبريل حتى أممتُهم، ثم صعد بي إلى سماء الدنيا، الحديث، وإسناده صحيح، انتهى.

صلاة محمد عليه السلام في بيت لحم

وقال الحنبلي في تاريخه: بيت لحم، قريةٌ قريبةٌ من القدس، وهي منها نحو ربع بريد من جهة القبلة وبها مولد سيدنا عيسىٰ عليه السّلام، وقد ورد في حديث المعراج أنّ جبريل عليه السَّلام قال للنبيِّ ﷺ حين أُسْريَ به، انزل

---

(١) يبدأ التقويم المنسوب للاسكندر في ١١ أكتوبر - تشرين الأول سنة ٣١٢ ق.م وهو التاريخ الذي انتصر فيه القائد اليوناني سلوقس على منافسيه واحتلّ بابل، أما عن ولادة المسيح عليه السلام، فقد ولد سنة ٧٥١ رومانيّة وهي تعادل سنة ٣١٢ للاسكندر وليس ٣٠٤. وهناك من قال إنه ولد سنة ٧٥٤ رومانية. انظر كتابنا: التقويم الهجري والميلادي: تقويم الإسكندر والتقويم الميلادي.

فصلِّ، فنزل وصلّى، فقال أتدري أين صلّيتَ قال الله أعلم، قال صلّيت ببيت لحم، حيث وُلد عيسى بن مريم، انتهى.

وأورد هذا الحديث بتمامه الحافظ بن سرور المقدسي في مثير الغرام، مُعْزًى إلى كتاب دلائل النبوّة، من حديث جبير بن نفير عن شدّاد بن أوس، ثم قال في آخره: قال البيهقيُّ هذا إسناده صحيح، قال في الروض المستأنس في زيارة بيت المقدس: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: ليلة أُسري بي إلى بيت المقدس، مرَّ بي جبريل عليه السَّلام إلى قبر إبراهيم، ثم مرَّ بي ببيت لحم فقال: إنزل فصلِّ هاهنا ركعتين، فإن هاهنا وُلد / أخوك عيسىٰ بن مريم، ثم أُتي بي إلى الصَّخرة، وذكر الحديث بطوله[1]، وقال الحنبلي بعد ذكره الحديث: وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يبعث زيتاً يُسْرج في بيت لحم، حيث وُلد عيسى عليه السَّلام، وغالب سكانها في عصرنا نصارىٰ، وبها كنيسةٌ محكمة البناء، بها ثلاث محاريب مرتفعة، أحدها إلى جهة القبلة الشريفة، والثاني إلى جهة الشَّرق، والثالث إلى جهة الصَّخرة الشريفة، وسقفها خشب مرتفع على خمسين عموداً من الصُّفر الأصفر الصلب، غير السَّواري المبنيَّة بالأحجار، وأرضها مفروشةٌ بالرّخام، وعلى ظاهر سقفها رصاص في غاية الإحكام، وهذه الكنيسة من بناء هيلانة أم قسطنطين، ومولد عيسى عليه السَّلام فيها، في مغارةٍ بين المحاريب الثلاثة، وللنصارىٰ فيها اعتقاد كثير، ويرد إليها من بلاد الفرنج وغيرها أموال كثيرة للرهبان المقيمين بالدّير المجاور للكنيسة، وقال أيضاً[2] في محلٍّ آخر: وقد قيل إن تسمية بيت لحم، وكذلك بقية القرى، مما حوالي بيت المقدس، كبيت جالا وبيت نوبه، وكل ما كان أولّه «بيت» إنّما سمّي بذلك لأنه كان مسكناً لنبي من أنبياء بني إسرائيل، فيُقال فيه بيت فلان نسبة لساكنه، والله أعلم.

١٢٠/ب

كنيسة المهد

سبب تسمية القرى بـ: بيت

---

(١) عن الإسراء وما ورد فيه من أحاديث في كتب السنّة المعتبرة انظر مفتاح كنوز السنة/٨٢.

(٢) الحنبلي.

أينَ وُلد المَسيحُ؟

وقال الإمام ابن كثير رحمَهُ الله تعالى في تاريخه[١]، في الكلام على قصَّة مريم، عند قوله تعالى ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة﴾[٢] أي فألجأها واضطرها الطلقُ إلى جذع النخلة، وهو بنصِّ الحديث الذي رواه النسائي بإسناد لا بأس به عن أنسٍ مرفوعاً، والبيهقيُّ بإسنادٍ صحَّحهُ عن شداد بن أوس مرفوعاً أيضاً: بيت لحم، الذي بنىٰ عليه بعض ملوك الروم فيما بعد هذا البناء الهائل المشاهد، وقال بعدَهُ في مكان آخر من التاريخ المذكور: وزعم وهبُ بن منبه، ثم أن عيسى عليه السَّلام وُلد بمصر، وهذا لا يصحّ، والحديث الذي تقدَّم ذكره دليل على أنَّ مولدهُ كان ببيت لحمٍ كما ذكرنا، ومهما عارضَهُ فباطل، انتهى.

فنزلنا إلى هذا المكان، وزُرنا مولد عيسى عليه السلام بالإجلال والإذعان، وهناك مكان النخلة المذكورة في القرآن، فوقفْنا وقرأنا الفاتحة، وذعونا الله تعالى لجميع الأحباب والخلاّن، ولجميع أهل الإسلام والإيمان /وقد قلنا في ذلك من النظام على حسب ما اقتضاهُ المقام:

١٢١/أ

شعر للنابلسي في بيت لحم والمسيح

قد أتينا لقرية ونزلنا ... منزلاً كان لابن مريم يحمي
إنَّ عيسى المسيح روحٌ شريفٌ ... مثل نارٍ قد أجَّجوها بفحمِ
كسواهُ من المواليد لكن ... هو لا عن أبٍ له الفرج أحمي
قريةٌ مهدُه بها حيث زرنا ... ومكان لنخلةٍ ذات شحمِ
كان فيها له ولادةُ جسمٍ ... فلهذا قد سُميت بيت لحمِ

زيارة مغارة عيسى

وقد زرنا هناك في المغارة مهد عيسىٰ عليه السَّلام، وهو الذي كانت أمُّه تضعُه وهو رضيع وقت المنام، وعليه قناديل موضوعة، من الذهب مشعولة في الليل والنّهار، والمغارة مزينةٌ بأنواع الأقمشة وأمتعة الديباج والنضار، حتى إنَّ مهبط رأسِه عليه السَّلام، غائصٌ في الصَّخر، وقد زمّكوه بالذهب ووضعوا فيه الماورد للتبرُّك، وعليه القناديل الموقُودة من الذَّهب في جميع الأوقات، ومكان

---

(١) البداية والنهاية٢/٦٦.

(٢) سورة مريم/٢٣.

جذع النخلة نقرة في الأرض صغيرة مزمّكة أيضاً بالذهب وعليها القناديل من الذهب أيضاً، مشعولةً في جميع الحالات.

قال البيضاوي: وكانت النخلةُ يابسة لا رأس ولا ثمرة، وكان الوقت شتاءً، انتهى، ولعلّ تلك المغارة هي المكان القصيّ الذي قال الله تعالى فيه **﴿فحملتْهُ فانتبذت به مكاناً قصيّاً﴾**[1] حيث كانت الولادة فيها وكان جذع النّخلة فيها، وهي المراد بوراء الجبل الذي ذكرهُ البيضاوي، حيثُ قال في قوله تعالى «مكاناً قصيّاً» بعيداً من أهلها وراء الجبل، وأقصى الدار، انتهى، ولم يقل المغارة لاحتمال أنّهم بنوها بعد ذلك فهي على شكل المغارة، ولعلّ دارها التي كانت تسكن فيها مع زكريا عليه السلام كانت هناك، حيث كفِلها وقام بمصالحها، والله أعلم بحقائق الأحوال.

سكان بيت لحم وصناعتهم

ثم خرجنا وذهبنا إلى مسجد هناك في قرية بيت لحم يقال إنّه مسجدٌ عمريٌّ، فدخلنا إليه بجماعتنا، وصلينا صلاة الظهر، وحصلنا على كمال النظافة والطهر، ودعونا الله تعالى بأنواع الأدعية، وامتلأت لنا بالمثوبات الأوعية، وهذه القرية قرية بيت لحم، نصف أهلها القاطنين بها / مُسلمون، والنّصف نصارى، ومن عادتهم أنّهم يصنعون المسابح من خشب الزيتون، ويخرطونها على أنواع مختلفة ويبيعونها للزوّار، فوقفوا لنا على حافّة الطريق وفي أيديهم أشياء من ذلك كثيرة يبيعونها، فاشترينا منهم نحن وجماعتنا لأجل التبرُّك، ما يسَّرَهُ الله تعالى، وصحبناه معنا إلى الشام، ثم ركبنا على الخيول، نرتجي من الله تعالى غاية القبول، حتى مررنا على مزار الشيخ أحمد الثوري المشهور بأبي ثور، المتقدم ذكره، والفائح في طي هذه الصحيفة نشره، وكان الوقت وقت العصر، وليس هناك أحدٌ في ذلك المزار المفرِّج عن الضيق والحصر، فلما أقبلنا على ذلك المزار، شعل قنديله واستنار، فدخلنا إلى داخل هاتيك الحضرة، ووقفنا نقرأ الفاتحة وندعو الله تعالى لجميع المسلمين

١٢١/ب

مزار الشيخ أبي ثور

---

(١) سورة مريم/ ٢٢.

العودة إلى القدس

بالقبول والنصرة، ثم سرنا إلى جهة بيت المقدس المبارك، بمعونة الله تعالى وتبارك، وأقبلنا على تلك الجهاتِ المأنوسة والرحاب المحروسة، فخرج إلى لقائنا جماعةٌ من الإخوان، بكمال التعظيم ورفعة الشّأن، حتى وصلنا إلى مكاننا بالسُّلطانية، في داخل الحرم المقدَّس، وهاتيك الحضرة العليَّة، وبتنا بها إلى أن دخل وقت الفجر ودنا ميقات الثواب والأجر.



اليوم الثامن والعشرون

[الأحد ١٤ رجب ـ ٢٣ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم الأحد الثامن والعشرين من أيام هذه السَّفرةِ، المؤنسة من النفرة، فذهبنا إلى الصَّلاة مع الجماعة في جامع الصَّخرة، وحقَّق كل واحدٍ منّا في جناب الله ملجأه وذُخرهُ، ثم رجعنا إلى مجلسنا المعلوم، وتكلَّمنا مع الإخوان في تقرير المسائل والعلوم، والاجتماع بأهل الخصوص والعلوم، فدعانا صديقنا الأكمل، ومحبُّنا الأجمل، الحاج أحمد المشهور بحضرة، طيّب الله له الحضرة إلى ضيافته في داره، فذهبنا مع جماعتنا بقصد التبرّك بآثاره، فإنَّ طعام المحبّ شفا، خصوصاً من أهل الخلوص والوفا، وطعام العدوّ داء وسقم وردى، على القلوب وردا، ونعمنا في ذلك اليوم غاية النعما، وانجلت بأنوار / الاجتماع مع المحبين عن القلوب الظُّلما، وقد رجعنا إلى مكاننا المخصوص وبنياننا المرصوص لتلقي أهل العموم والخصوص، إلى أن رفع ذلك اليوم ذيلَه، وخلف في مكانه دُجاه وليلَه، وبتنا في مسرَّة وهنا، نشكر الله تعالى على بلوغ المنى، ورمي جمرات الهموم في وادي منى، حتى طلعت طلائع الصَّباح، ونفضت الدِّيوك أجنحتها للصّياح، وهبَّت نسمات الصَّبا، وهبَّت الجماعة من النوم، بقوَّةِ عصر الصِّبا.

زيارة الحاج أحمد حضرة

١٢٢/أ

اليوم التاسع والعشرون

[الاثنين ١٥ رجب ـ ٢٤ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم الاثنين، التاسع والعشرين من أيام هذه الرحلة بلامَيْن، واستعنَّا باسم الله الأعظم الذي هو بلامين، فإنَّ من استعان بغيره لا يأتي يوم القيامة ولا بلامٍ من التَّقوى، والمستعينُ به يأتي بلامين، ولا تظنَّ غير ذلك صِدقاً فإنه بلى مين، ولنا من النظم قولنا:

شعر للنابلسي

من أسخط الناس في مرضاةِ خالقه فذلك الفائز الناجي بلا مَينِ
تأتي الأنام بلامٍ في القيامة مِن تُقىً وهذا الذي يأتي بلامينِ

الشيخ محمد الجماعي

فجاء إلينا قريبنا الإمام الهمام خطيب الجامع الأقصى، علاَّمة الخاصّ والعام، الشيخ محمد الجماعي المتقدم ذكره في هذه الأوراق بما طاب وراق، وعرض علينا إجازاته المجموعة له من مشايخه الصَّالحين، في طريق العلم والمعرفة والدين، وطلب منّا الكتابة عليها والإجازة أيضاً منا على حسبما يُنسب إليها، فكتبنا له هذه الأبيات، تبرُّكاً وتأسّياً بأصحاب هذه النفوس الأبيات، وذلك قولنا:

النابلسي يمدح محمد الجماعي ويجيزه

إجازة شريفة المعاني نال بها الغايةَ في الأماني
ولم يزل مُجازها فريدا في كل فنّ كامل المباني
وحاز بالتوفيق رتبةَ العُلا وفاز بالتحقيق والإتقانِ
أعني به نجل التُّقىٰ قريبنا ومَن به القاصي سما والداني
محمدٌ نسل الكرام من بني جماعةٍ أئمَّة الإتقانِ
وقد أجزناه بكلّ مالنا رواية به مدى الأزمانِ
وما روينا عن شيوخنا وما به أجازونا من الأعيانِ
/من كلّ علمٍ من علوم الدين أو آلته كالنحو والبيانِ
وما لنا من التصانيف التي جاد بها الإله بامتنانِ
وكلّ نظمٍ من إلاهيَّاتِنا وغيرها يوجد في الديوانِ

١٢٢/ب

زاد كمالاً وفخاراً وعلاً بحرمة المبعوث من عدنانِ
وإنني عبد الغني وإلى نابلس أُنسَبُ باستيقانِ
عاملني الله وإيّاه بما يولي من الإنعام والإحسانِ
ما غرَّدت بين الرُّبى حمامةٌ ومالت النَّسمةُ بالأغصانِ

وقد كنّا كتبنا له على إجازاته لمّا قدم الشَّام، وطلب منّا ذلك، قولنا من النظام:

جمع الله بفضله ابن جماعةٍ أبداً على الإحسان والتَّوفيقِ
وأدامَهُ طبق الإجازة قائماً بالحقِّ عن صِدقٍ وعن تحقيقِ
ما دام من عبد الغنيِّ قريبه شوقٌ له ينمو وودّ صديقِ

وعَرضَ علينا أيضاً، الشّاب الفاضل، جامع الفضايل، الشيخ أبو بكر بن الشيخ أحمد العلمي المتقدم ذكره أيضاً، إجازته في طريق الشّاذلية، وطلب منا الكتابة عليها بما تيسَّر من الكلمات الأدبيَّة، فكتبنا على البديهة، هذه القوافي الشعرية، والفقرات السنّية، فقلنا:

قصيدة النابلسي في الشيخ أبي بكر العلمي

لم يزل في الكمالِ هذا المجَازُ ما تـوالتْ حقيقـةٌ ومجـازُ
وعليه من المهيمن سِتْرٌ فإليه الأسواء لا تجتازُ
وحباهُ بسرِّ توفيق قومٍ بمراقي معارف الله فازوا
وأبو بكر اسمُهُ علميٌّ نسباً، وهو بالتقى ممتازُ
زاده الله بالإجازةِ فضلاً وكمالاً إطنابُه إيجازُ
وتَسامى مجيزه بصلاحٍ من شيوخٍ له على السرِّ حازوا
شاذليّ المقام لا زال يرقى وله في ذُرا الفخار امتيازُ
وأنا العبد للغني وعندي بافتقاري إلى الإله اعتزازُ

ثم ذهبنا إلى جنينة بعض الإخوان، وكان زمان الربيع، وهي مكلَّلةٌ منه بألوان، والورد مورَّدُ الوجنات، ضاحك الثغور على / تلك الأغصان، فجلسنا فيها بُرهةً من الزّمان، وسمعنا الأناشيد وأطايب الألحان، ثم ذهبنا بجماعتنا

١٢٣/أ

قصر صالح العَسَلي

إلى زيارة مفخرة الأعيان، وحدقة عين الإنسان، صالح أفندي الشهير بابن العسلي، المتقدم ذكره، والطير لا يُطربه إلا وكرُه، والمحبَّة تجذب القلوب، فيقيد المحبَّ إلى محبوبه فكره، حتى دخلنا إلى داره السَّعيدة وحضرته الفريدة، فتلقّانا بصدره الواسع، ورحَّب بنا فنعمنا بقدره الشاسع، وجلسنا بذلك المجلس اللطيف والمقعد المنيف، ووضع لنا الأنبوب الفوّار بالماء الذي يوضع له فيرتفع منه المنار، وهو مبنيٌّ بالرخام، نزهة للأنام وفي ذلك قلنا من النظام:

وفوّارةٍ يعلو بها الماء صَاعداً لها مَدَدٌ، لكنْ بتدبير ذي الحِجا

كرُمحٍ رماه ساعدُ اليد للسّما فصادفَهُ بُعد السَّما فتعوَّجا

ثم صعدنا إلى ذلك القصر العَالي، وتنعَّمنا بكوكبه المتلالي، ورأينا من لطائف كتبه أشباه الجواهر واللآلي، ثم لم نبرح حتى ورد علينا وارد الكمال بإقبال عين الإقبال، وروح جسد المهابة والإجلال، الحسيب النسيب السيد عبد اللطيف أفندي المتقدم ذكره في أثناء هذه الطروس، لا زالت البلاد مشرقة بجنابه المحروس، فجلس حتى طاب ذلك المجلس، وكاد الخليعُ من الطرب أن يقوم ويجلس، وجرت بيننا اللطائف الأدبية، والكلمات المستظرفة المرضيّة، فطلب منّا أن نكون عنده في اليوم الثاني على حسب ما ينبعث عن المودَّة من نزول المثاني، وقرع أصوات المثالث والمثاني، فأجبناه إلى ما دعا، وملأنا بإجابته الدعا، ومَن خوطب بلسان المحبَّة وعىٰ، ثم انقضى أمد ذلك المجلس الميمون، وانطوىٰ بساط تلك الأحاديث والحديث شجون.

دير صهيون

ثم ذهبنا مع الإخوان إلى جهة دير صهيون، وقصدنا زيارة نبيّ الله داود عليه السلام، وكان دعانا الى ذلك خلاصَة عين العيون، وعقْد جواهر اللؤلؤ المكنون، الشيخ يحيىٰ الدجاني، المذكور فيما مضى بين أوراق / هذه المعاني، وهو خادم هاتيك الحضرة الداودية، ومُشَعْشِع أنوار تلك المصابيح

١٢٣/ب

الشيخ يحيى الدجاني

المضيّة، ثم حين وصلنا إلى زيارة ذلك الجناب الرفيع، والحصن المنيع، وتحصّنا بحصن لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون، ولبسنا درع التبرُّك اتقاء تلك الهيبة التي تجعل السكون حركةً والحركة سكون، صعدنا غبَّ الزيارة، في درجٍ قريب من درج المنارة، حتى وصلنا إلى قصر واسع الأطراف، مؤطّد الأكناف، مطلّ على البيوت والبساتين، وإذا لم يوجد الهواء في مكان، فإنّه يوجد فيه في كلّ حين، وكان قد تلقّانا الشيخ يحيى المذكور إلى بعض الطريق، وبثَّ في وجوهنا بشاشة الرفيق الرفيق، ثم حضر عندنا في تلك السّاعة بعض المحبين لنا على الغيبة من خلاصة الجماعة، وقد عملنا هذه القصيدة، وجعلناها في عقود تلك الأوقات فريدة، فقلنا:

النابلسي يمدح آل الدجاني وقصورهم

يا حضرةً لنبيّ الله داود	ذات العلا والهدى والفضل والجود
طابت قلوب أناسٍ ينزلون بها	في ظلّ سرٍّ من الأسرار ممدود
وكم له في مراقي الفتح منزلةً	وكلّ باب عن الأغيار مسدود
جئنا إلى حيّه نرجو القبول به	من ربنا بدعاءٍ غير مردود
فصادفتْنا من المولى عنايته	وكم لنا رقَّ قلبٌ مثل جلمود
وقد دخلنا إلى ذاك المزار وقد	نلنا هناك كمالاً غير محدود
وهَيبةٌ شمِلَت تلك الجهات فلا	يكاد يثبت قلبُ السّادة القود
حتى خرجْنا إلى قصرٍ جوانبه	طلّت على كلّ مرجٍ منه مشهود
والصّحب يجلي عليهم كأس نشأتنا	بكل معنى لطيف الوجه مقصود
وهبَّ عُرف الصّبا فينا وأشرق منْ	حيّي مُحيّا ليالٍ بالسّوى سود
والوقت قد عظمت فينا بشاشته	كوجْه يحيى الدّجاني خير محمود
نسلُ التقى والهدى والمكرمات ومن	نوالهم ليس في الدنيا بمعدود
بحارُ علمٍ وإكرامٍ ومعرفةٍ	وأهلُ حوضٍ من التحقيق مورود
والفرعُ بالأصل إن يلحق فلا عجبٌ	فالنار عودٌ، وتبدي نفحة العود
/يحيا الكمال بيحيى عند رؤيته	ومن يعاديه من كلّ الورى عودي
دام الصلاح بهم والخير ما طلعت	بطالع شمس هذا الكون مسعود

١٢٤/أ

ثم عدنا إلى مكاننا بالسُّلطانية، وجلسنا مجلسنا في هاتيك الحضرة العليَّة، وكان اليوم قد اصفر وجه شمسه، ومرض بداء العشيَّة، حتى خرجت روح الشمس من جسد الدنيا بالغروب، وخفقت من نسائم الليل تلك القُلوب، فنزلنا إلى جامع الصخرة المنير، وصلينا صلاة المغرب مع ذلك الجمّ الغفير، ثم مكثنا إلى أن صلينا صلاة العشاء الأخير، وكنا بين العشائين مع الإخوان في صحن الصّخرة الذي هو بالنقوش ملآن، وكنّا نتذاكر المسائل، ونتجاذب أذيال الفضائل، ونحن تارةً جالسون، وتارةً سائرون، وللأصحاب مُسايرون، وكان البدر في الآفاق بدر تمام، وابن البدر الجماعي يفوق في مسامرته أبا الطيّب وأبا تمام، حتى ركض بنا جواد الكلام، فذكرنا على حسب ما اقتضاه المقام ما يُحكى عن الشيخ محمد البكري المصري رحمه الله تعالى أنَّه كان له مريد فقير في بلاد المغرب، وكان يصيد السمك ويتقوَّت به، ولذلك المريد صديق يحبُّه ويعتقده، فأراد السَّفر إلى الحجّ فقال له مريد الشيخ إذا أنت ذهبت إلى مصر، فاسأل عن القطب الشيخ محمّد البكري، وادخل عليه وبلّغه عني السلام، وقُل له كيف حال فلان مريدك واحفظْ ما يقوله وبلّغني إيَّاه إذا رجعت، فسافر ذلك الرجل إلى مصر وسألَ عن الشيخ البكري فدلُّوه على بيته، فلمّا دخل ورأى داره الواسعة، وهي ملآنة بالخدم والحشم والخيل والأمتعة والناس، أنكر في نفسه هذه الحالة، ثم لما اجتمع بالشيخ ورأى ما هو فيه من النّعمة والعظمة أنكر ذلك أيضاً في نفسه، وقال: كيف يكون في هذه المشابة وهو وليّ الله تعالى، وخطر له ما أوصاه به صديقه فقال له يا سيدي، مُريدك فلان يقريك السَّلام ويقول لك كيف حاله، فقال له الشيخ: قل له أما آن أن يترك الدنيا، فتعجَّب أيضاً من هذه المقالة مع ما رأى فيه الشيخ من كمال أحوال الدنيا، ثم لما قضى حجَّه ورجع إلى بلاد المغرب واجتمع بذلك الرجل وأخبره بما وقع / له مع الشيخ فقال له: ما قال لك في شأني فقال له قال أما آن أن يترك الدنيا، فقال صدق،

صلاة العشاءين في مسجد الصخرة

حكايات عن الشيخ البكري الصديقي

١٢٤/ب

وألقى الشبكة من يده في الماء وقال: الـدنيا بَعْـدُ في قلبنا، وهي قـد خرجت من قلبه، فهي في ظاهره فقط.

ثم حدثنا بعض إخواننا عن الشيخ محمد البكـري رضي الله عنه بـواقعةٍ أخرى من مناقبه تقربُ من ذلك، وهي أنَّه كان من عادة الشيخ محمد البكـري المذكور أن يسـأل من يدخـل عليه عن أحـوال البلد، وما يجـري في مصر من الوقائع، فسـأل مـرَّة رجلاً عن ذلـك فقال لـه، سمعتُ بعض الناس يقـول: لو كان الشيخ من الأولياء ما لبس فروتين من الفرو السمّور. فأخذ الشيخ من هذا الكلام حال شديد، ونزل إلى دكان خياط عند باب داره وجلس، فجاءرجل من الفقراء وطلب منه صدقةً فنـزع الفروة، ونـادى أحدُ خـدَّامه وقـال له خُـذ هذه الفروة وبعها وادفع ثمنها لهذا الفقير، ففعل كما أمر، ثم أنَّه مضت أيام قليلة، وإذا بالوزير في مصر قد أرسل إلى الشيخ هديَّة سنية، فلمّا جيء بها إليه، قام الشيخ واقفاً وفرح بالهديَّة، وقال مرحباً ببضاعتنـا التي رُدَّتْ إلينا، وكـان ذلك على خلاف عادة الشيخ، فنظر فيها فرأى تلك الفروة التي دفع ثمنها للفقير من جملة تلك الهديَّة، فأخذها ولبسها وقال ماذا نصنع فإن الله يُلبسنا ذلك، وصنع له فروة أخرى من السمّور ولبسها.

ثم عدنا إلى مكاننا بالسُّلطانية، مع الإخوان، وبتنا إلى أن أومضت بروق الفجر ذات اللمعان.

اليوم الثلاثون

[الثلاثاء ١٦ رجب ـ ٢٥ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء، وهو اليوم الثلاثون من أيام هذا السَّفر الميمون، فدخل علينا في مجلسنا المعروف، الشيخ الصالح الذي هو بالكمال موصوف سليل الأولياء والصَّالحين، الشيخ طه الزعبي الكناني من أهل الجواب والدين، فجلس معنا، وتكلَّمنا نحن وإياه في أعمال كثيرة وأسرار غزيرة، وهو رجل صالح صاحب حال ظاهر، وسرٌّ باهر، يصطلم تارةً فلا يتكلَّم مع أحد، وإذا خاطبه المتكلِّم لا يَردُّ عليه، ولا يرجع الجواب إليه، وقد أخبرونا عنه بكرامات / وخوارق ولوائح وبوارق.

الشيخ طه الزعبي الكناني

١٢٥/أ

ودخل علينا أيضاً الشيخ الصَّالح الشيخ علي عمرة، من قرية دَوْقَرة من بني كنانة، تابع إربد، فجلس عندنا وتعاهدنا معه وتواخينا، ومعهما من جماعتهما أناس كثيرون، ثم بعد ذلك تذكَّرنا موعداً سبق منّا لفاضل زمانه، ودرَّة أصداف أقرانه، الشيخ أمين الدين الذي قدَّمنا ذكرهُ، وضمَّنّا هذه الأوراق نشره، بأن نذهب إلى ضيافته في هذا اليوم، مع إخواننا والأعزاء من القوم، وكانت هذه الدَّعوة سابقة على دعوة صديقنا السيد عبد اللطيف أفندي المذكور [كما ذكرنا فيما سبق، ولا شكَّ أن لكل سابقٍ حق، والمتأخِّر له ما لحق، فكتبنا هذه الأبيات نعتذر إلى السيد عبد اللطيف أفندي][1] وأرسلناها إليه، وإنَّما الأعمال بالنيَّات، والأبيات هي قولُنا:

الشيخ علي عمرة

قصيدة اعتذار للنابلسي

بحرُ المكارم يا عبد اللطيف ومن	شاعت فضائله في العُرب والعجمِ
ويا شريف السَّجايا والجدود ويا	مَن زاده الله لطفاً بارىء النَّسَمِ
دعوتنا لحمى عُلياك فاندهَشَتْ	أسماعنا منك بالجالي من الكلَمِ
وكان من قبل هذا دعوةٌ سبقتْ	لنا من الكامل المعروف بالكرمِ
زاكي الفخار أمين الدين من أمِنَتْ	أهلُ الندى بسجاياهُ من العَدَمِ

(١) نقص في نسختنا والاستدراك من نسخة حلب.

وفي غدٍ بعد هذا نستجيب لكم   فسامحونا فأنتم سادةُ الأمم

والسّبق معلومكم في الوعدِ يوجبه   حفظاً على العهد بين الناس والذِّمم

ودُم بخيرٍ وإنعامٍ وعافيةٍ   واسلم لنا يا شريف الأصل والشِّيَم

ما أسفر الليل عن ضوء الصباح وما   شدا الحمامُ بأنواعٍ من النغم

وفاح طيبُ الحمىٰ القدسيّ فانتعشت   روح المشوقِ بسرٍّ منه مكتتم

زاوية الشيخ محمد القرمي

ثم دعانا الشيخُ الإمام محمد بن القرمي المتقدم ذكره في هذه الأوراق إلى ضيافةٍ في زاوية جدِّه الشيخ محمَّد القرمي، صاحب الكمال والإشراق، فذهبنا إليها ثانياً بكرة النهار، وكنّا تبرَّكنا أولاً بذلك المشهد مع إخواننا السَّادة الأخيار، وكان في صحبتنا الشيخ طه الزعبي المتقدم ذكره قريباً مع بعض جماعته، فحين أقبلنا عليه، خرج إلى لقائنا مع من كان لديه، فوقفنا وقرأنا الفاتحة للشيخ الكبير صاحب ذلك المقام الخطير، ثم جلسنا في ذلك المكان المبارك، ونحن في أنواع المطارحةِ والمكالمة فيما بيننا نتشارك، فقُدمت / لنا الضيافة، وعُوملْنا بأنواع الكرامة واللطافة، ثم ذهبنا إلى جامع الصخرة الشريفة، وصلّينا به صلاة الظهر مع هاتيك الجماعة المنيفة، ثم ذهبنا إلى ضيافة أخينا الفاضل، جامع الفضائل والفواضل الشيخ أمين الدين أفندي المتقدِّم الدعوة على حسب ما تقدَّم، وكلٌّ من قدَّمه الله تعالى باسمه المقدم، تقدَّم، ثم حين وصلنا إلى قُرب داره، وظهرت لنا بدائع آثاره، خرج إلى لقائنا بصدره الرحيب، ووجهه الذي هو وجه الحبيب، وكان متوعك الجسد، وإن كانت الحمّى لا تفارق الأسَد، فأزعج نفسه من كمال محبته، وبادر إلى لقائنا بسبب أكيد مودَّته، حتى دخلنا مع إخواننا إلى بيته المعمور، وحصل لنا في بيته كمال المسرَّة والحبور، وكان معنا جماعة من أهل هاتيك البلاد، وجرت بيننا أبحاثٌ علميَّة تثلج الفؤاد، حتّى تمّ ذلك المجلس السَّامي، وانعقد زهر ذلك الرَّوض النامي وأثمر غصن الوصال، ولمعتْ بوارِق الإقبال، فرجعنا إلى الحرم الشريف، وصلّينا به المغرب والعشاء مع الجماعة، وحصل في الأجر

١٢٥/ب

الشيخ أمين الدين أفندي

إن شاء الله تعالى كمال التضعيف، ثم عدنا إلى مكاننا المعهود وبتنا على فرش الحضور والشهود، حتّى إذا ضحكت ثنايا الصّباح، ودخل موسم العبادة والفلاح.



اليوم الحادي والثلاثون

[الأربعاء ١٧ رجب - ٢٦ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الحادي والثلاثين من أيامنا المعهودة، وأوقاتنا المشهودة، فبعد أداء الصلاة المفروضة وانقضاء هاتيك الحالة المعروضة، عزمنا على المسير إلى عيادة بعض المحبين، مع جماعةٍ من الإخوان أهل الصلاح والدين، فوصلنا إلى داره المعمورة، وتلونا عليه من التحيَّة سورة بعد سورة، وتفرّجنا على تلك الكتب والصحائف، وتنزَّهنا في حدائق الأنس واللطايف، ثم خرجنا غبَّ الضيافة، وسرنا مع بعض مَنْ كان معنا من أهل اللطافة، حتى دخلنا إلى الحمام المعروف بحمَّام الشفا[1]، وحصل لنا بذلك إن شاء الله تعالى كمال العافية والشفا، وفي ذلك نقول على حسب ما تتأكد به النقول:

عيادة بعض الإخوان

دخول حمّام الشّفا

وبالقدس الشريف دخلتُ يوماً ... لحمّام به لطف الهواءِ
/ونلتُ به الشفاء وزال همّي ... وكيف وذاك حمّام الشفاءِ

١٢٦/أ

وقُلنا أيضاً كذلك، بمعونة القدير المالك:

وحمَّامٍ إليه الماء يجري ... لنا من تحت صخرته المعظَّم
بحمام الشفا سمُّوه لمّا ... تشابه ماؤه مع ماء زمزم

وهذا الحمَّام ماؤه يجري إليه من تحت الصَّخرة كما تقدم، وأظن أن ماءه من ماء عين سلوان، لأن طعمهما واحد، وهو يشبه ماء زمزم في الطعم، وهو حمام لطيف في سوق القطانين بالقرب من باب الحرم الشريف القدسي، ثم ذهبنا غبَّ الحمّام إلى بيت بعض الأصدقاء الكرام، فقدَّم لنا السكَّر

---

(١) بناه الأمير سيف الدين تنكز النّاصري سنة ٧٣٠هـ، ووقفه مع حمامه الآخر - حمام العين على الخانقاة التي أنشأها بباب السلسلة وكان في القدس يومها ستة حمامات مشهورة هي علاوة عما ذكرنا حمام مريم وحمام السلطان وحمام الصخرة وحمام البطرك، انظر آثارنا في بيت المقدس/١٧١ و ١٧٥.

المذاب وأنواع اللطائف مما جلا وطاب، وجاء بماء الورد القدسي، والعود الهندي الذي يرخص الغوالي ولها ينسي، فنعمنا بهاتيك الروائح، وتنعّمنا بأنواع الإشارات واللوائح، ثم ذهبنا إلى تلك الضيافة التي أشرنا إليها فيما سبق، وأن أوان الوفاء بوعدها وانتشاق نشرها الذي عبق، فذهبنا مع الإخوان، وجماعة من أهل بيت المقدس ذوي كمال وإذعان، إلى ضيافة مفخر الأعيان، ومعدن الكرم والامتنان، السيد عبد اللطيف أفندي المتقدم ذكره فيما مضى من هذا الشأن، حتى دخلنا إلى تلك الدار السعيدة، والحضرة العالية الجديدة، فتلقانا بالبشاشة الهاشمية، والطلاقة اللطيفة، حتى صعدنا إلى ذلك القصر المشيد والمجلس السعيد، وتنعّمت أسماعنا بأطايب الأناشيد، وترنم كل بلبل من القوالين غريد، وانتشرت مناشير الفوائد، وامتدت صحائف الموائد، حتى كمل المقام، وسبغ ثوب الإنعام، فخرجنا بسلام، ودخلنا من الحرم الشريف دار السلام، وقد صار وقت الغروب، ودنت بدخول الليل خلوة القلوب، فصلّينا به العشاءين، ولم يقل أحد منا العشا أين؟ ثم ذهبنا إلى المنزل المعروف والمعهد المألوف، فلم نزل في سرور إلى أن طلعت بالفجر طلائع النور، وهجم عسكر الصباح خفّاق الألوية على هاتيك البطاح.

زيارة عبد اللطيف أفندي

اليوم الثاني والثلاثون

[الخميس ١٨ رجب - ٢٧ نيسان/أبريل]

١٢٦/ب وكان ذلك اليوم يوم الخميس الثاني والثلاثين من هذا/ السفر المبين فحضر عندنا الجماعة من أهل البلاد، وفيهم الشيخ الصالح سلالة الأمجاد ١/٧٧ الشيخ محمد، وهو من ذرية حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، رحمه الله تعالى، وكان له صوت حسن، ينشد القصائد الإلهية والنشايد التوحيدية، من كلام السادة المحققين من الصوفية، فطلب منا الإجازة له في هذا الإنشاد، حيث ما شاء من المجالس بين العباد، فكتبنا له في قرطاس على البديهة، مما طاب وجاد، قولنا:

الشيخ محمد الغزالي

قصيدة النابلسي في الغزالي

لا تخف يا محمد بن الغزالي	يا سليل الكبار أهل النوال
أنت من نسل خشية وصلاح	وتقى مع سيادة وكمال
فارفع الصوت بالقصائد وانشد	من كلام المحققين الموالي
وترنم بما ترى من نظام	في تجلي الجلال أو في الجمال
واذكر الله جل، سراً وجهراً	والزم الصدق سائر الأحوال
قد أجزناك بالذي قد ذكرنا	وبنظم لنا وكل مقال
وفق الله منك للحق قلباً	ولساناً في سائر الأعمال
ولكل الأنام في كل وقت	وأنا العبد للغني المتعالي
وطني في دمشق، والأصل من نا	بلس، حقق الهدى آمالي
وحوت أصلك الشريف وأصلي	رحمة الله دائماً بالتوالي
ما شدا الطير في الرياض وطابت	نسمات البكور والآصال

ثم ذهبنا مع جماعة من الإخوان الحاضرين، إلى زيارة مقام نبي الله داود[1] عليه السلام في القلعة ذات الحصن الحصين، وهي قلعة داخل سور بيت المقدس من جهة الغرب، فدخلنا إلى ذلك الجامع الذي في داخل

مقام النبي داود

(١) انظر كنوز القدس/ ٣٢٥.

القلعة، وفيه محراب داود عليه السَّلام، فصلَّينا به ركعتين، ودعونا الله تعالى، ثم صعدنا إلى مكانٍ مرتفعٍ بدرجٍ يُقال إنه مكان جلوس داود عليه السلام، وهناك طاقة كبيرة من الحجر، وفيها أثر مرفقٍ غائص في الحجر يُقال إنه مِرفق داود عليه السلام، كان يجلس هناك وينظر من تلك الطَّاقة، واضعاً مِرفقه على هاتيك البلاطة حتّى أثَّر بها، فجلسنا هناك ساعة من الزمان، وقرأنا / الفاتحة ودعونا الله تعالى بأنواع الدُّعاء، وأضافنا آغات القلعة بما تيسَّر لأنَّ ذلك المكان سكنه، وجاء لنا بالماء والورد والبخور، فحصل لنا غاية السُّرور.

١٢٧/أ

قال الحنبلي في تاريخه: وكانت القلعة قديماً تعرف بمحراب داود عليه السلام وكان سكنُه بها، وفي هذا الحصن برجٌ عظيم البنا يُسمَّى برج داود، وهو من البناء القديم السُّليماني، ويقال إن بناء القلعة كان متَّصلاً إلى دير صهيون، وقال الحنبلي في مكانٍ آخر: وقد كان لداود عليه السلام سرداب تحت الأرض من باب المسجد المعروف بباب السلسلة، إلى القلعة التي تُعرف قديماً بمحراب داود، وكان منزله بها، وهذا السرداب موجودٌ في بعضِ الأوقات، يُكشَف بعضُه ويشاهد، وهو أبنيةٌ معقودة بالبناء المحكم، كان يمشي فيه من منزله إلى باب المسجد، ثم خرجنا منها وذهبنا إلى زيارة تُربة مأمن الله المتقدم ذكرها في هذه الأوراق مع جماعةٍ من أهل بيت المقدس وجُملة الرفاق، وقد تقدم سبب تسميتها بذلك والكلام عليه.

برج النبي داود

تربة مأمن الله «ماملا»

قال الحنبلي: ومُعظم أرض تُربة مأمن الله من الصُّخور الصّم، وحفر القبور فيه مشقة زائدة، فحين وصلنا إلى التربة المذكورة رأينا البلاطة المخطَّطة المشهورة، وذكروا لنا فيها خواصَّ مُجرَّبة من إجابة الدعاء ونحوه مِن الأمور المُقرَّبة، ثم رقفنا عند قبر الشيخ شَوْله، بفتح الشِّين المعجمة، وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالى، وهو رجل من أهل الجذب والصلاح، يقصد الناس زيارته والتبرُّك به، ثم وقفنا عند قبر الواسطي، ورأينا على قبره مكتوباً بعد البسملة «هذا قبر عمر بن إبراهيم بن عثمان الواسطي»، فقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى.

قبر الواسطي

قال الحنبلي: الشيخ عمر بن إبراهيم بن عثمان بن كعب الواسطي، توفي ليلة الجمعة خامس عشر شعبان سنة أربع وثمانين وستمائة ودفن بماملاّ، وقبره عليه بناء عظيم، وهو في جانب الطريق، ولا أعرف له ترجمةً، انتهى.

قبر «وَجَدُوا»

ثم وقفنا عند القبر المشهور بقبر «وَجَدُوا»، وبعضُهم يُسَمِّيه وجدنا، وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى.

قال الحنبلي: قبر «وجدوا» بالقرب من قبر الواسطي من جهة القبلة على جانب الطريق السّالك، يُعرف بقبر وجدنا / والسَّببُ في ذلك أنّه مرَّ إنسانٌ عند قبره وهو راكب، فقرأ قوله تعالى ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾[1] فأجاب من القبر بقوله «وجدنا» حتّى سمعَهُ ذلك الرجل، وهو قبر مشهور عليه أحجار كبار، ولا يعرف اسم صاحبه وإنما يُعرف بقبر «وجدنا»، وقد وهم بعض الناس فظنّه قبر الواسطي، وليس كذلك، فإن ذلك اسمه مكتوب على القبر، وهذا ليس عليه كتابة، وحكى بعضُ النّاس أنه أخذ الأحجار التي على قبر «وجدنا» ونقلها إلى مكان آخر، فأصبح وجدها على القبر كما كانت، فعُدَّ ذلك من كراماته، ثم وقفنا على قبر الشيخ الضّغستاني، وقرأنا لهُ الفاتحة، ثم وقفنا على قبر الشيخ أبي شعرة، وقرأنا له الفاتحة، وإنما سُمّي بذلك لأنّه اشترى شعرة من شعرات النبي ﷺ بمبلغ كثير من المال، وأمر أنّه إذا مات توضعُ في عينيه، ثم زرنا الشيخ المشهور بأبي زلابية وقرأنا الفاتحة، ثم زرنا قبر الشيخ مجير الدين الحنبلي[2] صاحب التاريخ المشهور الذي سمّاه «أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل» وقرأنا له الفاتحة، ثم زرنا مدفن القلندرية، يقال إنه دفن فيها أولياء وصالحون لا يُحصون، قال الحنبلي: ووسط مقبرة ماملاّ زاوية تُسمّى القلندريّة[3]، بها أبنيةٌ عظيمة،

١٢٧/ب

زيارةُ عددٍ من الأولياء

زيارة قبر الشيخ مجير الدين الحنبلي صاحب الأنس الجليل

(١) سورة الكهف/٤٩.

(٢) توفي سنة٩٢٧هـ، وقد عُثر على قبره مصادفةً، وبنيت عليه قبة وجُعل حوله حوشٌ صغير وهو في مقبرة باب الرحمة. أجدادنا في ثرى بيت المقدس ١٣٩ و ١٤٠.

(٣) جنوبي مقبرة ماملاّ ولا أثر لها اليوم. المصدر السابق/١٢٣.

الزاوية القلندرية

وكانت هذه الزاوية كنيسة من بناء الروم، وتعرف بالدير الأحمر، وللنصارى فيها اعتقاد، قدم إلى بيت المقدس رجل اسمه إبراهيم القلندري أقام بها بجماعة من الفقراء، فنسبت إليه وصار لها وقف، فخربت الآن، وفيها مدفن الأعيان من الأمراء ممن يرد إلى بيت المقدس وغيرهم.

ثم زرنا قبر الكمال بن أبي شريف[1]، وقرأنا له الفاتحة، وزرنا قبر الشيخ شهاب الدين أحمد بن الهايم وقرأنا له الفاتحة.

ابن الهايم

قال الحنبلي في ترجمته: وكان ابن الهايم له محاسن كثيرة وديانة متينة، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولكلامه وقع في القلوب، توفي بالقدس في شهر رجب سنة خمس عشرة وثمانمائة، ودفن بماملا، وقبره مشهور، ثم زرنا قبر الشيخ أبي عبد الله القرشي رحمه الله تعالى، وقرأنا له الفاتحة، قال الحنبلي: الشيخ الكبير/ الإمام القطب الرباني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد القرشي الهاشمي[2] الصالح الناسك صاحب الكرامات الظاهرة، كان من السادات الأكابر، وأصله من المغرب من الأندلس، من الجزيرة الخضراء، قدم إلى مصر، وانتفع به من صحبه وشاهده، وكان يعد جماعة الذين صحبوه بأشياء من الولايات والمناصب العالية، فصحت كلها، وأهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة، وله كلام مدون، قدم بيت المقدس، وأقام به إلى أن توفي في سادس الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وله خمس وخمسون سنة، ودفن بماملا، وقبره ظاهر يزار. ونقل أن الإنسان إذا خاف التخمة من كثرة الأكل وقال عند رفع المائدة وفراغه من الأكل: (قال أبو عبد الله القرشي اليوم يوم عيد) لم يضره ذلك الأكل، انتهى.

١٢٨/أ

الإمام أبو عبد الله القرشي - ٥٩٩

آراء في كثرة الأكل

---

(١) شيخ الإسلام ومن كبار علماء القدس ورأس علماء الإسلام في عصره بلا مدافعة، كما يقول المؤرخ علاء الدين البصروي في كتابه الذي نشر بتحقيقنا سنة ١٩٨٨ في الصفحة/٢٤٢.
وانظر مفاكهة الخلان لابن طولون ١/٢٢٢ وقد توفي المذكور في أوائل القرن العاشر.

(٢) ترجمته في العبر للذهبي ١٢٦/٣

أقول: ومن المجرَّبات أيضاً كما سمعنا، أنه إذا قال الإنسان: سَهْل بن عبد الله التستري، فلا بدّ أن يأكل في ذلك اليوم شيئاً من الحلو.

ثم زرنا بجانبه قبر الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أرسلان الرملي، ثم المقدسي الإمام العالم العلاّمة، صاحب الكرامات الظاهرة، والعلوم والمعارف الباهرة، قال الحنبلي في ترجمته: وانتفع به خلقٌ كثير، وما اشتغل عليه أحد ولازمه إلا وأثَّر نفعُه فيه، وكان يكني جماعته بكنى ينتخبها لهم، وصارت علَماً عليهم، وألّف كتباً في النَّحو والفقه وغير ذلك، وكان متواضعاً زاهداً له قدم في العبادة والتهجّد، ولمّا رحل من الرملة وسكن في القدس بالزاوية الختنية[1]، وراء قبلة الأقصى الشريف، وأنشد:

الشيخ أحمد بن أرسلان الرملي

حَبَاني إلهي بالتَّصافي لقبلةٍ بمَسْجِدهِ الأقصى المبَاركِ حَوْلَهُ
فحمدٌ وشكرٌ دائمين وإنني أريدُ لإخواني المحبين مثلَهُ

تُوفي يوم الأربعاء سابع عشري شعبان سنة أربع وأربعين وثمانمائة، ودُفن إلى جانب الشيخ أبي عبد الله القرشي بماملا، وحُكي أنه لما ألحدَهُ الحفَّار وأنزله في قبره سمعه يقول: رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين، وقد اشتهر بين الناس أنّ من وقف بين قبره وقبر أبيَ / عبد الله القرشي، ودعا الله تعالى في أيّ أمرٍ يريدُه استجاب الله له، وقد جرَّبتُ ذلك فصحّ. قلت وقد وقفنا بين قبريهما ودعونا الله تعالى بما ألهمنا وفتح علينا به بالخصوص والعموم لنا ولإخواننا ولجميع أمّة محمد ﷺ، والله أعلم.

١٢٨/ب

ثم قال الحنبلي: وفي اليوم الذي توفي فيه الشيخ شهاب الدين توفي فيه الشيخ الصّالح أبو بكر محمّد عبيد المجيدي البسطامي، وكان صالحاً.

الشيخ محمّد المجيدي

---

(١) الزاوية الختنيَّة أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٧ هـ ووقفها على الشيخ جلال الدّين أحمد بن محمد الشاشي الذي تولى مشيختها ونسبت إلى الشيخ الخُتني، وهي زاوية مدرسة لعبت دوراً في الحياة العلمية في القدس، وقد طرأت عليها إضافات وزيادات وهي اليوم في وضع جيد وتقيم فيها لجنة إعمار المسجد الأقصى المبارك: كنوز القدس/٩٨.

حُكي أنه لما توفي الشيخ شهاب الدين كان الشيخ محمد المجيدي في حال صحته، فقيل له: الشيخ شهاب الدين أخوك تُوفي فقام يتأهّب لحضور جنازته فتوضّأ وصلّى ركعتين، فلمّا سجد تُوفي في سجوده، ثم غُسِّل من وقته، وجيء به إلى المسجد الأقصىٰ، وصُلِّي عليهما معاً وحُملا إلى ماملاّ ودُفنا في وقتٍ واحد، انتهى.

الشيخ شمس البرماوي

ثم زُرنا الشيخ شمس محمد البرماوي[1] شارح صحيح الإمام البخاري وقرأنا له الفاتحة، ثم زرنا أجدادنا بني جماعة: الشيخ عبد القادر وولده الشيخ بدر الدين والشيخ موسىٰ بن البدر والشيخ عرفه وولده الشيخ محيي الدين وسائر أولاد بني جماعة، وقرأنا لهم الفاتحة، ثم زرنا تربة الشيخ الدَّجاني وذريته، الشيخ أحمد الدجاني الكبير، ثم ذكروا لنا من كراماته أنه إذا كان للإنسان حاجة يجيء إلى قبره ويُحمِّله حملته ويضع على قبره حجراً، فإذا ذهب وقُضيت حاجته عاد ورمى بالحجر عن القبر، والشيخُ عبد المنعم الدَّجاني كان من المجاذيب، كانت تربطه والدته بخيط من القطن الرفيع، فيمكث اليوم واليومين.

بنو جماعة

الشيخ عبد المنعم الدجاني

والشّيخ يوسف الدّجاني كان أيضاً من المجاذيب، كان ينقب الصّخرة بعود صغير من الحطب، وله صخرات مشهورةٌ به وسائر ذريته، ثم زرنا أولاد الشيخ محمَّد العلمي وذريته وقرأنا لهم الفاتحة، ثم زرنا الشيخ كمال المجذوب القرمي، الشهير بأبي بغلة، وقرأنا له الفاتحة، ثم زرنا الوليّ الصّالح الشيخ عمر المجرَّد المغربي المصمودي الذي عمَّر زاوية المغاربة بالقدس الشريف، وقرأنا له الفاتحة، ثم زُرنا الشيخ الصَّالح مُحمَّد العجميّ في قبة مستقلة وولده الشيخ / عبد الغفار خارجها، والشيخ قيمر والشيخ بدر الغفير، وقرأنا لهم الفاتحة، وزرنا عُكاشة بن محصن الصَّحابي[2] على ما هو

أولياء آخرون

١٢٩/أ

---

(١) معجم المؤلفين. ١٠/١٣٢ وقد توفي في القدس في جمادي الأولى سنة ٨٣١هـ.

(٢) صحابي من أمراء السَّرايا، مشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ وقتل في حروب الردَّة بأرض نجد، دفن هناك قتله طلحة بن خويلد الأسدي، الأعلام ٤/٢٤٤ وانظر صورة ما يقال إنه مقام

المشهور هناك، وقرأنا له الفاتحة، ثم قرأنا الفاتحة لمن دفن بالتربة المَلشيَّة، بفتح الميم واللام والشين المعجمة المكسورة بعدها مثناة تحتيَّة ثم هاء، وجئنا من تلك الجبّانة إلى مكان خالٍ من القبور، فأخبرونا أنَّ هذا المكان حُفر مرَّة فيه على قبر فوجدوا فيه رجلًا جالساً يقرأ القرآن، فسأل هل قامت السَّاعة، فاندهش الذي نبش، وذهب، ثم رجعوا فلم يجدوا للقبر أثراً، فوقفنا هناك وقرأنا الفاتحة ودَعَوْنا الله تعالى.

القبر الذي اختفى

ونظير هذا ما نقله الإمام عبد الرحمن السُّيوطي في كتابه «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» قال: أخرج ابن مندة عن عاصم السّقطي قال: حفرنا قبراً ببلخ فنفذ في قبره، فنظرتُ فإذا بشيخٍ في القبر متوجِّه إلى القبلة، وعليه إزار أخضر، واخضرَّ ما حوله، وفي حجره مصحف يقرأ فيه.

حكايات عن موتى يقرؤون القرآن

وأخرج ابن مندة عن أبي النّصر النَّيسابوري الحفَّار، وكان صالحاً ورعاً، قال: حفرتُ قبراً، فانفتح فيه قبر آخر، فنظرتُ فإذا أنا بشاب حسن الوجه، حسن الثياب طيب الريح، جالساً متربّعاً وفي حجره كتاب مكتوب بخضرةٍ، أحسن ما رأيتُ من الخطوط، وهو يقرأ القرآن، فنظر الشاب إليَّ وقال: أقامت القيامة قلت لا، قال أعد المدرة إلى موضعها، فأعدتُها إلى موضعها.

ونقل السُّهيلي في دلائل النبوَّة[1] عن بعض الصحابة أنَّه حفر في مكان فانفتحت طاقة فإذا شخص على سرير وبين يديه مصحف يقرأ فيه وأمامه روضة خضراء، وذلك بأُحُدٍ، وعُلم أنه من الشهداء، لأنَّه رأى في صفحة وجهه جرحاً، وأورد ذلك أيضاً أبو حيَّان في تفسيره.

وحكى اليافعي[2] في روض الرياحين عن بعض الصالحين قال: حفرتُ

= عكاشة في «أجدادنا في ثرى بيت المقدس» صفحة ١٠٧ و ١٠٨.

(١) عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ، عالم مشارك في علوم كثيرة، ومن كتبه الروض الأنف. انظر معجم المؤلفين ٥/١٤٧.

(٢) عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى بمكّة المكرمة سنة ٧٦٨ هـ، والكلام المدون أعلاه ربّما يكون من كتابه «روض الرياحين في حكايات الصالحين». مؤلفين ٦/٣٤.

لرجلٍ من العبَّادِ قبراً وألحدتُه فيه، فبينما أنا أُسوِّي اللَّحد إذ سقطت لبنةٌ من لحدٍ يليه فنظرتُ فإذا بشيخ جالسٍ في القبر، عليه ثياب بيض تقعقع، وفي حِجره مصحف من ذهب، وهو يقرأ فيه، / فرفع رأسه إليَّ وقال: قامت القيامةُ رحمكَ الله؟ قلت لا، قال ردَّ اللبنة إلى موضعها رعاك الله، فرددتُها.

١٠٢٩/ب

وقال اليافعي أيضاً روينا عمَّن حفر القبور من الثقات أنَّه حفر قبراً فأشرف فيه على إنسانٍ جالسٍ على سرير وبيده مصحف يقرأ فيه وتحته نهر يجري فغشي عليه، وأخرج من القبر، ولم يدروا ما أصابه، فلم يُفِقْ إلا في اليوم الثالث، انتهى كلامه.

ثم قرأنا الفاتحة لسائر من دُفن في هذه التربة من العُلماء والصُّلحاء وجميع أموات المسلمين، وقد قلنا من النظام على حسب ما اقتضاه المقام:

مآثر العلماء الرّاحلين

بتربة مامللاً قبور الأكارم ذوو الحسب السَّامي الذُّرا والمكارم
ومَن بهم القدس الشريف تكمَّلتْ مزيَّته إذ كان غيل الضَّراغم
فيا طالما أنوارهم لمعت به ولاحوا بهاتيك اللحى والعمائم
أبو العبد لله الذي بالتقى رقى هو القرشي شعشاع نور المعالم
مع ابن أرسلان محقِّق عصره وذو الفضل مَنْ يدعونه بابنِ هائم
وأجدادنا تلك الذين دُعوا بني جماعة أهل العلم بين العوالم
وهم: ذو الكمال البدر، علَّامة الورى ووالده بحر النوال الرائم[1]
ومَن هو برماويٌ محمَّدٌ الذي بعلم حديث المصطفى خير قائم
كذا صاحب التَّاريخ ذا الحنبلي مَن تسمَّى مجير الدين بدر المواسم
وقبر «وَجَدْنا» قيل، أو وُجدوا كما يُسمِّيها بين الورى كلُّ واهم
وقبر الضَّغستاني وقبر الفتى أبي زلابيةٍ، مع شولةٍ ذي الغنائم
وقبر الدَّجاني الشيخ أحمد ذي التُّقى كثير المزايا في الورى والمراحم
كذا الشيخ عبد المنعم المنتمي لَهُ ويوسف طامي بحره المتلاطم

---

(١) الرائم: العطوف.

وبـاقي بنيـه حـولـه في قبـورهم | يـدرّون بـالأسـرار درَّ الـغمـائـم
وقبر الكمال الكامل الفضل بابن أبي | شـريف تسمّى كـان أشـرف حـازم
وقبـر الفتى المدعـو أبـو شعـرةٍ كـذا | أبـو بغلةٍ ذو الجـذب ربّ العـزائم
وقبر الخُريشيّ ذي التصانيف في الورى | وبـدر الغفيـر المـرتجى للعـظايم
كذا عُمَر الشيـخ المجرَّد ذو الحجـا | وقيمـر شيخُ الصَّـالحين القشـاعم
/وقبر الصحـابي الجليـل عكاشـة | كـمـا قيـل لـي والله أعلم عـالـم

١٣٠/أ

كـذا العجميّ المدعـو محمَّـد وابنُـه | هـو العبـد للغفَّـار حـاوي الكـرايم
وسـادتـنـا السّـكـان في مَلَشيَّةٍ | ومَن دُفنـوا من أهل تلك الجمـاجم
وبـادار أيضـاً والسعيـد وسَعـدُهم | ومـا غـاب كـالأزهـار وسط الكمـائم
وبـاقي قبـور مـا عـرفنـا رجالهـا | ولا مَن بهـا حلّوا بحكمـة حـاكم
وقفنـا وخـاطبنا هنـالـك بـالـدعـا | إلـه البـرايا الحق مـاحي الجـرائم
طلبنـا لكـلّ المسلمين عنـايـةً | مـن الله تـأتيـهم على رغم راغـم
ولـطفـاً بـأحـوال لهم في مـآلهم | وفي هـذه الـدنيـا وحُسنَ الخـواتم
بمن حـلّ مـاملّا، وفي قبـره ثـوى | هنـالـك من مخـدوم قـومٍ وخـادم
عليهم من الـرحمن أكمـل رحمـةٍ | تـوالـت على لـطفٍ من الله دائم
مـدىٰ الـدهـر مـا هبَّ النسيم عشيَّةً | وقد مال بـالأغصان صـوتُ الحمائم

ومِن العجائب أنّنا وجدنا في هذه المقبرة حشيشة طول الأصبع، خضراء مزهرة، ولهـا يدان وأربـع أرجل ورأس صغيـر أحمر ولهـا عرف أبيض، فـوق رأسها، وذنبها زهر أحمر معقّـد، وفيها الحيـاة وتمشي على أرجلها، وقُلنـا في ذلك بمعونة القادر المالك:

وصف حشيشة نادرة

وحشيشـة فيهـا الحيـاة رأيتـهـا | بيـدين والـرأس الصغيـر وأرجـل
خضـراء تمشي وهي مزهـرة كمـا | تمشي كبـار النَّمـل فـوق سَجَنْجَل
والعـرف زان الـراسُ منهـا أبيضٌ | كـالشَّيب في رأس الفتى المتـرجّـل
وغـدا لـهـا ذنبٌ كـزهـرٍ أحمـرٍ | مُـدَّتْ بـه يـد قـادمٍ لـمبجَّـل
فعجبتُ من صنـع الإلـه وخـلقِـه | وعـلمـتُ أنّ الله ذو أمـر جـلي

ثم رجعنا نحن والإخوان، ومن معنا من الأصحاب والخلّان، فزرنا في الطريق سعد وسعيد والشيخ بادار، وقرأنا لهم الفاتحة ودعونا الله تعالى، ثم دخلنا من باب العمود، وكان قد دعانا إلى داره، فخر الأعيان والأكابر، وعمدة أهل المكارم والمفاخر، نقيب السّادة الأشراف ونخبة آل عبد مناف السيد مصطفى أفندي، سلّمه الله تعالى، فلمّا وصلنا / الى داره، تلقّانا بالرُّحب والإجلال، وكمال الإكرام والإفضال، فجلسنا حصَّةً من الزَّمان نتذاكر بعضَ المسائل العلميَّة مع من كان هناك من الإخوان، حتى حضرت المائدةُ وتنوَّعت الفائدة، وتمّ المجلسُ واستقرَّ خاطر من يجلس، ثم ذهبنا إلى الحرم الشريف فصلينا به الظهر والعصر، وحصل لنا كمال الثواب وبشائر النّصر، ثم سِرنا نحن والإخوان إلى دعوة الشيخين الفاضلين الكاملين الصّالحين الأخوين، الشيخ محمَّد والشيخ أحمد من ذرية الشيخ الكامل أبي الحسن الششتري المتقدم ذكرهما في هذه الصحيفة الحاوية للمعاني اللطيفة، فحين دخلنا منزلهما عاملانا بالإجلال والإكرام والبشاشة والقبول التام، فجلسنا حصَّة من الزمان مع أولئك الجماعة، نتكلَّم ساعةً في العلوم، ونصغي إلى السَّماع ساعة، إلى أن انقضى ذلك المجلس السَّامي والروض الفائح بأزهار الفوائد النَّامي، فقمنا وذهبنا إلى الحرم، فصلينا به المغرب والعشا، وأزلنا بالأنوار عن القلوب كدر الغشا، ثم عدنا إلى منزلنا المعروف الذي هو بالألطاف محفُوف، وبتنا في أتمّ سرور وأوفى حضور، إلى أن طلع الصَّباح وأضا، وأشرق نوره في ذلك الفضا.

١٣٠/ب

مجلسٌ علمي في بيت مصطفى أفندي

آل الششتري

اليوم الثالث والثلاثون

[الجُمُعَة ١٩ رجب - ٢٨ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم الجمعة الثالث والثلاثون من هذه الأيام، أيام الرحلة إلى منازل الكرام، فجلسنا على عادتنا في منزلنا الرفيع نستجلي من نواحي الأحبَّة كل برقٍ لميع، فأرسلَ إلينا الشيخ الإمام، والفاضل الهمام، الشيخ أمين الدين أفندي المتقدم ذكره، وطلب منّا أن نكتب له الإجازة العامَّة في العلوم، على مقتضى الطريق المعلوم، فكتبنا له في كتاب إجازاته المحبوك، وعمَّمنا ذلك حتى في طريق السُّلوك، وهذه صورة ما كتبنا:

إجازة شعرية للشيخ أمين أفندي من النابلسي

بسم الله الرحمن الرحيم والله بكل شيء عليم

صَدَّقَ اللهُ حافظ الصَّديقِ ... بالمزايا وحُسْن ودّ الصَّديقِ

ناصر الدين بالنفوس اللواتي ... صدقت في معارف التَّحقيقِ

/وله العلم ظاهرٌ في قلوبٍ ... مُلئت من سُلاف قرب رحيقِ

١٣١/أ

حيث قدر العلوم لا زال عالٍ ... في رجال الكمال والتدقيقِ

كل شهمٍ له مراتب فضلٍ ... ساميات في أوج كلّ طريقِ

منهم الكامل الذي لا يُجارىٰ ... خير دانٍ إلى الإله عريقِ

قد سما في العلوم في كلّ فنٍّ ... وارتوى من مشارب التوفيقِ

الأمين الذي غدا بأمين الد ... ين يُدعى من نسل خير فريقِ

مقدسيٌّ وهو الخليلي أصلاً ... رام منّي بأن يكون رفيقي

في الإجازات من شيوخي جميعاً ... في علوم الدين الأجلّ الوثيقِ

والذي قد رويتُه ضمن ثبتٍ ... للإمام المحقّق المنطيقِ

مَنْ تسامى، محمد بن سُليما ... ن ويحيىٰ الشّاوي الكبير الشفيقِ

ولشبر املّسٍ نَمَتْه أصولٌ ... بعليّ سما إمام حقيقِ

وسواهم من الشيوخ ومن قَدْ ... جذبونا بالجمع والتفريقِ

من شيوخ العلم الإلهي قومٌ ... قد تبدَّوا بالصَّدقِ والتصديقِ

وأجزناهُ بالذي هو تصنيـفٌ لدينا بالرقم والتعليقِ

من نثارٍ، ونظم شِعْرٍ لطيفٍ وقصيدٍ وكلّ فنٍّ أنيقِ

وأجزنا بنيه أيضاً، وأولا د أخيه من غير ما تعويقِ

بالذي قد أجزتُه عن شيوخي ثم عنّي بالمثل والتطبيقِ

وأنا العبد للغنيّ ومن نا بلس نسبي، وذاك فريقي

منح الله من أجزتُ كمالاً وحماهم من كلّ كربٍ وضيقِ

ما سرى الركبُ مُدلجاً في الفيافي وتغنَّت حداةُ وادي العقيقِ

ثم حضر عندنا الإمام الصَّالح والكامل الفالح الشيخ يحيىٰ الدّجاني الداودي المذكور فيما سبق من الكلام، في هذا المقام، وعرض علينا إجازات له من مشايخه الكرام، وطلب منّا الكتابة له على ذلك، والإجازةُ منّا على حسب ما يقتضيه الحال في هذه الأيام، فكتبنا على إجازة والده له، حيث قُلنا من النظام:

إجازة الشيخ يحيى الدجاني

١٣١/ب

/بسم الله الرحمن الرحيم، وهو الفتّاح العليم:

شرَّف اللَّهُ ناظري بالدّجاني حيثُ شاهدتُ ما لَه من بيانِ

وتبرّكت بالإجازة منهُ لابنه الصَّالح القريب الداني

هو يحيىٰ لأنّه صار يحيا بالتقى والكمال والإيقانِ

ولدٌ فاضل حَوىٰ مِن أبيهِ شَرَفاً زائداً على الأقرانِ

وحباهُ منه بعزٍّ طريقٍ مستقيم إلى دِيَار الجنانِ

وأجزناه نحن أيضاً بأمْرٍ عندنا من شيوخنا الأعيانِ

سادة قادريَّةٌ وكبار نقشبنديَّةٌ أولي إذعانِ

وكذا كلُّ ما لنا من نثارٍ ونظامٍ من سَائر الأوزانِ

زادَهُ الله في الأنام كمالاً وحماهُ من الأسىٰ كلَّ آنِ

وأنا العبد للغنيّ وأصلي من دمشق خُصصتُ بالقرآن

من إلهي به أُجيزُ وأروي عن شيوخي أئمة الإتقانِ

رفعَ الله شأنَهم وحَباهم بالمعاني في سَائر الأزمانِ
ما تغنَّتْ حمامةٌ أو تثنَّتْ في رباها معاطف الأغصانِ

وكتبنا على إجازته في طريق الشاذلية قولنا:

بسم الله الرحمن الرحيم والله بكل شيء عليم:

إجازة للدجاني على طريق الشاذلية

نحمدكَ يا مُمِدَّ الموجودات بالوجود في كلّ الأمور، الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دريٌّ يوقد من شجرةٍ مُباركةٍ، زيتونةٍ لا شرقية ولا غربيةٍ، يكاد زيتُها يُضيء ولو لم تمسسهُ نار، نور على نور، ومنه الصلاة والسلام، على بدر حقيقة التّمام وعلى كلِّ مَن آل إليه، وصحبه بالوقوف بين يديه. أمَّا بعد فمن أجَاز فقد أذِن، ومن أذِن فقد أذكر الإذنَ القديمَ، والعهد المستقيم، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعني في كل حين، وكم من فئة قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً بإذن الله، واللَّهُ مع الصابرين.

إجازة خلوتية له

وكتبنا على إجازته في طريق الخلوتية قولنا:

١٣٢/أ

/«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أطْلَعنا على هذه الإجازة، وألهمنا حقيقة النظر فيها لا مجازه، وشرَّف الخاطر بروض معانيها العاطر، والصلاة والسلام على ينبوع الأسرار، وطريق الأذكار محمد المصطفى المختار، وعلى آله وأصحابه السَّادة الأبرار.

أمَّا بعد، فالصّدق في الإرادة، وصيَّتُنا للمريدين أرباب السَّعادة، حتى ينالوا الحسنى وزيادة.

وكتبنا إجازته في طريق القادرية قولنا:

إجازة ثالثة على طريق القادرية للدجاني

بسم الله الرحمن الرحيم، لك الحمد يا مدبِّر الأمور، ولك الشكر يا مُقلِّبَ القلوب على الحزن والسُّرور، وهذه أحوال المُريد السالك في جميع المسالك، والصَّبر يقي من المهالك، والتقوى أساس الأسرار وهي حلية الأبرار.

وكتبنا على إجازته لولده الفاضل النجيب، والكامل الأديب الشيخ عبد الحيّ، وفقه الله تعالى في جميع ذلك، قولنا:

إجازةٌ لولد الدجاني

بسم الله الرحمن الرحيم، جلّ الذي أنشأ عبادَهُ الصَّالحين، وأقامهم على قدم التقوى والدّين، وجعل يحيىٰ الكامل في مراتب التقوىٰ إن شاء الله تعالى يحيا بالعزّ والإقبال، وشريف الأقوال والأحوال، رحم الله تعالى أسلافه الكرام وأجداده سادات الأنام، فالإجازةُ من الوالد إلى الولد السّعيد من أهلها في محلّها الذي ما عليه من مَزيد، ثبّت الله تعالى قدمه، ووالى عليه نعمه ما توالىٰ الليل والنهار، وتبيَّنت المعارف والأسرار، وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

فلما دنا وقت صلاة الجمعة، حقّق كلّ واحدٍ منّا فرقه وجمعه، وقصدنا الصلاة في المسجد الأقصى، وكان ذلك أبعد مأمولنا وأقصىٰ، فدخلنا ذلك الجامع المبارك، ودنونا من الخطيب، ونعمنا بتلك الخطبة، وشممنا روائح ذلك الطيب، ثم لمّا قُضيت الصَّلاة التمسنا من الله تعالى كمال الصَّلاة، وذهبنا مع جماعةٍ من الإخوان إلى ضيافة النّاظر سابقاً على حرمي الأقصى والخليل، وهو مفخر الأعيان المعتبرين، خلاصَةُ ذوي الشَّأن الجليل، علي آغا / سلَّمه الله تعالى، فلمّا وصلنا إلى منزله الأمين، ودخلنا في حصن بيته الذي هو بالكمالات حصين، خرج إلى لقائنا بكمال الترحيب والإجلال، وبثَّ ما في أخلاقه من كرم الخصال، حتى جلسنا في ذلك القصر المشيد، والمجلس السَّامي السَّعيد، وكان له عبد أسود اسمه سالم، من المجذوبين المولّهين المصطلمين، لا يكلِّمُ الناس إلا قليلاً، وله قصصٌ وكرامات كثيرة، يُعظِّمُهُ الناس ويَعْتَقِدُونَهُ، اشتراه سيده المذكور قبل أن يُجذب، فلما جُذب أعتقه وأبقاهُ عنده، وكان يطلب رضَاه، كما قال القائل من الأوائل:

١٣٢/ب

زيارة علي آغا

وإذا العنايةُ لاحظتْ عبد الشَّرىٰ   تمضي على ساداته أحكامُهُ

الشيخ
عبد الله المجذوب

فاجتمعنا به وجلس عندنا، وحضر عندنا في المجلس رجلٌ من أهالي المجاهَدةِ النفسانية، يُسمّى الشيخ عبد الله، كان أولاً من العلماء، يُلقي الدرس في الصَّخرة الشريفة، فأخذه الحال والجذب، فتارةً يلبس عمامةً كبيرةً، وتارةً صغيرة، وأخرى يدور هكذا، وأخرى ينزع ثيابه جميعها، ويحفظ من كلام الصوفية، ويحفظ الهمزيَّة ويُنشد من كلام الصَّالحين.

ثم لمّا تمّ ذلك المجلس، وانقضى بجميع ما فيه من أنواع الإكرام، قمنا وذهبنا إلى الحرم الشريف، فصلينا به المغرب والعشاء بالحضور التام، ثم صعدنا إلى منزلنا بالسُّلطانية، فبتنا في أرغد عيشٍ وحالةٍ سنية، إلى أن طلع وجهُ الصباح، وهبَّت نسمة الصَّبا في الرياض، فأمالت منها الأدواح.



اليوم الرابع والثلاثون

[السَّبت ٢٠ رجب ـ ٢٩ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم السبت الرابع والثلاثين من هذا السفر المبارك بيقين، عزمنا على الخروج من هاتيك البلاد، والتوجُّه إلى جهة الأهل والأولاد، فحضر لوداعنا جملة من أصحابنا أهل الصداقة والوداد، فسِرنا على بركة الله تعالى وخرجنا من باب العمود، وخرج معنا إلى مقام الشيخ جرَّاح، سادة من أهل الكرم والجود، وفات معنا صاعداً هاتيك العقبة الكؤود بعض الأحباب الكرام الأنساب والجدود، إلى أن وصلنا إلى خان البيرة، فنزلنا هناك على مياهٍ كثيرة، ورياض نضيرة / وأكلنا ما تيسَّر من الزاد، ومنحَنا الله من إنعامه وزاد، ثم سِرنا إلى أن وصلنا إلى قرية سنجل فضربنا الخيمة هناك، وبتنا في تلك المرجة ذات الاحتباك، وكانت ليلة عطِرة، لكنَّها من شرٍّ اللصوص خَطِرة، ومع ذلك بتنا في أكمل سرور وأتمّ نَشْأةٍ وحضور، حتّى انتفض الصَّباح عن صبغة الليل، وشمَّر الدجى لمسيره الذَّيل.

رحلة العودة

خان البيرة

١٣٣/أ

سنجل

اليوم الخامس والثلاثون

[الأحد ٢١ رجب ـ ٣٠ نيسان/أبريل]

وكان ذلك اليوم يوم الأحد الخامس والثلاثين من هذا السَّفر المخصوص بالتعيين، فسِرنا حتى أقبلنا على نابلس المحروسة ذات الربوع المأنوسة، فخرج إلى لقائنا أهاليها الكرام، ذوو المهابة والاحتشام، حتى دخلنا إلى مدرسة الشيخ بدر الغفير المشهورة بمدرسة الشيخ بدران، ونزلنا هناك مع جملة الإخوان، وجلسنا لتلقاء الأحباب واستقبال الأصحاب، فورد علينا خاصَّةُ أهل البلاد وعامَّةُ أرباب الوداد، ودعانا إلى ضيافته في داره، فذهبنا لاقتفاء آثاره، مفخرُ السلالة الهاشمية، وخلاصةُ الأحباب، صاحب الأخلاق المرضيَّة السيد أحمد النقيب، المتقدم ذكرهُ في هذا الطرس الخضيب، فسِرْنا مع الإخوان إلى داره المعمورة الأركان، اللطيفة البنيان، ذات البُركة الجارية والبَركة الوافية، فجلسنا في ذلك المقعد المنيف والمجلس الشريف، المحفوف بأشجار الورد، والمياه العذبة الوِرد، وقد حضر السَّماع، وطابت الأسماع، وكثرت الفوائد، وحسنت الموائد، فطلب منّا غبّ ذلك، أن نكتب له على إجازته في طريق الشاذلية الواضح المسالك، فكتبنا له على مقتضى البديهة ما هو تحفةٌ للسالك وذلك قولُنا:

نابلس

السيّد أحمد النقيب

إجازته لهُ

إنَّ الإجازة في الطريق الأحمدِ	للشاذلية لا تزال لأحمدِ
من آل طه المصطفى خير الورىٰ	بالحقّ يرقىٰ في تُقىً وتجدُّدِ
وعليه من سرّ الهداية هيبةٌ	تغنيه عن سلّ الحُسام المغمدِ
وأجزتُه أيضاً أنا بجميع ما	أرويه عن شيخٍ إمامٍ مُهتدي
وبكلّ ما صنَّفتُه ونَظَمتُه	في العلم والأدب الذي يروي الصَّدي
/والشَّرط معروف لديه وإنني	عبدُ الغنيّ نمت لنابلسٍ يدي
والله يحفظه ويحفظنا على	أحوالنا من كلّ ذي مقتٍ ردي
ومن المتاعب كلّها ما هيمنتْ	في الروض ريحُ صَبا أتتْ بتردُدِ

١٣٣/ب

وبتنا تلك الليلة، بأجفان من إثمد النوم كحيلة، إلى أن طلع ضوء الفجر، وقام مؤذن الثواب والأجر.

اليوم السادس والثلاثون

[الإثنين ٢٢ رجب ـ أول أيار/مايو]

وكان ذلك اليوم يوم الإثنين السادس والثلاثين من هذه الأيام المطربة بأنواعِ التَّلاحين، فجلسنا في تلك المدرسة المباركة وألِفْنا من ذلك المجلس أرايكه، حتى ورد الركبُ الشَّامي بالخبر المسرّ السَّامي، وجاءتنا المكاتيب، من جهة الأهل وجانب كلّ صديق، وأقبلتْ علينا وجوه المسرَّات، ونعمنا بأنواعِ الإقبال والمبرّات، فأول ما ورد علينا مكتوب أخينا شقيقنا العالم العلاَّمة، العمدة الفهَّامة، الكامل الفاضل، حاوي الكمال والفضائل، الشيخ يوسف سلَّمه الله تعالى وضاعف أنعامه عليه ووالىٰ، فسُرَّت القلوب بوروده، وتعطرنا بروائح رياحينه ووروده، وورد علينا أيضاً مكتوب ولدنا الروحاني، وصديقنا الربَّاني الشيخ محمد أبي السعود، المتخلّق بأخلاق الصَّاحب الودود، وهو قوله بطريق الإنشا، وهو الفارق الجامع إنْ شا، وفي صدره هذه القصيدة، وهي من صَدْره، ومن شُعاع شمسه وبدره:

رسالة أخيه يوسف إليه

رسالة من محمد أبي السعود

قصيدة أبي السُّعود

سَرىٰ البدرُ ليلاً من حمىٰ بيت ربِّه ... إلى المسجد الأقصىٰ إلى حضرة العُلا

وسار به الروح الأمينُ مُسامراً ... إلى فلك الأرواحِ سِدرةِ مُنتهىٰ

وزجَّ به في نور مشكاة ذاتِه ... على رفرف الأسرار في لُجَّة العمى

وأدناه منه ربُّه لمكانَةٍ ... رأى ما رأى فيها وما وَهَت القُوىٰ

وعاد وصُبح الدين قد لاح فجرُه ... إلى أن أزالَ السّتر واستنطق الحصىٰ

فحقِّقْ ترى عبد الغني وارثاً لهُ ... يحاذيه طبقَ النعل في مشيه سُوىٰ

وما قُلتُ هذا من قَريحة فكرتي ... ولكنني في النوم أُلهِمْتُه كذا

وقمتُ وفي روعي من الوقر روعة ... وما خَفِيتْ تلك الإشارة والوحَى

١٣٤/أ

/ولستُ كذوباً، لا، ولستُ بصادقٍ ... ولستُ بباقٍ لا، ولست بذي فنا

ولستُ مُقيماً لا ولستُ مُسافراً ... وفي وطني لم أُلقِ عن عاتقي العصا

ولستُ مريداً لا، ولستُ بسائرٍ ... ولستُ بذاك الواصل اللوذعي الفتىٰ

ولكنني من بحـر فيضـك مـوجَـةٌ إذا مُزجت في البحر لم تلقها سِوىٰ
عـليـك سـلام الله مـا لاح بـارقٌ ومـا رقت الأسـرار منـك بمستـوى
وأصحـابكم والتـابعيـن ونجـلكم ومَن جاء يبغي الحقَّ أو يطلب الهدىٰ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد خير النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وأصحابه أئمة الدِّين، وعلى أتباعه الوارثين، ومن كان إلى جنابهم في المحبَّة من المنسوبين وسلَّم، أما بعد، فالمُهدىٰ من العبد التَّواب، الملقي بذله وانكساره في الأعتاب، الفقير، حتى من الفقر بلا ارتياب، المعوِّل على سعة العفو والجود، محمد أبي السعود، لطف الله به آمين، إلى الوارث المحمَّدي الجامع، والنور الأحمدي السَّاطع اللأمع، الختم الأعظم لدائرة الولاية، في التعينات الذَّاتية، والمهدى المُلهَم بأسرار الرسالة، في التجلّيات الصفاتية، والخليفة المكرم بولاية الرعاية، في التنوعات الأسمائية، عرش الاستواء للتجلّي النفسي، ومحل الاعتناء من آية الكرسي، مهبط الأسرار القدسية، ومطلع الأنوار الأنسيَّة، قطب الأزمان، وغوث الأعيان، وميض برق الأنوار، ومفيض ودق الأسرار، جامع الأحاديث النبوية، ومجدِّد الملَّة الإبراهيمية، وموضِّح جادة الطريقة المحمَّدية العارف الربَّاني، الولي سيدي وأستاذي، وعمدتي وملاذي الشيخ عبد الغني، لا زالت أيدي رحاب الأماكن مملوءة بمنايحه، وألسنة الأزمان مشغوفة بمدايحه، راقياً في معارج المعارف، رافلاً في رياض الحقائق والعوارف، محفوظاً بعين عناية الملك العلاَّم، وهو ونجله السعيد ومن يلوذ به من جميع الأنام آمين، سلاماً ينفح شذى طيبه / من وردةِ الأزل، فتتمسَّك بأذيال نفحاته الآبادُ فيما لم يزل، تحملهُ الأرواح على راحاتها، وتَحُفُّهُ الكرُوبيّون بتسبيحاتها وتقديساتها، ألا وهو الروح الحامل والمحمول، المُهدىٰ إلى من تقصر عن إحصاء مدائحه ألسنةُ النقول والعقول، وقد نشر لسان الجمع في مدايحه منظوم قلائد العقيان، ونظم في محامد محاسنه منثور اللآلي والمرجان فقال:

نص رسالة أبي السعود

١٣٤/ب

حمِّل الروحَ يا صَبا راحاتك | وانقل الطيبَ من شذى نفحاتكْ
واطوِ بسطَ الهوى لنشر غرامي | ثم سِرْ نحو سادتي بحياتكْ
وأبلغن سيدي جميل ثناءٍ | وقل العبدُ مُلقً في عتباتكْ
يا إماماً له التقدم قِدْماً | ما صَلاة الأنام غير صلاتكْ
قد أعرتَ الوجودَ منك وجوداً | ولأعيانه مراتب ذاتكْ
ولك الرتبةُ النزيهةُ عنْه | حيث لا رتبة تضمّ جهاتكْ
قسماً باليمين من كعبة الذا | ت وجمع الحجيج من عرفاتكْ
وبعين العيان من كل عين | قد أقرَّت بالوجه من سبحاتكْ
ومجالى الجمال والحسن والقُبْـ | ـح ِ وما لاح في صفا مرآتكْ
من بدور تجلّي شموس كؤوسٍ | للحميّا والخمر من لحظاتكْ
ورياض فيها الحسان غواني | تتثنّى على صدى نغماتكْ
وغزال فاق الغزالة جِيداً | وبهاءٌ عارها لفتاتكْ
وبأهل الهوىٰ وأمّة عشق | وبسرّ الشُّؤون في حضراتكْ
وبإسدائك الجميل لكلٍّ | وبما فاض من بحار هباتكْ
قسَماً برَّةً بميمن محبٍّ | راغماً في هواك أنف عداتكْ
ما لحظتُ الوجودَ إلا وأبدىٰ | لعياني مَحاسِناً من صفاتكْ
فسلامٌ عليك من كلّ شيءٍ | هو لا شيء، والوجود لذاتكْ
وعلى الآل والصَّحابة جَمْعاً | ما بدا النُّور من ضيا مشكاتكْ

١٣٥/أ

وورد علينا أيضاً مكتوب ولدنا الفاضل الكامل، الصالح العوامل/النجيب الصَّادق، الشيخ محمد صادق، فسرَّتنا كلماته، وهزَّتْ أغصان قلوبنا نسماتُه، وهذه صورتُه، حيث تُليتْ سورتُه، وذلك من إنشائه، وخُلوص مودَّته وولائه.

رسالة من الشيخ محمد صادق

بسم الله الغني عمّا سواه، وصلّى الله على من اصطفاه، محمد خاتم أنبياه، وعلى آله والتابعين لنباه وسلّم. إلى جناب سيدي وأستاذي وقدوتي وملاذي قطب الوجود، وإناء فيض وحدة الوجود، صاحب المحلّ الأنسي

والنُّور الموروث القدسي، العارف بربِّه العلي مولاي الشيخ عبد الغني حفظه الله تعالى، ونفعني ببركاته، آمين:

سلام من المضنىٰ يجلّ عن الحصرِ ... وأزكى تحيات تكلَّلُ بالدرِّ
إلى السيد المولى الذي أنا عبدهُ ... إمام أولي التحقيق علاّمة العصرِ
إليك سلامي قد بعثت وحالتي ... من البين قد حالت وأنت لها تدري
فدونك أبياتاً بمدحك شُرِّفتْ ... وقد ترجمتْ عمّا تضمنه صدري
وخُذ يا إمام العارفين قَصيدةً ... أتتك وريّاها يفوق على العطرِ
وأسبلْ عليها الستر يا سيداً سما ... بطلعتهِ الغرّا على الشمس والبدرِ
لأنَّ لساني عن مديحك قاصرٌ ... وأرجو بتقصيري القبول مع الجبرِ
عليك سلام الله ما قال صادقٌ ... سلامٌ من المضنىٰ يجلُّ عن الحصرِ

وبعد ذلك نقول، في ترجّي القبول:

قصيدة الصّادق في مدح النابلسي

يميناً وحقّ الحبّ من سالف العهد ... وعيشٍ مضىٰ بالأنس يشهدُ للودِّ
وأيام وصل كم تمنيت عودَها ... فعادتْ ولكن بالبعادِ وبالصدِّ
ومطلع أنوارٍ لحسن جمالكم ... يهيمُ بها قلبي المتيَّم مع وجدي
لأنتم إلى المضنىٰ أجلُّ مرامه ... ووصلكم أحلى لديه من الشهدِ
ولا مال سلواناً إلى الغير ساعةً ... وكيف يميلُ الصبُّ للحجر الصَّلدِ
فيا حادي الأظعان عرِّج بمهجتي ... لنحو حماهم علّ يرثون للعبدِ
وقل في دمشق الشَّام صبٌّ تركتَهُ ... يبيتُ سمير النَّجم يشكو من البعدِ
/له مدمع يوم النوىٰ طال سفحُهُ ... وقلب براه الشَّوقُ من ألم الفقدِ

١٣٥/ب

يحنّ إلى تلك المنازل والرُّبا ... حنين الشَّجيّ المستهام إلى نجدِ
سباه غزالٌ في حماكم لحاظُهُ ... تسلُّ سيوفاً للقلوب على عمدِ
له قامةٌ قد أخجلتْ بانة النقا ... تميس دلالاً فالشجا بها مُردي
فما الصّبحُ إلا من صباحِ جبينهِ ... ولا الليلُ إلا من ذوائبه الجعدِ
ولا الشَّهدُ إلا من رحيق رضابهِ ... ولا الوردُ يُجنىٰ من سوى ذلك الخدِّ

فيا ليت شعري مَنْ هواه أضاعني … وأوقف جفني في الغرام على السُّهدِ

وفرَّق شملي بَعدما كان جامعاً … وصيَّر صبري فيه منفصم العقدِ

وأصلىٰ فؤادي في جحيم صدوده … وأحرمني من وصله جنَّة الخلدِ

يجود إلى مُضنىٰ التنائي بنظرةٍ … يعيدُ بها ميتَ البعاد مع الصَّدِّ

ويرحم حالي والسّقام وأنّتي … وقلباً بفرط الحبِّ، ذاب من الوجدِ

فآهٍ وهل لِيَ من معيني على النّوىٰ … أبثُّ له ما بي وأشكو الذي عندي

وإنّي كتمتُ الحبَّ لكنْ تزايدتْ … شُجوني، فعبراتي لما قد خَفى تُبدي

فيا مَن بذلتُ الروح في جنب حبّه … وأمسيتُ مفتوناً به في الورى وحدي

ويا من صلى نار الجفا بين أضلعي … وأرشفني في الحبّ فاتحةَ الرَّعدِ

خفِ الله في قلبٍ يُقلَّبُ في لظىٰ … صُدودك والإعراضَ يا غاية القصدِ

ورفقاً بقلبي، ثم رفقاً إلى متى … تسلُّ سيوف الهجر من داخل الغمدِ

ويا عاذلي في الحبّ دعني وعَدِّ عن … ملامك لي، فالنّصح عنديَ لا يُجدي

فإنيَ مالي عن هوى الغيد مذهبٌ … وإنّي بروحي أهل دين الهوى أفدي

ووالله لا أنسى الهوى إنْ هم نأوْا … ولم أسْلُهُم كلّا ولو صرتُ في لحدي

وإني لأرجو زورة الطيف في الكرىٰ … فهل يا خيَال الطيف تُبلغني قصدي

وهل يا لُوَيْلاتُ مضين بجمعهم … تجودين للمشتاقِ بالعود والردِّ

فإن فؤادي شفّه البينُ والقلا … وجارتْ على قلبي الكئيب يدُ البعدِ

ولستُ أرى لي مَخلصاً من يد النوى … سوى مدح مولىً وصفُه جلّ عن حدِّ

إمامٌ رقى أوج المعارف وارتقىٰ … بهمّته العُليا على فلك السَّعدِ

/له قدم التحقيق في كلّ مبحثٍ … سواهُ لديه لا يُعيدُ ولا يُبدي

١٣٦/أ

حوى سائرَ الأفضال بل كان قُطبها … ووارثها عن والدٍ بل وعن جدِّ

ففي النحو والتفسير كم فاق عالماً … وفي الفقه والتوحيد جلّ عن الندِّ

وفي كل علمٍ، تلقَهُ البحرُ لامِرا … وفي كل لفظ منه أهل الشّقا يهدي

وأمّا علوم العارفين فإنّه … بها قد غدا في الناس كالعلم الفردِ

حوى قصبات السّبقِ في طُرق العلا … ونالَ مقاماً ليس يُدركُ بالكدِّ

وليس سوىٰ عبد الغني مُرشداً ترى فقصِّر عليك السَّير يا طالب الرُّشدِ
ووافي جِماهُ بانكسارٍ وذلَّةٍ لكي تدرك المأمولَ إن كنتَ ذا جدِّ
ونادي به إن ضاق يوماً بك الفضا فكم فرَّج المولى به كُرباً تُردي
وقل يا إمام المشهدين ومَن غدا إلى أهل هذا العصر واسطة العقدِ
ويا كعبةَ العرفان يا من لذاتِهِ تحجُّ علوم الله من غير ما جحدِ
ويا مجمع البحرين موسىٰ وخلّه ومن قد رقىٰ في العالمين ذُرا الحمدِ
إليك غدا المسكين يرجو تقرُّباً عسىٰ من بحارِ الفضل تسمح بالرفدِ
عليك سلامٌ في سَلامٍ مُضاعفٍ على أمد الأزمان لم يُحصَ بالعدِّ
وآلٍ وأصحابٍ بخدمتك ارتقوا إلى فلك التَّصديق من ذُروة المجدِ
مدى الدهر غنّى الحمام على اللوىٰ وما في رياض الإنس هبَّت صبا نجدِ
وما صادقٌ قد قال في المدح مُقسِماً يميناً وحق الحبَّ من سالف العهدِ

ووردَ علينا أيضاً من بعض الأصحاب، وأعزاء الأحباب، فتح الله عليه بأنوار الاقتراب، مكتوبٌ هذا صُورته:

رسالةٌ من بعض الأصحاب

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، نبتهل إلى الله تعالى بأدعيةٍ طاب شميمها، وأثنيةٍ فاح من حول الحضرة المحمدية الكاملة نسيمها، مُهدياً شرايف السَّلام، ولطائف التحية والإكرام، إلى من تحلّى بأكمل الصِّفات العليَّة، وتجلّى بأجمل السِّمات البهيَّة، شيخ الطريقة والحقيقة، بل بركة الوجود والخليقة، العالم الربَّاني، والقطب الفرد الصَّمداني، شمسُ المعارف، وقمر العوارف، صاحب / المقام العلي، والقدر الكامل السَّني، سيِّدي وأستاذي، وقدوتي وملاذي، الشيخ عبد الغني، يقبل الأرض ويعفِّر الجباه، عند عتبة مولىً أكرمَهُ اللَّهُ بالفضل وحباه، من ابتسمت من غيث ذهنه ثغور زهور العلوم والآداب، وأشرفت إلى رياض فضائله نفوس الأنام، فصارت مفتَّحةً لهم الأبواب، اجتهد في تحصيل الفضل، فجمع من طارفه وتالده، فلا غرو في العلوم والفضائل أن يحذوَ حذو والده، فارسٌ إذا ركض

١٣٦/ب

جواد طبعه في المضمار، يحوز قصبات السبق بحيث لا يشق له غبار، أحيا آثار الآداب وأدرك ناره، وأعلم شعارهُ، وأعلى مناره، فاح بنشرِهِ ريّاه، ولاح ببشره مُحيّاه، أصبح في ذروة العلوم كنار على عَلَم، وأضحى في كعبة الفضائل ركناً مستلَم، اشتهر في الآفاق بحسن ذكره وطيب وصفه، وكيف لا، والمسكُ يُعرف من شذى عرفه، لا زال منهل فضله عيناً يشربُ بها المقرَّبون، ولا برح منزل علمه نجماً، وبالنجم هم يهتدون. هذا وإنَّ العبد الداعي لمّا امتدَّ حبل بعده وبينه، واشتدّ بمفارقة قرب أعتابكم رمدُ عينه، أصابَهُ ما أصابه من لهيب نار الجوى، وذبل من حرّ الفرقة نبات عيشه وذوىٰ، تأجج في حشاه ضرام الشوق، وكبر عمر صبره عن الطوق، لا يزال يتفكّر خدمة المولى ويتذكّر، ولا يفارق من أجفانه السُّهاد والسَّهَر، يتأسّف على أيام القُرب والتداني فيقول يا لها من نصيبه، ومتى تذكَّر أوقات اجتماعكم، يُنادي قفا نبكِ من ذكرى حبيب:

فـإذا نـطقْتُ فـأنت أول منـطقي ... وإذا سكتُّ فـأنـت في إضـمـاري
وشِهابُ زنـد الوجـد إنْ طـاوعتـه ... واريٰ وإن عـاصـيتـه مـتـواري

ونتضرَّعُ إلى الباري بقرب الاجتماع، وحسم مواد الانقطاع، مقيمٌ على رسيس[1] العهود، باق على خلوص ودِّه المعهود، يأمل من مالكه أن يقرِّب خطوات القرب عن قريب، إنه هو القريب المجيب، ومن قَصَده لا يخيب.

١٣٧/أ ووَرد علينا أيضاً مكتوب آخر من بعض الأعزَّة / ذوي الفخر والعزَّة، صورته هكذا:

رسالة أخرى وهي الخامسة

يُقبل الأرض تقبيلاً يكرره ... في الطرس إذ فاتَه تقبيله بفمهْ
ويَسأل الله أن يبقيك في دعةٍ ... مُمتَّعاً بالذي أولاك من نعمهْ

إلى جناب مفخر العلماء والمحققين، وعمدة الفقهاء والمحدثين، ومعدن العلم واليقين، وبحر الفضائل، وكنز الدقائق، أخصُّ بذلك حضرة

---

(١) أثرها.

شيخنا وسيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى، جناب العلاّمة الشيخ عبد الغني، أمدَّهُ الله تعالى بمدده، وحرسه بعين عنايته، وأدام لنا وجودَهُ، وأنار بحقائق التحقيق شهوده، من رأى منقطع الأخبار فوصَلَه وموصول الآثار فأوقفه على من قالَهُ ونقله، الذي تواتر حديثه العذب وتسلسل، واشتهر خبرُه المطلق فصحَّ أنّه بقيد البلاغة مُسلسل، الذي ظهر بمنهاج تحقيقه أسرار جمع الجوامع، وأخجل بتدقيقه همع الهوامع، الذي سكن الضمائر، بما فتح لها من أسرار لسان العرب، والمغني للطلبة بتوضيح مسالكه عن مَراجعة غيره من ذوي الفضل والأدب، الذي أقام فصيح الكلام على أقوى أساس مُحكم، وميَّز الصحاح عن غيرها بما لديه من قاموس الفهم وأحكم، نورُ حدقةِ الأبصار، ونَوْرُ حديقة الأزهار، المتوّج باسمه الكريم أعلاه، لا زالت شموس المفاخر بوجوده طالعة، وأقمار المآثر بسعودِه ساطعة.

وورد علينا أيضاً مكتوب آخر من بعض التلامذة الكرام، وفَّقه الله تعالى، ووالى عليه الإنعام والإكرام، وهذه صورته:

رسالة سادسة

إن أشهى ما نمَّقته أنْمُلَةُ الأقلام، وأبهى ما رقمته ألسنة الأرقام، وأسمى ما كان خليقاً بأن يُعرَّف بالألف واللام، وأنحى ما يُرى حقيقاً بأن يكرر فيه السلام من السَّلام، سلام أرقّ من الصَّبا، وأعذبُ من أيام الصِّبا، يتردد تردُّد الأرواح في الأشباح، ويمتزج بالمودَّة والمحبَّة امتزاج الماء بالرَّاح، تزهو بالمحبَّة رياضُهُ، وتُثمر بالمودَّة غياضه، وتنمو به أغصان الوداد / وتزهو به أفنان الاعتقاد، يفتَرُّ عن نور حياض، ويبسم عن درّ رياض، ويسحب على رُبا الغبراء ذيلَهُ الفضفاض، يحسبه اللامس كافوراً، ويخالُه الشّايم نوراً، حتى إذا أدركهُ معنًى وحسّاً، وجد نفحته مسكاً ولمحته شمساً، مولانا الفاضل، المحقّق الكامل، البحر المحيط والقاموس الوسيط، الحبر النّحرير، ذو القدر الخطير، البحر الزّاخر والدُّر الفاخر، سابق مضمار التحقيق، فائق المرشدين في الدلالة إلى سواء الطريق، كشّاف المشكلات، حلّال المعضلات، كنز رموز الحقائق، رمزُ كنوز الدقائق، حاوي مقام المرسلين،

١٣٧/ب

خلاصةُ لباب أصحاب اليقين، شمسُ فلك المعالي، والكوكب الأنور المتلالي، مجمع بحري الشريعة والحقيقة، ومطلع بدر الوجود، وهو الذي لم تفتْه دقيقة، وهو المراد بقول نبيّنا خاتم النبيّين، أنّ الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للأمَّة أمر الدين. حضرة سيدي وأستاذي وملاذي الشيخ عبد الغني، لا زالت كيمياء سعادة أنفاسِه المنيرة متباركاً فيها، وأدام الله إفاضةَ تلك الينابيع من صدره، وإبراز جواهر الفرائد من بحار قلبه وسرِّه.

أما بعد، فالمُنهى إليه، أفاض الله سحائب جوده عليه، أنَّ الأشواق قد جلَّت وعظمت عن أن توصف بعبارة، وعزّتْ ودَقتْ عن أن يُشار إليها بإشارة، وبالجملة فلا يعلمه ولا يدريه إلا القلب الذي هو فيه، انتهى.

إجازة شاذلية للشيخ أحمد الحارثي

وقد طلب منا ولدنا الفاضل، جامع أشتات الفضائل، الشيخ أحمد الحارثي المتقدم ذكره، أن نكتب له على إجازته التي له في طريق الشاذلية، بما تيسَّر من الكلمات المرضية، فسمح الخاطر بهذه الأبيات العواطر، وهي قولنا:

إجازةٌ في طريق الشاذليةِ لا ... يزال صاحبها في زمرةِ النّبلا

صِدْقٌ وعزمٌ وتوفيقٌ ومكرمةٌ ... ومن الستّ لها الإنسان قال بلىٰ

/والذّكر سرّاً وجهراً والمجيز به ... على المجَاز له قد أسبل الحللا

١٣٨/أ

وخصَّهُ بكمالٍ عن مشايخهِ ... أهل المعارف سادات الورى الفضلا

وعمَّه بالتقى من فيض خالقِه ... وزاده هيبةً منه بِفرط ولا

لا زال معمور أوقات بكلّ تُقَى ... وبدره في دياجي الدَّهر مكتملا

ما أسفر الليل عن وجه الصباح وما ... غنّى الهزار على أغصانه زَجَلا

وما غدا ناظماً عبد الغنيّ لمنْ ... أرادهُ ناصحاً في الدين مُبتهلا

وذاك نابلسيّ الأصل مرتجياً ... عفواً من الله عمَّا منه قد حصلا

في عام ألفٍ وإحدى قَبلها مائةٌ ... من هجرة المصطفى مَنْ شرَّف الرسلا

صلّى عليه إله الخلق سيدُنا ... والآل والصحب، ثم التابعين تلا

زيارة تربة الدرويش مراد الرومي في نابلس

ثم ذهبنا إلى زيارة الشيخ الصالح، الكامل الناجح، الدرويش مراد الرومي في زاويته المتقدم ذكرها، فلما وصلنا وقفنا على قبره، وقرأنا له الفاتحة ودَعَوْنا الله تعالىٰ، وجلسنا في ذلك المكان، حصَّةً من الزمان، نتجاذب أطراف المسائل العلميّة مع الإخوان إلىٰ أن أردنا الذهاب، فوقفنا عند ذلك الباب وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالىٰ بدعاء إن شاء الله تعالى مستجاب.

هدية من الرومي للنابلسي

ثم إن خادم ذلك المكان المهاب، وهو تلميذ الدرويش مراد المذكور، ومريده السَّالك على طريقته في تلك الأماكن والقصور بلا قصور، قام بإلهام رفع في قلبه في ذلك الحين، وأخذ يداً صغيرة مجعولةً من عظم السمك الأبيض، ولها ساعد من خشب الآبنوس المتين، كانت لشيخه الشيخ مُراد، وهي مغرورةٌ في عمامته التي فوق ضريحه، فتناولها ودفَعها إليَّ، فأخذتُها بيدي اليمين، وسُررتُ بذلك سروراً كثيراً، وعلمتُ أنه كان بذلك لنيل الكمالات مشيراً، فكأنَّه حيث لم نجتمع به في عالم الحياة، مُدَّت لنا يدهُ للمبايعة بعد الوفاة، وكأنّما يدهُ معنا حيث سرنا من ذلك المكان، وقد ورد: يد الله مع الجماعة، يعني أصحاب الجمع في مقام الإحسان، وقد قلنا في هذه القضيّة من الأشعار المرضية:

١٣٨/ب

/ويدٍ مكملةٍ لنا من كاملٍ	مُدَّتْ وقد جمعت لخمس أصابعِ
لا من دمٍ هي لا، ولا لحمٍ بلىٰ	من أبيضِ العظم النحيت الناصعِ
ولكفِّها من أبنوسٍ ساعد	لُفَّتْ جوانبه بسود مدارعِ
أثرٌ من الآثار يبقىٰ عندنا	متبرّكين به لأمرٍ قاطعِ
وهو الإشارةُ للجمود وأنَّهُ	محض الكمال لفارقٍ ولجامعِ
رحم الإلٰهُ يداً بها مُدَّتْ لنا	بعد المماتِ بساعدٍ متواضعِ
وكأنّما هو من يدٍ ليدٍ بِهِ	يُعطي ويأخذ شاهداً في الواقعِ

الشيخ طه

ثم خرجنا فأدَّينا صلاة العصر مع الجماعة في جامع النَّصر، ورأينا هناك على يمين المحراب مصطبة كبيرةً معمولة بالأحجار والشيد، يُقال إن

تحتها قبور الشّهداء، فوقفنا وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالى بما تيسَّر من الدّعاء، ثم ذهبنا إلى ضيافة أخينا الصَّالح، المهتمِّ بقضاء المصالح، الشيخ طه، أعَزهُ الله تعالى بعزّ التقوى، وحفظه في السرِّ والنجوى، فصعدنا إلى ذلك القصر العالي، وأشرق في سمائه كوكبه المتلالي، وجلسنا منه في روضةٍ من الآداب، وجدول بأنواع الكمالات ينساب، وأزهار فائحة من الأصحاب والأحباب، حتى كمل ذلك الدّاعي، وحمدت إجابته بجميل المساعي، وقد عرض علينا إجازته في طريق الشاذلية وطلب منّا الكتابة عليها بمقتضى ما تسمحُ به السجيَّة، فحققنا إجابَته وتحققنا إصابته حيث قلنا وكتبنا:

إجازته له في طريق الشّاذلية

إجازةُ الشيخ طهْ ... في السّير سيرة طه
من المجيز إليها ... كلّ الكمال تناهى
وَزَادَهُ الله فضلاً ... ورفعةً وانتباهَا
وقد أتتْ طبق حالٍ ... له وكلٌ يراها
بها تشرَّفتُ لمّا ... شهدتُ نور هداها
والعبد عبد غنيّ ... بفيه قبَّل فاها
وقد حوى بركاتٍ ... أتت إليه شفاها
/من الإله وأضحى ... بخيرها يتباهى

أ/١٣٩

لا زال في السَّعد هذا الـ ... مجاز عزًا وجاها
وبالحقائق يسمو ... إلى عُلا منتهاها
وعينُ مولاهُ ترعى ... قلباً لهُ قد رعَاها
ما لاح صبحٌ وَغنَّتْ ... حمامَةٌ في رُبَاها
وما سَرتْ نَسَماتٌ ... للروضِ تُهدي شذاها

ثم ذهبنا من ذلك المكان، مع من كان معنا من الإخوان ورجعنا إلى المدرسة التي هي منزلنا المعمور، بأنواع السرور، وبتنا مع الرفاق، على كمال المحبَّةَ والوفاق، حتى تبسَّم ثغر الدجى عن فلقِ الصَّباح، وركضت خيول النَّسائم في ميدان الأفراح.

اليوم السَّابع والثلاثون

[الثلاثاء ٢٣ رجب ـ ٢ أيار/مايو]

وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء السَّابع والثلاثين من هذا السفر، المسفر إن شاء الله تعالىٰ عن النّصرة والظفر، فذهبنا بعد أداء الفريضة، وصحَّة الحالة التي هي من الأغيار مريضة، إلى جهة الحمام، بقصد النظافة، وتطييب الأجْسام، المسمّى بحمَّام الرّيشِ، وكأنه بستانٌ أزهر خلالَهُ العريش، فطابت لنا فيه تلك الغداة، ونعمنا بأنواعِ المسرات من الطيب والبخور وحصلت غاية الحضور، ثم عزم علينا بعض الأصحاب فذهبنا لضيافتِهِ ومَنْ دُعي أجاب، حتّى تمَّ المرام، وانقضت مجالسة الكرام، فذهبنا إلى زاوية القدم، وزرنا من هو فيها مدفون، من أهل الكمال في الحركة والسكون، وشهدنا القدمِ المرسوم والشهيد المعلوم، ثم ذهبنا بين تلك الرياض، ورأينا ترقرق هاتيك الجداول الطّوال العراض، حتى وصلنا إلى مكان يسمّى رأس العين، المشهور بعين الرصاص، وقرأنا في ذلك المكان ونادوا ولات حين مناص، وقلنا في ذلك بقدرة الحكيم المالك:

الدخول إلى حمّام الرّيش في نابلس

زاوية القدم بنابلس

عين الرصاص

يـا روضـةً تُسْـر القلوب بلطفهـا ... لا يستطيعُ القلبُ فيها من خلاصِ

لعبت خيول الريح بين مُروجها ... ولها بذاك الماء درع دِلاصِ

نَفَحَتْ بنابلس روائِحَ زهرها ... فاشتمَّ دانٍ في الأنام وقاصي

وكأنما عين الرصاص لبَرْدِها ... وقت الظهيرة بيتُ عينِ رصاصِ

١٣٩/ب

وقلنا في ذلك الوقت أيضاً، و فاض جدول القريحة فيضاً:

وصف نابلس ورأس العين فيها

انزل بنابلسٍ برأسِ العينِ ... وانظر خمائلها برأسِ العينِ

والحظ هناك لطائفاً وظرائفاً ... وروائحاً تسمو على النّسرينِ

وانظر إلى تلك البلاد وحُسنها ... واكشف لطائف كَيْفِها والأينِ

وجداول الأنهار تركضُ حَوْلها ... بلطيفِ إيناسٍ وحسن رنينِ

وادٍ به هبَّ النَّسيمُ عَشيَّةً ... فأثار كامل لوعتي وحنيني

وشهدتُ بالجبلين حيث تقابلا ... ما قد شجاني في هوى الجبلينِ
لله كمْ مِنْ نشأةٍ قضَّيتُها ... مع كلِّ شهمٍ في البلاد أمينِ
أيَّام وافينا لكل زيارةٍ ... من حيِّ إكرام وميْتٍ يقينِ
وبها حُظيتُ بمن بها من سادةٍ ... جمعُوا علا دنيا ورفعة دينِ
وبها جدودي الأوَّلون تشرَّفوا ... نسباً بنيل شمامة العرنينِ
فسقى الإله ربوعها صوب الحيا ... ما صَاح طير الدَّوحِ بالتلحينِ

وقلنا أيضاً كذلك، وهو مما يوقف كلّ سالك:

قصيدة ثالثة في نابلس

نابلسٌ طابت لنا منزلاً ... وقدرها ما بيننا سَامي
وحين رأسُ العين جئنا بها ... كأنّنا في النَّيرب الشَّامي
كُنّا بها بين أناسٍ لهم ... كثير إفضالٍ وإنعَام
يسلو غريب الدَّار عن أهله ... ما بينهم مِن فرط إكرامِ
وادٍ خصيب ماؤه دافقٌ ... يلذُّ للريَّان والظامي
وكلّما غنى نسيمُ الصَّبا ... ترقصُ أغصانٌ بأكمامِ
والجبلانِ اكتنفا دُورها ... بسور إتقان وإحكامِ

الشيخ أمين الدين عصفور

وكان معنا هناك، من أهل البلاد، ذوي اللطائف والاحتباك رجلٌ اسمُه الأوَّل الشيخ أمين الدين، وقد غلب عليه من صغرة التلقيبُ بعصفور بين الجمهور، وكان ملازماً لنا ملازمة العصفور / للرياض، ورقراق الحياض، وحيثما توجَّهنا طار معنا بجناحيه، ودائماً عشّه بين الصالحين يُلقي إليهم بيديه، وقد قلنا فيه بعدَ الإجازة من فيه:

١٤٠/أ

روض نابُلْسٍ المثير غرامي ... عابقٌ من شميم تلك الزُّهورِ
قد سمعنا به النّسائم تروي ... عن صباح الرُّبا حديثَ الطّيورِ
ورأينا جَداول الماء تجري ... وانطر بنا بذلك العصفورِ

ونابلس هنا في صدر هذه الأبيات بسكون اللام، وفي غيرها بضمّ اللام، والكلمةُ الأعجميَّةُ يجوز للعرب التكلُّم بها كيف شاؤوا، حتى إنَّ بعضهم يقول نابلوس بالواو.

نابلس

وقلنا أيضاً على طريق التضمين للمصراع الأخير، وهو من كلام الإمام الغزالي رحمَهُ الله تعالى:

إنَّ في نابلسٍ شخصاً لهُ — نشأتٍ في انتهاز الفرصِ
كلّما قيل له اخرج قال لا — أنا عصفور وهذا قفصي

آشعار في نابلس والشيخ عصفور

وقلتُ أيضاً:

رأيتُ شخصاً له بنابلس — محبّة السّير في الحواكيرِ
يرتعُ بين الرياض منشرحاً — والرّتعُ من عادة العصافيرِ

وقلنا أيضاً في ذلك:

إنَّ نابلْساً التي قد تَسامَتْ — بقصورٍ للكلّ عنها قصورُ
تُربةٌ رطبةٌ وماءٌ زلال — وهواءٌ به تفوحُ الزهورُ
أهلها في الأنام قومٌ كرامٌ — ما لها غيرهم مدى الدهر سورُ
كم رأينا فيهم رياض كمالٍ — هم رجال وبينهمْ عصفورُ

وقلنا أيضاً في ذلك:

مثل نابُلُسِ الطَّليقةِ وجهاً — ليس يلقى أخو الهوىٰ المأسورُ
بلدةٌ جئتُها فجئتُ جناناً — عاليات مِنْ حولهنَّ القصُورُ
وبساداتها الكرام رأينا — كل شهمٍ مشعشع الوجه نورُ
ومِنَ المنشدين ضجَّتْ حمامٌ — حين غنّى بصوته العصفورُ

١٤٠/ب

قبر النمرود

/ثم ذهبنا إلى مكان منخفضٍ في الأرض عليه عمارة تشبه القبو المتين الجسيم العظيم كالقبر، يقال إنّه دُفِنَ فيه النمرود، فقلنا في ذلك بمعونة الملك المعبود:

بنابلسَ جئنا لأرضٍ أريضَةٍ — خمائلها فينانَةٌ جمَّةُ المنَّهْ
وقالوا لنا: النمرودُ في الغار هُهنا — فقلت لهم: نمرود ما هو في الجنَّهْ

عين العسل

ثم سرنا فمررنا على عين ماءٍ هناك تُسمى بعين العسل، فشربنا من مائها الزلال البارد من غير كسل، وقلنا في ذلك:

بنابلسٍ عينٍ ماءٍ جرتْ	تزيد الشّفا من بتلك اغتسلْ
مياهُ بها حُلوةُ عذبةٌ	ولا عجبٌ فهي عين العسَلْ

مسجد الخضراء

ثم توجهنا إلىٰ جهة مسجد الخضراء، وهاتيك الرَّوضةِ النّضراء، وكانت النسماتُ عطرةَ الهبوب، والأزاهير مُتنوّعةُ الضُّروب، فدخلنا إلى جامعٍ قديم البنيان، مُتهدِّم الجوانب والأركان، فيه بركةٌ من الماء كبيرة ذات الطول والعرض، مربّعة الجوانب مساوية للأرض، والماء يجري فيها من أفواه سواقيها، وحولها الأشجارُ والبساتين، والأزهار والريَّاحين ، وقبليّ البركة مسجد للصلوات، فيه محرابٌ وسقفه معقودٌ بالقبو من الأحجار المنحوتات، في داخله مغارةٌ يُقال إنّ ولادة أولاد يعقوب عليهم السَّلام كانت فيها، وأنَّ ذلك المسجد كلَّهُ كان بيتاً ليعقوب عليه السَّلام، وتلك نقولٌ لم نزل العامَّة ترويها، فصلينا في ذلك المسجد صلاة الظهر، وصلاة العصر، وحصل الفرج وزال الضيقُ والحصر، وحصل لنا كمال السُّرور، وتمَّ الشهود والحضور، ونظمنا هذه الأبيات التي هي كالعقُود في النُّحُور وهي قولنا:

وصف المسجد شعراً

بنابلسٍ جئنا إلى مسجد الخضرا	وزرنا مروج الزهر والروضة الخضرا
وبُركتها تلك التي قد تدفّقتْ	لسائل ماءٍ جاءها تظهر النّهرا
إذا قام من تلك النسائم منشدٌ	رأيتَ بها الأشجار قد عقدت ذكرا
/وإنْ غرَّد الشحرور نسمعُ للصَّبا	خلال الرُّبا طبلاً، وطوراً له زَمْرا
وترقصُ بالأكمام أغصانها التي	رأينا لطيِّ الزَّهرِ من أوجها نشرا
تبارك مَن أبدىٰ على شجراتِها	نوافح زهر الحَمضِ يستودعُ العِطرا
وجلَّ الذي أهدىٰ من الورد أكؤُساً	لها كفُّ غِيدٍ بالندى مُلئت خمرا
أقمنا بها فرض الصَّلاة جماعةً	ونلنا بحمد الله مِنْ ربّنا أجْرا
وما راعنا إلا انهدام جوانبٍ	لها مثل ذات الخِدْرِ قد كشف خدرا

١٤١/أ

بها كان قِدْماً دار يعقوب والّذي ... يُصدِّقُه النُّورُ الذي قد حوت جهرا
وأولادهُ كانت ولادتُهم بها ... وشَاهِدُهُ حُسْنُ ليوسف قد أطرى
ولكنَّها الأيام تُخْلقُ جِدَّةً ... فلستَ ترىٰ زيداً يدوم ولا عَمْرا

درسٌ في «الجامع الصغير»

وقد وقد طلب منّا الشيخُ الفاضلُ جامع أشتات الفَضائل الحسيب النسيب السيِّد أحمد الذي هو للسادةِ الأشراف في هاتيك البلاد نقيب المتقدِّم ذكرهُ رحمه الله تعالى قراءة شيء من الجَامع[1] الصغير في ذلك الجامع الصغير، فأجبناهُ إلى ما أراد، وكان مَعَهُ جماعة مِن طلبة العلم من أهل البلاد، فقرأ حديثاً من ذلك الكتاب، وتكلَّمنا عليه بما تيَّسر من الكلام في محضرٍ من جماعتنا وهاتيك الطلَّاب، وطلب منا الإجازة بطريق الوجازة، ووعدنا أن نكتب له ذلك بالتفصيل، لأنّ الوقت ضاق عن ذلك لاشتغالنا بالزّيارات والذَّهاب إلى مكانٍ فضيل، ثم ذهبنا إلى جامع السَّاطور، وتبرَّكنا فيه بآثار الصَّالحين، وأشرق علينَا ذلك النُّور، ثم ذهبنا إلى ضيافة الشيخ الفاضل مجمع الفضائل عبد الغفور، فدخلنا إلى داره ذاتِ البهاء والحضور، وجَلسنا مع الإخوان في ذلك المجلس الميمون، قبالَة ذلك الروض النضير المحرِّك شجون المسجون، إلى أن انقضى ذلك الجمع المسعود وحصل الفرق المعهود، وقد طلب منا أن نكتب له على إجازته، فتتبعنا موضع إشارته وأجبناه إلى مراده وطِلْبته/ فقلنا بإسعاف الله تعالىٰ ومعونته:

الشيخ عبد الغفور

١٤١/ب

إنّ هذا المُجازَ عبدَ الغفور ... في طريقٍ للشَّاذليَّة نورِ
أسعَدتْهُ إجازةٌ من مُجيز ... في مراقي ذوي التقى مشهورِ
زادهُ الله هيبةً وكمالاً ... وحباهُ بفَضْلِه والأجورِ
وحماه من كلِّ شرٍّ وسوءٍ ... وعليه والىٰ كثير السُّرورِ

---

(١) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، والجامع الكبير هو جامع الأحاديث للمسانيد والمراسيل، وكلاهما للسيوطي، وهما أشهر من أن يعرَّفا.

وأنـا العبـدُ لـلغنـيّ ومن نـا　　　بلسٍ نسبتي لـدىٰ الجمهـورِ
لم تـزل رحمـةُ المهيمن تحمي　　　أهلَ هـذا الطريق أُسْدَ الخـدورِ
مـا سَرَتْ نَسْمَـةُ على روض زهرٍ　　　وانثنىٰ الغصن من غنـاء الطّيـورِ

ثُمَّ قُمنـا وذهبنا إلى منزلنا بـالمدرسةِ المذكورةِ التي لم تـزل بـالأنـوار معمـورة، وبتنا في أهنأ عيش وأكمل سـرور وأوفى حضور وأتمّ حبـور إلىٰ أن طلعت أزهار الصّباح على أغصان هاتيـك الجوانب والنّـواح، وغرّدت الأطيـار بالغناء والنُّواح.



اليوم الثامن والثلاثون

[الأربعاء ٢٤ رجب - ٣ أيار/مايو]

وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الثامن والثلاثين من أطيار هذه الرحلة المطربَةِ بالتّلاحين، فهممنا على الخروج من البلاد وودَّعنا أهل الصَّداقة والوداد، وتفقدنا الخيول والدوابّ، فوجدنا دابَّةً شردت لنا بين تلك الأزقَّةِ والشعاب، ولم يُدرَكْ لها خبر، وقد كسر مَنْ بها جَبْر، حتّى دخل علينا صديقنا الصّالح الشيخ طه المتقدم ذكره، فذكرنا له من ذلك ما أهمّنا أمره، فقال عليّ بهذه القضيَّة، وقام في الحال بهمّته العليَّة، ووقف عند شباك الشّيخ بدر الغفير المدفون هناك عندنا في تلك المدرسة المباركة، التي لا تزال محفوفةً بأنوار الملائكة، وقال له، أنت بدر الغفير، وهذا الضَّائع في ضمانك من غير شكٍّ ولا نكير، فإنّهم نازلون بجوارك وفي وسط دارك، فدارك، ثم خرج يمشي في ذلك الزقاق، فوجَدَ الدَّابة واقفة هناك على سبيل الاتفاق، فجاء بها في الحال، وعزَمنا عَلىٰ التّرحال/فقرأنا الفاتحة للشيخ بدر الغفير، وقد شهدنا له هذه الكرامة بعد موته قبل المسير، وتحققنا الردَّ على من يُنكر كرامات الأولياء بعد الموت، وعلمنا أن كلامه يحاق بالزوال والفوت، فسِرنا وسار معنا جماعةٌ من أهل البلاد، لأجل الوداع وتبريد حرارة الأكباد، فرجع البعض منهم، وسار البعض الآخرون، حتى وصلنا إلى عين تسمّىٰ بئر الحمام، ينتفع به المسافرون، وهو بئر ينبع الماء من أسفله، فيظهر على وجه الأرض، ويملأ تلك البريَّة فينسفح في طولها والعرض، ثم لا يزال يتناقصُ حتى يصير بحيث يُدْلى الدلو إليه، ولا يستطيع أن يتناول الإنسان ماءَه بيديه، وقد جئناه وماؤه ينقص عن وجه الأرض بمقدار نصف ذراع، وحوله المروج الخضراء ذات الاتّساع، فنزلنا هناك ساعةً من الزَّمان، وأكلنا ما تيسَّر من الزاد مع الإخوان ثم ركبنا وسِرنا إلى أن وصلنا إلى قريةٍ من قرىٰ جينين تسمّىٰ قَباطيه[1] بفتح القاف

كرامات الأولياء بعد الموت

١٤٢/أ

عين بئر الحمام

قرية قباطية

---

(١) الموسوعة٣/ ٤٩٩.

والباء الموحَّدة بعدها ألف وكسر الطاء المهملة وياء مثنَّاةٌ مفتوحَةٌ بعدها هاء، وهي قرية الأخ الصَّالح الشيخ ثلجي المتقدم ذكره فيما مضىٰ من الكلام، في هذه اللهجة السريعة الانسجام، فنزلنا بها وفاءً بالوعد السابق، على مقتضىٰ الودّ المتسابق، وضربنا الخيمة في ذلك المرج الأخضر، وطاب لنا المجلسُ والمحضَر ولم يكن هناك الشيخ ثلجي المذكور، فوصل إليه الخبر فبادر بالحضور، وتلقّانا بودِّه الصَّحيح، وحبِّه الخالص الصريح، وبتنا عنده في تلك الليلة مع الرفاق في كمال البركَةِ والارتفاق إلى أن ظهر سرُّ الفجر، وثبت حكم الأجر.



اليوم التاسع والثلاثون

[الخميس ٢٥ رجب ـ ٤ أيار/مايو]

وكان ذلك اليوم يومَ الخميس، التاسع والثلاثين من هذا السَّفر السَّعيد والقصد الرشيد، فقصدنا زيارة قبر الشيخ محمّد الذي يقال له أبو الرُّبّ/وهو والد الشيخ ثلجي المذكور، وسبب تسميته بأبي الرُّب على ما يذكر، أنه ذهب إلى قريةٍ من قرى هاتيك البلاد للإصلاح بين الفلاّحين في قضيَّةٍ من القضايا وكانوا يطبخون رُبَّ الخرنوب في حَلةٍ كبيرةٍ على النَّار، فقال له بعضهم: إن كنت شيخاً فأدخِلْ يدك في هذه الحلّة، وحرِّك لنا هذا الرُّب، وكان في انتهاء غليانه على النَّار فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وأدخل يده في داخل الحلَّة، وحرَّك الربَّ المذكور بيده فلم تحترق ولا أصَابَهُ شيء من ذلك فسمَّاه الناسُ أبا الرُّبّ لأجل ذلك، فصعدنا إلى عند قبره ووقفنا بالباب وسلَّمنا عليه، وقرأنا الفاتحةَ ودعونا الله تعالىٰ بما تيسَّر من الدعاء.

١٤٢/ب

أبو الرُّب

من معجزات الشيخ أبي الرب

وعليه قُبَّةٌ مبنيَّةٌ بالأحجار والشّيد وحوله قبور، وأخبرنا رجل من الحاضرين مَعَنا أنَّ رجلاً نصرانياً يصنع العمارات ويبني البنايات للناس، وهو معلِّم مشهور في هاتيك البلاد، رأى الشيخ محمد أبا الرب بعد موته في المنام وأسلَمَ على يده وكتم إسلامه، فجاء إلى الشيخ ثلجي ولد الشيخ محمّد واستأذن منه أن يبني قُبَّةً على قبر والده الشيخ محمد المذكور، فقال له الشيخ ثلجي ليس عندي أجرة العمارة ولا ثمن الشيد والحجارة، فقال له إني لا أكلفك إلى شيء من ذلك؛ وإنّما أطلبُ منك الإذن في عمل ما هنالك، فأذِن له، فذهب يكتسب من صنعته ويعملُ على هينته إلى أن فرغ من بنيان القبة المذكورة، ثم كان يوماً يضع الهلال الذي في رأس القبة، فنادى بالشيخ ثلجي المذكور وقال له اصعد إلىٰ أعلىٰ القبة، إلى عندي فلمّا صعد قال له، ما هذا النخيل الذي أراه وتلك القبة التي أراها وليس هنا في هذه البلاد شيء من ذلك، فأيّ بلاد هذه؟فنظر الشيخ ثلجي فرأى ذلك فقال له هذه مكّةُ المشرَّفة، وأما التي فيها القبة فإنها المدينة المنوَّرة، وهذه قبَّة النبي ﷺ ، فحينئذٍ

أظهر إسلامه وحَسُن حاله في مواظبة الأعمال الصَّالحة والطاعات، وصار له جذبٌ وحال، وكان يخدم ضريح / الشيخ محمّد المذكور في تلك القبَّة التي عمَّرها، وكان قليل الأكل والشرب إلى أن توفي رحَمُه الله تعالىٰ، ودُفن هناك عند باب القبَّة فزرناه وقرأنا له الفاتحة، ودَعَوْنا الله تعالىٰ عند قبره، ثم ودَّعْنا الجماعة إخواننا النَّابلسيين، والرفقة الأنسيين والشيخ ثلجي المذكور، أدام الله تعالىٰ لهم الكمال والحضور، وقرأنا لهم الفاتحة ثم سرنا إلىٰ أن وصلنا إلى جينين، فتلقانا في نصف الطريق الشيخ عبد الله الفالوجي المجذوب المتقدم ذكره بطبوله وأعلامه، وجماعته وخدَّامه، حتى دخلنا إلى القلعة المعمورة، فأدخلنا مفخر الأعيان سُليمان آغا المتقدم ذكره في هذه الصَّحيفة المبرورة، إلى جنينةٍ هناك في داخل الجامع، وجلسنا مَعَهَ في مجلسٍ هو للأحباب جامع، وكان قد عزم علينا شيخ من أهل الجذب والصَّلاح يسمّى الشيخ عامر، إلى قرية تُسمّىٰ مُغر السَّعادة، قريبة من جينين، فأراد أن يضيفنا سليمان آغا المذكور، فخاف علىٰ خاطر الشيخ المجذوب، فسلَّم له الأمر وقال: نحن في غد إن شاء الله نحصل على عظيم الثوابِ والأجر، فذهبنا إلى مكانه في تلك القرية وجلسنا على صخورٍ عاليات، في ظلال أشجار هناك ساميات، تطلّ على مروجٍ واسعةٍ خضرا، ورياضٍ لطيفة نضرا، ثم بينما نحن جالسون إذ نقط علينا الغمام باللآلي، ونصب علينا ذلك الغيم رواقه العالي، حتى كملت أمور الضيافة وحملت مواسم اللطافة فمضينا راجعين وذهبنا مُسارعين، وقد نظمنا في وصف ذلك من الأشعار الغالية الأسعار حيث قلنا:

١٤٣/أ

جينين

قرية مُغر السعادة

النابلسي يصف مغر السعادة

نحن بالشيخ عامرٍ قد أتينا	جبلاً حُسْنُ طيبِهِ في زياده
فجلسنا على صخورٍ عوالٍ	مُنشِطاتٍ أهل التقىٰ والزهاده
مشرفات على اخضرار مروجٍ	واسعاتٍ تُنيل طَرفي مراده
وسعدنا جميعنا بحضورٍ	في مكانٍ ملقَّبٍ بالسَّعادة

وقُلنا في ذلك أيضاً:

قد أتينا إلى السَّعادة سهلاً	منه جينين لم تزلْ في زياده

/وسعدنا لمّا به قد جَلَسْنا كيف نشقىٰ وإننا في السعادة ١٤٣/ب

ثم بتنا تلك الليلة في بيت نزلنا فيه خارج القلعة، فيه نورانيَّةٌ وزيادةُ لمعة، وقد أخبرونا أنه كان مسكناً لرفيقنا وصديقنا مفخر العلماء وزبدة الفضلاء وعين المحدِّثين، وخُلاصة أصحاب العلوم والدين الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز بن سليمان الجينيني الأصل والمولد، الدمشقي المسكن[1]، فحمدنا الله تعالى على اقتفائنا هاتيك الآثار، وتبَّركنا بتلك المعاهد والأسرار، فلم نزل في راحةٍ ودعةٍ ورفقة مؤتلفة مجتمعة إلى أن طلع الصَّباح. وأذَن سترُ الليلِ بالافتضاح.



---

(١) [هو جامع الفتاوى الخيرية المنسوبة إلى شيخه عمدة المتأخّرين الشيخ خير الدين الرملي، وقد أخذ عنه ولدهُ نسباً وعلماً فقيه الشام ومحدثها الشيخ صالح رحمهم الله أجمعين] حاشية وُجدت على هامش النسخة الثالثة، نقلناها للفائدة.

اليوم الأربعُون

[الجُمُعة ٢٦ رجب ـ ٥ أيار/مايو]

الشيخ قنبر القميني

وكان ذلك اليوم يومَ الجمعة تمام الأربعين من هذا السَّفر المبارك الذي كان الله تعالىٰ لنا فيه مُعيناً ونعم المعين، فاجتمعنا بصديقنا الآمر المأمور سُليمان آغا المذكور، وذهبنا إلى صلاة الجمعة في ذلك الجامع المعمور، واجتمعنا برجل من أهل الجذب والصلاح اسمه الشيخ قنبر القميني، المقيم في قمين الحمام، والقمين، وزنُ أمير، أتون الحمام. وهو رجل من الصَّالحين يعتقده الناس ويحبُّونه وله كرامات وقصص مشهورة، ثم بعد العشاء الأخيرة ذهبنا إلى الحمَّام والمشعل قدامنا، وجماعة أرسلهم معنا سليمان آغا المذكور، من شطَّار الخدَّام، في أيديهم المطارق، يردعون كل داعرٍ وطارق، ثم رجعنا بعد انقضاء حصَّةٍ من الليل، وقد مال النعاس بالجماعة بعض الميل، ففُتح لنا بابُ القلعة، ودخلنا بهيبةٍ ومنعة، وبتنا في تلك الليلة في السَّرايا في مجلسٍ شريف، وهو مجلس الشريف، وقد وردت تلك الليلة البشارة بقدومه والتشريف، لمحلِّ منصبه المنيف، ففرح الكلّ، وامتلأت الرحاب بالسُّرور، بل بالإشراق والنُّور، ولم نزل في أنواعِ الصّفا، على بسط المحبَّة والوفا، إلى أن ذهبت ظلمةُ الليل البهيم، وظهرت أنوار الصبح الحادث بقدرة القديم.

اليوم الحادي والأربعون

[السَّبت ٢٧ رجب - ٦ أيار/مايو]

وكان ذلك اليوم يوم السبت الحادي والأربعين من رحلتنا المشهودة /وسفرتنا المقصودة، فعزمنا على ملاقاة الشريف يَحيىٰ، لا زال به ميت المكارم والمحامد يحيا، فركبنا وذهبنا مع الإخوان، وخرجت أهالي تلك البلدة، وجميع أماجدها والأعيان، وركب أيضاً خبابُ الآغا المتقدم ذكره سُليمان، وركبتْ معه جميعُ أتباعه والفرسان حتى وصلنا إلى قرية جَلَمة، فنزلنا فيها ساعة من الزمان، فلم يقدم أحدٌ من المسافرين في ذلك الحين، فركبنا جميعاً وجاوزنا تلك القرية، وإذا بجماعة على خيولهم مُقبلين من بعيدٍ بلا مرية، فقال القائل هؤلاء أوائل العسكر، وهذا هو الصَّواب الذي لا يُنكر ثم مشينا قليلاً وتراءينا رعيلاً، ورَوِّينا غليلاً وشفينا عليلاً، وإذا بحضرة الشريف قد أشرفت أعلامه وراياته ولمعت بروقه وإشاراتُه فأقبلنا عليه وأقبل علينا، وقد ظهر شوقنا إليه وشوقه إلينا، وتحادثنا ساعة وسلّمنا على الجماعة ثُمَّ مشينا راجعين في ذلك الحين حتى نزلنا معه خارج قرية جَلَمة المذكورة، في خيمة هناك نُصبت له مرفوعة منشورة، فجلسنا مَعَهُ في جملة من الأعيان، وقد حضرت الضيافةُ له من أهل تلك القرية وحصل كمال الإحسان، ثم ركبنا وسرنا معه حتى دخلنا إلى جينين، واستقرّ في سراياه ودخل في حصنه الحصين، فعند ذلك ودَّعناه، وأخذنا إذنه بالمسير، وقد أكرمَنَا غاية الإكرام، وخرج معنا إلى خارج ذلك الباب الكبير.

١٤٤/أ

قرية جَلَمه

الشريف يحيىٰ

ثم إننا ركبنا وسرنا فلم نزل سائرين مع الإخوان، إلى أن وصلنا إلى عيون التجَّار وقد غابت شمس النهار عن العيان، فدخلنا في داخل ذلك الخان، وبتنا هاتيك الليلة بحمد الله تعالى في غاية الصحَّة والأمان، وكانت تلك البلاد في خوفٍ شديد، وأمْرٍ ما عليه من مزيد، وقد خرب ذلك الوقفُ وقلّ الفوت، فلا يكاد يدخل ذلك المكان إلاّ من يريدُ أن يموت، فقلنا في ذلك وقد استنار لنا الليل الحالك/

عيون التجار

١٤٤/ب

قـد دخلنـا إلى عيـون الـتجـار ثـم بتنـا إلـى طـلوع النّـهـارِ

ووجـدنـا ضيق المعيشـةِ فيهـا فـلذا سُمّيتْ عـيـون الـتجـارِ

ثم عطس الفجر وليس هناك مؤذّنٌ يُشمّتُه فيا شماتة الأعدا، بذلك القَطر اللطيف والماء العذب الذي هو كالقَطر والهواء الأعدا.



اليوم الثاني والأربعُون

[الأحد ٢٨ رجب ـ ٧ أيار/مايو]

وكان ذلك اليوم يوم الأحد الثاني والأربعين من سفرنا المسفر عن مكارم الأخلاق، ومحاسن الاجتماع والتّلاق، فركبنا وسِرنا مع الإخوان والرِّفاق، ونحنُ في غاية البهجة والإشراق، إلى أن وصلنا إلى المنية، وبلغنا المقصد والمنية، وأشرقت لنا هاتيك البحيرة الواسعة، وعلى حافتها أشجار الدّفلي، ذات الزُّهور المحمرَّة اللامعة، وقد قُلنا في وصف ذلك، ما تتزيَّن به الممالك:

المنية

وصف الدفلي

وأشجار دفلي فوقها الزُّهر قد بدا ... كجمرٍ على تلك الغصون توقَّدا
وإلّا كتبرٍ أحمرٍ ساعةً ... فصادفهُ بردُ الهوا فتجمَّدا
وإلّا عقودٍ من عقيقٍ تنظَّمتْ ... وقد قلَّدوها ساعد الدَّوحِ واليدا
ومَن قد رآهُ من بعيدٍ يظُنهُ ... هو الخدّ مِمَّن قد هويتُ تورُّدا
ويحلف أن الوردَ فوق غصونهِ ... بدا، فإذا وافاهُ أنكرَ ما بدا

ومن نظم ولدنا الفاضل الشيخ أحمد الشراباتي، صاحب المشرب المؤاتي، رحمه الله تعالى:

كأنّ زهور ذاك الدُّفل لمّا ... تبدَّتْ فوق أشجارٍ جسامِ
قناديلٌ من الياقوت أضحتْ ... معلَّقةً على خضر الخيامِ

ومن نظم ولدنا الفاضل إبراهيم جلبي الراعي، أنجح الله له جميع المساعي:

وزهرُ الدّفل لما لاح يزهُو ... حكىٰ في حُمرةٍ للورد لونا
كُؤوساً مِنْ عقيقٍ قد تبدَّتْ ... فنزّه في رياض الأُنْس عينا

الدفلي ومنافعه

قال في القاموس: الدِّفل بالكسر، وكذكري، نبت مُرّ، وقوله وكذكري، يعني أنَّهُ يُقال له دفلي، كما وقع في نظمنا، ثم قال: نافع للجرَبَ والحكَّة، طلاء، ولوجع الركبةِ والظَّهر ضماداً، ولطرد البراغيث والأرضة رشّاً بطبخهِ ولإزالة

١٤٥/أ البرص طلاء بلبِّه اثنتي عشرة مرَّةً، بعد الإنقاء/، زهره كالورد الأحمر، وحملُهُ كالخرنوب، انتهىٰ. وقال الشيخ يوسف الكتبي البغدادي في كتابه ما لا يسع الطبيب جهلُه: الدِّفل اسم لنباتٍ شجريّ حسن الورق ملسٌ كبارٌ صلبةٌ له زهر أحمر يحمل شيئا كالخرنوب، ينفتح عن شيء كالصُّوف، وله أصلٌ طويل مالح، منابته الأودية والسَّواحل، وهو حارٌ في آخر الثالثة، يابس في الأولىٰ وورقه قاتل لجميع البهائم، وإذا شُرب طبخُه بشراب خلَّص الناس والبهائم من لذع الهوام، وينبغي أن يُتحذَّر من شرب طبيخه، ولا يُزاد على نصف أوقية من مطبوخه، بالتّين والسذاب والزبد، وإذا ضُمِدً به الركبةُ والظهر الزّمنى زمناً عتيقاً أبرأه، وإذا أخذ أنبوبة قصب وجُعل فيهاقضيب من دفلي رطب ووضع طرف القضيب في النار والطرف الآخر في الأنبوب، ووضع الأنبوب على الضرس المدوَّد نفع نفعًا بيِّناً إلى آخر ما ذكره من خواصّه.

جبّ يوسف

ثم لم نزل سائرين إلى أن وصلنا إلى جب يوسف، وشربنا منه الماء الزلال، وشهدنا ذلك الحسن اليوسفي والجمال، ثم نزلنا فصلينا الظهر بالجماعة، وذهبنا تلك السَّاعة وتوجَّهنا سائرين، حتى وصلنا إلى جسر يعقوب في ذلك الحين، وبتنا في داخل الخان، الخالي من نوعِ الإنسان، وفيه الحيوان بجميع أنواعه، ما بين صغاره ورعاعه، وكانت ليلةً برغوثيَّة، لا نوم فيها هنّي ولا يقظة مرضيَّة، وقلنا في ذلك إشارة ما هنالك:

جسر يعقوب

خان يعقوب صياح الحمير

وليلةَ جئنا جسرَ يعقوب ستَّةٌ	بُلينا بها والخان بالناس آهلُ
صياح حميرٍ والبراغيث والدجىٰ	وبرق ورعدٌ والغيوثُ الهواطلُ
وكيف تنام العينُ أو يسكن الحشا	وسابعها أيضاً خيولٌ صواهلُ
وثامنها حرّ شديد، وتاسعٌ	بعوضٌ له الأجسام منّا مناهلُ
وعاشرها فيه القطاط تخاصمت	وثنتان أيضاً فيهما حارَ عاقلُ
قرادٌ كثيرٌ والمصَابيح كلُّها	علينا انطفت والعقل في ذاك ذاهلُ
فيا ربَّنا سهِّل علينا طريقنا	إلى الشام أعيت في المسير الكواهلُ

١٤٥/ب /ثم أشرقَ نورُ الصَّباح وتخلَّص القلبُ من الهم، والأتراح.

اليوم الثالث والأربعون

[الاثنين ٢٩ رجب - ٨ أيار/مايو]

وكان ذلك اليوم يوم الإثنين الثالث والأربعين من هذا السَّفر الذي كملت لنا به إن شاء الله تعالى أمور الدين، في زيارة الأنبياء والأولياء والصَّالحين، فذهبنا نصعد في ذلك الجسر الطويل، نمشي تارةً ونركبُ أخرىٰ، حتى قطعنا تلك الأحجار المصفوفة في ذلك السبيل، وكان معنا دابة ضعيفة السَّير، مع كثرة ذلك الربيع والخير، فوقفتْ تحت ذلك الحمل الذي عليها، ويئسنا منها ممّا كان لديها، فرجعنا بعد التقدم، فوجدنا بنيان جسدها قد آل إلىٰ التهدُّم فأخذنا حملها، ووضعناه على غيرها من الدواب، وتركناها ترعى هناك مع خادم لنا لا يخاف من أحدٍ ولا يهاب، وقلنا له: امش معها قليلاً قليلاً، فلعلَّها أن تجد إلى الوصول سبيلاً، ثم مشينا في تلك الغابة الطويلة العريضة، وتركنا هناك تلك الدابة المريضة، ووجدنا رجلاً من رعاة الغنم، وكأنَّه من جمودته صنم، فقلْنا له: صِحْ على خادمنا فُلان بصياحك المعهود، فصاح بأعلىٰ صوته في تلك الغابة، فكأنَّه صوت الرعود، وصاح الثانية والثالثة فلم يسمعه لبعد المسافة ثم قَصَد انصرافه، فأرسلنا معه رجلاً على فرس ليُسلِّم الراعي الدّابة المذكورة، فيأتي بها إذا قويت على السَّير إلى القنيطرة المعمورة ويلحق بنا ذلك الخادم الذي تركناهُ هناك ولا يكون له تعويقٌ ولا اشتباك فلمَّا قاربنا الوصول، ودنت منا أوقات النزول، خشينا على من أرسلْنا من الرجال وتلك الغابة مشهورة بقطَّاع الطريق من أهل الجلاد والجدال، فوجدنا راعياً آخر وأمرناه بالصّياح على رفيقنا الذي سار في تلك الغابة وساح، فصاح بأعلى صوته مراراً ثلاثاً فلم يجدْ له سامعاً ولا لجوابه انبعاثاً، فقطعنا اليأس من الجماعة وقلنا أخذهم العدوّ في هذه السَّاعة، وكان معنا مفخر الأعيان والأماجد، وخلاصةُ الأماثل ذوي/المحامد خداوردي جربجي المشهور بابن الرَّاعي فقلنا له يا بن الراعي، ناد بصوتك أنت على الراعي، فوقف وصاح بصوته وإذا بجواب رفيقنا الذي ذهب، فكان جوابُه كهبة الذهب، فقُلنا له إن كان لك في هذا الشيء

الراعي التائه

١٤٦/أ

كرامة، وهو على حسن حالك علامة، فناد الثانية وَجِيء لنا بالخادم والدَّابة العليلة، فإن هذه الأولىٰ بالنسبة إلى الثانية قليلة، فنادى بأعلى وإذا بالخادم ومعه الدَّابة،فدلاً على كمال ثبوته وجميل نعوته، ولم نزل سائرين حتى وصلنا إلى قومٍ من العرب نازلين في بيوت الشَّعر، فتذكَّرنا قول أبي العلاء المعرّي رحمة الله، وهو من ألطف الشِّعر:

والحُسن يَظهر في شيئين رونَقُه ... بيتٌ من الشِّعر أو بيتٌ من الشَّعر[1]

فنزلنا على ذلك الحي، واستعنّا بقدرة العليم الحيّ فقدموا لنا الطعام، ولانوا لنا في الكلام، ثم سِرْنا إلى أن وصلنا إلى القنيطرة ونزلنا في تلك التكيَّة المنوَّرة، وحضر عندنا قاضيها، وخطيبها كان في قاصيها فلم يظهر من أقاصيها، وقدّم لنا الطعام وبتنا تلك الليلة في إنعامٍ تام، وسرور عام، فمن دخلٍ بحرهُ عام، أكثر من عام، إلى أن انتهك ستر الظلام وافترَّ الليل عن ثنايا النُّجوم، وأقبل الصباح بثغره البسَّام.

القنيطرة

(1) القصيدةُ في سقط الزّند ص ٥٦ ومطلعها:

يا ساهِرَ البرقِ أيقظْ راقِدَ السَّمَرِ ... لعل بالجزْع أعواناً على السَّهَرِ

والجزع اسم موضع.

اليوم الرابع والأربعون

[الثلاثاء ٣٠ رجب - ٩ أيار/مايو]

وكان ذلك اليوم يوم الثلاثاء الرابع والأربعين من عدد جواهر هذا العقد الثمين، وجسد هذا السفر السَّمين، فسِرنا مع الإخوان حتى وصلنا إلى سعسع، ونور الشام نحونا شعشع، واتفق أنَّه نزل علينا مطر لطيفٌ ساعة دخولنا إلى ذلك الخان المنيف، وكان كذلك في حال خروجنا من الشَّام، كما تقدم في ذلك الكلام، وكان ذلك يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء،وهذا كذلك، فدخلنا إلى ذلك الخان، وبتنا فيه مع الرفاق والخلاّن، وقد زرنا قُبيل وقت الغروب مزاراً خارج الخان، دُفن فيه رجلٌ مجذوب يُسَمّى الشيخ إبراهيم /وقرأنا له الفاتحة، ودعونا الله تعالى الكريم، وقد نظم ولدنا الفاضل إبراهيم جلبي ابن الراعي، بين تلك المروج والمراعي:

سعسع

١٤٦/ب

الحمد لله نلنا الفضل والأدبا	والفخر والمجد والإنعام والحسَبَا
بخدمه الفرد مولانا وسيدنا	ومَنْ له الله عرفاناً لقد وهبا
عبد الغنيّ ومن بالحال سطوته	بها لأهل الشّقا في الحال قد سلبا
وكم له نظرة أحيا الفؤاد بها	إلى مقام الهدىٰ والقرب قد جذبا
ومن أراد طريق الله يخدمُهُ	ويُحسن الظنَّ والإذعان والطلبا
عليه منّي سلامٌ كالعبير شذىً	لا زال يهمي فيحكي الغيث فوق رُبا
ما لاح برقٌ وما غنّى الحمام علىٰ	عيدانه فأهاج الشّوقَ والطربا

ولم نزل في سرور وهنا، هناك وهُنا، وقد وردت بشائر الصَّبا بقرب الصباح وصفقت غصون الرُّبا بحصول الرُّباح.

اليوم الخامس والأربعون

[الأربعاء غرّة شعبان ١١٠١ ـ ١٠ أيار/مايو ١٦٩٠ م]

وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء الخامس والأربعين، تمام مدة هذا السفر الجليل، وختام هذه الرحلة المباركة التي هي من الخليل إلى الخليل، فركبنا وسِرْنا إلى جهة دمشق الشّام واجتمعنا بالأقارب والأصدقاء، على غايةٍ من الإعزاز والإكرام، إلى أن أقبلنا على قرية داريًا الكبرى، ولمعت في آفاق خواطرنا بوارق الذكرىٰ، فقرأنا الفاتحة إلى حضرةِ أبي سُليمان الدَّاراني، وأبي مسلم الخولاني وجميع مَن دُفن في تلك القرية من أصحاب المقام الروحاني، والهيكل الجسماني، ودعونا الله تعالى للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، ثم سِرْنا حتى أقبلنا على باب الله وقرأنا الفاتحة هناك لأهل الله، ولمن دُفن في هاتيك الجبَّانة المباركة، والحضرة الشريفة المشمولة بأنوار الملائكة، خصوصاً الإمام الكامل والعالم العامل الشيخ تقي الدين الحصني رحمه الله تعالى[1]، فقد حظينا ببركة زيارته أواخر هذه الرحلة، كما وفّق الله تعالى/بموادعة من هو من أفاضل ذريته، ومطلع أشعة شمس نور نيته، مفخر الأفاضل وزبدة ذوي المكارم والفواضل السيِّد الحسيب النسيب تقي الدين الحصني، فقد اجتمعنا بتقيّ الدين في ابتداء هذه الرحلة وبتقي الدين أيضاً في ختامها، وقد حصلت لنا التقوى والصّيانة إن شاء الله تعالىٰ من افتتاحها إلى اختتامها، ثم دخلنا داخل الباب مع قومٍ أولي عرفان وألباب، وذوي كمالاتٍ وآداب حتى قرأنا الفاتحة للمزار المشهور بصُهيب الرومي الصحابي رضي الله عنه، وإلى غيره من

داريّا

الدخول إلى دمشق

١٤٧/أ

(١) ابو بكر بن محمّد بن عبدالله الحصني الدمشقي الشافعي، ولد سنة ٧٥٢هـ، وتفقه على مذهب الشافعي، وكان يحطّ على ابن تيمية وتلامذته، وكان للناس فيه اعتقاد زائد، وكان متقشفاً زاهداً ورعاً، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وله عدة مصنفات توفي بدمشق في جمادىٰ الآخرة سنة ٨٢٩هـ، وكان قد أنشأ زاويةً له بالشّاغور بدمشق ما تزال بقاياها إلى اليوم. انظر إنباء الغمر لابن حجر، طبعة الهند٨/ ١١٠، والدارس للنعيمي٢/ ٢٠٠.

المزارات المشهورة، في هاتيك الجهات المعمورة، وقد خرجت المجاذيب أيضاً من دمشق الشَّام إلى لقائنا في ذلك الطريق العام، فكنّا كلما مشينا قليلاً، نجد مجذوباً جليلاً حتّى دخلنا إلى دارنا بالصحة السَّلامة، والعافية التَّامة والكرامة، وكان ذلك أول يوم من شهر شعبان المبارك سنة إحدى ومائة وألف، وقد نظمنا هذه القصيدة وضمنّاها أيام رحلتنا هذه جميعها على فنون فريدة، فطلعت بحمد الله في بابها وحيدة، وعند أهلها مشكورة حميدة، وفي آخرها تاريخ السنة المذكورة، وهي هذه الأبيات المنشورة:

ختام الرحلة أول شعبان ١١٠١ هـ

موجزُ الرحلة شعراً

بحمدِ الله مَن ألهَمْ	وعنّا قد أزال الهمّْ
ومنهُ زادنا فضلاً	وبالتوفيق قد أنعمْ
بدأنا رحلةً كانتْ	على الدنيا بها يُختمْ
وقد فزنا بما نهوى	وأدركنا الثواب الجمّْ
مع الإخوان والأحبا	بِ أهلِ المسلك الأقومْ
فسِرنا من دمشق الشّا	مِ سيرَ المعرب المعجمْ
إلى القدس الشريف القد	رِ ذات المنظر الأفخمْ
وزرنا الأنبيا والأو	ليا مَنْ جاهُهم يُخدمْ
وبسم الله سَافرنا	وعُدْنا باسْمه الأعظمْ
وجاوَزْنَا علىٰ خيرٍ	وحُزنا أشْرفَ المقدمْ
/وقد كان الربيعُ الغضْ	ضُ فينا ضاحك المبسمْ
وأزهار الرَّوابي قد	أهاجت شوقَ من يشتمْ
ومن ينظر إليها يُبْ	صِرُ الدينارَ والدِّرهمْ
وعُرف الطيب من بُعْدٍ	على تلك النَّواحي نمْ
ودرُّ الغيث منظومٌ	لأثواب الرُّبا نَمْنَمْ
وقد سِرْنا علىٰ استقلا	لنا بالخير لا نأتمْ
متى أرضاً أردناها	نزلنا مَرْجَها الأنعمْ
ومعنا ماله نحتا	جُ من لبسٍ ومن مطعمْ

١٤٧/ب

ولمّا أن قصدنا السيـ ... ـد لا نلوي ولا نسأمْ

الرحلة مفصّلة

وللأصحاب ودّعنا ... وأهل البيت والمحرمْ

وَصلّينا صَلاة الصُّبـ ... ـح وسط الجَامع الأقدمْ

مُجاور دارنا الأموي ... بقومٍ شملهم يُنظمْ

الانطلاق من الجامع الأموي

وزرنا الرأسَ من يحيىٰ ... لأنواعِ الدعا نلزمْ

وزرنا الوالد المرحو ... مَ مع مَنْ عنده يُرحمْ

الزيارات في دمشق وما حولها

وفي باب الصغير الكُلْ ... لَ زرناهم كما نعلمْ

وقد زرنا أرِسْلاَن الـ ... ـوليَّ الكاملَ الضيغمْ

ومَن في قبره مِمَّنْ ... بهم ذاك الحمىٰ مُنعَمْ

وزرنا مسجد الأقصا ... ب فيه كم شهيدٍ كمْ

وزرنا الشيخ محي الدّيـ ... ـن، مَن قلبي بهم مُغرمْ

وأقواماً حوىٰ قاسو ... نَ منهم جانباً أعظمْ

وخَصَّصنا الذي ندري ... وعمَّمنا قبوراً ثمْ

وقميني لقد زرنا ... وشيخاً مَعَهُ تَوءَمْ

وذاك الشيخ محمود الـ ... ـلَذي ذكري له ألزَمْ

وباقي من حواه السَّفـ ... ـحُ مِن قاسون واستلزمْ

داريّا

إلى أن جئتُ داريّا ... بقومي والجوى خيَّمْ

١٤٨/أ

/وزرنا من بداريا ... ومن أشياخها المعظمْ

وأمواتاً وأحياءً ... ومَن ربّي بهم أعلمْ

وبتْنا بين أقوامٍ ... بها مَن جاءهم يغنمْ

سعسع

إلى أنْ سعسعاً جئنا ... وفيها شملنا مُلتَمّْ

وبالخَان الذي فيهِ ... نزلنا زادنا نطعمْ

وبتْنا ثم أصبحنا ... على الخيل التي تُلجمْ

القنيطرة

نسير إلىٰ قنيطرةٍ ... من النقّار لم نسلمْ

وجئنا خانها حتّى ... لقد بتنا بها نُكرمْ

وجئنا جِسْرَ يعقوب … وكان الليل قد أظلمْ (جسر يعقوب)

وفوق النَّهر حطَّينا … عمود الخيمةِ المحكمْ

على ذاك الربيع الطَّلْـ … ـقِ إذْ تلك النواحي عمْ

وقد بتنا به حتَّىٰ … تجلَّى الصُّبحُ واستحكمْ

بجُبٍّ يوسفيٍّ قد … نما شوق لنا قد تمْ (جبّ يوسف)

ومنه الماءَ أخْرَجْنا … لذيذاً طعمه في الفمْ

ونحو المنية الأقوا … م ساروا بالقضا المبرمْ (المنية)

بها بتنا علىٰ روضٍ … تسَامىٰ مدحه عن ذمّ

وفيها بركةٌ لكنْ … لها ماءٌ، هو الأوخمْ

وأصبحنا إلى وادي … عيون تجارهم في هَمّْ (عيون التجار)

ووافيناه بعد العصـ … ـرِ نلقى وجْهَهُ أقتمْ

وقالوا شيخُهُ أضحىٰ … من الأعداء، مُراق الدمْ

فلم نزْل به حتَّىٰ … ذهبنا للفلا نقحمْ

وفي ناعورةٍ بتنا … بأعلى ذلك المقسمْ (ناعورة)

وأصبحنا إلىٰ جينيـ … ـنَ ينمو شوقنا فاعلمْ (جينين)

قد جاءت تُلاقينا … مجاذيبٌ كموجِ اليمْ

وقد ضِفْنا وكيلاً للشْـ … ـشَريفِ الحاكم الأحكمْ

/وبتناها ثلاثاً مِنْ … ليالٍ عيشها نَغْنَمْ (١٤٨/ب)

وسِرنا بعدها حتى … أتينا يَعْبُدا ننضمْ (يَعْبُد)

وضِفنا مُصْلح السَّامي … ويسمو من له يمُّمْ

وبتنا عندهُ والفجـ … ـر بالأنوار قد أعلمْ

إلىٰ أنْ بُرقَةً جئنا … ومن أنْجدْ بنا أتْهمْ (برقة)

وفي نابلس حَطَّتْ … بنا الخيل التي تُكرمْ (نابلس)

وفيها لم نزلْ نسمو … وربّي فضلَهُ عمَّمْ

علي آغا نزلنا في … حماهُ ذلك الأكرمْ

وكـنَّـا عـنـده فـي حـضـ ـرةٍ أوقَـاتُـهـا تُـغْـنَـمْ

وبـتـنـا خـمـسـةَ الأيَّـا م لـم نـحـزن ولـم نـهـتـمْ

وحـفَّـتْـنـا مـسـرَّات وشـاهـدنـا بـدور الـتـمْ

جماعين

وسـافـرنـا لـجـمَّـاعـيـ ـن ذات الـرَّونـق الأجـسـمْ

ديـار بـنـي قـدامـة أهـ ـلِ فـضـلٍ كـلـهـم أشـهَـمْ

وجـئـنـا عـيـن يـبـرودٍ فـتـحـنـا جـفـنـهـا الـمـنـضـمْ

البيرة

وأصـبـحـنـا وقـد جـئـنَـا لأرضِ الـبـيـرةِ الأعـصـمْ

وأقـبـلـنـا عـلـى الـقـدسِ الـشْـ شَـريـفِ الـواضـح الأقـومْ

بيت المقدس

وقـد وافـت تُـلاقـيـنـا كـرامٌ نـارُهـم تُـضْـرَمْ

المدرسة السلطانية

وحـطَّـيـنـا بـسُـلطانـيَـ ـيَةٍ عـلـيـاء تـجـلـو الـغـمْ

وجـاءتـنـا كـبـارُ مِـنْ أهـالـي ذلـك الـمـيـسَـمْ

الصخرة المشرفة

وجـئـنـا الـصَّـخْـرَةَ الـغـرَّا وذاك الـمـشـهـد الأضـخـمْ

المسجد الأقصى

وزرنـا الـمـسـجـد الأقـصـى ونـوراً لـلـنـهـى أفـخـمْ

وكـمْ مـن مـشـهـدٍ فـيـهِ لـعـاصٍ يُـغـفـر الـمـأثـمْ

عين سلوان

وردنـا عـيـن سـلـوانٍ يـحـاكـي مـاؤهـا زمـزم

وداود الـنـبـي زرنَـا وفـزنـا بـابـنـه الأفـهـم(١)

سُـلـيـمـان الـنّـبـي صـلّـى عـلـيـهِ مَـنْ لـه عَـظَّـمْ

١٤٩ أ الطور

/وفـوق الـطـور زرنـا الـغَـا لـمـيَّ الـعـالـم الأعـلـمْ

وجـسـمـانـيَّـة فُـزنـا بـهـا بـالـقـبـر مـن مـريـمْ

قبر موسى

وسِـرنـا لـلـنـبـي مـوسـى ومَـنْ ربّـي لـهُ كـلَّـمْ

وبـتـنـا لـيـلةً فـيـهِ بـصـحـبٍ جـارهـم يُـكـرمْ

حبرون

وقـد سِـرنـا إلـى حـبـرو ن وهـي الـدَّاء والـمـرهـمْ

وقـد زرنَـا خـلـيـل الـلَّـ ـهِ إبـراهـيـمُـه الـمـلـهـمْ

وإسـحـاقـاً ويـعـقـوبـاً ويـوسـف ذا الـبـهـا الـمُـفـهَـمْ

---

(١) ففهمناها سليمانَ وكلاًّ آتينا حكماً وعلماً . .

وكلٌ في قبالتِهِ ... له أهلٌ لدىٰ معلمْ

وأنواراً شهدناها ... مُزيلاتٍ لِما أظلمْ

ياقين قبر لوط

وفي ياقين قد زرنا ... أهالي مسجدٍ يُهدمْ

ومن كفْر البريك القبـ ... ـرُ لوطٌ فيه لم يُعدمْ

وغَارُ الأنبيا فيهِ ... وإبراهيم مِنْ أدهمْ

وكم قطبٍ وصدّيقٍ ... ومَنْ يُفهم ولا يُفهمْ

وكم شيخٍ ومجذوبٍ ... تبرَّكنا بهم نهتمْ

بيت لحم

وقد زرنا لعيسىٰ مَوْ ... لداً أضحىٰ ببيت اللحمْ

مغادرة القدس

وقد عُدنا لبيت المقْ ... دس الباهي السَّنا الأعظم(١)

وودَّعناهُ إذ ذُقْنا ... فراقاً طعمه علقمْ

البيرة

وسرنا بعد ذا يسمو ... لنا في البيرة المقدم

وجئنا «سنجلا» بتنا ... بها والليل قد أعتمْ

نابلس

ونابلساً أتيناها ... لنا رزقٌ بها يُقسمْ

وقد بتنا ثلاثاً من ... ليالٍ ما بها نرغمْ

قباطية

وقد جئنا قباطيةً ... وأجلي أمرُنا المبهمْ

جينين

وجينيناً بها يوميـ ... ـنِ كنّا والأسىٰ يُهزمْ

ويوماً ثالثاً فيهِ ... لقينا السَّيِّدَ المكرمْ

شريفاً كاملاً يحيىٰ ... به الجودُ الذي يعدمْ

عيون التجار

وودَّعنَاهُ حتّىٰ في ... عيون تجارهم ننعمْ

المنية

وبتنا ثم أصبحنا ... نرىٰ بالمنيةِ المغنمْ

وبالجب البهي حتّىٰ ... أتينا الجسر لا نندمْ

القنيطرة

وبتنا فيه في خيرٍ ... قنيطرةٍ بها نَلزمْ

لدى الخان الذي فيها ... وبتنا لا نرى مغرمْ

---

(١) في نسختنا «الأغنم» والتصحيح من الثالثة.

سعسع — وجئنا سعسعاً من بعْـ ـدِ هذا شوقنا هيَّمْ

دمشق — إلى وادي دمشق الشَّا مِ ذات الجانب الأسلمْ

وبتنا ثم أصبحنَا نرىٰ طفل السُّرىٰ يُعظمْ

وأقبلنا علىٰ الإخوا نِ منّا الشَّوق لا يُكتمْ

فلاقونا بترحيب وعنهم حالهم ترْجَمْ

ووافينا لأهلينا وربّي بالعلا كرَّمْ

وزاد الله إنعاماً علينا لم يزل أدوم

ونلنا فضلهُ أرِّخْ «برحلة قدسه الأكرم[1]»

وصلّىٰ الله مولانا علىٰ طه وقد سَلَّمْ

وكلّ الآلِ والأصحا بِ من أوصافهم تُرقَمْ

مَدَىٰ الأيَّام ماطيرٌ بأعراب الغنا أعْجمْ

وقد أرسل لنا صديقنا مفخر الأفاضل والأعيان، وخلاصَةُ العلماء ذوي المهابة والشّان، الشيخ عبد الرحمن التاجي[2] البعلي هذه الأبيات من نظمه البديع، وشعره الذي يحاكي أزهار الربيع، فعبثتْ نسائم كلماته بأغصان الأشواق، وحرَّكت أنفاس مودَّته سلاسل الذكرى لأيَّام الاتّحاد والاتفاق، وهي هذه الأبيات ذات المعاني الأبيَّات:

لئِنْ فاتنا الخير الكثير بتركنا مُرافقة الأشياخِ في رحلةِ القدسِ

فإنَّا على علْمٍ يقينٍ بأنّنا لُحِظْنا بعين الجمع في حضرةالقدسِ

---

(١) يُعد الشيخ عبد الغني النابلسي مؤسس علم التأريخ بالحروف وهو ما يسمىٰ حساب الجمَّل وهو وإن كان مستعملاً منذ الجاهلية، إلا أن العناية به انعدمت فلا نكاد نرى أثراً طوال العهد الإسلامي حتى العصر العثماني، ولهذا الفن قواعد وأصُول أتينا عليها مُوجَزةً في كتابنا عن التقويم والتّاريخ.

(٢) من علماء دمشق، تُوفي في دمشق سنة ١١١٠هـ. سلك الدرر ٢/ ٢٨٥.

هنيئاً لبيتِ المقدس اللذ به شَرفتْ ذُراه بممشاكم فزاد به أنسي[1]

[وحيًّا رباع المجد حيثُ انتسابكمْ إليها، فطوبىٰ ثم طوبى لنابلسِ

فيا أيُها المفضال يا عالم الدُّنا ويا زاكي الأعراق يا طيّبَ الغرسِ

لأنت فريد العصر أوحد أهلِهِ يزينك حُسْن الخلقِ مع كرم النفسِ

فنرجو دعاءً منك يا فرد وقتنا إجابتُه في الغيب صادقةُ الحِسِّ

تمنُّ على مرضىٰ القلوب به عسىٰ يكونُ دواءً بل شفاءً من النكْسِ

وقد تمّ ما أردنا جمعه، من أخبار هذا البرق القدسيِ الذي شهدنا لمعَهُ، والحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصّلاةُ والسلام على سيِّدنا محمد سيد السَّادات والسيادات، وكان تمام ذلك والفراغ من تصنيفه وتأليفه نهار الأربعاء تاسع ذي الحجّة الحرام، يوم الوقفة الشَّريف الذي هو من شهور سنة ١١٠١، إحدىٰ ومائة وألف، والحمد لله رب العالمين وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم][2].

(١) اللّذ به شَرُفت هكذا وردت في النُّسخ، ولا يستقيم الوزن إلا بتسكين الراء من شرفت لتصبح «شَرْفت» والله أعلم.

(٢) هذه الزيادة بتمامها نقلناها من نسخة حلب، وذلك لنقص الورقة الأخيرة من نسختنا المعتمدة.



فَهارسُ
الحضْرة الأُنْسيَّةُ
في
الرّحْلةِ القدسيَّة

الفهارس العامَّة

أولًا: فهرس الأعلام.
ثانياً: فهرس الأضرحة والمزارات.
ثالثاً: فهرس الأماكن.
رابعاً: فهرس الكتب الواردة في النص.
خامساً: فهرس المصطلحات والشوارد.
سادساً: فهرس الموضوعات الواردة في الرحلة.



أولاً :

فهرس الأعلام

- أبان بن يزيد ١٣٨ .
- إبراهيم الخليل عليه السلام ٢٨٥ - ٢٨٧ .
- إبراهيم بن أحمد الباعوني ١٨٩ .
- إبراهيم جلبي الراعي، الشاعر ١٢٢، ٢٢٦، ٣٥٩ .
- الإمام إبراهيم الحلبي ٢٢٣ .
- الشاعر إبراهيم بن زقاعة: ١٨٤، ١٩٣، ٢٥١، ٢٨٨ .
- الشيخ إبراهيم السّيوطي ٢٦ .
- الشيخ إبراهيم بن عبد العزيزالجينيني ٣٥١ .
- الشيخ إبراهيم بن أبي عبلة ١١٢ .
- الشيخ إبراهيم الفزاري ٢٢٢ .
- الشيخ إبراهيم الهدْمة ٢٩٠، ٢٩٤ .
- ابن عطاء الله السكندري ١٨٥ .
- ابن قيم الجوزية، انظر محمد بن أبي بكر .
- أبو بكر بن العربي ١١٥ .
- الشيخ أبو بكر العلمي . من أعيان القدسي ٩٦، ١٥٤، ١٨٢، ٣٠٣ .
- الشيخ تقي الدين أبـو بكر الحصني الشـافعي الدمشقي ١٢٩، ١٣٣، ٣٦٠ .
- أبو إدريس الخولاني ١١١ .
- أبو حامد الهروي، قاضي القدس ٢٧٧ .
- أبو الحسن بن حزام ٢٣ .
- أبو ذر الغفاري ١٣٧ .
- أبو زرعة، قاضي فلسطين ١٣١ .
- أبو سعيد الخدري ٣٢، ٣٣ .
- الإمام أبو عبد الله القرشي ٣١٧ .
- أبو عبيدة بن الجراح ٣٠ .
- الحافظ أبو محمد القاسم ١١٢ .
- الشيخ أبو الـوفا العلمي، من أعيـان القـدس ١٥٣، ١٧٩، ٢٠٥ .
- الأمير أحمد آغا، متولي نابلس ٧٧ .
- الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك ٢٨٦ .
- الشيخ الإمام أحمد بن تيمية ١٢٩ .
- الشيخ أحمد بن الحارثية، الحارثي، من نابلس ٧٦، ٨٢، ٣٣٨ .
- شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني . انظر أحمد بن علي .
- شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي ١٢٠، ١٣٣ .
- الحاج أحمد حدرة، أو حضرة، نقيب السـادة الشاذلية بنابلس ٧٧، ٣٠١ .
- السيد أحمد الحنبلي، نقيب الأشراف بنابلس ٧٦، ٣٤٦ .
- الشيخ أحمد بن سالم، شيخ الخلوتية بالشـام ١٥٧، ٢٧٣، ٣٣٨ .

- الشيخ أحمد الشراباتي ٣٥٥ .
- السيد أحمد الزعتري ٢٨٢ .
- الشيخ أحمد الششتري ١٥٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣ من أعيان نابلس.
- أحمد بن شعيب النسائي ٣٢ .
- أحمد بن عبد الله ، أبي ثور ٢٤٦ .
- أحمد العجمي المصري ١٢٨ .
- الشيخ أحمد العلمي، إمام الحنفية بالأقصى ٩٦، ١٥٤ ، ١٦١ ، ١٨٦ .
- الشيخ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٩٥ .
- أحمد بن عمر الصالحي ١٨٩ .
- الشيخ أحمد العناياتي ١٧٤ .
- الشيخ أحمد بن محمد السلفي ٢٥٧ .
- الشيخ أحمد بن محمد الشهاب الخفاجي ٢٣٩ ، ٢٥٧ .
- الشيخ أحمد المرواني ٢٨١ ، ٢٩٠ .
- السيد أحمد النقيب، من أعيان نابلس ٣٢٩ .
- الشيخ أحمد بن أبي الوفا العلمي، خطيب جامع الخليل ٢٨ ، ٢٧٦ .
- الشيخ شهاب الدين أحمد اليغموري ٢٦٤ .
- الشيخ أرسلان الدمشقي ١٧٢ .
- أبو إسحق الفزاري ٢٢١ .
- الشيخ إسماعيل الخطيب ٦١ ، ٦٤ .
- الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل بن علي ٢٩٤ .
- الشيخ إسماعيل النابلسي ٣٦ .
- الشيخ إسماعيل النّجار خادم الزاوية البسطامية ٢٣٦ .
- أمُّ عبيدة بنت خالد بن معدان ١٨٨ .
- الشيخ أمين الدين ١٥٤ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٢١ الخليلي عالم القدس.
- الشيخ أمين الدين عصفور النابلسي ٣٤٢ .
- الشيخ أيوب الخلوتي ١٩٠ .
- بختنصَّر، أو نبوخذ نصَّر امبراطور الكلدانيين ١١٧ .
- الشيخ بدران الخليلي ٢٨١ .
- الشيخ تقي الدين السبكي ١٢٨ .
- الصحابي تميم الداري ٢٧٦ .
- الشيخ ثلجي أبي الرُّب النابلسي ٨٧ .
- الفارسُ جفري بن جورج ٢٥٨ .
- الشيخ حجازي بن محمود، من مجاذيب نابلس ٨٦ .
- السلطان حسام الدين لاجين ٧٢ .
- الشيخ حُسين الغزالي ٢٨١ .
- خالد بن معدان ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٨ .
- الأمير خداويردي الجربجي ، ابن الأمير ٣٥٧ .
- نبيُّ الله داود ١٠٨ .
- الشيخ درويش الطالوي ١٥٢ ، ١٥٩ .
- رافع بن خديج ١١٢ .
- الشيخ رضي الدين اللطفي ١٩٨ .
- الشيخ زايد المجذوب، من يَعْبَد ٦٦ .
- القاضي زكريا الأنصاري ٢٣٩ .
- زيد بن واقد ٧٢ .
- الشَّيخُ سَالم الأسْمَر، من أعيان نابلس ٨٣ .
- الشيخ سعد الدين الجباوي ٦٣ .
- سعيد بن عبد العزيز ١١٦ ، ١٩٥ ، ٢٢٤ .
- الأمير سليمان آغا، متسلم جينين ٦٢ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ .
- سُليمان بن الأشعث (أبو داود) ٣٢ .
- نبي الله سليمان بن داود ١٠٨ ، ٢٥٩ .
- السلطان سليمان القانوني بن سليم ٩٧ .
- سنجر الجاولي ٣٥٣ .
- شرف الدين الأبوصيري ١٢٨ .
- شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي ١٢٦ .

ـ الشيخ صالح بن أبي بكر الحلبي، من وجهاء القدس ٢٠٧ .
ـ الشيخ صالح العسلي، من وجهاء القدس ١٥٣، ٣٠٤ .
ـ السيدة صفيَّة أم المؤمنين ١٩٥ .
ـ الشيخ طه الزعبي الكناني، من أعيان القدس ٣٠٨، ٣٠٩.
ـ الشيخ طه بن محمّد، خليفة الشاذلية في نابلس ٧٥، ٣٤٠ .
ـ عُبادَةُ بن الصامت ١١٠، ١١٢ .
ـ الشيخ عبد البرّ الفيّومي ١٩٨ .
ـ الشيخ عبد الحافظ المفتي ٧٦، ٨٥.
ـ الشيخ عبدُ الحق الزيتاوي المصري ٨٩.
ـ الشيخ عبد ربّه الشعراني ١٩٨ .
ـ الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ٢٦، ١٣٣ .
ـ الشيخ عبد الرحمن التاجي الدمشقي ٣٦٦ .
ـ عبد الرحمن بن صخر، أبو هريرة ٣٢ .
ـ عبد الرحمن بن منصور ١١٣ .
ـ الشيخ عبد الرحيم المفتي، من علماء القدس ١٥٢، ١٦١، ١٦٤، ١٧٩ .
ـ الشيخ عبد الغفور الشاذلي، من أعيان نابلس ٧٧.
ـ الشيخ عبد الكريم الجعبري ٢٩٢ .
ـ الشيخ عبد اللطيف أفندي، من أعيان القدس ١٠٤، ٣٠٤.
ـ عبد الله بن برّي ٢٣ .
ـ الشيخ عبد الله بن حسن الفالوجي ٦٢ .
ـ عبد الله بن الزبير ١٣٤ .
ـ الشيخُ عبد الله زيتون الشعَّال ٢٩٠ .
ـ عبد الله بن سلام ٢٢١ .
ـ عبد الله بن عباس ١١١ .
ـ عبد الله بن عمرو بن العاص ٣٢ .
ـ الشيخ عبد الله الفالوجي ٣٥٠ .
ـ عبد الله بن أبي قحافة، أبو بكر الصديق ٢٧٩ .
ـ عبد الله بن كرباج ٦٢ .
ـ الشيخ عبد الله المجذوب ٣٢٧ .
ـ عبد الله بن مسعود ١١٠ .
ـ عبد الملك بن حفاظ القيسي ٢٨٥ .
ـ عبد الملك بن مروان ١٣٤، ١٣٧ .
ـ القاضي عُثمان بن جعفر ٢٢٦ .
ـ عطاء بن رباح ١١٦ .
ـ الملك عفرون ٢٥٤ .
ـ الأمير عقل بيك، متسلّم القدس ١٥٥ .
ـ عكاشة بن محسن ٣١٨ .
ـ الأمير علي آغا الناظر على الحرمين ١٥٦، ٣٢٦ .
ـ الشيخ علي البكّا ٢٥١ .
ـ الحافظ علي بن الحسين، ابن عساكر ١٣٤ .
ـ الشيخ علي الديصطي المصري ٢٢٥ .
ـ الشيخ علي الشبراملسي ٢٢٩ .
ـ الأمير علي الشربجي، متسلم نابلس ٧٥ .
ـ علي بن أبي طالب ١١٢، ٢٧٦ .
ـ الشيخ علي العلمي، من أعيان القدس ٩٦، ١٥٤ .
ـ الشيخ عليّ بن عليل ٦٢ .
ـ الشيخ علي بن عمر المجذوب، من جنيين ٦٣ .
ـ الشيخ علي عمرة ٣٠٨.
ـ علي الربعي ٢٢٣ .
ـ الشيخ عمر بن أبي اللطف، علّامة القدس ١٥٢ .
ـ عمر بن الخطاب ١١٦! ٢٧٦ .
ـ عمر المرواني ٢٨١ .
ـ عمر البغدادي المقدسي المجرّد ٢٩٢ .

- عمران بن الحصين ٢٧ .
- عُمير بن هانيء العبسيّ ١١٢ .
- فاطمة بنت الحسن بن علي ٢٨٦ .
- فلسطين بن كوحين ٧١.
- الملك الأشرف قايتباي ١٠٢، ١٠٣ .
- الشيخ قنبر القميني ٣٥٢.
- كعب بن ماتع، كعب الأحبار ٢٣، ١١٢، ٢٢١ .
- نبي الله لوط بن حاران ٢٨٧ .
- مالك بن أنس ١٣١ .
- مجير الدين الحنبلي ٢٤ .
- محمد بن إبراهيم الدكدكجي ٤٠، ٢٧٤ .
- محمد بن أبي بكر، ابن قيّم الجوزية ١٢٩، ١٣٩ .
- الشيخ محمد بن أبي الوفا العلمي، ١٥٣، ٢٠٦ .
- الشيخ محمد بن أحمد القزمي ١٥٥، ١٨٢، ٣٠٩ .
- محمد بن إسحق النحوي ٢٥٥ .
- محمد بن إسماعيل البخاري ٣٢ .
- الشيخ محمد البكري الصدّيقي ٢٧١، ٣٠٦ .
- الشيخ محمد بدر الدين بن جماعة، خطيب الأقصى ٩٦، ١٥٤، ١٧٨ .
- الشيخ محمَّد بن حمود ٦٣ .
- الشيخ محمد أبي السُّعُود الدمشقي ٣٣٠ .
- الشيخ محمد سعيد الخليلي ٢٩١، ٢٩٣ .
- الشيخ محمد الشُّشتري ١٥٥، ٢٠٧، ٣٢٢ .
- الشيخ محمد صادق الدمشقي ٣٢٢ .
- المؤرخ محمد بن طولون الدمشقي ١٨٩ .
- الشيخ محمد بن عبد الجواد المنوفي ١٩٨ .
- الشيخ محمد بن عبد الرحيم المفتي بالقدس ١٦٣، ١٨٢ .
- الشيخ محمد عبيد المجيدي ٣١٧ .
- الشيخ محمّد بن عمر العلمي ١٩٧، ١٩٨، ٢٢٥، ٢٧٢ .
- الشيخ محمد الغزالي ٣١٣ .
- محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه ٣٢ .
- الشيخ محمد السَّالمي القدسي ٩٦، ١٥٤، ١٦٢ .
- الشيخ محيي الدين بن عربي ١٦٢، ٢٨٥ .
- الأمير مرتضى باشا، والي نابلس العثماني ٧٨ .
- الشيخ مرجان المجذوب ٦٩ .
الإمام مسلم بن الحجاج القشيري ٣٢ .
- السيد مصطفى أفندي، نقيب الأشراف بالقدس ١٥٣، ٣٢٢ .
- الشيخ مصطفى العلمي ١٥٣ .
- الشيخ مُصلح الخطيب ٦٥ .
- مُعاوية بن صالح ٢٣ .
- مقاتل بن سليمان ١١٣، ٢٨ .
- مكحول الدمشقي ٢٢٤ .
- منبه الرازي ٢٩ .
- الأمير سيف الدين منجك ٢٤٤ .
- الشيخ موسى المغربي القدسي ١٥٥، ٢٠٧ .
- مَيمون بن مهران ١١ .
- نعمان بن عطاء ٢٧ .
- السيد نور الدين الخليلي ٣٨٢ .
- هيلانة، أم قسطنطين ١١٩، ١٩٦ .
- الوليد بن عبد الملك ١٣٤ .
- الوليد بن مسلم ١١٢، ٢٢٣ .
- وهب بن منبه ٢٦، ٢٥٥ .
- ياجوج وماجوج ٢٩ .
- الشريف يحيى بن بركات ٦١ .
- الشيخ يحيى الدجاني ١٥٤، ٣٠٤، ٣٢٤ .
- يحيى بن سليمان البصري ١٣٨ .

- يحيى الشيباني ٣٠.
- يزيد بن شريح ٢٣ .
- النبي يعقوب ٢٩٠ .
- الأمير يوسف الشربجي، كافل قلعة الكرك ٧٥.
- الإمام يوسف العسيلي ١٩٩ .
- الشيخ يوسف العلمي ٢١٠ .
- الشيخ يوسف النابلسي، شقيق المؤلف ٣٣٠ .
- يونس بن متّى ٢٩٤ .



ثانياً:

فهرس الأضرحة والقبور والمزارات(1)

- قبر آدم في الخليل ٢٨٢.
- قبر إبراهيم بن أدهم في جبلة ٢٨٧.
- قبور إبراهيم الخليل وآله في الخليل ٢٥٤ حتى ٢٦١.
- ضريحُ الشيخ إبراهيم بن الهدْمة في سيعير ٢٨٩، ٢٩٠.
- ضريح أبي بن كعب في دمشق ٤٢.
- مزار الشيخ أبي بكر الشبلي في الخليل ٢٩٢.
- مزار الشيخ أبي بكر بن قوام في قاسيون ٤٤.
- مزار الشيخ أبي ثور في بيت لحم ٢٤٦، ٢٩٩.
- قبر الشيخ أبي الريش في القدس ١٧٤.
- مقام أبي سليمان الداراني في داريا ٤٤، ٣٦٠.
- قبر الشيخ أبي شوشة بمقبرة الباب الصغير بدمشق ٢٤٤.
- مقام الشيخ أبي القاسم الجنيد، بظاهر نابلس ٧٤.
- مقام أبي مسلم الخولاني في داريّا ٤٤، ٣٦٠.
- قبر أبي يزيد البسطامي بظاهر دمشق ٤٢.
- قبر الشيخ أحمد بن أرسلان الرملي القدسي ٣١٧.
- مزارُ الشيخ أحمد الزّاهد في الخليل ٢٩٢.
- مزار الشيخ أحمد السُّروجي بدمشق ٤١.
- مزار الشيخ أحمد عويصي في الخليل ٢٩٢.
- مقام الشيخ أحمد المثَبّت بالقدس ٢٨٢.
- قبر أحمد بن الهايم بتربة ماملّا ٣١٦.
- مقام النبي إدريس، تحت الصخرة المشرفة ١٢٥.
- ضريح الشيخ أرسلان ومزاره بدمشق ٤٢.
- مزار إسحق عليه السلام في جامع الخليل ٢٦١.
- مقام النبي أعرابيل في عرّابة ٦٩.
- مقام الأربعين، في جنين ٦٥.
- مقام مغارة الأربعين في الخليل ٢٩١.
- مقام إسماعيل النابلسي الجدّ، في مقابر الباب الصغير ٤١.
- قبر النبي أيوب في نوى، في حوران ١٢٧.
- مقام النبي العُزَير بالقدس ٢٤٣.
- مقام بشر الحافي في نابلس ٧٩.
- قبر بلال الحبشي في باب الصغير وباب كيسان وداريا ٤٢، ٤٤.

(1) المقصود بالمزارات هنا، القبور المبني عليها قبة أو أي بناء، وهي أقرب إلى الزوايا، أما الأضرحة فهي القبور العالية، وقد ذكرناها على حدة لكثرة ورودها في هذه الرحلة.

- مقام بنات لوط في مغارة بنابلس ٢٨٦ .
- قبر الشيخ حرب في داريّا ٤٤ .
- قبر النبي حزقيل في داريا ٤٤ .
- مزار الشيخ حسن الجنيد في الخليل ٢٩٢ .
- قبر الشيخ حسن بن عُليل بظاهر القدس ٢٤٤ .
- قبر حنّة أم مريم بالمدرسة الصلاحية بالقدس ٢٠٣ .
- مقام الخضر تحت الصخرة المشرّفة ١٢٣ .
- مقام الخضر أبي العباس بظاهر بيت لحم ٢٤٧ .
- ضريح خولة بنت الأزور ٤٢ .
- قبر النبي داود في البقاع ١٧٥ .
- مقام النبي داود في القدس ١٧٥ ، ٣١٣ .
- قبر دحية الكلبي ، في المزّة بدمشق ٤٤ .
- تربة الدرويش مراد الرومي بنابلس ٣٣٩ .
- قبر السيدة رابعة العدوية في طور القدس ١٩٧ .
- قبر راحيل أم يوسف الصديق في ضواحي بيت لحم ٢٤٧ .
- قبر الراعي بظاهر القدس ٢٣٣ .
- ضريح رجال الظهرة في طريق سيلان ٧٠ .
- مزار الشيخ ريحان بالخليل ٢٩٣ .
- مشهد زكريا في سبسطية ٧٢ .
- مقام السيدة زينب بنت علي في قرية راوية بظاهر دمشق ٤٢ .
- قبور السادات بدمشق ٤٢ .
- ضريح الشيخ سعد الدين الرصافي بالقدس ١٨٦ .
- قبر سلمان الفارسي في جبل الطور ٢٠٣ .
- قبر سُليمان بن داود في بيت لحم ١٣٥ ، ٢٩٦ .
- مزار الشيخ سُمّاق بالخليل ٢٩٢ .
- مقام النبي سيلان في قرية سيلان ٧٠ .
- قبر الشيخ شعلة بظاهر نابلس ٧٣ .
- مزار الشيخ شنيط بالخليل ٢٩٢ .
- مزار الشهداء البدرية بالقدس ١٨٥ .
- قبر الشيخ شوْلة في ماملاّ ٣١٥ .
- مزار صهيب الرومي بدمشق ٣٦٠ .
- ضريح ضرار بن الأزور ظاهر باب توما بدمشق ٤٢ .
- مدافن آل طراباي في جنين ٦٣ .
- ضريح الشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل، أبي شامة بدمشق ٤٣ .
- ضريح الشيخ عبد الرحمن الرمشاني في لبنان ١٩٦ .
- ضريح عبد الرحمن بن عوف في ضواحي سنجل ٩٤ .
- مزار الشيخ عبد الرحمن الهواري في الخليل ٢٩٢ .
- مقام الشيخ عبد الغني النابلسي الجدّ، في الباب الصغير ٤١ .
- مقام الشيخ عبد الكريم الجعبري بالخليل ٢٩٢ .
- تربة الشيخ عبد المنعم الدّجاني وآله ٣١٨ .
- ضريح عثمان الثقفي بدمشق ٤١ .
- مقام النبي عجعج في عجّة بفلسطين ٧٠ .
- قبر الشيخ عزّ الدين أبي جمرا في جنين ٦٣ .
- ضريح العُزَيْر بظاهر نابلس ٨٨ .
- قبر عكاشة بن محصن بتربة ماملاّ ٣١٨ .
- تربة الشيخ علاء الدين البصير بالقدس ١٧٢ .
- مزار الشيخ عمر المجرّد بالخليل ٢٩٢ .
- قبر عمر بن إبراهيم الواسطي في ماملاّ ٣١٤ .
- مقام الشيخ عمر الخباز بدمشق ٤٢ .
- قبر عمرو بن أميّة الضمري في سنجل ٩٤ .
- مزار الشيخ عيد بالقدس ١٧٣ .
- قبر عيزر النبي بالعيزرية ٢٣٣ .
- قبر العيص في سيعير ٢٨٩ .

- مقام الشيخ غانم المقدسي في نابلس ٨٠.
- قبر الشيخ غباين بالقدس ١٧٤ .
- قبر الشيخ غنائم في جنين ٦٣ .
- قبر فاطمة بنت الحسن بالخليل ٢٨٦ .
- قبر الشيخ كسَّاب في فحمة ٦٩ .
- قبر الكمال بن أبي شريف بماملاّ ٣١٦ .
- قبر كوفية زوجة فرعون في جبل الطور ١٩٦ .
- مقام النبي لاوين في اللاوية ٧٠ .
- مزار ليقا زوجة يعقوب في جامع الخليل ٢٦١ .
- ضريح مجير الدين الحنبلي في ماملاّ ٣١٥ .
- قبر الشيخ محمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي بماملاّ ٣١٦ .
- قبر الشيخ محمد أبي الرُّب بنابلس ٣٤٩ .
- مقام الشيخ محمد بن أحمد القرمي بالقدس ١٨٢ .
- قبر الشيخ شمس الدين محمد البرماوي بماملاّ ٣١٨ .
- قبر الشيخ محمد الزغبي بدمشق ٤٤ .
- ضريح الشيخ محمّد الشمالي في عرّابة ٦٩ .
- قبر الشيخ محمّد عبيد المجيدي ٣١٧ .
- ضريح الشيخ محمّد العلمي ١٩٧ .
- مزار الشيخ محمّد كنفوش في الخليل ٢٩٢ .
- ضريح الشيخ محيي الدين بن عربي بدمشق ٤٣ .
- ضريح الشيخ مراد الرومي بنابلس ٨٦ .
- قبر السيدة مريم بنت عمران بالقدس ١٩٥ ، ١٩٦ .
- مقام نبي الله المفضَّل في عَوَرْتا ٨٩ .
- مزار الشيخ مكحّل بالخليل ٢٩٢ .
- ضريح الشيخ المنسيّ بماملاّ ١٨٧ .
- مقام بنبي الله المنصور في عَوَرْتا ٨٩ .
- مقام منصور بن عمّار في دمشق ٤١ .
- مقام النبي موسى ، شرقي القدس ٢٠٩ .
- مقام النبي موسى في مسجد القدم بدمشق ٢٢٠ .
- مقام الشيخ موسى العلميّ ١٧٢ .
- مقام الشيخ نجم الدين خليخان بدمشق ٤١ .
- قبر الشيخ نصر الله اليعبدي في جنين ٦٤ .
- قبر النمرود في نابلس ٣٤٣ .
- قبر «وَجَدوا» في ماملاّ ٣١٥ .
- مزار الشيخ يحيى في الخليل ٢٩١ .
- مشهد جسد يحيى في سبسطية ٧٢ .
- مقام رأس النبي يحيى بدمشق ٣٩ ، ٧٢ .
- قبر يوسف الصديق بالخليل ٢٥٨ ، ٢٦١ .
- قبر يوسف بالخليل ٢٦٤ .
- قبر يوسف القميني بصالحية دمشق ٤٤ .
- مزار يوسف النجّار في الخليل ٢٦٢ .
- قبر يوشع بن نون في عَوَرْتا ٨٩ .
- قبر النبي يونس بن متّى في الخليل ٢٩٣ .

ثالثاً:

فهرس الأماكن والمدن والبقاع

- أريحا ٢٢٢ .
- أيلة ٢١٣ .
- باب الأسباط بالقدس ٩٧، ١٩٥ .
- باب إسرافيل بالقدس ١٣٥ .
- باب التوبة بالأقصى ٩٨، ١٤٦ .
- باب الجنّة، من أبواب قبة الصخرة ١٣٥ .
- باب الحديد، بالأقصى ٩٨ .
- باب الخليل، بالقدس ٩٧ .
- باب الدّاعية بالقدس ٩٧ .
- باب داود بالقدس، وهو باب صهيون ٩٧ .
- باب دير السرب بالقدس ٩٧ .
- باب الرحبة بالقدس ٩٧ .
- باب الرحمة بالأقصى ٩٨، ١٤٦ .
- باب السّاهرة بالقدس ٩٧ .
- باب السكينة بالأقصى ٩٩ .
- باب السلسلة بالأقصى ٩٩ .
- باب السور الشرقي بالأقصى ٩٨ .
- باب صهيون: انظر باب داود ٩٧، ١٧٥ .
- باب العمود بالقدس ٩٦ .
- بابُ الغوانمة بالأقصى ٩٩ .
- باب القطانين بالأقصى ٩٨ .
- باب الله، بوابة الله، بالميدان جنوب دمشق ٣٦٠ .
- باب الموضّأ بالأقصى ٩٩ .
- باب الناظر بالأقصى ٩٩ .
- بئر أيوب، بالقدس قرب عين سلوان ١٩٤ .
- بئر الورقة في الأقصى ١٤٤ .
- بحيرة الحولة، أو بحيرة قدس، ٢٢٨ .
- بحيرة زغر ٢٢٧ .
- بحيرة طبرية ٢٢٩ .
- بحيرة الفرعون ٢٢٨ .
- بحيرة لوط، البحر الميت ٢٢٩، ٢٣٠ .
- بحيرة المنية ٣٥٥ .
- برج داود، بالقدس ٣١٤ .
- برج الروس، بدمشق ٤٢ .
- قرية بُرْقة ٦٩ .
- بركة بني إسرائيل ٢٠٧ .
- بِرِيَّةُ السّماوة ٢١٣ .
- بلاطة الأولياء ١٣٩ .
- البلاطة السوداء في المسجد الأقصى ١٣٥ .
- بيت السيدة خديجة في مكة المكرمة ١٣٣ .
- بيت لحم ٢٩٥، ٢٩٩ .
- قرية البيرة ٩٥ .
- تبوك ٢١٤ .
- تربة ماملا، مأمن الله ٣١٤ .
- تكية خاصكي سلطان بالقدس ١٨٦ .

- تكية الخليل ٢٥٢ .
- تكية عيون التجار ٥٨ .
- تكية القنيطرة ٣٥٨ .
- التكية المولوية في القدس ٢٤٠ .
- تل أبي الندى ٥١ .
- تيه بني إسرائيل ٢١٤ .
- جامع الحنابلة، أو جامع الجبل، بدمشق ٩١ .
- جامع الخليل ٢٦٠ ، ٢٨٤ .
- جامع الساطور بنابلس ٣٤٥ .
- جامع الصخرة الشريفة ١٠٤ ، ١٦١ ، ١٨١ ، ١٣٦، ٣٠١ .
- جامع عمر بالمسجد الأقصى ١٤٤ .
- جامع عيون التجار ٥٨ .
- جامع المغاربة، في الأقصى ١٠٤ .
- جامع نابلس الكبير ٨١ .
- جبّ يوسف ٥٤، ٣٥٦ .
- جبال الشورى، الشراة ٢١٣ .
- جبل الزيتون، أو طور زيتا، أو جبل الطور بالقدس ١٦٣ ، ١٩٧ .
- جبل سرنديب ١٢٨ .
- جبلة ٢٨٨ .
- جسر بنات يعقوب، جسر يعقوب ٥٢ ، ٣٥٦ .
- قرية جلمة، بظاهر جنين ٦١ ، ٣٥٣ .
- قرية جماعيل ٩٠ .
- جنين ٦١ .
- حبرى، موضع قرب نابلس ٢٥٤ .
- حبرون، انظر الخليل فيما يلي .
- قرية حلحول ٢٩٣ .
- حمام الخليل ٨٢ .
- حمام الريش بنابلس ٣٤١ .
- حمّام الشفا بالقدس ٣١١ .
- حوش البسطامية بالقدس ٢٣٥ .
- خان البيرة ٣٢٨ .
- خان جسر يعقوب ٣٥٦ .
- خان الشيح ٤٧ .
- خان عقبة اللبن ٩٤ .
- خان عيون التجار ٣٥٣ .
- الخليل، ٢٢٣ ، ٢٥٠ .
- داريًا ٤٥ ، ٣٦٠ .
- قرية دَوْقَرة ٣٠٨ .
- دومَة الجندل ٢١٢ .
- دير صهيون ٣٠٤ .
- قرية الرَّامة ٧٠ .
- رأس العين، أو عين الرصاص ٣٤١ .
- الرملة ٢٤ .
- الزاوية الأدهمية بالقدس ٩٦، ٢٤٢ .
- الزاوية الأسعدية بالقدس ١٩٧ ، ٢٠٠ .
- الزاوية البسطامية بالقدس ٢٣٥ .
- الزاوية الختنيَّة بالقدس ٣١٧ .
- زاوية الحصني بالشاغور بدمشق ٣٦٠ .
- زاوية الشيخ علي البكا بالخليل ٢٥١ ، ٢٩٣ .
- زاوية القدم، بنابلس ٣٤١ .
- زاوية القرمي بالقدس ١٨٥ ، ٣٠٩ .
- زاوية القلندرية في ماملا ٣١٥ .
- زقاق المرفق بمكة المكرَّمة ١٣٣ .
- سَبَسْطية ٧١ .
- سعسع ٤٧ ، ٣٥٩ .
- قرية سلوان ١٨٨ .
- قرية سنجل ٢٤ ، ٩٣، ٣٢٨ .
- سوق القدس ٩٨ .
- قرية سيعير ٢٤ ، ٢٩٠ .
- قرية السيلان ٧٠ .
- الصخرة الشريفة ١٠٩ ، ١٦٣ .
- طرطور فرعون بالقدس ١٩٦ .

- عائلة وعويلة قرب دمشق ٢٢٠ .
- قرية عجّة ٧٠ .
- قرية عجُور ٢٤ .
- قرية عرّابة ٦٩ .
- قرية عزّون ٢٤ .
- عسقلان ٧٢ .
- عَوَرْتا ٨٨.
- قرية العيزريّة ٢٣٣ .
- عين بئر الحمام بنابلس ٣٤٧ .
- عين حلحول ٢٤٧ .
- عين سارة ٢٤٨ .
- عين سلوان بالقدس ١٨٨ ، ١٩٥ .
- عين العسل بنابلس ٣٤٤ .
- عين عكا ١٨٨ .
- قرية عين يبرود ٩٤ .
- عيون التجّار ٥٦ ، ٣٥٣ .
- غزّة ٢٤ ، ١٥٢ .
- قريةُ فحمة ٦٩ .
- قرية قباطية ٣٤٨ .
- قُبَّةُ السلسلة بالأقصى ١٣٦ ، ١٣٧ .
- قُبَّةُ السبيل بنابلس ٨٠ .
- قبة الطومار بالأقصى ١٣٨ .
- قبة المعراج بالأقصى ١٣٧ .
- قبة موسى بالأقصى ١٤٩ .
- القدس: أسماؤها، حدودها، فضائلها ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ .
- قرية بني نعيم انظر: كفر البريك.
- قصر صالح العسلي بالقدس ٣٠٤ .
- قصر يحيى الدجاني بالقدس ٣٠٥ .
- القسطنطينية ١٣٠ .
- قنطرة الخضر بالقدس ١٧٢ .
- القنيطرة ٤٨ ، ٣٥٨ .
- قرية قيصين ٨١ .
- كأس السلطان بالقدس ١٤٠ .
- كرسي سُليمان ١٤٩ .
- كفر البريك ٢٨٦ .
- الكنيسةُ الجسمانية بالقدس ٢٠٤ .
- كنيسة القيامة ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ .
- كنيسة مريم بالقدس ١٩٦ .
- كنيسة المهد في بيت لحم ٢٩٥ ، ٢٩٧ .
- اللاذقية ٢٨٧ .
- اللاويّة ٧٠ .
- محراب الخضر في الصخرة ١٠٩ .
- محراب داود في الأقصى ١٤٥ .
- محراب زكريا بالأقصى ١٤٤ .
- محراب النبي بالأقصى ١٣٨ .
- محلّ البراق ١٥١ .
- محلة الشاغور بدمشق ٤١ .
- المدرسة الجراحية بظاهر القدس ٩٦ .
- مدرسة السُلطان حسن بالخليل ٢٦٤ .
- مدرسة الشيخ بدران بنابلس ٣٢٩ .
- المدرسة الصلاحية بالقدس ٢٠٤ .
- المدرسة العمرية بالصالحية بدمشق ٩١ .
- المدرسة القادريةُ بالقدس ٢٠٧ ، ٢٣٥ .
- المدرسة القرقشندية بالقدس ٢٠٥ .
- المدرسَةُ اللؤلؤية بالقدس ٩٨ .
- قرية مَرْدىٰ ٩٤ .
- المزّة ٤٤ .
- مسجد الإجابة قرب البقيع ١٢٧ .
- مسجد الشيخ أحمد بن عثمان بالخليل ٢٩٠ .
- المسجد الأقصى ٢٤ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٥٥ .
- مسجد الأقصاب بدمشق ٤٣ .
- مسجد البغلة في المدينة المنوّرة.
- مسجد الجاولية بالخليل ٢٥٣ .

- مسجد الحنابلة بالقدس ١٠٣ .
- مسجد الخضراء بنابلس ٣٤٤.
- مسجد اليقين بالخليل ٢٨٤ .
- مصلّى آدم بنابلس ٨٠.
- مغارة الأربعين بالخليل ٢٩١ .
- مغارة الأربعين بنابلس ٨٠.
- مغارة الخليل بالخليل ١٣٩ .
- مغارة السّرداب ٢٦١ .
- مغارة عيسى في بيت لحم ٢٩٨.
- مغارة الغوانمة في الأقصى ١٥٠ .
- مغارة الكتّان بالقدس ٢٤٤ .
- قرية مُغْر السعادة ٣٥٠.
- مقابر الباب الصغير بدمشق ٤١ .
- مقابر النبي لوط ٢٨٤ - ٢٨٥ .
- مقابر مرج الدحداح بدمشق ٤٣ .
- مقبرة بيت الرحمة بالقدس ٢٠٤ .
- مقبرة بوابة الله بدمشق ٣٦٠.
- مقبرة الساهرة بالقدس ٢٤٣.
- مقبرة القراونة بدمشق ٤١ .
- منبر برهان الدين بالقدس ١٠٦ ، ١٣٩ .
- قرية المنية ٥٥ ، ٣٥٥ .
- مهد عيسى بالأقصى ١٤٦ .
- نابلس ٢٤ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٣٢٩ .
- الناعورة ٥٨ .
- نهر الأردن ٢٤ ، ٥٢ ، ٢٢٩ .
- نهر الفرات ٢١٤ .
- وادي جهنّم ١٤٧ .
- وادي بني زيد ٢٤ .
- ياقين ٢٨٥ .
- يثرب ، المدينة المنورة ٢٣ .
- قريةُ يَعْبَد ٦٤ .

رابعاً:

فهرس الكتب الواردة في النصّ

- الأبيات النورانية في ملوك الدولة العثمانية للشيخ عبد الغني النابلسي ١٠٣.
- إتحاف الأخصافي فضائل المسجد الأقصى للشيخ إبراهيم السيوطي. ورد كثيراً في النص، ومن المواضيع التي ورد فيها الصفحات ١٠٦، ١١٦، ١٣٦، ١٨٨، ٢٧٧، ٢٨٧.
- الاتقان في علوم القرآن للجلال السيوطي ٢٤.
- الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة للشيخ شهاب الدين المالكي القاهري ٨٠.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ٢٦٠.
- الأحكام للشيخ إسماعيل النابلسي ٣٦.
- أخبار الدول وآثار الأول للقرماني ٧٣.
- أسماء المدلسين لإبراهيم الحلبي ٢٢٣.
- الإشارات إلى أماكن الزيارات لابن الحوراني ٧١، ٧٢.
- الإشارات إلى أماكن الزيارات للهروي ١٩٧، ٢٩٦.
- ألفيَّة التصوُّف للشيخ بدر الدين الغزّي ١٨٤.
- إمتاع الأسماع بما للرسول من الحفدة والمتاع للمقريزي ١٢٤.
- الأنس الجليل، أو أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل للشيخ مجير الدين الحنبلي، من المواضع التي ورد فيها ذكره: ٢٥، ٢٨، ٧١، ٧٨، ٨٩، ٢٢٧، ٢٣٤، ٣١٥.
- الأنس في فضائل القدس لأحمد بن الحسين الشافعي ١٩٤.
- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ١٢٥.
- باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس للفزاري ١١٠.
- بشرى الكئيب بلقاء الحبيب للسيوطي ٣١٩.
- تبيين الأمر القديم المروي في تعيين قبر الكليم للفزاري ٢٢٢.
- تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء ١٤١، للباعوني.
- تنزيه المصطفى المختار عمّا لم يثبت من الآثار لأحمد العجمي المصري ١٢٩.
- التنوير في إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري ١٨٥.
- تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١٢٧.
- جامع الأسرار للبروي ١٣٢.
- الجامع الصغير للسيوطي ٨٣، ٣٤٥.
- الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرَّم لابن حجر الهيثمي ٣٥، ١٢٩.

- حاشية الشبراملسي على المواهب اللدنيّة ٢٢٩ .
- حياة الحيوان للدميري ١٢٨ ، ١٣٤ .
- الخصائص الكبرى للسيوطي ١٢٨ .
- حلة الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز ١٩٦ .
- درر الحكام في شرح غرر الأحكام لملاّخسرو ٣٦ .
- دلائل النبوة للسهيلي ٣١٩ .
- ديوان الشيخ محمد العلمي ١٦٢ ، ١٧٦ ، ١٩٩ .
- رحلة ابن جبير ٢٢١ .
- الردّ الزاجر على من زعم أن ابن تيمية كافر ١٢٩ .
- الروض الأنف للسهيلي ٣١٩ .
- روض الرياحين لليافعي ٣١٩ .
الروض المستأنس في فضائل بيت المقدس ٣٣ ، ١٠٥ .
- السنوسيّة أم البراهين ٢٨١ .
- شرح ألفية التصوف للغزي ١٨٤ .
- شرح الجامع الصغير للنابلسي ٨٣ .
- شرح الشاطبية في القراءات ٢٩٢ .
- شرح المنارة لابن ملك ١٣٠ ، ١٣٢ .
- العسجد في صفة الأقصى والمسجد للحنفي ١٥٠ .
- القول السديد الأظرف في سيرة الملك المنصور الأشرف ١٠٣ .
- الكواكب السّائرة للغزي ١٨٤ .
- مثير الغرام لابن سرور المقدسي ١١٦ ، ١٣٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ .
- المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ٢٩٤ .
- مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول للنابلسي ١٣٢ .
- مرقاة الوصول إلى علم الأصول لملاّخسرو ١٣٢ .
- مروج الذهب للمسعودي ١١٨ ، ٢٢٨ .
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار لليحصبي ٣٥ .
- المواهب اللدنية للقسطلاني ١٢٦ .
- ميزان الاعتدال للذهبي ٢٢٣ .
- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٤ .
- وفاء الوفا للسمهودي ١٢٧ .
- كتاب اليقين للشيخ محيي الدين بن عربي ٢٨٦ .
- ينابيع الزلال في بدائع المقال للباعوني ١٨٩ .

خامساً:

فهرس المصطلحات والشّوارد

- الإجازة الخَلْوَتيَّة ٣٢٥ .
- الإجازة الشاذلية ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٦ .
- الإجازة القادرية ٣٢٥ .
- تقويم الاسكندر ٢٩٦ .
- الحجر اليهودي والحُمْر ٢٣٠ .
- حزب البحر ١١٦ .
- حلقة ذكر قادرية ٢٩٠ .
- خميس الأموات ٢٥١ .
- خواص الدفلي ٣٥٥ .
- زهرة الكلخ ٥٦ .
- زيتون الملّة ٢٨، ٢٩ .
- السّاعة الفلكية ٥٢ .
- طائفة السّباهية ٢٠٨ .
- سلسلة بني إسرائيل ١٣٦ .
- الطريقة القادرية ٢٩٠ .
- غرائب بحيرة لوط ٢٣٠ .
- قدم النبي الكريم محمد ﷺ، في الصخرة ١٢٤، ١٢٥ .
- شعر الـ «كان وكان» ١٩٣ .
- نبات اللعلع ١٣٨ .
- محيًا الشاذلية ٨١ .
- مزولة المسجد الأقصى ١٣٨ .
- مشيخة الطريقة القادرية ٢٨١ .
- المواليا ٦٠ .
- يهود السّامرة ٧٤ .

سادساً:

فهرس الموضوعات

مقدّمة المحقّق ٥

نسخ المخطوطة وطريقة التحقيق ١٠

مضمون الرحلة وقيمتها ١٣

لمحة عن الطرق الصوفية ١٦

مقدّمة المؤلف ١٩

أسماء القدس بالعربية والعبرية ٢٢

كراهية تسميتها بإيلياء ٢٣

المسجد الأقصى ٢٤

حُدود بيت المقدس ٢٤

فضائل بيت المقدس ٢٤

المساجد التي تشدُّ إليها الرحال ٣١

ليس في زيارة قبور الأولياء معصية ٣٦

اليوم الأول ٣٩

بداية الرحلة: الأثنين ١٧ جمادي الثاني ١١٠١ هـ المصادف ٢٧ آذار ١٦٩٠ م . ٣٩

قصيدة للشيخ محمد إبراهيم الدكدكجي ٣٩

رؤيا النابلسي قبيل الرحلة ٤٠

زيارة مقابر الباب الصغير الشاغور ٤١

زيارة الأولياء شرقي دمشق وشمالها ٤٢

مقابر الدحداح وقاسيون ٤٣

المزّة وداريّا ٤٤
قبر الشيخ حرب في داريا ٤٤
وصف أهل داريّا ٤٥
درس في التفسير في داريّا ٤٦
اليوم الثاني ٤٧
خان الشيخ ٤٧
سعسع ٤٧
اليوم الثالث ٤٨
القنيطرة ٤٩
اليوم الرابع ٥١
تل أبي الندي ٥١
نباتُ اللُّعلع ٥١
جسر يعقوب والشريعة ٥٢
اليوم الخامس ٥٤
جُبُّ يوسف ٥٤
المنية ٥٥
زهرة الكلخ ٥٦
اليوم السادس ٥٧
قرية الناعورة ٥٩
اليوم السابع ٦١
قرية جلمة ٦١
جينين ٦١
عُلماء جينين ٦٢
اليوم الثامن ٦٣
الوليّ أبو جمرا ٦٣
قرية يَعْبَد ٦٤

اليوم التاسع ٦٥
الشيخ إسماعيل الخطيب ٦٥
العبد الأسود والمغارة ٦٦
اليوم العاشر ٦٩
قرية عرّابة ٦٩
قرية فحمة ٦٩
قرية عجّة والنبي عجعج ٧٠
قريةُ الرّامة، والبني سيلان ولاوين ٧٠
بُرْقَة ٧٠
سَبَسْطية ٧٢
حدود فلسطين وأبعادها ٧٢
رأس النبي يحيى وجَسدُه ٧٢
نابلس ٧٤
علي الشربجي متسلّم نابلس ٧٥
عُلماء نابلس ٧٦
اليوم الحادي عشر ٧٨
أولاد يعقوب في نابلس ٧٨
مقام بشر الحافي في نابلس ٧٩
مَزارات نابلس ٨٠
صاحب الحال، وصاحب المقام ٨١
قرية قيصين ٨١
اليوم الثاني عشر ٨٢
الشيخ عبدالغني النابلسي في الحمام ٨٢
قصيدة له في مدح علي الشوربجي ٨٢
صلاة الجمعة في نابلس ٨٣
ابن الحارثية: أحمد النابلسي ٨٣
اليوم الثالث عشر ٨٥

الحدائق المعلقة في نابلس ٨٥
بيوت نابلس ٨٥
شعر الشيخ النابلسي في وصف نابلس ٨٦
قصيدة أخرى له في أهل نابلس ٨٦
ضريح الشيخ مراد الرومي في نابلس ٨٦
أمين الدين النابلسي ٨٧
اليوم الرابع عشر ٨٨
مُغادرة نابلس ٨٨
ضريح العُزير ٨٨
قرية عَوَرْتا ٨٨
قبر يوشع بن نون ٨٩
قرية جماعيل ٩٠
الشيخ عبد الحق الزيتاوي المصري ٩٠
بنو قدامة ٩٠
الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة ٩١
مدح بني قدامة ٩٢
اليوم الخامس عشر ٩٤
قرية مردى ٩٤
خان عقبة اللين ٩٤
قبر عمرو بن أميّة الضمري ٩٤
قرية سنجل ٩٤
عين يبرود ٩٤
اليوم السادس عشر ٩٥
قرية البيرة ٩٥
المدرسة الجراحية بالقدس ٩٦
دُخول القدس ٩٦
علماء القدس ٩٦

أبواب القدس ٩٧
المدرسة اللؤلؤية بالقدس ٩٨
أبواب المسجد الأقصى ٩٨
ذرعُهُ ٩٩
حزبُ البحر ٩٩
وصف المدرسة السُّلطانية الأشرفية ١٠٠
صفة الصَّلاة في الحرم القدسي ١٠٤
فضائل المسجد الأقصى ١٠٥
الصَّلاة في المسجد الأقصى ١٠٦
أحاديث غريبة في المسجد الأقصى ١٠٨
وصْفُ الصَّخرة الشَّريفة ١٠٩
فَضْلُها ١٠٩
الماء الذي يخرج من تحتها ١١٠
فضائلها ١١١
خلع النِّعال في المسجد الأقصى ١١٣
هل الصخرة معلقة في الهواء؟ ١١٥
كانت معلقة في الهواء ١١٦
لماذا هوت إلى الأرض ١١٧
الأقذار فوق الصخرة وسببها ١١٨
كنيسة القيامة ١١٩
من حلف أن الصخرة معلقة ١٢٠
الحكمة في تعليق الصخرة ١٢٠
وصف الصخرة الشريفة شعراً ١٢١
الخرق في الصخرة ١٢٤
القدم الشريف ١٢٥
مسجد البغلة ١٢٦
تفسير البيضاوي لآية الحج ١٢٧

قبر أيوب ١٢٧
مهبط آدم ١٢٨
لين الحجارة ١٢٨
مثالب ابن تيمية ١٢٩
الأولّة على صحة أثر القدم الشريف ١٣٠
الالتزام بالخبر المتواتر ١٣١
ما هو الإجماع؟ ١٣٢
من توقف في قبول الأثر النبوي ١٣٣
الحجر الذي كان يُسلّم على الرسول ١٣٣
من بنى مسجد الصخرة؟ ١٣٤
صفة قبة الصّخرة ١٣٤
أبواب قبّة الصخرة ١٣٥
البلاطة السوداء ١٣٥
قبة السلسلة ١٣٦
أصل السلسلة في بني إسرائيل ١٣٦
ثواب الصلاة عند السلسلة ١٣٧
قبة المعراج ١٣٧
محراب النبي ١٣٨
قبة الطومار ١٣٨
أبعاد مسجد الصخرة ١٣٨
لسان الكذّاب ١٣٨
منبر برهان الدين ١٣٩
عُمُر المسجد الأقصى ١٤٢
الرخام الملون والمقصورة ١٤٢
جامع عمر، الأقصى القديم ١٤٤
ورقة الجنة ١٤٤
سوق المعرفة، مهد عيسى ١٤٦

الأقباء تحت المسجد الأقصى ١٤٦
وادي جهنم ١٤٧
سور المسجد الأقصى ١٤٧
باب الرحمة وباب التوبة ١٤٨
كرسي سليمان، قبة موسى منارات المسجد ١٤٩
أشجار المسجد الأقصى ١٥٠
جامع عمر، ومحل البراق ١٥١
الشيخ عبد الرحيم المفتي ١٥٢
قصيدة للشيخ درويش الطالوي ١٥٢
أعيان القدس ١٥٣
مدح أعيان القدس للنابلسي والسالمي والطالوي ١٥٦
اليوم السابع عشر ١٦١
بين الشيخ عبد الرحيم المفتي والنابلسي ١٦١
اليوم الثامن عشر ١٦٢
مواليا للشيخ محيي الدين والشيخ العلمي ١٦٢
مذاكرة مع الشيخ الرحيم المفتي ١٦٣
جبل الطور والصخرة ١٦٣
قصيدة عبد الرحيم المفتي في مدح المصطفى ١٦٤
قصيدة النابلسي في مدح المصطفى ١٦٧
تحليل لغوي لقصائد النابلسي ١٧١
درس في التوحيد للشيخ محيي الدين ١٧٢
دخول الحمام في القدس ١٧٣
اليوم التاسع عشر ١٧٥
قبر داود ١٧٥
قصيدة النابلسي والعلمي في مدح النبي داود ١٧٦
قصيدة الشيخ أحمد الخلوتي ١٧٧
صلاة الجمعة في المسجد الأقصى ١٧٨

مناظرة حول موسى وهارون وفرعون ١٧٩
رد الشيخ النابلسي ١٧٩
تقريظ النابلسي للشيخ محمد عبد الرحيم المفتي ١٨٠
اليوم العشرون ١٨٢
ترجمة الشيخ محمد القرمي ١٨٢
قصة الشيخ أحمد المثبت والشيخ القرمي ١٨٣
بين الشيخ القرمي وإبراهيم بن زقاعة ١٨٤
التنوير في إسقاط التدبير ١٨٤
زاوية القرمي ١٨٥
الشهداء الفدريَّة ١٨٥
تكية خاصكي سلطان ١٨٦
ضريح الشيخ سعد الدين الرصافي ١٨٦
درس في الرسالة الأرسلانية ١٨٦
اليوم الحادي والعشرون ١٨٧
مقبرة ما ملّا ١٨٧
عين سلوان ١٨٧
عين زمزم وعين سلوان ١٨٨
قصائد في العينين ١٩٠
قصيدة النابلسي في آثار القدس ١٩٢
قصيدة ابن زقاعة في آثار القدس ١٩٣
بئر أيوب ١٩٤
جبل الزيتون ١٩٥
قبر السيدة مريم ١٩٥
كنيسة مريم ١٩٦
مقام رابعة العدوية ١٩٦
ضريح الشيخ محمَّد العلمي ١٩٧

ما قيل من شعر في الزاوية الأسعديّة ١٩٨
قصيدة للشيخ العلمي في جبل الطور ٢٠٠
قبر سلمان الفارسي ٢٠٣
خرنوبة العشرة ٢٠٣
مقبرة باب الرحمة ٢٠٤
المدرسة الصلاحية بالقدس ٢٠٤
المدرسة القرقشندية ٢٠٥
الشيخ أبو الوفا العلمي ٢٠٥
قضية إيمان فرعون ٢٠٦
النابلسي يمدح آل العلمي ٢٠٦
المدرسة القادريّة ٢٠٧
اليوم الثاني والعشرون ٢٠٩
مقام النبي موسى والخيالات عليه ٢٠٩
موسى وملك الموت ٢١٢
حدود الأرض المقدَّسة ٢١٣
لوط ويوسف وموسى عليهم السلام ٢١٤
أسباب الخيالات على قبر موسى ٢١٥
وفاة موسى وعمره ٢١٧
مقام موسى ومسجده ٢١٨
عود الأشباح والآيات ٢١٩
نيرانيَّة موسى، ومدح النابلسي له ٢١٩
ابن طولون وقبر موسى في القدم ٢٢٠
النابلسي ينفي أن يكون القبر في دمشق ٢٢١
قبر موسى هو قرب أريحا ٢٢٤
قصة المصرّي الصَّالح ٢٢٥
قصيدة العلمي في موسى عليه السلام ٢٢٦
بركة لوط ٢٢٧

قصيدة ابن زُقاعة في بُحيرة قَدَس ٢٢٨
نهر الأردن، بحيرة طبرية وبحيرة لوط ٢٢٩
القفر اليهودي ٢٣١
اليوم الثالث والعشرون ٢٣٣
قبر الراعي وقبر العازر ٢٣٣
اليوم الرابع والعشرون ٢٣٥
المدرسة القادرية ٢٣٥
مناقشة موضوع الدخان ٢٣٥
الزَّاوية البسطامية ٢٣٥
قصة الذي عاد إليه بصرُه بقصيدة ٢٣٦
قصيدة في مدح الشيخ عبد الغني ٢٣٨
مسألة الاكتفاء ببعض الكلمة ٢٣٩
التكية المولوية في القدس ٢٤٠
قصيدة النابلسي في التكيَّة ٢٤١
قصيدة للنابلسي في حلِّ السَّماع والطرب ٢٤١
الزاوية الأدهمية ٢٤٢
مقبرة السَّاهرة ٢٤٣
مغارة الكتَّان ٢٤٤
اليوم الخامس والعشرون ٢٤٦
الطريق إلى الخليل ٢٤٦
الشيخ أبو ثور وكراماته ٢٤٦
قبة راحيل ٢٤٧
عين سارة ٢٤٨
قصيدة النابلسي في مدح الخليل ٢٤٨
زاوية الشيخ علي البكَّا ٢٥٠
قصَّتُه مع الراهب ٢٥١

خميس الأموات ٢٥١
تكيّة الخليل ٢٥٢
السماط الكبر في الخليل ٢٥٢
مسجد جاولي ٢٥٣
تربة الخليل ٢٥٤
رؤية إبراهيم وإسحق ويعقوب ٢٥٦
البناء على قبر الخليل ٢٥٩
وصف جامع الخليل ٢٦٠
زيارة مقام الخليل وآله ٢٦١
مزار يوسف النّجار ٢٦٢
يوسف النجار ويوسف الصّديق ٢٦٣
مقام يوسف ٢٦٣
أحاديث عن قبور إبراهيم وآله ٢٦٥
الدعاء المستجاب في الخليل ٢٦٦
أخبار في فضل الخليل ٢٦٦
النابلسي يمدح آل إبراهيم ٢٦٧
ابن زقاعة يمدح آل إبراهيم ٢٦٩
الشيخ البكري والعلمي وآل إبراهيم ٢٧١
أحمد الخلوتي يمدح آل إبراهيم ٢٧٣
الدكدكجي يمدح آل إبراهيم ٢٧٤
إقطاع تميم الداري في الخليل ٢٧٦
الأخوان المروانيان والشيخ بدران ٢٨١
أحمد شرف الدين ٢٨٢
نورلدين الخليلي ٢٨٢
الحجر الذي عليه أسماء قبور الأنبياء ٢٨٢
اليوم السادس والعشرون ٢٨٤
زيارة النبي لوط ٢٨٤

قرية ياقين، ومسجد اليقين ٢٨٤
الشيخ محيي الدين وكتاب اليقين ٢٨٥
مقام بنات لوط، قرية بني نعيم ٢٨٦
قصائد لابن زقاعة والنابلسي في النبي لوط ٢٨٨
قرية سيعير ٢٨٩
الشيخ إبراهيم بن الهدمة ٢٨٩
حلقة ذكر قادرية ٢٩٠
زيارة مجذوب ٢٩٠
مغارة الأربعين ٢٩١
الشيخ محمد سعيد الخليلي ٢٩١
الشيخ عمر يعقوب ٢٩٢
اليوم السابع والعشرون ٢٩٣
قرية حلحول ٢٩٣
قبر يونس بن متّى ٢٩٣
بيت لحم ٢٩٤
الإسراء وبيت لحم ٢٩٧
آثار بيت لحم وصناعة أهلها ٢٩٩
اليوم الثامن والعشرون ٣٠١
الحاج أحمد حضرة ٣٠١
اليوم التاسع والعشرون ٣٠٢
الشيخ محمد الجماعي ٣٠٢
قصيدة النابلسي في الشيخ العلمي ٣٠٣
قصر صالح العسلي في القدس ٣٠٤
النابلسي يمدح آل الدجاني ٣٠٥
حكايات عن الشيخ البكري الصديقي ٣٠٦
اليوم الثلاثون ٣٠٨

الشيخ طه الزعبي والشيخ علي عمرة ٣٠٨
زاوية الشيخ محمد القرمي ٣٠٩
الشيخ أمين الدّين أفندي ٣٠٩
اليوم الحادي والثلاثون ٣١١
دخول حمام الشفا ٣١١
زيارة عبداللطيف أفندي ٣١٢
اليوم الثاني والثلاثون ٣١٣
الشيخ محمد الغزالي ٣١٣
مقام النبي داود وبرجه ٣١٣
تربة ما مَلّا ٣١٥
قبر الشيخ مجير الدين الحنبلي ٣١٥
الزاوية القلندرية ٣١٦
ابن الهايم ٣١٦
الإمام أبو عبد الله القرشي ٣١٦
آراء في كثرة الأكل ٣١٦
الشيخ أحمد الرملي ومحمد المجيدي ٣١٧
مقام الشيخ البرماوي وعبد المنعم الدجاني ٣١٨
موتى يقرؤون القرآن ٣١٩
مآثر العلماء الراحلين ٣٢١
مجلس علمي في بيت مصطفى أفندي ٣٢٢
اليوم الثالث والثلاثون ٣٢٣
النابلسي يُجيز الشيخ أمين أفندي والشيخ يحيى الدجاني وولده ٣٢٣
زيارة علي آغا ٣٢٦
الشيخ عبد الله المجذوب ٣٢٧
اليوم الرابع والثلاثون ٣٢٨
رحلة العودة ٣٢٨
اليوم الخامس والثلاثون ٣٢٩

السيد أحمد النقيب في نابلس ٣٢٩
اليوم السادس والثلاثون ٣٣٠
رسائل إلى الشيخ النابلسي من أخيه ومن محمد أبي السعود ٣٣٠
رسالة للنابلسي من الشيخ صادق ٣٣٢
رسائل عدة إليه ٣٣٦
إجازة شاذلية للشيخ الحارثي ٣٣٨
مقام درويش الرومي في نابلس ٣٣٩
الشيخ طه وإجازته في طريق الشاذلية ٣٤٠
اليوم السابع والثلاثون ٣٤١
حمام الريش في نابلس ٣٤١
عين الرصاص ورأس العين ٣٤١
الشيخ أمين الدين عصفور ٣٤٢
أشعار في نابلس ٣٤٣
قبر النمرود ٣٤٣
مسجد الخضراء في نابلس ٣٤٤
درس في الجامع الصغير ٣٤٥
الشيخ عبدالغفور ٣٤٦
اليوم الثامن والثلاثون ٣٤٧
كرامات الأولياء ٣٤٧
عين بئر الحمام ٣٤٧
قباطية ٣٤٨
اليوم التاسع والثلاثون ٣٤٩
الشيخ أبو الرُّب ومعجزاته ٣٤٩
قرية مُغر السَّعادة ٣٥٠
اليوم الأربعون ٣٥٢
الشيخ قنبر القميمي ٣٥٢

اليوم الحادي والأربعون ٣٥٣
قرية جلمة ٣٥٣
الشريف يحيى ٣٥٣
عيون التجار ٣٥٣
اليوم الثاني والأربعون ٣٥٥
المنية ٣٥٥
وصف زهرة الدفلي ٣٥٥
خواص الدفلي ٣٥٦
جب يوسف وخان يعقوب ٣٥٦
اليوم الثالث والأربعون ٣٥٧
الراعي التائه ٣٥٧
القنيطرة ٣٥٨
اليوم الرابع والأربعون ٣٥٩
سعسع ٣٥٩
اليوم الخامس والأربعون ٣٦٠
الدخول إلى دمشق الأربعاء غرة شعبان ١١٠١ هـ/ ١٠ أيار/مايو سنة ١٦٩٠ م. ٣٦١
موجز الرحلة شعراً .... ٣٦٢ - ٣٦٧
ختام المخطوط ٣٦٧
الفهارس ٣٦٩
فهرس الأعلام ٣٧١
فهرس الأضرحة والمزارات ٣٧٦
فهرس الأماكن ٣٧٩
فهرس الكتب الواردة في النص ٣٨٣
فهرس المصطلحات والشوارد ٣٨٥
فهرس الموضوعات الواردة في الرحلة ٣٨٦